

البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع

للقاضي العلامة شيخ الإسلام
مُحمَّد بن علي الشَّوكاني

قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه
الدكتور صلاح الدين الهَوَّاري

الجزء الأول



شركة الأرض شريف الانصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة الأرضية •

الخندق العميق - ص.ب: 11/8355

تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875

بيروت - لبنان

• الدارة النشرة الجيدة •

بوليفار د. فزيه البزري - ص.ب: 221

تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261

صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية •

كفر جرة - طريق عام صيدا جزين

00961 7 230841 - 07 230195

تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

هـ 1437 - 2016

Copyright© all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للناس

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.alassrya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

شُغِفَ العرب والمسلمون على امتداد العصور بتصنيف كتب التراجم التي تُعنى بِسِيرِ الخلفاء والأمراء والعلماء والأدباء والشعراء، وسائر الأعلام والمشاهير، في مختلف المناحي السياسية والاجتماعية، والدينية والأدبية، وغيرها.

وقد عَمَّتْ مصنفات التراجم والسَّير بلادَ المشرقِ العربي ومغربه، وتباينت في أحجامها، وأعلامها، فمنها ما وقع في مجلدٍ واحدٍ أو اثنين، ككتاب الشعر والشعراء لعبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، وطبقات الشعراء لابن المعتز العباسي (ت ٢٩٦هـ / ٩٠٩م)؛ ومنها ما اتَّسع ليلبغ عشرين مجلداً، أو أقلَّ من ذلك أو أكثر، ككتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٧م) وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م).

ومن تلك المؤلفات ما اختصَّ بطائفةٍ من الأعلام دون غيرهم، كالشعراء، أو الأدباء، أو الخلفاء أو النحاة، مثل كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجُمحي (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م)؛ ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٩م)؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، وإنباه الرواة على أنباء النحاة لعلي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)؛ ومنها ما ترجم لأعلام مُتنوعِي السَّمات والمنازل والاختصاصات ككتاب شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م).

ويلحظ في كتب التراجم أنَّ بعضها قد ضَمَّ أعلام عصرٍ، أو قرنٍ مُحدَّدٍ من الزمان، مثل كتاب سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لمحمد بن خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م)؛ أو ضَمَّ رجال بلدٍ أو إقليم دون غيره، كالنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)، والطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد لجعفر بن تغلب الأدفوي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م).

واللافُ في تلك الكتب والموسوعات أيضاً أنها كانت تكمل بعضها بعضاً، كأنها سلسلة متتابعة الحلقات، فكان كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي

(ت٤٠٣هـ / ١٠١٣م) ثم تلاه كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس لابن بشكوال (ت٥٧٨هـ / ١١٨٣م)؛ وظهر كتاب جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس للحميدي (ت٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) ثم تبعه كتاب بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضبي (ت٥٩٩هـ / ١٢٠٣م).

وكذلك ظهر كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لشمس الدين بن خلكان (ت٦٨١هـ / ١٢٨٣م)، ثم تلاه كتاب فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٣م)، فالوفاي بالوفيات للصفدي (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٣م). وصدر كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٩م) فتبعه الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) ثم كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)؛ وهو الكتاب الذي نُعنى بشرحه وتحقيقه.

يقع كتاب البدر الطالع في مجلدين ضخمين، اشتملا على تراجم لخمسمائة وستة وتسعين رجلاً، عاشوا بدءاً من أوائل القرن الثامن الهجري، وحتى عصر المؤلف، الذي صنّف كتابه في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

وقد تنوّعت اختصاصات ومراتب أعلام الكتاب، فكان منهم أهل السياسة والحكم من أئمة اليمن؛ ومنهم السلاطين ممّن حكموا بلاد مصر والشام، والملوك الذين كانوا على رأس ممالك المغول والروم والترك، وكذلك العلماء، والفقهاء، والأدباء، والشعراء، من أهل التّقْدُم والنباهة والتُّبُل.

ولم يفت المؤلف ذكر هذه الأصناف حين قال^(١): «وقد ضمنتُ إلى العلماء من بلغني خبره من العُباد، والخلفاء، والملوك، والرؤساء، والأدباء، ولم أذكر منهم إلّا من له جلالة قدر، ونبالة ذكر، وفخامة شأن، دون من لم يكن كذلك».

وحَدّد المؤلف الحقبة الزمنية التي اختار منها أعلامه، ومنازل هؤلاء الأعلام بقوله^(٢): «فالحاصل أن المذكورين في هذا الكتاب هم أعيان الأعيان، وأكابر أبناء الزمان، من أهل القرن الثامن، ومن بعدهم إلى الآن».

وعن مخالفته للمقياس السابق في الاختيار، وخصوصاً ذكره لبعض أهل عصره ممّن رافقوه أو كاتبوه، قال مُوضّحاً مُبرّراً^(٣): «وربما أذكر من أهل عصري ممّن أخذت عنه أو أخذ عني، أو رافقني في الطلب، أو كاتبني أو كاتبته، من لم يكن

(١) البدر الطالع: ٣/١.

(٢) البدر الطالع: ٣/١.

(٣) البدر الطالع: ٣/١.

بالمَحَلِّ المتقدم ذكره، لِمَا جُبِلَ عليه الإنسان من محبة أبناء عصره ومصره».

وحصر الشوكاني دوافعه إلى تأليف هذا الكتاب في أمرين اثنين هما: الردّ على جماعة من أهل المذاهب الفقهية الذين قالوا بتعذُّر وجود مجتهدٍ بعد المائة السادسة أو السابعة، والرغبة في إثبات أنَّ الله سبحانه وتعالى قد تفضَّل على خلف الأمة كما تفضَّل على سلفها، وأنه جلَّ وعلا لم يخصَّ أهل عصرٍ دون غيرهم من أهل العصور اللاحقة بالعلم والاجتهاد «فإنَّه لما شاع على ألسن جماعة من الرعاع اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها؛ حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تعذُّر وجود مجتهدٍ بعد المائة السادسة كما نُقِلَ عن البعض، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون. وكانت هذه المقالة بمكان من الجهالة لا يخفى على من له أدنى حظٍّ من علم، وأنزِر نصيب من عرفان، وأحقر حصّة من فهم، لأنها قصُرُ للتفضل الإلهي، والفيض الربّاني على بعض العباد دون البعض، وعلى أهل عصر دون عصر، وأبناء دهرٍ دون دهرٍ بدون برهانٍ ولا قرآن»^(١).

ورأى الشوكاني أن ترجمته لهذا الفيض من العلماء الذين جاؤوا بعد المائة السابعة ستقوم دليلاً على تفضُّل الله عزَّ وجلَّ على خلف الأمة مثل تفضُّله على سلفها «حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم، مما بلغني خبره إلى عصرنا، ليعلم صاحب تلك المقالة، أن الله - وله المنة - قد تفضَّل على الخلف كما تفضَّل على السلف؛ بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقل نظيره من أهل العصور المتقدمة»^(٢).

ومن خلال دراستنا للكتاب ومراجعة موادّه سجّلنا ما يلي:

- رتَّب المؤلف أسماء الأعلام المترجم لهم وفقاً لحروف المعجم، مبتدئاً بحرف الهمزة، منتهاً بحرف الياء.

- رتَّب أسماء الباب الواحد (الهمزة مثلاً) وفقاً لأوائل الحروف وما يليها، فكان من اسمه إبراهيم قبل من اسمه أحمد، ومن اسمه إسحاق قبل من اسمه إسماعيل، وهكذا حتى نهاية باب الهمزة.

- رتَّب الأسماء في كل فصل من فصول الباب الواحد (فصل من اسمه إبراهيم - باب الهمزة - مثلاً) محتسباً أسماء الآباء وفقاً للترتيب الألفبائي، فكان من اسمه

(١) البدر الطالع: ٢/١.

(٢) البدر الطالع: ٣/١.

إبراهيم بن أحمد قبل من اسمه إبراهيم بن إسحاق، ومن اسمه إبراهيم بن حسن قبل من اسمه إبراهيم بن حمزة.

- حرص المؤلف على تضمين تراجمه تواريخ الولادة والوفاة، لكنه لم يتمكن من الالتزام بذلك في جميع تراجم الكتاب، لاضطراره إلى نقل بعضها عن مؤلفات لم تُعَنْ بثبت تلك التواريخ؛ أو لعدم اهتدائه إليها، أو لبقاء بعض أعلامه أحياء حتى تاريخ تأليفه للكتاب، كعبدالله بن محسن الحيمي الصنعاني، الذي قال في آخر ترجمته: «وصاحب الترجمة الآن حيٌّ، نفع الله به»^(١).

- كان المؤلف يجزم في تحديد تواريخ الوفاة، كفعله في معظم تراجم الكتاب؛ وكان يرجِّح بعض التواريخ، كقوله في ترجمة (علي بن عبدالله الحسني السهمودي): «وموته تقريباً سنة اثنتي عشرة وتسعمائة»^(٢)؛ وقوله في ترجمة (علي بن قاسم السنحاني): «لعل موته في حدود الألف من سني الهجرة»^(٣)؛ وكان يصرح بعدم اهتدائه إلى تاريخ الوفاة، كقوله في ترجمة (علي بن صالح بن أبي الرجال الصنعاني): «ولم أقف على تاريخ وفاته»^(٤).

- توسَّع الشوكاني في الترجمة للمشهورين، أو ذوي القدر الكبير من الأعلام، كالسيد غالب بن مساعد شريف مكة وأميرها (١٣ صفحة)^(٥)؛ وعبدالرحمن بن يحيى الأنسي (١٣ صفحة)^(٦)، وجلال الدين السيوطي (٨ صفحات)^(٧)؛ وأوجز كثيراً في ترجمته للمغمورين من الأعلام، كعبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي (ثلاثة أسطر)^(٨)، وعبد الملك بن حسين العصامي الشافعي المكي، الذي أورد اسمه، واسم أحد مصنفاته، ثم قال: «ولم أقف له على ترجمة»^(٩).

- يبدو أن الشوكاني لم يُصنَّف كتابه دفعة واحدة، أو في أوقات متقاربة، لذلك رأيناه يختم بعض التراجم بما يوحي أن المترجم له لا يزال حياً، ثم يعود فيؤكد موته في تاريخ محدّد، كقوله في ترجمة (علي بن إسماعيل النهمي): «وهو الآن حيٌّ عافاه الله، ثم مات رحمه الله - أظنه - سنة ١٢٣٢هـ»^(١٠).

- أثبت المؤلف في كتابه الكثير من المجاوبات الشعرية التي كانت تدور بينه وبين جماعة من علماء عصره، وفيها مدائح متبادلة، وتقديرٌ، واعترافٌ بفضلٍ وسعة

(٦) البدر الطالع: ١/ ٣٤٠ - ٣٥٢.

(٧) البدر الطالع: ١/ ٣٢٨ - ٣٣٤.

(٨) البدر الطالع: ١/ ٣٦٠.

(٩) البدر الطالع: ١/ ٤٠٣.

(١٠) البدر الطالع: ١/ ٤٣٣.

(١) البدر الطالع: ١/ ٣٩٥.

(٢) البدر الطالع: ١/ ٤٧١.

(٣) البدر الطالع: ١/ ٤٧٤.

(٤) البدر الطالع: ١/ ٤٥٧.

(٥) البدر الطالع: ٢/ ٤ - ٢٤.

علم، كذلك التي وردت في ترجمة لطف الله بن أحمد جحّاف^(١)؛ و ترجمة السيد علي بن إسماعيل بن علي ابن الإمام المتوكل على الله^(٢).

- كان إirاده لشعر بعض الذين ترجم لهم يطول حتى يبلغ عشرات الآيات، كما في ترجمة السيد محسن بن المتوكل على الله إسماعيل^(٣)، وعلي بن صالح العماري الصنعاني^(٤)؛ وكان يقصر جداً حتى لا يتجاوز البيتين أو الثلاثة، كما في ترجمة عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المخزومي (بيتان)^(٥)؛ وعبدالرحمن بن محمد الإشبيلي التونسي، ابن خلدون (بيتان)^(٦).

- خصّ الشوكاني نفسه في كتابه بترجمة وافية، ضمّنها ثبناً بمقروءاته، ومسموعاته، وأسماء شيوخه، ورفقائه في القراءة والسماع والطلب، وأسماء تلامذته، ومؤلفاته، ووظائفه؛ فسَهّل على الدارسين السبيل إلى التعرف إليه دارساً ومدرّساً، ومتعلماً وعالماً، وقارئاً ومصنّفاً، وقاضياً ومفتياً، . . . وشجّع معاصريه من المصنفين، والذين أتوا من بعده على الاقتداء به، والسير على نهجه.

ونظراً لأهمية هذا الكتاب في إبراز معالم بلاد العرب والمسلمين العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية، ما بين أوائل القرن الثامن الهجري، وأواسط القرن الثالث عشر، وهي الحقبة التي حدّدها المؤلف ميداناً لانتقاء موادّ كتابه؛ وحرصاً منّا على بعث تراثنا العربي وتيسيره ووضعه في المرتبة اللائقة به، نُخرج اليوم هذا الكتاب، ونقدمه إلى القراء بحلّة أنيقة، وإضافات جديدة في الضبط والشرح والتوثيق والفهرسة، آمليْن أن تكون على مستوى حاجاتهم، وأذواقهم، وطموحاتهم.

ويقوم عملنا في هذا الكتاب وفقاً للخطة الآتية:

- تصدير الكتاب بمقدمة تشتمل على تعريف موجز بالمؤلف العلامة محمد بن علي الشوكاني، ونشاطه العلمي، ومؤلفاته، ومنهجه في تأليف الكتاب.
- ضبط مفردات الكتاب، وأسماء الأعلام والأماكن والبلدان.
- ضبط الشواهد الشعرية، وشرحها، وتعيين بحورها.
- التعريف بالأعلام غير المترجم لهم في الكتاب ما أمكن، مع الإحالة إلى أهم المصادر التي ترجمت لهم.

- تزويد الأعلام أصحاب التراجم بعدد من الكتب التي ترجمت لهم ما أمكن.

(٤) البدر الطالع: ٤٤٦/١ - ٤٥٥.

(٥) البدر الطالع: ٣١٧/١.

(٦) البدر الطالع: ٣٣٧/١.

(١) البدر الطالع: ٦٢/٢ - ٦٨.

(٢) البدر الطالع: ٤٣٣/١ - ٤٣٧.

(٣) البدر الطالع: ٧٤/٢.

- تصحيح ما ورد في متن الكتاب من أخطاء إملائية ولغوية ومطبعة.
 - تزويد الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية التي تساعد القارئ، وتُمكنه من الاطلاع على مواد الكتاب بسهولة ويُسر.
 وخير ما نختم به هذه السطور هو التضرُّع إلى الله سبحانه وتعالى أن يتولَّانا برحمته، وأن يُسدِّد خطانا إلى ما فيه خيرنا في الدين والدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

١٠ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

٥ أيار ٢٠٠٩م

صلاح الدين الهواري

ترجمة المؤلف

- حياته وأخباره:

هو أبو عبدالله، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن علي بن عبدالله^(١) الشوكاني، الخولاني، الصنعاني: محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان في الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وسبعين للهجرة (١١٧٣هـ / ١٧٦٠م). ونشأ بصنعاء فقرأ القرآن على جماعة من الشيوخ، وختمه على الفقيه حسن بن عبدالله الهبل، وجوّد على جماعة من علماء صنعاء. ثم شرع بالاطلاع على الكتب والمصنفات في مختلف أنواع المعارف والعلوم، فحفظ كتاب «الأزهار» للإمام المهدي، و«مختصر الفرائض» للعصيفري، و«الملحة» للحريري، و«الكافية» و«الشافية» لابن الحاجب، و«التهذيب» للتفتازاني، و«التلخيص» للقزويني، و«الغاية» لابن الإمام، و«منظومتي الجزري والجزاز» في العروض، و«آداب البحث» و«رسالة الوضع» للعضد. وكان إلى جانب الانشغال في هذه المرحلة بالحفظ، كثير الإقبال على مطالعة كتب التواريخ، ومجاميع الأدب، وغيرها.

وحين شرع بطلب العلم، قرأ عشرات الكتب والمصنفات على عدد كبير من علماء عصره، منها كتاب «شرح الأزهار» قرأه على والده، وعلى العلامة أحمد بن عامر الحدائي، والعلامة أحمد بن محمد بن الحارزي، الذي أخذ عنه الفقه، وعليه تخرّج، وطالت ملازمته له نحو ثلاث عشرة سنة. وقرأ «ملحة الإعراب» وشرحها على العلامة إسماعيل بن الحسن ابن الإمام القاسم، و«قواعد الإعراب» وشرحها، للأزهري، وكتاب إساغوجي للقاضي زكريا، على العلامة عبدالله بن إسماعيل النهمي.

وسمع صحيح مسلم، وسنن الترمذي، وبعض موطأ مالك، وبعض «الشفاء» للقاضي عياض، وجامع الأصول، وبعض سنن النسائي، وبعض سنن ابن ماجه،

(١) يُنظر تمام نسبه الممتد إلى آدم عليه السلام في ترجمة والده (البدر الطالع: ١/ ٤٧٨).

وبعض ألفية الزين العراقي وشرحها، وبعض «صحاح» الجوهري، وبعض القاموس، على العلامة عبدالقادر بن أحمد.

وسمع جميع سنن أبي داود، وتخريجها للمنزدي، وبعض «المعالم» للخطابي، وبعض شرح ابن رسلان، وشرح بلوغ المرام، على العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي.

وبعد أن استنفد الشوكاني ما عند شيوخته من مقروءات ومسموعات، تفرغ لإفادة طلبته، فكانوا يأخذون عنه في كل يوم وليلة زيادة على عشرة دروس في فنون متعددة، كالتفسير، والحديث، والأصول، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والمنطق، والفقه، والجدل، والعروض، وغيرها.

وكان قبل ذلك الوقت، وفي أثنائه، يفتي أهل مدينة صنعاء، ومن وفد إليها، ومن أرسل بفتواه إليه من الديار التهامية. وكادت الفتيا تدور عليه من عوام الناس وخواصهم. وكان لا يأخذ شيئاً على الفتيا تنزهاً، فإذا عوتب على ذلك كان يقول: أنا أخذت العلم بلا ثمن، وأريد إنفاقه كذلك.

وحكى الشوكاني عن نفسه، أنه ترك التقليد، واجتهد رأيه اجتهاداً مطلقاً غير مُقيّد وهو قبل الثلاثين. وأنه كان منجمعاً عن بني الدنيا، لم يقف بباب أمير، ولا قاض، ولا صاحب أحدٍ من أهل الدنيا، ولا خضع لطلب من مطالبتها، بل كان مشغولاً في جميع أوقاته بالعلم درساً وتديساً وإفتاءً وتصنيفاً، عائشاً في كنف والده، راغباً في مجالسة أهل العلم والأدب وملاقاتهم والاستفادة منهم وإفادتهم.

وذكر أنه لم ينظم الشعر إلا إذا دعت إليه حاجة، كجواب ما يكتبه إليه بعض الشعراء من سؤال، أو مطارحة أدبية، أو نحو ذلك.

وذكر أيضاً أنه ابتلي بالقضاء في مدينة صنعاء، بعد موت من كان متولياً للقضاء الأكبر بها، وكان دخوله في سلكه وهو ما بين الثلاثين والأربعين من عمره.

وكان يكثر من سؤال المولى عز وجل أن يحسن ختامه، وينيله من خيري الدارين مرامه، وأن يسدده في أقواله وأفعاله، وينزع حُب الدنيا من قلبه.

ومن أحسن ما قاله شعراً:

أَنَا رَاضٍ بِمَا قَضَى وَاقِفٌ تَحْتَ حُكْمِهِ
سَائِلٌ أَنْ أَفُوزَ بِالْ— خَيْرٍ مِنْ حُسْنِ خَتْمِهِ

وكانت وفاة الشوكاني في جمادى الآخرة، سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٤٣م، ودُفن بخزيمة، وهي مقبرة مشهورة بصنعاء.

- آثاره^(١):

ترك الشوكاني عدداً كبيراً من المصنفات والرسائل في الفقه، والتفسير، والحديث، والتراجم، والأخبار، والبلدان، والفلسفة، وعلم الكلام، والفُتيا، وغيرها من صنوف العلم والمعرفة الشائعة في عصره. ونظراً لقرب المسافة بيننا وبين المؤلف، حيث توفي سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٤٣م، فإنّ قسماً كبيراً من تلك المصنفات والرسائل لا يزال محفوظاً بمخطوطاته الأصلية في بعض المكتبات العربية والأجنبية، وقسماً آخر قد وجد طريقه إلى النور، فطبع ونشر في غير بلدٍ ودار.

وأهم تلك المؤلفات:

- إتحاف الأكابر: وهو ثبت مروياته عن شيوخه، مرتّب على حروف الهجاء.
- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: مجلد واحد.
- التعقبات على الموضوعات.
- الدرر البهية في المسائل الفقهية.
- فتح القدير الجامع بين فئتي الرواية والدراية من علم التفسير: خمسة مجلدات.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: في الفقه.
- السيل الجرار: في نقد كتاب الأزهار. جزآن.
- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات: وهو كتاب يردّ فيه على موسى بن ميمون الأندلسي، اليهودي في ظاهر المستند، والزنديق في باطن المعتقد.
- تحفة الذاكرين: شرح عدة الحصن الحصين.
- التُّحف في مذهب السُّلف: رسالة.
- الدرُّ النضيد في إخلاص كلمة التوحيد: رسالة.
- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار: ثمانية مجلدات.
- الأبحاث العرضية في الكلام على حديث حبّ الدنيا رأس كلّ خطية: كان موجوداً في المكتبة العربية، ولعله آل إلى المكتبة الظاهرية بدمشق.
- شرح المنتقى: أربعة مجلدات.

(١) رجعنا في رصد هذه الآثار إلى كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: ٢١٩/٢ - ٢٢١؛ الأعلام: ٢٩٨/٦؛ معجم المؤلفين: ٥٣/١١.

- حاشية شفاء الأوام: مجلد واحد.
- الدراري المضيئة: مجلد واحد.

ومن المختصرات:

- الإعلام بالمشايخ الأعلام والتلامذة الكرام: معجم لشيخه وتلامذته.
- المختصر البديع في الخلق الوضيع: ذكر فيه خلق السموات والأرض والملائكة والجن والإنس. مجلد واحد.
- المختصر الكافي من الجواب الشافي.
- طيب النشر في جواب المسائل العشر.
- عقود الزبرجد في جيد مسائل علامة ضمد.
- الصوارم الهندية، المسلوقة على الرياض الندية.
- القول الصادق في إمامة الفاسق.
- تشنيف السمع بإبطال أدلة الجمع.
- إطلاع أرباب الكمال على ما في رسالة الجلال في الهلال من الاختلال.
- تنبيه ذوي الحجى في حكم بيع الرجا.
- شفاء العلل في حكم زيادة الثمن لأجل الأجل.
- القول المٌحرّر في حكم لبس المعصفر وسائر أنواع الأحمر.
- البحث المسفر عن تحريم كل مُسكر ومفتر.
- إتحاف المهرة بالكلام على حديث لا عدوى ولا طيرة.
- إبطال دعوى الإجماع على تحريم مطلق السماع.
- عقود الجمان في شأن حدود البلدان وما يتعلق بها من الضمان.
- زهر النسرین الفائح بفضائل العمرين.
- حلّ الإشكال في إجبار اليهود على النفاط والأزبال.
- الإبطال لدعوى الاختلال في حلّ الإشكال.
- تفويق النبال إلى إرسال المقال.
- التشكيك على التفكيك لعقود التشكيك.
- إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي.
- رفع الجناح عن نافي المباح.
- البغية في مسألة الرؤية.
- القول المقبول في ردّ خبر المجهول من غير صحابة الرسول.

- أمنية المُتَشَوِّق في تحقيق حكم المنطق .
- الصوارم الحداد القاطعة لعلائق مقالات أرباب الاتحاد .
- إرشاد المستفيد إلى رفع كلام ابن دقيق العيد في الإطلاق والتقييد .
- البحث الملم بقوله تعالى «إلا من ظلم» .
- جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل .
- وبل الغمامة في تفسير «وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة» .
- تحرير الدلائل فيما يجوز بين الإمام والمؤتم من الارتفاع والاحتفاظ والبعد والحائل .
- تنبيه الأعلام على تفسير المشتبهات بين الحلال والحرام .
- رفع الخصام في الحكم بالعلم من الأحكام .
- إشراق النيرين في بيان الحكم إذا تخلف عن الوعد أحد الخصمين .
- القول الجلي في لبس النساء الحلي .
- الأبحاث البديعة في وجوب الإجابة إلى حكام الشريعة .
- القول المفيد في حكم التقليد .
- الوشي المرقوم في تحريم حلية الذهب على العموم .
- إرشاد السائل إلى دلائل المسائل .
- كشف الرين عن حديث ذي اليمين .
- هداية القاضي إلى نجوم الأراضي .
- إيضاح القول في إثبات العول .
- اللمة في الاعتداد بركعة من الجمعة .
- أدب الطلب .
- منتهى الأرب .
- الفتح الربّاني في فتاوى الشوكاني : مجموعة رسائل ، أربعة مجلدات .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : مجلدان . وهو كتاب نفيس في التراجم والسير ، أتبعه محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة اليميني الصنعاني سنة ١٣٨٤هـ بملحق ضمّ تراجم لأربعمئة وواحد وأربعين علماً ممّن فات الشوكاني الإحاطة بهم في كتابه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي جعلَ النَّظَرَ في أخبارٍ من عَبَر^(١) من أعظم العِبر، والصلاة والسلام على صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ من البَشَر. وعلى آله قُرْءاء^(٢) القرآن، كما صحَّ بذلك الخَبَر. وعلى أصحابه الذين أرغم^(٣) الله بِفَضَائِلِهِمْ وفَوَاضِلِهِمْ أَنْفَ من كَفَرَ.

(وبعد) فإنه لما شاعَ على ألسُن جماعة من الرِّعَاع^(٤) اختصاص سَلَف هذه الأمة بإحراز فضيلة السِّبْق في العلوم دُونَ خَلْفِهَا. حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تَعَدُّر وجود مُجْتَهِدٍ بعد المائة السادسة، كما نُقِلَ عن البعض، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون. وكانت هذه المقالة بمكان من الجهالة لا يخفى على مَنْ له أدنى حِظٍّ من علم، وأنزِر نصيب^(٥) من عِرْفَان، وأحقر حصّةٍ من فهم، لأنها قصُرَ للتَّفَضُّلِ الإلهي، والفيض الرِّباني على بعض العبادِ دون البعض، وعلى أهل عصرٍ دون عصر، وأبناء دَهرٍ دون دَهر، بدون بُرْهان ولا قُرْآن. على أن هذه المقالة المخدولة، والحكاية المردولة، تستلزم خُلُوءَ هذه الأعصار المتأخرة عن قائم بحجج الله، ومترجم عن كتابه وسنّة رسوله، ومُبيِّن لما شرعه لعباده. وذلك هو ضياع الشريعة بلا مِرْيَةٍ^(٦)، وذهاب الدين بلا شَكٍّ، وهو تعالى قد تكفَّل بحفظ دينه. وليس المراد حفظه في بطون الصحف والدفاتر، بل إيجاد من يُبَيِّن للناس في كُلِّ وقتٍ، وعند كُلِّ حاجة.

حَدَّاني ذلك إلى وضع كتابٍ يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن، وَمَنْ بعدهم مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا، ليعلم صاحب تلك المقالة أنَّ الله وله المِنَّة، قد تَفَضَّلَ على الخلف كما تَفَضَّلَ على السلف. بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها من يقلُّ

(١) عَبَرَ: مضى وذهب.

(٢) قُرْءاء: جمع قرين: مقارن ومصاحب؛ أو أسير.

(٣) أرغم فلاناً: قَهَرَهُ وقَسَرَهُ وأَذَلَّهُ.

(٤) الرِّعَاعُ من الناس: العَوْغَاء، أو العامة.

(٥) أنزُر نصيب: أَقْلُهُ.

(٦) المِرْيَةُ: الشُّكُّ؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧].

نظيره من أهل العصور المتقدمة؛ كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب، وحلّ عن عنقه عُرَى التقليد. وقد صَمَمْتُ إلى العلماء من بلغني خبره من العبّاد والخلفاء والملوك والرؤساء والأدباء، ولم أذكر منهم إلّا مَنْ له جلالَةٌ قدَرٍ ونبالةٌ ذكرٍ وفخامةٌ شأنٍ دون مَنْ لم يكن كذلك.

فالحاصلُ أنّ المذكورين في هذا الكتاب هم أعيانُ الأعيان، وأكابرُ أبناء الزمان من أهل القرن الثامن، ومن بعدهم إلى الآن. وربما أذكر من أهل عصري ممّن أخذتُ عنه أو أخذ عني، أو رافقني في الطلب، أو كاتبني، أو كاتبته، من لم يكن بالمحلّ المتقدم ذكره، لما جُبِلَ عليه الإنسان من محبةِ أبناءِ عصره ومِصْرِهِ. وربما أذكر من أهل عصري من لم يَجْرَ بيني وبينه شيء من ذلك. وقد استكثر المتأخرون من المشتغلين بأخبار الناس المؤلفين فيها من تسجيع الألفاظ والتأنق في تنقيحها وتهذيبها مع إهمال بيان الأحوال والمولد والوفاة. ومثل ذلك لا يُعَدُّ، من علم التاريخ، فإنّ مطمَحَ نظري مؤلفه وفُصّارى مقصوده هو مراعاة الألفاظ وإبراز النكات البديعة، وهذا علمٌ آخر غير علم التاريخ، إنما يرغب إليه من أراد أن يتدرَّب في البلاغة، ويتخرَّج في فن الإنشاء. فربما ألجأتني الضرورة إلى نقل ترجمة بعض الأعيان من مثل تلك المؤلفات ولم أجد له ذكراً في غيرها، فأذكره مهملًا عن ذكر المولد والوفاة مُنبهًا على عصره إجمالاً، مبيّنًا لما أمكن بيانه من أحواله، وهذا هو القليل النادر.

والمَرَجُؤُ من الله جلّ جلاله الإعانة على إتمام هذا الكتاب وبروزه في الخارج على ما دار في الخلد من التَّصوُّر، فيكون إن شاء الله من أنفس الكتب وأنفعها لطالب هذا الفن، وبصير من أمعن النظر في مطالعته بعد إمعانه في مطالعة تاريخ الإسلام والنبلاء، وكامل ابن الأثير^(١)، وتاريخ ابن خَلْكَان^(٢) محيطاً بأعيان أبناء الزمان من سلف هذه الأمة وخلفها. وسمّيته (البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع) قال مؤلفه الحقير أسير التقصير: (مُحمّد بن علي بن مُحمّد الشوكاني) غفر الله له ذنوبه وستر عيوبه. وهذا أوان الشروع في المقصود بمعونة الملك المعبود.

(١) هو أبو الحسن، عزّ الدين، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير: مؤرخ، عالم بالأنساب، والأدب. توفي سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م. من آثاره: «الكامل في التاريخ»؛ و«أسد الغابة في معرفة الصحابة»؛ و«اللباب»؛ وغيرها. (شذرات الذهب: ١٣٧/٥؛ كشف الظنون: ٨٢، ١٧٩).

(٢) هو أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي، الإربلي، الشافعي: فقيه، مؤرخ، أديب، شاعر. توفي سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م. من آثاره: «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان». (معجم المؤلفين: ٥٩/٢؛ كشف الظنون: ١٧).

وقد جعلته على حروف المعجم مقدماً لمن قدمته حروف اسمه وإن كان غيره أقدم منه، مبتدئاً بقطب اليمن، وجنيد ذاك الزمن الناسك المُتألَّه:

١

(إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الكينعي)^(١)

بَلَّ اللَّهُ بوابل الرحمة ثراه، ولم أقف على تاريخ مولده بعد البحث عنه. وبنو الكينعي عرب لهم رياسة، وكانوا يسكنون قريةً من قرى اليمن بينها وبين ذِمَار^(٢) مقدار بريد، وبها مولده، وانتقل به أبوه إلى قرية معبر^(٣). وكان قريع أوانه وفريد زمانه في الإقبال على الله والاشتغال بالعبادة والمعاملة الربانية. وبيته معمور بالعلم والزهد والصلاح. وقد ترجمه بعض معاصريه بمجلد ضخّم وقفت عليه في أيام متقدمة، وأطنب في ذكره جميع من له اشتغال بهذا العلم منذ عصره إلى الآن. فمنهم السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير، والسيد العلامة يَحْيَى بن المهدي بن قَاسِم بن المُطَهَّر، وغيرهما. وكان أحسن الناس وجهاً، وأتمهم خلقة، قد غشيه نور الإيمان، وسيماء الصالحين. وإذا خرج نهراً ازدحم الناس على تقبيل يده والتبرُّك برؤية وجهه، وهو يكره ذلك وينفر عنه. يغضب إذا مُدِّح، ويستبشر إذا نُصِّح. ارتحل بعد موت والده وهو في سنِّ البلوغ إلى صنعاء^(٤)، ولازم وليَّ الله الزاهد العابد حاتم بن مَنصور الحملاني، فقرأ عليه في الفقه، وقرأ في الفرائض على الشيخ الخضر بن سُلَيْمان الهرش، وفي الجبر والمقابلة. وفاق في جميع ذلك حتى أقرَّ له أقرانه. وقال عن نفسه أنه يقتدر على تقدير ما في البركة الكبيرة من الماء بالأرطال. وكان يتكسَّب بالتجارة مع قنوع وعفافٍ واشتغالٍ بأنواع العبادة، فجمع مالاً حلالاً عاد به على أهله وإخوانه ومَنْ يقصده. وكرَّر السفر إلى مكة المشرفة وهو يزداد في

(١) ترجمته في الأعلام: ٢٩/١.

(٢) ذِمَار: قرية باليمن، على مرحلتين من صنعاء، يُنسب إليها نَفَرٌ من أهل العلم. وقال جماعة: ذِمَار اسم لصنعاء، وصنعاء كلمة حبشية، أي: حصين وثيق، قاله الحيش حين قدموا اليمن مع أبرهة وأرياط. وأكثر ما يقوله أصحاب الحديث بالكسر، وذكره ابن دُرَيْد بالفتح (ذِمَار). (معجم البلدان: ٧/٣ - ذِمَار).

(٣) في معجم البلدان (١٥٤/٥): «مُعَبَّر»؛ وقال في تعريفه: «جبل من جبال الدهناء».

(٤) صنعاء: مدينة عظيمة، هي قصبه اليمن وأحسن بلادها، تُشَبَّه بدمشق لكثرة مياهها وثمارها، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً، وقيل: سُمِّيَتْ بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالح، وهو الذي بناها. وقيل: كان اسمها «أزال»، وحين رأى أهل الحبشة بنيانها الحصين، قالوا: هذه صنعة، ومعناه: حصينة، فسُمِّيَتْ صنعاء بذلك. (معجم البلدان: ٤٢٦/٣).

أوصاف الخير على اختلاف أنواعها حتى خالط الخوف قلبه، وشغل بوظائف العبادة قلبه، واستوحش من كل معارفه، ومال إلى الانعزال عن الناس، وانجمع عن المخالطة لهم، وعكف على معالجة قلبه عن مرض حب الدنيا، ولزم المحاسبة لنفسه عن كل جليل ودقيق، وصام الأبد إلا العيدين والتشريق، وأحيا ليله بالقيام لمناجاة ربه، وتناقل الناس عنه كلمات نافعة هي الدواء المجرب لإصلاح القلوب القاسية، كقوله: (ليس الزاهد من يملك شيئاً إنما الزاهد من لا يملك شيئاً)، وكقوله لبعض إخوانه: (يا أخي جدّد السفينة فإنّ البحر عميق، وأكثر الزاد فإنّ الطريق بعيد، وأخلص العمل فإنّ الناقد بصير)، وكقوله: (بالفقر والافتقار والذلّ والانكسار تحيا قلوب العارفين).

ومن شعره الذي تحيا به القلوب قوله: [من الطويل]

بِبَابِكَ عَبْدٌ واقِفٌ مُتَضَرِّعٌ مُقِلٌّ فَقِيرٌ سَائِلٌ مُتَطَلِّعٌ
حَزِينٌ كَنِيبٌ مِنْ جَلَالِكَ مُطَرِّقٌ ذَلِيلٌ عَلِيلٌ قَلْبُهُ مُتَقَطِّعٌ
ومنها:

فُؤَادِي مَحْزُونٌ وَنَوْمِي مُشَرَّدٌ وَدَمْعِي مَسْفُوحٌ وَقَلْبِي مُرَوِّعٌ

وكان مجاب الدعوة في كل ما يتوجه له. وله في ذلك حكايات وروايات، وكان إذا دُعي إلى طعام ليس من الحلال الخالص يستي يده ولم يقدر على مدها إليه. وقد رآه بعض الصالحين بعد موته وهو في مكانٍ أرفع من مكان إبراهيم بن أدهم^(١)، فقال: سبحان الله منزلة إبراهيم الكينعي أرفع من منزلة إبراهيم بن أدهم، فسمع قائلاً يقول: لولا أنّ منازل الأنبياء لا يحلّ بها غيرهم لكان بها إبراهيم الكينعي. وجاور في آخر عمره ثلاث سنين بالبيت الحرام، فوصل إلى جازان، وكان قد انقطع عنهم المطر مدةً طويلةً، فسألوه أن يدعو لهم بالمطر، فدعا لهم، فحصل من المطر ما عمّ نفعه وبركته جميع تلك البلدان. ثم وصل إلى صعدة^(٢)، وكان بها موته رحمه الله في صبح نهار الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ٧٩٣ ثلاث وتسعين وسبعمائة. ووهب الصفدي في كتابه (الوافي بوفيات الأعيان) فقال: إنّه توفي في سنة ٧٨٤ أربع وثمانين وسبعمائة. والصحيح ما ذكرناه. وقبر برأس الميدان غربي مدينة

(١) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، البلخي: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقّه، ورحل إلى بغداد، وجال في البلاد، وكان يعيش من العمل بالحصاد، واشتهر بزهد وورعه. توفي سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م. (الأعلام: ٣١/١).

(٢) صعدة: مدينة في اليمن، بينها وبين صنعاء ستون فرسخاً، كانت عامرةً، أهلةً، يقصدها التجار من كل بلد، وكانت خصبةً كثيرة الخير. (معجم البلدان: ٤٠٦/٣).

صَعْدَةً. وَعُمِّرَ عَلَيْهِ مَشْهُدٌ، وَهُوَ مَشْهُورٌ يُزَارُ فِي تِلْكَ الدِّيارِ. وَقَدْ رثاه جماعة من الشعراء منهم السيد العلامة الهادي إبراهيم بقصيدة طنّانة مطلعها: [من الكامل]

شَجَرِ السَّلَامَةِ وَالْكَرَامَةِ أَيْنَعِي لِقَاءِ سَيِّدِنَا الْإِمَامِ الْكَيْنَعِي
والإحاطة ببعض البعض من مناقب هذا الإمام تقصّر عنها ألسُنُ الأَقلامِ، فمن رام الوقوف على ما يكون له من أعظم العِبَرِ فليَنظُرْ في سيرته التي قدمت الإشارة إليها. وقد بَسِطَ فيها الكلامُ على أحواله ووظائف عباداته.

٢

(إبراهيم بن أحمد اليافعي^(١) الصنعاني المولد والدار والوفاء)

الشاعر المشهور المجيد الفائق في جميع الأنواع. فمن شعره القصيدة التي مطلعها: [من الكامل]

هَذَا الْعَذِيبُ بَدَأَ فَقُلُّ بُشْرَاكَ وَالزَّمُ إِخَائِي لَا عَدِمْتَ أَخَاكَ
ومن شعره القصيدة التي مطلعها: [من الطويل]

أَعِيدُوا عَلَى سَمْعِي الْحَدِيثَ وَكَرُّوا قَدِيمَ اللَّقَا وَالْوَقْتُ كَالْعَيْشِ أَخْضَرُ
ومنها في الاستخدام:

وَأَصْبُو إِلَى وادي الْعَقِيقِ وَسَفْحِهِ عَلَى وَجْنَتِي مِنْ مُقْلَتِي يَتَحَدَّرُ
وقبله في الاستخدام أيضاً:

أَمِيلُ إِلَى ذِكْرِ الْغَضَا ثُمَّ أَنْشِي وَنِيرَانُهُ فِي مُهْجَتِي تَتَسَعَّرُ^(٢)
وما أحسن قوله فيها:

أَهِيْمُ بِذِكْرِ الْمُنْحَنِ وَسُوَيْلَع وَأَنْشِقُ أَنْفَاسَ الصَّبَا حِينَ تَعْبُرُ^(٣)
وما هُمْتُ فِي قَدِّ وَجِيدٍ وَمُقْلَةٍ وَلَا شَاقْنِي ثَغْرُ شَنِيبٍ مُعَطَّرُ^(٤)

وهو موجود في دولة الإمام المهدي مُحَمَّد بن أحمد صاحب المواهب، وفي

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٠/١.

(٢) الغضا: شجر خشبه صلْب، يدوم جَمْرُهُ طويلاً. تَتَسَعَّرُ: تَتَلَهَّبُ.

(٣) ورد في معجم البلدان (٣/ ٢٣٦ - ٢٣٧): سَلَعُ: موضع قرب المدينة، أو جبل في ديار هذيل، وسَلَعُ (بكسر السين): موضع في ديار بني أسد؛ وسَلَعُ (بالتحريك): موضع بين نجد والحجاز. وسُوَيْلَعُ: تصغير سلع.

(٤) ثَغْرُ شَنِيبٍ: رقيقُ الأسنان أبيضها.

دولة مَنْ قبله من الخلفاء. ومات يوم السبت الثالث والعشرين في شهر رجب سنة ١١١٠ عشر ومائة وألف. وقد بالغ في حقّه صاحب «نسمة السحر»، وقَدَّمه على شعراء عصره فلم يُصَبِّ، فهو لم يرتقِ إلى منزلة رفيقه ومعاصره الشيخ إبراهيم الهندي الآتي ذكره ولا كاد. وبالجمله فهو مُنسجم الشعر قليل التكلف.

٣

(إبراهيم بن أحمد خان سلطان الرُّوم)

استولى على السلطنة في أيام أخيه السلطان مُراد بن أحمد، وتمَّ له الدَّست. وكان سبب ذلك أن السلطان مُراد تجهَّز بجيوشه إلى محاصرة بغداد. وقد كان استولى عليها الشاه سلطان العجم، وهي كانت من ممالك السلطان مُراد. فلما بلغه أن أخاه السلطان إبراهيم قد استولى على الدَّست مات كمدًا. واستقرت قدم صاحب الترجمة في السلطنة، وكان قعوده على دَسْتها في سنة ١٠٥٠ خمسين وألف، وله جهادات وفتوحات مشهورة، واستمر سلطاناً إلى أن مات في سنة ١٠٦٣ ثلاث وستين وألف. وصارت السلطنة إلى ولده مُحَمَّد بن إبراهيم، وكان يومئذٍ في سنِّ البلوغ، وابتدأ سلطنته بمصاولة الإفرنج وغزوهم إلى ديارهم.

٤

(إبراهيم بن أحمد بن ناصر)

ابن خليفة بن فَرَج بن يَحْيَى بن عبدالرَّحْمَن)

المَقْدِسي النَّاصري الباعُوني الدَّمَشقي الصَّالحي الشَّافعي^(١). وباعون بالموحدة والمهملة المضمومة قرية من قرى حوران بالقرب من عَجْلُون. والناصرية قرية من عمل صَفَد. ولد في ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة ٧٧٧ سبع وسبعين وسبعمائة بِصَفَد. ونشأ بها فحفظ القرآن تجويداً على الشهاب حَسَن بن حَسَن الفَرغاني إمام جامعها. وحفظ بعض المنهاج. ثم انتقل منها قريباً من سنِّ البلوغ مع أبيه إلى الشام، فأخذ الفقه عن الشرف الغزّي وغيره. ولازم النور الأنباري حتى حمل عنه الكثير من الفقه والعربية واللغة، وبه انتفع في علوم الأدب وغيرها. ودخل مصر لعله قريباً من سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة فأخذ عن السراج البلقيني، ولازمه سنة. وأخذ عن الكمال الدِّميري شيئاً من مصنفاته، ولازمه وسمع إذ ذاك على العزّاقى، والهَيْثمي. وتردّد بها إلى غير واحد من شيوخها. ثم عاد إلى بلده فأقام بها على أحسن حالٍ وأجمل طريقة. وسمع على أبيه،

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣٠/١؛ معجم المؤلفين: ١٠/١؛ إيضاح المكنون: ٤٩٢/١، ٥٠١؛ كشف الظنون: ١١٠٤؛ الضوء اللامع: ٢٦/١.

والجمال بن الشرائحي والتقيّ صالح بن خليل بن سالم، وعائشة بنت عبد الهادي، والشمس بن حطّاب. وياشر نياية الحكم عن أبيه والخطابة بجامع بني أمية، ومشيشة الشيوخ، ونظر الحرّمين. ثم صُرف، وجُهِزَ إليه القضاء حين استقرّ الكمال بن البارزي في كتابة سرّ الديار المصرية، فامتنع وصمّم، وراجعته النائب وغيره من أعيان الرؤساء فما أدعَن. وتكرّر خطبه لذلك مرّة بعد أخرى إلى أن قيل له: فعين لنا من يصلح، فعين أخاه، وولي مشيشة الخانقاه الباسطية من صالحية دمشق. ورُوي عنه حكاية عجيبية وهي أنه دخل على واقفها قبل أن يجعلها مدرسة فأعجبته، وقال في نفسه: إنه لا يتهيأ له سكون مثلها إلّا في الجنة، فلمّا انفصل عنه بعد السلام عليه لم يصل إلى بابها إلّا وبعض جماعة صاحبها قد تبعه وأخبر أنه تحدّث عقب خروجه بأنه سيجعلها مدرسة، ويُقرّره في مشيختها، ثم جعلها كذلك وقرّره فيها. وهو محمود المباشرة في جميع ما تولّاه، يُصمّم على الحقّ، ولا يلتفت إلى رسائل الكبراء في شفاعاتٍ ونحوها.

وله مؤلفات منها: (مختصر الصّحاح للجوهري)^(١) وهو مختصر حسن. وله ديوان خطب ورسائل، وديوان شعر، ومؤلف سمّاه (الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن) أتى فيه بمقاطيع فائقة نحو مائة وخمسين مقطوعاً أودع كلّاً منها معنى غريباً غير الآخر، مع كثرة ما قال الناس في ذلك. وله رسائل عاطلة عن النقط من عجائب الوضع في السلاسة والانسجام. وصار شيخ الأدب بالبلاد الشامية بغير مدافع؛ كذا قال السّخاوي في تاريخه، وابن حَجَر في معجمه. وقال المقرئزي: إنّه مهر في عدة فنون سيّما الأدب، فله النظم الجيد. وكان يحكي أنّ الزّينبيّ عبدالباسط قال له: إنّ مراسلاتك المُسجّعة إلينا تبلغ أربعة مجلدات. وإذا كان هذا مقدار ما كتبه إلى فردٍ من أفراد الناس فما ظنّك بمجموع ما كتبه. والحاصل أنه وقع الاتفاق من جميع من ترجمه على أنه لم يكن في عصره من يدانيه في النظم والنثر. مات يوم الخميس رابع عشر ربيع الأول سنة ٨٧٠ سبعين وثمانمائة، وصُلّي عليه بالجامع المظفري، ودُفن بالروضة من سفح قاسيون، بوصية منه. ومن شعره: [من المتقارب]

سَلِ اللّٰهَ رَبَّكَ مَا عِنْدَهُ وَلَا تَسْأَلِ النَّاسَ مَا عِنْدَهُمْ
وَلَا تَبْتَغِي مِنْ سِوَاهِ الْغِنَى وَكُنْ عَبْدَهُ لَا تَكُنْ عَبْدَهُمْ

وله: [من الطويل]

سَمِئْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَصُحْبَةِ أَهْلِهَا وَأَصْبَحْتُ مُرْتاحاً إِلَى نَقْلَتِي مِنْهَا

(١) هو أبو نصر، إسماعيل بن حمّاد الجوهري: لغوي، إمام، خطّاط. توفي سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، وهو يحاول الطيران. من آثاره: «الصّحاح»، وهو معجم لغوي، رتبه وفقاً لأواخر الكلمات. (معجم الأدباء: ٢/ ٤٣٠؛ الأعلام: ١/ ٢١٣).

وَوَاللَّهِ مَا آسَىٰ عَلَيْهَا وَإِنِّي وَإِنْ رَغَبْتُ فِي صُحْبَتِي رَاغِبٌ عَنْهَا^(١)
وله : [من مجزوء الوافر]

إِذَا اسْتَعْنَى الصَّدِيقُ وَصَا رَذَا وَضَلَّ وَذَا قَطُّ طَع
وَلَمْ يُبَدِّ اخْتِفَالاً بِي وَلَمْ يَحْرِصْ عَلَى نَفْعِي
فَأَنَّى عَنْهُ اسْتَغْنَى بِجَاهِ الصَّبْرِ وَالْقَنَعِ^(٢)
وَأَحْسِبُ أَنَّهُ مَا مَرَّ رَفِي الدُّنْيَا عَلَى سَمْعِي

٥

(إبراهيم بن حسن بن أحمد بن محمد اليعمري) (زاهد العصر وناسك الدهر)

ولد سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف، وتلا الكتاب العزيز على شيخ القرآن العظيم صالح الجرادي، وأخذ في الآلات على شيخنا السيد العلامة عبد الله بن الحسن بن علي بن حسين بن علي بن المتوكل. وأخذ الفقه والفرائض على السيد علي بن حسن الصعدي. وأخذ في علم السنة على السيد العلامة الحسين بن عبد الله الكبسي، وانتفع بعلمه، فعمل به وعكف على العبادة، وتحلى بالزهد، وصار عابد العصر وزاهده، وانتهى إليه الورع وحسن السميت والتواضع والاشتغال بخاصة النفس. واتفق الناس على الثناء عليه والمدح لشمائله، فصار المشار إليه في هذا الباب، وانتفع الناس بصالح دعواته وقصدوه لذلك. وهو الآن حسنة الزمن وزينة اليمن مع المحافظة على الشرع والافتداء برسول الله ﷺ، والاستكثار من النوافل والأوراد. وكان جده أحمد على هذه الصفة التي حفيده هذا عليها، زاده الله مما أولاه ونفع به. ومات رحمه الله لعشرين خلت من شهر شوال سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

٦

(إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني) (الشهرزوري الشهراني الكردي)^(٣)

الشافعي الإمام الكبير المجتهد، ولد في سنة ١٠٢٥ خمس وعشرين وألف ببلاد

(١) آسى: أحزن. رَغِبْتُ عن الشيء: تركه مُتَعَمِّدًا، وزهد فيه.

(٢) أَنَّى عنه: أبتعد. القنع، القنوع: الرضى بالقسم اليسير.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٣٥/١؛ معجم المؤلفين: ٢١/١؛ هدية العارفين: ٣٥/١؛ إيضاح المكنون: ١٠/١، ١٧، ٧٨.

شهران من جبال الكرد، ونشأ في عفة طاهرة. فأخذ في بلاده العربية والمنطق والحساب والهيئة والهندسة وغير ذلك. وكان دأبه إذا عرضت له مسألة في فن أتقن ذلك الفن غاية الإتقان. ثم قرأ في المعاني والبيان والأصول والفقه والتفسير. ثم سمع الحديث عن جماعة في غير بلاده كالشام ومصر والحجاز والحرمين. وقد ذكر مشايخه في الأمم، وترجم لكل واحد منهم.

وله مصنفات كثيرة حتى قيل إنها تنيف على ثمانين. منها (إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف) و(إتحاف المُنيب الأَوَّاه بفضل الجَهْر بذكر الله) و(إعمال الفكر والروايات في شرح حديث إنما الأعمال بالنيات) و(لوامع اللآل في الأربعين العوال) و(ملك الإرشاد إلى الأحاديث الواردة في الجهاد) و(إنباه الأنباه في إعراب لا إله إلا الله) و(قصد السبيل) وغير ذلك^(١). وبرع في جميع الفنون، وأقرأ باللغة العربية والفارسية والتركية، وسكن بعد ذلك مكة المشرفة، وانتفع به الناس، ورحلوا إليه، وأخذوا عنه في كل فن حتَّى (مات) في ثامن عشر شهر جمادى الأولى سنة ١١٠١ واحدة ومائة وألف. ودفن بعد المغرب ببقيع الغَرْقَد^(٢). وأنا أروي عن يوسُف بن مُحمَّد بن علاء الدين عن أبيه عن جدِّه عنه بالسَّماع من علاء الدين منه.

٧

(إبراهيم بن خالد بن أحمد بن قاسم العَلْفِي ثم الصَّنْعَانِي)^(٣)

ولد على رأس القرن الحادي عشر تقريباً، وقيل سنة ١١٠٦ ستّ ومائة وألف، أو في التي بعدها. ونشأ بصنعاء فطلب علم الفروع وحققه، ثم طلب بقية علوم الاجتهاد فشارك فيها مشاركةً قويةً. واشتهر بصنعاء وبعد صيته، وقصده طلبة علم الفروع فأخذوا عنه، وتنافسوا في ذلك، واستفادوا وصاروا أعياناً. وكان يُقَصَّد بالفتاوى من العامة والخاصة، ويعارض باجتهاداته وصحيح أنظاره أنظار أكابر علماء عصره كالسيد العلامة مُحمَّد بن إسماعيل الأمير، وغيره. وللناس بما يصدر عنه من الفتاوى اشتغال ورغبة عظيمة. وهي مجموعة في مجلد جمعها العلامة حامد بن

(١) من آثاره أيضاً: «إبداء النعمة بتحقيق سبق الرحمة»؛ و«شرح العوامل الجرجانية». (معجم المؤلفين: ٢١/١)، وله «الأمم لإيقاظ الهمم»؛ و«جلاء الأنظار بتحرير الجبر والاختيار»، و«التعريف بتحقيق التأليف»، و«إمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد». (الأعلام: ١/٣٥).

(٢) بقيق الغَرْقَد: مقبرة أهل المدينة المنورة. والبقيع في اللغة: الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى، وبه سُمِّي بقيق الغَرْقَد. والغرقد: كبار العوسج. (معجم البلدان: ١/٤٧٣).

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٣٨/١.

حَسَن شَاكِر الْآتِي ذَكَرَهُ . وَشَرَعَ فِي جَمْع حَاشِيَةٍ عَلَى الْأَزْهَار وَلَمْ تَكْمَل . وَهُوَ مِمَّنْ يُضْرَب بِزَهْدِهِ الْمَثَلُ ، (وَمَات) وَلَمْ يَتَزَوَّج . وَكَانَ مَوْتُهُ فِي وَسْطِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ . وَأَرْخَهُ بَعْضُهُمْ فِي ثَامَنِ عَشَرَ شَعْبَانَ سَنَةِ ١١٥٦ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَمِائَةً وَأَلْفَ . وَمِنْ مَشَايِخِهِ السَّيِّد الْعَلَامَةُ هَاشِمُ بْنُ يَحْيَى الشَّامِي ، وَالسَّيِّد الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَمِيرِ ، وَالسَّيِّد الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ . وَمَوْلَدُهُ بَرْدَاعٌ^(١) ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى ذِمَارٍ ، وَارْتَحَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى صَنْعَاءَ ، وَاسْتَقَرَّ بِهَا حَتَّى مَاتَ .

٨

(إبراهيم بن شيخ الأمير صارم الدين ابن السلطان شيخ)

الْآتِي ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلَدَ بِالْبَلَادِ الشَّامِيَةِ فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّامَنِ تَقْرِيباً ، وَأُمُّهُ أُمٌ وَلَدَ اسْمُهَا نُورٌ ، مَاتَتْ قَبْلَ سُلْطَنَةِ أَبِيهِ . ذَكَرَهُ ابْنُ خَطِيبِ النَّاصِرِيَةِ فَقَالَ : كَانَ مَعَ أَبِيهِ وَهُوَ صَغِيرٌ حِينَ كَانَ نَائِبَ حَلَبَ ، ثُمَّ قَدِمَهَا مَعَهُ فِي أَيَّامِ سُلْطَنَتِهِ . ثُمَّ لَمَّا جَرَدَهُ أَبُوهُ فِي سَنَةِ ٨٢٢ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةً لِفَتْحِ الْبَلَادِ الْقُرْمَانِيَةِ وَمَعَهُ عِدَّةٌ مِنَ الْمَقْدَمِينَ كَطَطْرٍ ، وَجَقْمَقٍ ، وَغَيْرَهُمَا ، فَفَتْحَهَا وَفَتْحَ غَيْرَهَا ، وَأَقَامَ هُنَالِكَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ . ثُمَّ عَادَ إِلَى حَلَبَ فِي أَثْنَاءِ رَجَبٍ ، وَنَزَلَ بِقَلْعَتِهَا ، وَأَقَامَ بِهَا إِلَى الْعِشْرِ الْآخِرَةِ مِنْ شَعْبَانَ ، إِلَى أَنْ رَسِمَ لَهُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الدِّيَارِ الْمَصْرِيَةِ فَرَجَعَ بِالْعَسَاكِرِ فِي أَوَاخِرِ شَعْبَانَ ، وَبَرَزَ أَبُوهُ لِمُلَاقَاتِهِ فِي سَابِعِ عَشَرَ رَمَضَانَ وَتَيَمَّنَ بِطَلْعَتِهِ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَتَنَصِّفَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ٨٢٣ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةً مَسْمُومًا . وَكَانَ شَابًا حَسَنًا شَجَاعًا ، عِنْدَهُ حِشْمَةٌ وَمُلُوكِيَّةٌ كَرِيمًا عَاقِلًا مَائِلًا إِلَى الْخَيْرِ وَالْعَدْلِ وَالْعِفَّةِ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ . وَلَمَّا لَقِيَهِ الْأَمْرَاءُ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَهُوَ رَاكِبٌ ؛ وَبِمَجْرَدِ أَنْ عَايَنَ النَّاصِرُ بْنُ الْبَارِزِيِّ كَاتِبَ السَّرِّ نَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَتَعَانَقَا لَعَلِمَهُ بِتَمَكُّنِهِ عِنْدَ أَبِيهِ . ثُمَّ عَادَ الْجَمِيعُ فِي خِدْمَتِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَلَقُوا السُّلْطَانَ هُنَالِكَ ، فَنَزَلَ الْأَمْرَاءُ الْقَادِمُونَ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ إِبْرَاهِيمَ ، ثُمَّ نَزَلَ هُوَ وَقَبْلَ الْأَرْضِ ، ثُمَّ قَامَ وَمَشَى حَتَّى قَبَّلَ رِكَابَ أَبِيهِ فَبَكَى لِفَرْحِهِ بِهِ ، وَبَكَى النَّاسُ لِبَكَائِهِ ، وَكَانَتْ سَاعَةً عَظِيمَةً . ثُمَّ سَارَا بِمُوكِبِهِمَا إِلَى خَانِقَاهُ سَرِيَاقُوسِي وَبَاتَا بِهَا لَيْلَةَ الْخَمِيسِ تَاسِعَ عَشَرَ . وَرَكِبَ السُّلْطَانُ مِنَ اللَّيْلِ فَرَمَى الطَّيْرَ بِالْبَرَكَةِ وَاصْطَادَ ، وَدَخَلَ السُّلْطَانُ الْقَاهِرَةَ مِنْ بَابِ النُّصْرِ . وَقَدْ احْتَفَلَ النَّاسُ بِالزَّيْنَةِ لَوْلَدِهِ وَهُوَ بِتَشْرِيفِ هَائِلٍ ، وَخَلْفَهُ الْأَسْرَى الَّذِينَ جَاءَ بِهِمْ وَهُمْ نَحْوُ الْمِائَتَيْنِ فِي الْأَعْلَالِ ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا . وَنَزَلَ إِلَى دَارِهِ وَاسْتَمَرَّ عَلَى حَالِهِ ، فَدَسَّ كَاتِبُ السَّرِّ إِلَى

(١) رُدَاعٌ : مِنْ مَخَالِيفِ الْيَمَنِ ، وَهُوَ مِخْلَافُ حَوْلَانَ ، يَقَعُ بَيْنَ نَجْدٍ وَحِمَيرَ ، وَقَدْ يَكْتُبُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ بِالْكَسْرِ «رِدَاعٌ» (معجم البلدان : ٣/٣٩) .

أبيه في غضون ذلك من يخبره أنه صار يتوعد أباه بالقتل، وأنه يتمنى موته لكونه يحب بعض حظاياه ولا يتمكن منها إلا خفية، وبرهن على ذلك بأمارات وعلامات، وأنه صمم على قتله بالسهم أو غيره إن لم يمت عاجلاً من المرض؛ مع ما في نفسه من محبة الاستبداد. وأنه يعد الأمراء بمواعيد. فحينئذ أذن السلطان لبعض خواصه أن يعطيه ما يكون سبباً لقتله من غير إسراع. فدسوا إليه من سقاه من الماء الذي يُطْفَى فيه الحديد، فلما شربه أحس بالمغص في جوفه فعالجه الأطباء مدة، وندم السلطان على ما فرط منه، وأمر الأطباء بالاجتهاد في علاجه، فلازموه نصف شهر إلى أن تراجعت إليه بعض الصحة، وركب في محفة وكاد أن يتعافى، فدسوا عليه من سقاه ثانياً من غير علم أبيه فانتكس واستمر إلى خامس عشر جمادى الأولى. ونزل أبوه لعيادته، ثم مات في التاريخ المتقدم. واشتد جزع أبيه عليه إلا أنه تجلّد وأسف الناس كافة على فقدته، وشاع بينهم أن أباه سمّه، إلا أنهم لا يستطيعون التصريح بذلك. قال السخاوي: ولم يعيش أبوه بعده سوى ستة أشهر وأياماً، كدأب من قتل أباه أو ابنه على الملك، فتلك عادة مستقرة، وطريقة مستقرة، وكذا قال ابن حجر. وصار الذين حسّنوا له ذلك الفعل يبالغون في ذكر معايبه وينسبونه إلى الإسراف على نفسه والتبذير والمجاهرة بالفسق من اللواط والزنا والخمر والتعرض لحرم أبيه وغير ذلك مما كان براء عن أكثره، وعند الله يجتمع الخصوم. وخطب ابن خطيب الناصرية يوم موته وهو يوم الجمعة خطبة حسنة سبك فيها قوله ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون» فأبكى السلطان ومن حضر. وبعد موته وقع الخلل في دولة والده السلطان، ومات الساعون في هلاك ولده واحداً بعد واحد، ولم يستكمل بعده ابن البارزي أربعة أشهر.

٩

(الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي ثم الصنعاني الشاعر المشهور)^(١)

كان أشعر أهل عصره غير مدافع، وله ديوان شعر في مجلد ضخّم، رأيت في أيام قديمة فوجدت فيه ما هو في الطبقة العليا والمتوسطة والسافلة، ولكن الجيد أغلب. وكان يتشبه في مدحه وحماسه بأبي الطيب. ومن فائق مقطعاته قوله: [من الوافر]

أشبهه ثَغْرُهُ والقَاتُ فِيهِ وَقَدْ لَأَنْتَ لِرَقَّتِهِ الْقُلُوبُ^(٢)

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤٣/١؛ معجم المؤلفين: ٤٠/١؛ إيضاح المكنون: ٥٣٩/١؛ هدية العارفين: ٣٤/١؛ وفيه: توفي سنة ١٠٩٩هـ.

(٢) القَاتُ: نبات تُمضغ أوراقه خضراء، قليله مُنبّه، وكثيره مُخدّر.

لَأَلَيَّ قَدْ نَبَشَنَ عَلَى عَقِيْقٍ وَبَيَّنَّهُمَا زُمْرُدَةٌ تَذُوبُ
وَمِنْ مَقْطَعَاتِهِ فِي مَلِيحٍ يَسِيحُ فِي مَاءٍ: [مِنْ السَّرِيْعِ]

وَأَبْيَضُ عَايِنْتُهُ سَابِحاً فِي لُجَّةٍ لِلْمَاءِ زَرْقَاءٍ^(١)
فَقُلْتُ هَذَا الْبَدْرُ فِي لُجَّةٍ أَمْ ذَا خِيَالِ الشَّمْسِ فِي الْمَاءِ

وكان والده من جملة البانيان الواصلين إلى صنعاء، فأسلم على يد بعض آل الإمام وحسن إسلامه. ونشأ ولده هذا مشغولاً بالأدب مولعاً بعالي الرتب. وأكثر مدائحه في الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد. ومدح الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، وابنه علي بن المتوكل، ومحمد بن الحسن. ولما صارت الخلافة إلى المهدي صاحب المواهب، وفد إليه صاحب الترجمة وقد كان بلغه عنه شيء فقال له: بأي شفيع جئت، فقال له: بهذا، وأخرج المصحف من صدره، فقال: قد قبلنا هذا الشفيع، ولكن لا أراك بعد اليوم. فتغيب عنه من ذلك اليوم، ولازم العبادة والتزهد. وكان إذا قام إلى الصلاة اصفر لونه. وحج، ومات عقب عوده في سنة ١١٠٠ مائة وألف أو في التي قبلها^(٢).

١٠

(السيد إبراهيم بن عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر)

ابن الناصر بن عبد الرّب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين
العلامة ابن شيخنا الإمام^(٣)

الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. ولد في ليلة ثامن عشر رمضان سنة ١١٦٩ تسع وستين ومائة وألف، وتخرج بشيخنا والده رحمه الله في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والعروض واللغة والحديث والتفسير، وبرع في جميع هذه المعارف، وصار الآن من أعيان علماء العصر المفيد المجددين. ارتحل مع والده من (كوكبان)^(٤) إلى مدينة (صنعاء) وما زال مكباً على القراءة على والده، ورافقني في

(١) عاينته: شاهدته. اللُجَّة: مُعْظَمُ الْمَاءِ، وَتَرَدَّدَ أَمْوَاجُهُ.

(٢) مِنْ مَوْلاَفَاتِهِ: «بِرَاهِيْنِ الْاِحْتِجَاجِ وَالْمُنَاطَرَةِ فِيمَا وَقَعَ بَيْنَ الْقَوْسِ وَالْبَنْدُقِ مِنَ الْمَفَاخِرَةِ» (مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِيْنَ: ٤٠/١).

(٣) تَرْجَمْتُهُ فِي: مَعْجَمِ الْمُؤَلِّفِيْنَ: ٥٠/١.

(٤) كَوُكْبَانُ: جَبَلٌ قَرِبَ صَنْعَاءَ، وَإِلَيْهِ يُضَافُ: شِبَامُ كَوُكْبَانِ، وَقَصْرُ كَوُكْبَانِ. وَقِيلَ: سُمِّيَ كَوُكْبَانُ، لِأَنَّ قَصْرَهُ كَانَ مَبْنِيّاً بِالْفُضَّةِ وَالْحِجَارَةِ، وَدَاخِلُهُ بِالْيَاقُوتِ وَالْجَوْهَرِ، فَكَانَ يَلْمَعُ بِاللَّيْلِ كَمَا يَلْمَعُ الْكَوْكَبُ. (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ: ٤٩٤/٤).

بعض ما سمعته منه . وبعد موت والده في تاريخه الآتي قصده الطلبة إلى منزله وقرأوا عليه في فنون متعددة . وله رسائل ومسائل مفيدة^(١) ، مع تواضع وحسن أخلاق وكرم وعفاف وشهامة نفس ، وصلابة دين ، وحسن محاضرة ، وقوة عارضة ، وفصاحة ورجاحة وقدرة على النظم والنثر ، وسيلان ذهن ، جمّل الله بوجوده ونفع بعلمومه . وهو الآن في قيد الحياة ما بين الأربعين والخمسين . وله تلامذة نبلاء فضلاء تخرجوا به ولزموا طريقته ، فصاروا من أعيان العلماء . والمترجم له عافاه الله لا يتقيد بمذهب ولا يقلد في شيء من أمور دينه ، بل يعمل بنصوص الكتاب والسنة ويجتهد رأيه ، وهو أهل لذلك . وله معرفة بعلوم أخرى غير ما قدّمنا ذكره ، منها ما استفاد عن والده ، ومنها ما عرفه بفاضل ذهنه وقويم فكره . وتوفي رحمه الله في يوم الأربعاء لعله ثالث عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف .

(١١)

(السيد إبراهيم بن عبدالله بن إسماعيل الحوثي ثم الصنعاني)^(٢)

ولد ثامن شهر شوال سنة ١١٨٧ سبع وثمانين ومائة وألف . وقرأ على شيخنا العلامة القاسم بن يحيى الخولاني ، وعلى السيد العلامة علي بن عبدالله الجلال ، وعلى السيد العلامة إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد . ولعله أخذ عن شيخنا الإمام السيد عبدالقادر بن أحمد في آخر مدته . واستفاد صاحب الترجمة في عدة علوم ، منها : النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير . وبرع في هذه العلوم ، وتاقت نفسه إلى مطالعة فنون من علم المعقول ، فأدرك فيها إدراكاً جيداً لجودة فهمه وحسن تصوره . وهو الآن ملازمٌ للسيد العلامة إبراهيم بن عبدالقادر المذكور قبله ، ولا يفارقه في غالب الأوقات ، فيستفيد منه ويفيد . وبالجملّة فهو من محاسن الزمن ، ومن الضاريين بسهم وافر في كلّ فنّ . وهو الآن يشتغل بجمع تراجم علماء القرن الثاني عشر من أهل اليمن^(٣) . وقد بعث إليّ بعضها ، فرأيتها قد جوّدت غالب تلك التراجم وطوّلتها . وهو كمشاخه في اجتهد رأيه والعمل بما يقتضيه الدليل . ثم (مات) رحمه الله في يوم الأحد ثامن شهر شوال سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف .

(١) من آثاره : «فتح المنان في بيان حكم الختان» ، و«كشف المحجوب عن صحة الحجّ بمالٍ مغصوب» ، و«القول القيم في حكم تلؤم المئتم» . (معجم المؤلفين : ٥٠ / ١) .

(٢) ترجمته في : الأعلام : ٥٠ / ١ ؛ معجم المؤلفين : ٥٢ / ١ .

(٣) قيل : إنه جمع تراجمه في كتاب بعنوان : «نفحات العنبر بفضلاء اليمن في القرن الثاني عشر» ، ويقع في ثلاثة مجلدات . (معجم المؤلفين : ٥٢ / ١) .

(إبراهيم بن عَمَر بن حَسَن بن الرُّبَاط)^(١)

- بضم الراء بعدها موحدة خفيفة - ابن علي بن أبي بَكْر البَقَاعِي، نزيل القاهرة ثم دمشق، الإمام الكبير برهان الدين. ولد تقريباً سنة ٨٠٩ تسع وثمانمئة بقرية من عمل (البقاع)^(٢)، ونشأ بها، ثم تحوّل إلى دمشق، ثم فارقتها، ودخل بيت المقدس، ثم القاهرة. وقرأ على التاج بن بهادر في الفقه والنحو، وعلى الجزري في القراءات جميعاً للعشرة إلى أثناء سورة البقرة. وأخذ عن التقي الحصني، والتاج الغرابيلي، والعماد بن شرف، والشرف السبكي، والعلاء القُلُقَشْنُدي، والقياني، والحافظ ابن حَجَر، وأبي الفضل المغربي. وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران. لا كما قال السخاوي أنه ما بلغ رتبة العلماء، بل قصارى أمره إدراجه في الفضلاء، وأنه ما عَلِمَهُ أَتَقَنَ فتناً قال: وتصانيفه شاهدة بما قلته - قلت: بل تصانيفه شاهدة بخلاف ما قاله، وأنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف، ولكن هذا من كلام الأقران في بعضهم بعض بما يخالف الإنصاف لما يجري بينهم من المنافسات تارةً على العلم، وتارةً على الدنيا. وقد كان المترجم له منحرفاً عن السخاوي، والسخاوي منحرفاً عنه، وجرى بينهما من المناقضة والمراسلة والمخالفة ما يوجب عدم قبول أحدهما على الآخر. ومن أمعن النظر في كتاب المترجم له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين عِلْمِي المعقول والمنقول. وكثيراً ما يشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز فأرجع إلى مطولات التفاسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد في الغالب. وقد نال منه علماء عصره بسبب تصنيف هذا الكتاب - وأنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل، وترسلوا عليه وأغروا به الرؤساء. ورأيت له رسالة يجيب بها عنهم، وينقل الأدلة على جواز النقل من الكتابين، وفيها ما يشفي. وقد حجّ وربط وانجمع، فأخذ عنه الطلبة في فنون، وصنف التصانيف. ولما تنكّر له الناس وبالغوا في أذاه، لَمَ أطرافه وتوجّه إلى دمشق. وقد كان بالغ جماعة من أهل العلم في التعرّض له بكلّ ما يكره إلى حدّ التكفير، حتى رتبوا عليه دعوى عند القاضي المالكي أنه قال: إنّ بعض المغاربة سأله أن يفصل في تفسيره بين كلام الله وبين تفسيره

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧١/١، شذرات الذهب: ٣٣٩/٧؛ كشف الظنون: ٨١، ٨٦، ١٠٤؛ إيضاح المكنون: ١٠٢/١؛ الأعلام: ٥٦/١.

(٢) البقاع: قال ياقوت: «أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قُرَى كثيرة، ومياه غزيرة نميرة، وكان يقال لها: بقاع كلب. (معجم البلدان: ٤٧٠/١).

بقوله: أي أو نحوها دفعاً لما لعله يتوهم. وقد كان رام المالكي الحكم بكفره وإراقة دمه بهذه المقالة، حتى ترامى المترجم له على القاضي الزيني بن مُرهر، فعذره وحكم بإسلامه. وقد امتحن الله أهل تلك الديار بقضاة من المالكية يتجرأون على سفك الدماء بما لا يحل به أدنى تعزيز، فأراقوا دماء جماعة من أهل العلم جهالةً وضلالةً وجرأةً على الله، ومخالفةً لشريعة رسول الله، وتلاعباً بدينه، بمجرد نصوص فقهية، واستنباطات فروعية ليس عليها إثارة من علم. فإننا لله وإننا إليه راجعون. ولم يزل المترجم له رحمه الله يكابد الشدائد ويناهد العظام قبل رحلته من مصر، وبعد رحلته إلى دمشق حتى (توفاه الله) بعد أن تفتت كبده كما قيل، في ليلة السبت ثامن عشر رجب سنة ٨٨٥ خمس وثمانين وثمانمائة. ودفن خارج دمشق من جهة قبر عاتكة، وقد ترجم له السخاوي ترجمةً مظلمةً كلّها سبٌّ وانتقاصٌ، وطوّّلها بالمثالب، بل ما زال يحطُّ عليه في جميع كتابه المسمى (بالضوء اللامع) لأن المترجم له كتب لأهل عصره تراجم ونال من أعراض جماعة منهم، لا سيما الأكابر الذين أنكروا عليه، فكان السخاوي ينقل قوله في ترجمة أولئك الأكابر ويناقضه وينقصه. ولشعراء عصره فيه أمداحٌ وأهاجٌ:

وما زالت الأشراف تُهْجَى وتُمدَحُ

وهو كثير النظم جيد النشر في تراجمه ومراسلاته ومصنفاته^(١)، وهو ممن رثى نفسه في حياته فقال: [من الطويل]

نَعَمْ إِنِّي عَمَّا قَرِيبٍ لَمِيتُ	وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
كَأَنَّكَ بِي أُنْعَى عَلَيْكَ وَعِنْدَهَا	تَرَى خَبْرًا صُمْتُ لَهُ الْأُذُنَانِ
فَلَا حَسَدٌ يَبْقَى لَدَيْكَ وَلَا قِلَى	فَيَنْطِقُ فِي مَدْحِي بِأَيِّ مَعَانِ ^(٢)
وَتَنْظُرُ أَوْصَافِي فَتَعْلَمُ أَنَّهَا	عَلَتْ عَنْ مُدَانٍ فِي أَعَزِّ مَكَانِ
وَيُمَسِّي رِجَالٌ قَدْ تَهَدَّم رُكْنُهُمْ	فَمَدَمَعُهُمْ لِي دَائِمُ الْهَمَلَانِ
فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ بِي يَذَلُّ جِمَاحُهُ	وَيَطْمَعُ فِيهِ ذُو شَقَاءٍ وَهَوَانِ
فِيَارُبِّ مَنْ تَفْجَأَ بِهَوَلٍ يُوَدُّهُ	وَلَوْ كُنْتُ مَوْجُوداً لَدَيْهِ دَعَانِي

(١) من مؤلفاته: «نظم الدرر في تناسب الآي والسور» في التفسير؛ و«الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل»، و«القول المألوف في الردّ على منكر المعروف»؛ ورسالة بعنوان: «ليس في الإمكان أبدع مما كان» ردّ فيها على بعض الفلاسفة القائلين بالوحدة المطلقة. (معجم المؤلفين: ٧١ / ١).

(٢) القلَى: الكُرهُ والبغضُ.

ويا رَبَّ شَخْصٍ قَدْ دَهَتْهُ مُصِيبَةٌ لَهَا الْقَلْبُ أُمْسَى دَائِمَ الْخَفْقَانِ
فَيَطْلُبُ مَنْ يَجْلُو صَدَاهَا فَلَا يَرَى وَلَوْ كُنْتُ جَلَّتْهَا يَدَيَّ وَلِسَانِي
وَكَمْ ظَالِمٌ نَالَتْهُ مَتِّي غَضَاظَةٌ لِنُصْرَةٍ مَظْلُومٍ ضَعِيفٍ جَنَانِ
وَكَمْ خُطَّةٍ سَامَتْ ذَوِيهَا مَعْرَةٌ أَعِيدَتْ بِضَرْبٍ مِنْ يَدَيَّ وَطِعَانِي
فَإِنْ يَرِثْنِي مَنْ كُنْتُ أَجْمَعُ شَمْلُهُ بَتَشْتِيتِ شَمْلِي فَالْوَفَاءُ رَثَانِي
ومن محاسنه التي جعلها السَّخَاوِي من جملة عيوبه ما نقله عنه أنه قال في وصف نفسه، أنه لا يخرج عن الكتاب والسنة، بل هو متطبع بطباع الصحابة انتهى. وهذه منقبة شريفة ومرتبة منيفة.

١٣

السيد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله محمد ابن الإمام القاسم بن محمد العلامة الحافظ المؤرخ^(١)

مصنف (طبقات الزيدية) وهو كتاب لم يؤلف مثله في باب، جعله ثلاثة أقسام، (القسم الأول) في مَنْ روى عن أئمة الآل من الصحابة. و(القسم الثاني) فيمن بعدهم إلى رأس خمسمائة. و(القسم الثالث) في أهل الخمسمائة ومن بعدهم إلى أيامه. وذكر جماعة من أعيان القرن الثاني عشر. و(مات) فيه ولم أقف له على ترجمة. وقد ذكر في الكتاب المذكور مشايخه وما سمعه منهم. وكل طبقة من الطبقات الثلاث المذكورة جعلها على حروف المعجم.

١٤

السيد إبراهيم بن محمد بن إسحاق ابن المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد

ولد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وأخذ العلم عن والده، وعن شيخنا السيد العلامة (علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر) وغيرهما. وجد في ذلك حتى صار من أعيان الزمن ومحاسن بني الحسن. له مكارم وفضائل وحسن أخلاق، واشتغال بالعلوم والعبادات، والقيام بوظائف الطاعات،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧٧/١؛ وفيه: «مؤرخ من أهل شهارة باليمن، أنفذه المنصور بن المتوكل حاكماً على «تعز»، فاستمر إلى أن توفي فيها». له ترجمة في: الأعلام: ٥٧/١؛ وفيه: توفي نحو ١١٤٣هـ/ نحو ١٧٣٠م.

وقضاء حوائج المحتاجين، والسعي في صلاح المسلمين ما لا يقدر على القيام به غيره. وكم تصل إليّ منه رسائل ونصائح فيما يتعلق بشأن الدولة. ويأخذ عليّ أنه لا يحلُّ السكوت. وله رغبة في المباحثات العلمية شديدة، بحيث أنه لا يعرض البحث في مسألة من المسائل إلّا وفحص عنه وسأل وراجع. وكثيراً ما تَفِدُ عليّ منه سؤالات أجيب عنها برسائل، كما يحكي ذلك مجموع رسائلي. مع أنه، نفع الله به، إذ ذاك عالي السن قد قارب السبعين، وأنا في نحو الثلاثين. وهذا أعظم دليل على تواضعه. ثم ما زال هذا دأبه إلى الآن، وهو صديقي وحبيبي، يدعوني إلى بيته المرّة بعد المرّة. وله في المكارم مسلك لا يقدر عليه غيره. وفي حسن الأخلاق وتفويض الأمور إلى المهيمن الخلاق أمر عجيب. وقد أعانه الله على برِّ والده، والقيام بواجب حقّه، والمشّي على ما يريده. وكان والده رحمه الله رئيس آل إسحاق والمُتولّي لأُمورهم بعد أن دعا إلى نفسه وبايعه الناس قاطبةً، ثم اختار الله له التخلص من ذلك فما زال على رئاسة أهل بيته حتى مات. ثم قام ولده هذا مقامه أياماً فلم تطب نفس أخيه الأكبر السيد العلامة أحمد بن مُحمَّد فخرج من صنعاء مغاضباً للإمام المهدي رحمه الله. وسيأتي شرح ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى. وحاصله أنه صار مكان والده، ورغب صاحب الترجمة عن الرئاسة الدنيوية فاستبدل بالخيل والخول الزهد والتقشف، وترك زِيّ أبناء جنسه من بيت الخلافة والمملكة، ومع هذا فله جلالة في القلوب ونبالة في النفوس وضخامة زائدة عند جميع الناس. إذا مرَّ به راكب من آل الإمام أو من أكابر الوزراء والأمراء والقضاة ترجّل له وسلّم عليه. وما رأيت مولانا الخليفة يجلُّ أحداً كإجلاله له، وهو حقيقٌ بذاك. وهو الآن حيٌّ ينتفع به الناس^(١).

١٥

(إبراهيم بن مُحمَّد بن أبي بكر بن عليّ ابن مسعود بن رَضْوَان المقدسي ثم القاهري الشافعي^(٢) أخو الكمال مُحمَّد الآتي ذكره)

ولد ليلة الثلاثاء ثامن عشر ذي القعدة سنة ٨٣٦ ستّ وثلاثين وثمانمائة ببيت المقدس، ونشأ به. فحفظ القرآن وهو ابن سبع، وتلاه تجويداً لابن كثير، وأبي

(١) توفي صاحب الترجمة في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ١٢٤١هـ (نيل الوطر في تراجم نبلاء القرن الثالث عشر).

(٢) ترجمته في: شذرات الذهب: ١١٨/٨ - ١٢٠؛ الكواكب السائرة: ١/١٠٢؛ الضوء اللامع: ١٣٤/١؛ معجم المؤلفين: ٨٨/١، الأعلام: ٦٦/١.

عمرو. وأخذ عن (سراج الرومي) في العربية والأصول والمنطق. وعن (يعقوب الرومي) في العربية والمعاني والبيان، بل سمع عليهما كثيراً من فقه الحنفية. وسمع على (التقي القلقشندي المقدسي) و(الزين ماهر) وآخرين، وأجاز له خلق، ثم لما قدم القاهرة قرأ على الإمامين الأقصراني في شرح العقائد، والجلال المحلي في شرحه لجمع الجوامع، وقرأ على جماعة كثيرة في فنون متعددة. ثم حج سنة ٨٥٣ ثلاث وخمسين وثمانمائة، وقرأ في مكة على (التقي بن فهد) و(أبي الفتح المراغي) و(المحب الطبري) وجماعة. وبرع في الفنون، وأذن له غير واحد بالإقراء والإفتاء. وصنّف التصانيف، منها «شرح الحاوي» في مجلد ضخّم، ومنها «شرح قواعد الإعراب» في نحو عشرة كراريس، و«شرح العقائد» لابن دقيق العيد^(١)، و«شرح المنهاج الفرعي» و«نظم النخبة» ومختصرات كثيرة «كتهذيب المنطق» للتفتازاني، و«الورقات» لإمام الحرمين، و«شذور الذهب» و«عقائد النسفي». واختصر «الرسالة القشيرية»، وله مصنفات غير هذه. ودرّس في عدة فنون، وأخذ عنه الطلبة، واستقر في تدريس التفسير بجامع ابن طولون وفي غيره من الجوامع والمدارس. وولي قضاء الشافعية بالقاهرة في ذي الحجة سنة ٩٠٦، عوض عبدالقادر بن النقيب. واستمر إلى ثالث ربيع الأول سنة ٩١٠ عشر وتسعمائة، فعزل بقاضي الشام الشهابي. وصار رئيس مصر وعالمها، وعليه المدار في الفتيا. ومن صلابته في الدين أنه اتفق للقضاة محنة مع الأشرف المذكور بسبب إقرار الزائنين اللذين أراد الأشرف رجمهما قاصداً لإحياء هذه السنة. فصمّ صاحب الترجمة على عدم موافقته في ذلك. فعزل القضاة الأربعة وشنق الزائنين، فوقف صاحب الترجمة عليهما وقال: أشهد بين يدي الله بظلمهما. وأن قاتلتهما يقتل بهما، فبلغ الأشرف ذلك فعزله عن مشيخة مدرسته، ثم بلغه الله إلى أن كان قتل الملك في حياته وانقراض دولته، فردّ إليه معلومهما من أول ولايته لهما. وعدّ ذلك من شهامته وكمال دينه. فعظم به عند الخاص والعام مع لزوم منزله وتردّد الناس إليه للانتفاع به في العلوم الشرعية والعقلية، حتى (مات) في يوم الجمعة ثاني شهر المحرم سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة. وصلى عليه الخليفة المتوكل على الله العباسي صاحب مصر عقب صلاة الجمعة، ودفن بتربته التي أعدها في ساباط. وله نظم فمنه من قصيدة: [من الطويل]

دُموعي قد نمت بسرّ غرامي وباح بوجدي للوشاة سقامي^(٢)

(١) هو أبو الفتح، تقي الدين، محمد بن علي بن وهب القشيري المنفلوطي القوصي، المعروف بابن دقيق العيد: حافظ، محدث، فقيه، لغوي، أديب. توفي سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م. (شذرات الذهب: ٥/٦؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٦٩٥/٣).

(٢) تم الحديث ونحوه: سعى به وأذاعه.

فَأُضْحَى حَدِيثِي بِالصَّبَابَةِ مُسْنَدًا بِمُرْسَلٍ دَمْعِي مِنْ جُفُونِ دَوَامٍ
وَمِنْ أُخْرَى: [مَنْ الْبَسِيطُ]
مَا خَلْتُ بَرْقًا بِأَرْجَاءِ الشَّامِ بَدَا إِلَّا تَنَفَّسْتُ مِنْ أَشْوَاقِي الصُّعْدَا
وَلَا شَمَمْتُ عَبِيرًا مِنْ نَسِيمِكُمْ إِلَّا قَضَيْتُ بَأْنَ أَقْضِي بِهِ كَمْدًا^(١)

١٦

(إبراهيم بن محمد

ابن خليل البرهان الطرابلسي الأصل الشامي المولد والدار الشافعي)^(٢)

ولد في ثاني عشر رجب سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة بالجلوم بفتح الجيم وتشديد اللام المضمومة. ومات أبوه وهو صغير فكفلته أمه، وانتقلت به إلى دمشق، فحفظ بها بعض القرآن، ثم رجعت به إلى (حلب) فنشأ بها وأدخلته مكتب الأيتام فأكمل به حفظه، وصلى به على العادة التراويح في رمضان، وتلا تجويداً على الحسن السائيس المصري، وعلى الشهاب بن أبي الرضي، والحزاني. وقرأ في الفقه على ابن العجمي، وجماعة كالبلقيني، وابن الملقن، وفي اللغة على مجد الدين صاحب القاموس، وفي الحديث على الزين العراقي، والبلقيني، وابن الملقن أيضاً، وجماعة كثيرة. وارتحل إلى مصر مرتين لقي بها جماعة من أعيان العلماء، وإلى دمشق، وإسكندرية، وبيت المقدس، وغزة، والرملة، ونابلس، وحماة، وحمص، وطرابلس، وبعلبك. ورؤي عنه أنه قال: مشايخي في الحديث نحو المائتين، ومن رويت عنه شيئاً من الشعر دون الحديث بضع وثلاثون، وفي العلوم غير الحديث نحو الثلاثين. وقد جمع الكلّ النجم بن فهد في مجلد ضخّم، وكذلك الحافظ ابن حجر. واستقر بحلب. ولما هجمها تيمورلنك، طلع بكتبه إلى القلعة، فلما دخل البلد، وسلبوا الناس، كان فيمن سلب حتى لم يبق عليه شيء. ثم أسروه وبقي معهم إلى أن رحلوا إلى دمشق، فأطلق ورجع إلى بلده، فلم يجد أحداً من أهله وأولاده. قال: فبقيت قليلاً، ثم توجهت إلى القرى التي حول حلب مع جماعة فلم أزل هنالك إلى أن رجع الطغاة جهة بلادهم، فدخلت بيتي فعادت إليّ أمتي نرجس، ولقيت زوجتي وأولادي منها. وصعدت حينئذ القلعة فوجدت أكثر كتبتي فأخذتها ورجعت. وقد اجتهد المترجم له في الحديث اجتهداً كبيراً، وسمع العالي والنازل، وقرأ البخاري

(١) أقضي به: أموت. الكمد: الحزن الشديد المكنوم.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ١/١٣٨؛ شذرات الذهب: ٧/٢٣٨؛ كشف الظنون: ١٣٠؛

معجم المؤلفين: ١/٩٣؛ الأعلام: ١/٦٥.

أكثر من ستين مرة، ومسلماً نحو العشرين. واشتغل بالتصنيف، فكتب تعليقاً لطيفاً على سنن ابن ماجه^(١)، وشرحاً مختصراً على البخاري سَمَّاه (التلخيص لفهم قارئ الصحيح) وهو في أربعة مجلدات (والمُقْتَضَى في ضبط ألفاظ الشفا) في مجلد (ونور النبراس على سيرة ابن سيّد الناس) في مجلدين و(التيسير على ألفية العراقي) وشرحها مع زيادة أبيات في الأصل غير مُستغنى عنها، و(نهاية السؤل في رواة الستة الأصول) في مجلد ضخّم و(الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث) في مجلد لطيف و(التبيين لأسماء المُدلسين) في كراستين و(تذكرة الطالب المُعلم فيمن يقال إنه مُخَضَّرَم) كذلك و(الاعتباط فيمن رُمي بالاختلاط). قال السخاوي: وكان إماماً علّامةً حافظاً خيراً ديناً ورعاً متواضعاً، وافر العقل، حسن الأخلاق، متخلقاً بجميل الصفات، جميل العشرة، محباً للحديث وأهله، كثير النصح والمحبة لأصحابه، ساكناً منجماً عن الناس، مُتَعَفِّفاً عن التردّد إلى بني الدنيا، قانعاً باليسير، طارحاً للتكلف، رأساً في العبادة والزهد والورع، مُدِيمَ الصيام والقيام، سهلاً في التحدث، كثير الإنصاف والبشر لمن يقصده للأخذ عنه خصوصاً الغرباء، مواظباً على الاشتغال والأشغال والإقبال على القراءة بنفسه، حافظاً لكتاب الله، كثير التلاوة له، صبوراً على الأسماع؛ ربما أسمع اليوم الكامل من غير ملل ولا ضجر. عرض عليه قضاء الشافعية ببلده فامتنع وأصرّ على الامتناع؛ فصار بعد ذلك كل واحدٍ من قاضيهما الشافعي والحنفي من تلامذته. واتفق أنه في بعض الأوقات حُوصرت حلب فرأى بعض أهلها في المنام السراج البلقيني^(٢) فقال له: ليس على أهل حلب بأس، ولكن رُحْ إلى خادم السنّة إبراهيم المُحدّث وقُلْ له يقرأ «عمدة الأحكام» ليفرج عن المسلمين. فاستيقظ فأعلم الشيخ فبادر إلى قراءتها في جمع من طلبة العلم وغيرهم، يوم الجمعة بكرة النهار، ودعا للمسلمين بالفرج. فاتفق أنه في آخر ذلك النهار نصر الله أهل حلب. وقد حدّث بالكثير وأخذ عنه الأئمة طبقة بعد طبقة، وألحق الأصاغر بالأكابر، وصار شيخ الحديث بالبلاد الحلبية بلا مدافع. وممن أخذ عنه من الأكابر ابن خطيب الناصرية، والحافظ ابن حجر، وامتنحه فأدخل عليه شيخاً في حديث مُسلسل رام بذلك اختبارَه هل يفتن أم لا. فتنبه البرهان لذلك وقال لبعض خواصه: إن هذا الرجل يعني ابن حَجَر لم يلقيني إلّا وقد صِرْتُ نصف رجل. إشارة إلى أنه قد كان عرض له قبل ذلك الفالج وأنسي كل شيء حتى الفاتحة، ثم عوفي وصار يتراجع إليه حفظه كالطفل شيئاً فشيئاً. ولما دخل التقيّ الحصني حلب، بلغني أنه لم يتوجه

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن يزيد الربيعي القزويني، ابن ماجه: إمام في علم الحديث، من أهل قزوین. توفي سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٧م. (الأعلام: ٧ / ١٤٤).

(٢) توفي سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٣م.

لزيارته لكونه كان ينكر على لابس الأثواب النفيسة وعلى المتقشفين. فما وسع المترجم له إلا المجيء إليه فوجده نائماً بالمدرسة الشرفية، فجلس حتى انتبه. ثم سلم عليه فقال له: لعلك التقى الحِصني. ثم سأله عن شيوخه فسماهم. فقال له: إن شيوخك الذين سميتهم عبيد ابن تيمية أو عبيد من أخذ عنه، فما بالك تحط أنت عليه. فما وسع التقى إلا أن أخذ نعله وانصرف ولم يجسر يردّ عليه. ولم يزل على جلالته وعلو مكانه حتى (مات) مطعوناً في يوم الاثنين سادس عشر شوال سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة وهو يتلو، ولم يغب له عقل. ودفن بالجبل عند أقاربه.

١٧

(إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله)

ابن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزيري

العلامة الكبير، مصنف «الهداية» و«الفصول اللؤلؤية». (ولد) تقريباً سنة ٨٦٠ ستين وثمانمائة. وقرأ بصنعاء وصعدة على جماعة من الشيوخ في الأصول والعربية والفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون. ومن مشايخه السيد علي بن مُحَمَّد بن المرتضى، والسيد عبد الله بن يَحْيَى بن المهدي، والإمام المتوكل على الله المُطَهَّر بن مُحَمَّد بن سُليمان، والقاضي علي بن مُوسى الدواري، والغزولي المصري الواصل إلى اليمن، وغير هؤلاء. وبرع في جميع الفنون، وصار المرجع في عصره والمشار إليه بالفضيلة. وله مصنفات أشهرها وأجلها ما تقدم. وله نظم رائع، فمنه.

قوله: [من الطويل]

وَإِنِّي وَخُبِّي لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ وَمَا اشْتَمَلْتُ مِنِّي عَلَيْهِ ضُلُوعٌ
وَإِنْ أَفَلْتُ مِنْهُمْ شُمُوسٌ طَوَالِعٌ يَكُونُ لَهَا بَعْدَ الْأَفُولِ طُلُوعٌ^(١)

وقد ترجمه السخاوي في «الضوء اللامع» فلم يزد على أن قال: السيد إبراهيم بن مُحَمَّد بن عبد الله الصنعاني الآتي أبوه وابنه علي؛ كهل فاضل من أدباء صنعاء الموجودين بها بعد السبعين وثمانمائة. أنشدني ولده المشار إليه عنه من قوله في أبيات: [من الطويل]

وَلَا صَدَّ عَنِّي مَاجِدٌ ذُو حَفِيزَةٍ وَلَا هَجَرْتَنِي زَيْنَبٌ وَسُعَادُ^(٢)
وَلَكِنَّ شِعْرِي مِثْلَمَا قَالَ شَاعِرٌ حَكِيمٌ زُهَيْرٌ دُونَهُ وَزِيَادُ^(٣)

(١) أفلت: غابت، والأفول: الغياب. (٢) الماجد: الشريف الخير.

(٣) زهير: هو زهير بن أبي سلمى، الشاعر الجاهلي المتوفى نحو ١٣ق. هـ/ نحو ٦٠٩م. =

إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَّةٍ أَوْ نَكْرُتُهَا خَرَجْتُ مَعَ الْبَازِي عَلَيَّ سَوَادُ
أَبْتُ لِي نَفْسٌ حُرَّةٌ أَنْ أَهْيَنَهَا وَقَدْ شَرَفَتْهَا طَيِّبَةٌ وَمَعَادُ
فَلَيْسَتْ عَلَى خَسْفٍ تُقِيمُ بِبَلَدَةٍ وَلَا بِزِمَامِ الْاِحْتِقَارِ تُقَادُ^(١)

انتهى ما ذكره السخاوي، ولم يزد عليه. وقد وهم في قوله: ولده علي، فليس له ولد اسمه علي بل أولاده هم: أحمد ومحمد والهادي شيخ الإمام شرف الدين. وهذه الأبيات ليست له بل هي لجده الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، وفي الأبيات خلط. ولم يزل المترجم له على حاله الجميل حتى (مات) قبل العشاء الأخيرة من ليلة الأحد ثاني شهر جمادى الآخرة سنة ٩١٤ أربع عشرة وتسعمائة.

١٨

(السيد إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير)

سيأتي ذكره في ترجمة ولده السيد علي بن إبراهيم.

١٩

(إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح السحولي الشجري)

سيأتي ذكره في ترجمة ولده محمد.

= زياد: هو زياد بن معاوية بن ضباب بن سعد بن ذبيان، المعروف بالناطقة الذبياني، المتوفى نحو ١٨ق.هـ/ نحو ٦٠٤م.
(١) الخسف: الظلم والقهر.

ذكر من اسمه أحمد

٢٠

(أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد
ابن إبراهيم بن عاصم بن مسلم بن كعب)^(١)

العلامة أبو جعفر الأندلسي الحافظ النحوي. ولد سنة ٦٢٧ سبيع وعشرين وستمائة، وتلا بالسبع على أبي الحسن السّاوي، وسمع منه، ومن إسحاق بن إبراهيم الطوسي بفتح الطاء، وإبراهيم بن محمد بن الكمال، والمؤرخ أحمد يوسف، وأبي الوليد إسماعيل بن يحيى الأزدي، وأبي الحسين بن السراج، ومحمد بن أحمد بن خليل السلوي وغيرهم. وجمع وصنف وحديث بالكثير، وبه تخرج العلامة أبو حيّان^(٢) وصار علامة عصره في الحديث والقراءة، وله ذيل على تاريخ ابن بشكّوال^(٣)، وجمع كتاباً في التفسير سمّاه (ملاك التأويل). وقال أبو حيّان: كان يُحرّر اللغة، وكان أفصح عالم رأيته. وتفقه عليه خلق. وقال غيره: إنه انفرد بالإفادة ونشر العلم، وحفظ الحديث، وتمييز صحيحه من سقيمه، وصنف تاريخ علماء الأندلس، وله (كتاب الإعلام فيمن ختم به القطر الأندلسي من الأعلام). وما زال على حاله الجميل إلى أن (توفي) في سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة في ثاني عشر شهر ربيع الأول منها. ومن مناقبه أن الفازاري الساحر أدعى النبوة، فقام عليه فاستظهر عليه بتقربه إلى أميرها بالسحر، وأوذى أبو جعفر، فتحوّل إلى غرناطة، فاتفق قدوم الفازاري رسولاً من أمير (مالقة) فاجتمع أبو جعفر بصاحب غرناطة، ووصف له حال الفازاري، فأذن

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٨٤/١؛ كشف الظنون: ٢٤١، ٢٨٦، ٨٤٠؛ إيضاح المكنون:

٥/٢، ٣٠١، ٥٥١؛ معجم المؤلفين: ١٣٨/١؛ الأعلام: ٨٦/١؛ شذرات الذهب: ١٦/٦.

(٢) هو أثير الدين، أبو حيّان، محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، الأندلسي، الجباني، النفزي، المتوفى سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٣٤م. (الأعلام: ١٥٢/٢).

(٣) هو أبو القاسم، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكّوال الخزرجي، الأنصاري، القرطبي، الأندلسي، المتوفى سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م. وتاريخه هو: الصلة في تاريخ علماء الأندلس.

(وفيات الأعيان: ٢/٢٤٠؛ شذرات الذهب: ٢٦١/٤).

له إذا انصرف بجواب رسالته، أن يخرج إليه ببعض أهل البلد، ويطلبه من نائب الشرع، ففعل، فثبت عليه الحد، وحكم بقتله، ففُضِرَ بالسيف فلم يؤثر فيه. فقال أبو جعفر: جرّده، فجردوه فوجدوا جسده مكتوباً، فغسل، ثم وُجِدَ تحت لسانه حجراً لطيفاً فنزعه، فعمل فيه السيف فقتله. قال بعض من ترجمه: كان ثقةً قائماً بالمعروف، والنهي عن المنكر دامغاً لأهل البدع. وله مع ملوك عصره وقائع، وكان مُعْظَماً عند الخاصة والعامة.

٢١

(أحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الغني)
ابن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف
ابن خالد الشيخ شهاب الدين الأذرعي^(١)

ولد بأذرعات الشام في سنة ٧٠٨ ثمانٍ وسبعمائة، وسمع من الحجاري والمزي، وحضر عند الذهبي. وتفقه على ابن النقيب، ودخل القاهرة فأخذ عن جماعة، منهم: الفخر المصري، ثم ألزم بالتوجه إلى حلب، وناب عن قاضيها نجم الدين بن الصائغ. فلما مات ترك ذلك، وأقبل على الاشتغال والأشغال. وراسل السبكي بالمسائل الحلييات، وهي في مجلد مشهور. واشتهرت فتاويه بالبلاد الحلبية، وكان سريع الكتابة منطرح النفس، صادق اللهجة شديد الخوف من الله. وله مصنف سمّاه (جمع التوسط والفتح بين الروضة والشرح) في عشرين مجلداً. وشرح «المنهاج» بشرح سمّاه (غنية المحتاج) وبآخر سمّاه (قوت المحتاج) وفي كل منهما ما ليس في الآخر. وقدم القاهرة بعد موت الشيخ جمال الدين الإسنوي. وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٧٢ اثنتين وسبعين وسبعمائة. وأخذ عنه بعض أهلها. ولما قدم دمشق أخذ عنه جماعة. وحكى عن نفسه أنه كان يكتب في الليل كراساً تصنيفاً، وفي النهار كراساً تصنيفاً لا يقطع ذلك. ولو كان ذلك مع المواظبة لكانت تصانيفه كثيرة جداً. وكان فقيه النفس، لطيف الذوق، كثير الإنشاد للشعر، وكان يقول الحق وينكر المنكر، ويخاطب نواب حلب بالغلظة، وكان محباً للغرباء محسناً إليهم معتقداً لأهل الخير. وقد ذكر عنه كرامات ومكاشفات. وبالع ابن حبيب في الشناء عليه. ومن نظمه: [من مجزوء الرجز]

يَا مُوجِدِي مِنَ الْعَدَمِ أَقِلْ فَقَدْ زَلَّ الْقَدَمُ

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/١٥١؛ شذرات الذهب: ٦/٢٧٨.

وَاعْفِرْ ذُنُوباً قَدْ مَضَى وَقُوْعُهَا مِنَ الْقَدَمِ
لَا عُذْرَ فِي اكْتِسَابِهَا إِلَّا الْخُضُوعُ وَالْتِدَامُ
إِنَّ الْجَوَادَ شَأْنُهُ غُفْرَانُ زَلَّاتِ الْخَدَمِ
مات رحمه الله في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ٧٨٣ ثلاث وثمانين
وسبعمائة^(١).

٢٢

(السيد أحمد بن أحمد الأنسي)

(القهد اليماني المعروف بالزئمة الشاعر المشهور)^(٢)

نشأ بصنعاء ومدح الإمام المؤيد مُحَمَّد بن إسماعيل بن القاسم، وكان حاذٍ
الطبع، سريع الانحراف، فعامله المؤيد بالله بالحلم. ومدح المهدي صاحب المواهب
مُحَمَّد بن أحمد، وجرت له معه خطوب كثيرة، فلحق بمكة، ومدح أميرها الشريف
أحمد بن غالب بقصيدة طنانة، حثه فيها على أخذ اليمن لما جُبِل عليه من القحة،
وأولها: [من البسيط]

عُجْ بالكِثِيبِ وَحَيِّ الحَيِّ مِنْ كَثِبٍ فَتَمَّ يَذْهَبُ مَا بِالصَّبِّ مِنْ وَصَبٍ^(٣)
وَأَنْزَلُ بِحَيْثُ تَرَى الْأَرَامَ سَانِحَةً بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ وَالْهِنْدِيَّةِ الْقُضْبِ^(٤)

فأحسن الشريف نزله، واجتمع هنالك بجماعة من أدباء العصر من مكة ومصر
والهند والشام، ومنهم حفيد الخفاجي صاحب الريحانة، وابن معصوم، والسيد
حُسين بن عبد القادر. فاجتمعوا في منزل الشريف، فقال الخفاجي: ها نحن قد
اجتمعنا هذا الاجتماع، وهؤلاء أدباء اليمن المشهورون، وأدباء الهند، والشام،
ومصر، وأنا أعمل ذيل الريحانة فهلوموا فليُنظم كل واحد منا قصيدة نبوية هذه الليلة،

(١) في شذرات الذهب: «وَضَعَفَ بصره في آخر عمره، وثقل سمعه جداً، وسقط من سُلَمِ
فانكسرت رجله، فصار ضعيف المشي، وانتهت إليه رئاسة العلم بحلب، وتوفي بها في جمادى
الآخرة، ودُفن خارج باب المقام تجاه تربة ابن الصاحب».

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/١٥٣؛ إيضاح المكنون: ١/٩٠؛ هدية العارفين: ١/١٦٧.

(٣) عُجْ: مِلْ، أو انزل، أو عَرِّج. الكِثِيبُ: مجتمع الرمل، أو الرمل الطويل المحدود. من
كَثَبَ: من قُرب. الصَّبُّ: العاشق المشتاق. الوَصَبُ: التعب.

(٤) الْأَرَامُ: الطُّبَاءُ، الغزلان. سَانِحَةٌ: من سَنَحَ الطَّبِيُّ أو الطائر سنوحاً: عَرَضَ، أو مرَّ من ميامنك
إلى مياسرك، فولَّك ميامنه، والعرب يَتِمُّونُ به. الخَمِيسَانِ: الجيشان الكبيران. الهِنْدِيَّةُ:
السيوف الهندية. الْقُضْبُ: القاطعة، الباترة، الواحد: قضيب.

ومن أحرز قصبات السبق حكمت بانحياز الأدب إلى قطره، فنظم كل واحد منهم قصيدة، ونظم صاحب الترجمة قصيدته المشهورة: [من الطويل]

ألا حيِّ ذاك الحيِّ من ساكني صنعا فكم أحسنوا بالنازلين بهم صنعا
فحكم الخفاجي له بالسبق، فحسدوه وتعصبوا، ففارق مكة وعاد إلى حضرة
المهدي صاحب المواهب تائباً. ومدحه بغرر القصائد، ونال منه دنيا عريضة. ومن
محاسن شعره ما راجع به بعض أصحابه قائلاً في مطلع قصيدته: [من الكامل]

أعقودُ نَظْمِكَ أم حَبَابُ الرَّاحِ قَدْ راحَ يَجْلُوها خَضِيبُ الرَّاحِ^(١)
ومن قصائده الفائقة القصيدة التي مطلعها: [من الطويل]
أَلَمْتُ تَهَادَى والمُعَنَّفُ قَدْ أَعْفَى

والقصيدة التي مطلعها: [من الوافر]

أفي أوجِ المواهبِ أصفهانُ أم التَّخْتُ الرَّفِيعُ وشَاهِجانُ
مدح بها المهدي لما وصل إليه رسول ملك العجم. وجرت له وقائع مع
المهدي تارة يغضب عليه، وتارة يرضى عنه إلى أن (توفي) في سنة ١١١٩ تسع عشرة
ومائة وألف بجزيرة (زيلع). وشعره تارة يكون في أعلى طبقة، وتارة يكون سافلاً،
وربما وجد فيه لحنٌ. ووالده شاعر مشهور، مدح المتوكل على الله إسماعيل، وهو
دون ولده هذا في الشعر.

٢٣

(أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر بن بريدة)^(٢)

بموحدة وراء ودال مهملة ثم هاء مصغراً، الشهاب الإيشيطي، ثم القاهري
الأزهري الشافعي، نزيل طيبة، وأحد السادات. (ولد) في سنة ٨٠٢ اثنتين
وثمانمائة^(٣) ببشيط بكسر الهمزة ثم موحدة ساكنة بعدها معجمة ثم تحتانية وطاء
مهملة، قرية من قرى المحلة من الغربية، ونشأ بها فحفظ القرآن، وكذا العمدة،
والتبريزي. وأخذ الفقه عن ابن الصواف، وابن حميد، وابن قُطب الدين، وتلا القرآن
على الرَّمْسِيسِي. ثم انتقل إلى القاهرة في سنة ٨٢٠ عشرين وثمانمائة، فمُتَّعَ بجامع

(١) الراح (الأولى): الحَمْرُ؛ والراح (الثانية): الكَفُّ.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/١٦٣؛ الأعلام: ١/٩٧؛ الضوء اللامع: ١/٢٣٥؛ إيضاح
المكنون: ١/٢٥٤؛ ٢/٤٠١.

(٣) في معجم المؤلفين: سنة ٨١٠هـ.

الأزهر مدّةً، وأخذ بها الفقه عن البرهان البيجوري، والشمس البرماوي، والوليّ العراقي، وجماعة. وأخذ المنطق عن العزّ بن عبد السلام، والنحو عن الشهاب أحمد الصنهاجي، والشمس الشنطوفي، والمحليّ، والمُحبّ بن نُضر الله، والشرف السبكي. وسمع الحديث عن جماعة، منهم الوليّ العراقي، والحافظ ابن حجر، وبرع في الفقه وأصوله والعربية، والفرائض، والحساب، والعروض، والمنطق، وغير ذلك. وتصدّر للإقراء، فانتفع به جماعة كالبكريّ، والجوهريّ. وصنّف تصانيف. منها (ناسخ القرآن ومنسوخه) ونظم أبي شجاع، والناسخ والمنسوخ للبارزي، وشرح الرحبية، والمنهاج الأصلي، ومختصر ابن الحاجب، وتصريف ابن مالك، وإيساغوجي، والخزرجية، وغير ذلك. وعرف بالزهد والعبادة ومزيد التقشف، والإيثار، والانعزال، والإقبال على وظائف الخير مع قلّة ذات يده، بحيث لم يكن في بيته شيء يفرشه لا حصير ولا غيره، بل ينام على باب هنالك، ثم حج في سنة ٨٥٧ سبعم وخمسين وثمانمائة، وزار النبي ﷺ، وانقطع بالمدينة المباركة وعظم انتفاع أهلها به، وحفظوا من كراماته وبديع إشارات ما يفوق الوصف. وكان ذلك كلمة إجماع. وصار في غالب السنين يحجّ منها، بل جاور بمكة في سنة ٨٧١ إحدى وسبعين وثمانمائة وامتنع من التحديث في المدينة النبوية أدباً مع أبي الفرج المراغي فيما قيل (قال السخاوي)، والظاهر أنه للأدب مع النبي ﷺ. (مات) بعد عصر يوم الجمعة تاسع رمضان سنة ٨٨٣ ثلاث وثمانين وثمانمائة، ودفن بالبقيع بالقرب من قبر الإمام مالك. ومن نظمه في السبع المنجيات: [من الرجز]

الْمُنْجِيَّاتُ السَّبْعُ مِنْهَا الْوَاقِعَةُ وَقَبْلَهَا يَاسِينُ تِلْكَ الْجَامِعَةُ
وَالْخُمْسُ الْإِنْشِرَاحُ وَالِدُخَانُ وَالْمَلِكُ وَالْبُرُوجُ وَالْإِنْسَانُ

٢٤

(أحمد بن إسماعيل بن عثمان)

ابن أحمد بن رشيد بن إبراهيم شرف الدين^(١)

التبريزيّ الكورانيّ القاهريّ ثم الروميّ الشافعيّ، عالم بلاد الروم. (ولد) في سنة ٨١٣ ثلاث عشرة وثمانمائة بقرية من كوران، وحفظ القرآن، وتلا السبع على القزويني البغدادي، وقرأ عليه «الكشاف» وحاشيته للتفتازاني. وأخذ عنه النحو مع علمي المعاني والبيان، والعروض، وكذا اشتغل على غيره في العلوم. وتميز في

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٣٤١/١؛ كشف الظنون: ٥٥٣/١؛ إيضاح المكنون: ٩٢/٢؛

معجم المؤلفين: ١٦٦/١؛ الأعلام: ٩٨/١.

الأصلين والمنطق وغيرها، ومهر في النحو والمعاني والبيان وغير ذلك من العقلیات، وشارك في الفقه. ثم تحوّل إلى (حصن كيفا) فأخذ عن الجلال الحلواني في العربية. وجال في بغداد وديار بكر، وقدم دمشق في حدود الثلاثين، فلازم العلاء البخاري وانتفع به، وكان يُرجّح الجلال عليه. وكذا قدم مع الجلال بيت المقدس، وقرأ عليه في «الكشاف». ثم قدم القاهرة في حدود سنة خمس وثلاثين وهو فقير جداً، فأخذ عن ابن حجر في البخاري و«شرح الألفية» للعراقي، ولازمه وغيره. وسمع صحيح مسلم عن ابن الزركشي، ولازم الشرواني كثيراً، وقرأ عليه «صحيح مسلم» و«الشاطبية». وأكّب على الاشتغال والأشغال بحيث قرأ على العلاء الفلقشندي في الحاوي. ولازم حضور المجالس الكبار كمجلس قراءة البخاري بحضرة السلطان وغيره. واتصل بالكمال البارزي فنوّه به وبالزيني عبد الباسط، وغيرهما من المباشرين والأمراء بحيث اشتهر، وناظر الأماثل. وذكر بالطلاقة والبراعة والجرأة الزائدة، فلما ولي الظاهر جقمق وكان يصحبه، تردد إليه فأكثر وصار أحد ندمائه وخواصه، فاثالث عليه الدنيا فتزوّج مرّة بعد أخرى لمزيد رغبته في النساء مع كونه مطلقاً. (قال السخاوي): وظهر لما ترفع حاله ما كان كامناً عليه من اعتقاد نفسه الذي جرّ إليه الطيش والخفة. ولم يلبث أن وقع بينه وبين حميد الدين النعماني المنسوب إلى أبي حنيفة والمحكي أنه من ذريته مباحث تَسَطّا فيها عليه، وتشاتما بحيث تعدى هذا إلى آبائه. ووصل علم ذلك إلى السلطان فأمر بالقبض عليه، وسجنه بالبرج. ثم ادعى عليه عند قاضي الحنفية ابن الديري، وأقيمت البينة بالشتم، وبكون المشتوم من ذرية الإمام أبي حنيفة، وعزّر بحضرة السلطان نحو ثمانين ضربة، وأمر بنفيه، وأخرج عن تدريس الفقه بالبرقوقية، فاستقر فيه الجلال المحلي (قلت): وقد لطف الله بالمترجم له بمرافعته إلى حاكم حنفي، فلو روفع إلى مالكي لحكم بضرب عنقه. وقبح الله هذه المجازفات والاستحلال للدماء والأعراض، بمجرد أشياء لم يوجب الله فيها إراقة دم ولا هتك عرض، فإن ضرب هذا العالم الكبير نحو ثمانين جلدة ونفيه، وتمزيق عرضه، والوضع من شأنه بمجرد كونه شاتم من شاتمته ظلمٌ بيّن، وعسفٌ ظاهر، ولا سيما إذا كان لا يدري بانتساب من ذكر إلى ذلك الإمام. لا جرم قد أبدله الله بسلطانٍ خيرٍ من سلطانه، وجيران أفضل من جيرانه، ورزق أوسع مما منعه منه، وجاء أرفع مما حسدوه عليه فإنه لما خرج توجه إلى مملكة الروم. وما زال يترقى بها حتى استقر في قضاء العسكر وغيره، وتحول حنفياً، وعظم اختصاصه بملك الروم ومدحه وغيره بقصائد طنانة، وحسنت حاله هنالك جداً بحيث لم يصبر عند (السلطان مُحَمَّد مراد) أحظى منه. وانتقل من قضاء العسكر إلى منصب الفتوى وتردّد إليه الأكابر، وشرح (جمع الجوامع) وكثر تعقبه للمحلي، وعمل تفسيراً، وشرحاً على البخاري، وقصيدة

في علم العروض نحو ستمائة بيت . وأنشأ باسطنبول جامعاً ومدرسةً سماها «دار الحديث» واثالث عليه الدنيا . وعمر الدور وانتشر علمه فأخذ عليه الأكابر وحجّ في سنة ٨٦١ إحدى وستين وثمانمائة . ولم يزل على جلالته حتى (مات) في أواخر سنة ٨٩٣ ثلاثٍ وتسعين وثمانمائة ، وصلى عليه السلطان فمن دونه . ومن مطالع قصائده في مدح سلطانه : [من الطويل]

هُوَ الشَّمْسُ إِلَّا أَنَّهُ اللَّيْثُ بِاسْلًا هُوَ الْبَحْرُ إِلَّا أَنَّهُ مَالِكُ الْبَرِّ^(١)

وقد ترجمه صاحب (الشقائق النعمانية) ترجمة حافلة . وذكر فيها أن سلطان الروم (السلطان مُحمَّد) عرض عليه الوزارة فلم يقبلها ، وأنه أناه مرة مرسوم من السلطان ، فيه مخالفة للوجه الشرعي فمزّقه . وأنه كان يخاطب السلطان باسمه ولا ينحني له ، ولا يقبل يده بل يضافحه مصافحة . وأنه كان لا يأتي إلى السلطان إلا إذا أرسل إليه ، وكان يقول له : مطعمك حرام وملبسك حرام فعليك بالاحتياط . وذكر له مناقب جمّة تدل على أنه من العلماء العاملين لا كما قال السخاوي .

٢٥

(أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن

ابن الحسين بن أقبغا بن ايلكان بن القان ، غياث الدين)^(٢)

صاحب بغداد وتبريز وسلطانهما . ملك بعد أبيه المتوفى بتبريز في سنة ٦٧٦ ستّ وسبعين وستمائة فأقام إلى سنة ٦٩٥ خمس وتسعين وستمائة . ثم قدم حلب ومعه نحو أربعمئة فارس من أصحابه جافلاً من تيمورلنك حين استيلائه على بغداد لائذاً بالظاهر بَرَقُوق^(٣) . فأرسل الأمر بإكرامه . ثم استقدمه القاهرة وبالف في إكرامه بحيث تلقاه . وأرسل له نحو عشرة آلاف دينار ، ومائتي قطعة قماش ، وعدة خيول ، وعشرين جارية ومثلها مماليك . وتزوَّج السلطان أختاً له وأقام في ظلّه إلى أن سافر معه حين توجهه بالعساكر إلى جهة الشام وحلب . فلما رجع عاد أحمد إلى بلاده بعد أن ألبسه تشريفاً ، وتزايدت وجاهته وجلالته ، فلم يلبث أن ساءت سيرته ، وقتل جماعة ، فوثب عليه الباقون وأخرجوه ، وكاتبوا نائب تيمورلنك بشيراز ليستلمها ففعل ، وهرب هذا إلى قرا يوسف التركماني بالموصل . فسافر معه إلى بغداد فالتقى به أهلها

(١) الباسل : من أسماء الأسد ، سُمِّي بذلك لعبوسه وشِدَّتِه وشجاعته .

(٢) ترجمته في : الضوء اللامع : ١ / ٢٤٤ ؛ الأعلام : ١٠٢ / ١ .

(٣) هو أبو سعيد ، سيف الدين ، برقوق بن أنص العثماني ، الملك الظاهر : أول من ملك مصر من الشراكسة . توفي بالقاهرة سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨ م . (الأعلام : ٤٨ / ٢) .

فكسروه، وانهزما نحو الشام وقطعا الفرات ومعهما جمع كبير من عسكر بغداد والتركمان. ونزلا بالساجور قريباً من حلب، فخرج إليهما نائب حلب وغيره من النواب، فكانت وقعة فظيعة انكسر فيها العسكر الحلبي وأسر نائب حماة. وتوجهوا نحو بلاد الروم، فلما كان قريباً من بهسنى التقاه نائبها وجماعة فكسروه واستلبوا منه سيفاً يقال له (سيف الخلافة) وغير ذلك. وعاد إلى بغداد فدخلها ومكث بها مدة حاكماً، ثم جاء إليها التتار فخرج هارباً بمفرده. وجاء إلى حلب في صفر سنة ٧٠٦ ست وسبعمئة وهو بزى الفقراء فأقام بها مدة، ثم رسم الناصر باعتقاله، فاعتقل بها. ثم طلب إلى القاهرة فتوجه إليها واعتقل في توجهه بقلعة دمشق ثم أطلق بغير رضا السلطان، وعاد إلى بغداد ودخلها بعد أن نزل التتار عنها بوفاة تيمورلنك. واستمر على عادته، وتنازع هو وقرا يوسف فكانت الكسرة عليه فأسره وقتله خنقاً في ليلة الأحد سلخ شهر ربيع الآخر سنة ٧١٣ ثلاث عشرة وسبعمئة. وقد طوّل ابن حَجَر ترجمته في أنبائه، وقال: إنه سار السيرة الحائرة وقتل في يوم واحد ثمانمائة نفس من الأعيان. قال: وكان سفاكاً للدماء متجهاً بالقبايح، وله مشاركة في عدة علوم كالنجوم والموسيقى، وله شعر كثير بالعربية وغيرها. وكتب الخط المنسوب، مع شجاعة ودهاء وحيل، ومحبة لأهل العلم. وقال ابن خطيب الناصرية: كان مهيباً له سطوة على الرعية، فتاكاً منهمكاً على الشرب واللذات، له يد طولى في علم الموسيقى.

٢٦

(الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد)^(١)

سيأتي تمام نسبه في ترجمة والده. (ولد) رحمه الله سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف، ثم لما بلغ مبلغ الرجال ظهرت منه شجاعة وبراعة وقوة جنان وإقدام زائد، ووقع منه في أيام عمه المؤيد بالله مُحَمَّد بن القاسم بعد موت والده المجاهد الحسن ابن الإمام بعض مخالفة، ثم عاد الأمر إلى الموافقة، واستمر في أيام المؤيد إلى آخرها. ثم في أيام عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل. وجاهد في أيامه الجهادات المشهورة وأوقع بأهل البغي الوقعات المأثورة ودخل بالجيش، مرة بعد أخرى، إلى حصر موت ودوخ^(٢) تلك الممالك، وأذعن له سلاطين يافع، بل وصلوا تحت ركابه إلى الإمام. ثم دخل الجوف مرة بعد مرة، وما زال في مجاهدة ومناصرة للحق ومدافعة للظلمة والبغاة، حتى مات عمه المتوكل على الله فاجتمعت الكلمة من

(١) ترجمته في: الأعلام: ١١٢/١.

(٢) دَوَّخَ البلاد: أخضعها وأذلّها؛ ودَوَّخَ المكان: جال فيه.

العلماء والرؤساء والسادة والأكابر عليه وبايعوه . ووقع من قاسم بن المؤيد بعض المخالفة ثم عاد الأمر إلى الموافقة . وكانت بيعته عند موت الإمام المتوكل على الله في التاريخ الآتي في ترجمته . واستمر كذلك مجاهداً قائماً بالدفع عن المسلمين إلى أن (توفاه) الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف، وقُبر بمشهد المشهور بالغراس . وما زال مقصوداً بالزيارة من كثير من الناس إلى هذا التاريخ . وهو من أعظم الأئمة المجاهدين الباذلين نفوسهم لدفع المعاندين . بل الله ثراه بوابل^(١) رضوانه .

٢٧

(السيد أحمد بن الحسن بن أحمد

ابن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام شرف الدين)^(٢)

الشاعر الأديب الصنعاني مؤلف (ترويح المشوق في تلويح البروق) ذكر فيه ما دار بينه وبين جماعة من أهل عصره . وقد ترجم له مُحَمَّد أمين في «نفحة الريحانة»، وترجم له صاحب «مطلع البدور» . ومن نظمه الفائق القصيدة التي أنشأها على روي قصيدة ابن مطروح^(٣) : [من مجزوء الكامل]

بأبي وَبِي طَيْفٌ طَرَقَ عَذْبُ اللَّمَى والمُعْتَنَقُ

فقال صاحب الترجمة : [من مجزوء الكامل]

إِيَّاكَ مِنْ سُودِ الْحَدَقِ فَهِيَ الَّتِي تَكْسُو الْقَلْبُ

لَا يَخْدَعَنَّكَ حُسْنُهَا فَلَأَمِنْ يَتْبَعُهُ الْفَرَقُ^(٤)

وَاحْذَرْ مُلَاطِفَةَ الْعَوَا نِي بِالتَّذَلُّلِ وَالْمَلَقِ^(٥)

يَا أَيُّهَا الْمَوْكِيُّ الَّذِي أَنَا مِنْ مَوَالِيهِ أَرْقُ

ثم أطل من هذا، وهو ليس بطائل . ومن شعره القصيدة التي مطلعها : [من الرجز]

يَا رَشَاءَ أَشْمَتَ بِي الْعَوَاذِلَا مَالِكَ جَانِبَتِ الْوَفَاءَ عَادِلَا

(١) الوابل : المطر الشديد الضخم القطر، استعير للرضوان .

(٢) ترجمته في : الأعلام : ١/ ١١٢ ؛ إيضاح المكنون : ١/ ٢٨٤ ؛ معجم المؤلفين : ١/ ١٨٩ .

(٣) هو جمال الدين، يحيى بن عيسى بن إبراهيم، المعروف بابن مطروح : شاعر مصري، ولد بأسبوط، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م . (شذرات الذهب : ٥/ ٢٤٧) .

(٤) الْفَرَقُ : الجزع وشدة الخوف .

(٥) الْمَلَقُ : الدعاء والتضرع .

ما زِلْتَ تُولِيني صُدوداً دائماً قَدْ نَصَبْتَ لي هُدْبَكَ الحَبائِلَ^(١)
أوقعتني فيها فلمّا وَقَعْتُ نَفْسِي ما حَصَلَتْ مِنْها طائِلاً
وهي قصيدة طويلة . ومن نظمه القصيدة التي مطلعها : [من مجزوء الكامل]
لَلَّه أيام العَزَلْ ما بَيْنَ مُعْتَرِكِ المُقَلْ
أيامَ رَكْضِي في مَيا دين المَسرَّة والجَدَلْ^(٢)
وهي قصيدة طويلة . ومن شعره الأبيات التي أولها : [من المتقارب]
سَقَى الأَثَل كلَّ سَحابٍ مَظْلَه عَلِيه ولا بَرِحْتُ مُسْتَهْلَه
ومن شعره : [من مجزوء الكامل]

قَدَم الرَبيعُ وخَيْرَ مَقْدِمِ والغَيْثُ أَثْجَمُ ثُمَّ أَنْجَمِ^(٣)
وَمُقَدَّم الأنواءِ لَو صَلَّى الوليِّ وَراه سَلَمِ^(٤)
والجَوُّ يَنْشُرُ مُطَرَفاً لَكَ فَاخِتي اللَّوْنِ مُعَلَمِ^(٥)
والسَحْبُ مَدَّ رِواقَ دِيبِ جاج بِساحَتِنا وَخَيْمِ^(٦)
والرَوْضُ نَمَقَّه العَما مُ بِحَسَنِ صِنْعَتِهِ وَنَمَمِ^(٧)
فَبدا يروقُ الناظرينَ كَأَنَّهُ بَرْدٌ مُسَهَّمِ^(٨)
وهي أبيات جيدة . وتوفي في سنة ١٠٨٠ ثمانين وألف .

٢٨

(أحمد بن الحسن المعروف بالجاربردي)^(٩)

نزِيل تَبْرِيز، أحد العلماء المشهورين، أخذ عن الشيخ عَمَر بن نجم الدين،

-
- (١) الحَبائِل: المصائد، الواحدة: حِبالة .
(٢) الجَدَلْ: الفَرْخُ .
(٣) أَثْجَمَ الغَيْثُ: أَسْرَعَ ودَامَ .
(٤) الأنواءُ: الأمطار الشديدة، واحدها: النَّوْءُ . الوليُّ: المطر يسقط بعد المطر .
(٥) المطرف: رداء أو ثوب من خَزْ، مربع ذو أعلام . فاختي: نسبة إلى الفاختة: ضرب من الحمام المُطَوَّق .
(٦) الرِواقُ: بيت كالفسطاط يُحْمَل على عمود واحد طويل، ورواق البيت: مُقَدَّمُهُ . الديباح: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير .
(٧) نَمَقَ الشَّيْءُ: نَفَشَهُ وَزَيَّنَهُ، وَنَمَمَ الشَّيْءُ: نَفَشَهُ وَزَخَرَفَهُ .
(٨) البُرْدُ: كِسَاءٌ مُخَطَّطٌ يُلْتَحَفُ بِهِ . سَهَمَ الثوب: صَوَّرَ فِيهِ سِهَاماً، فهو مُسَهَّمٌ .
(٩) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/١٢٣؛ شذرات الذهب: ٦/١٤٨؛ الأعلام: ١/١١١؛ معجم المؤلفين: ١/١٩٨؛ كشف الظنون: ١١٢، ٢٢٢، ٦٢٦ .

وعن نظام الدين الطوسي وغيرهما. وأخذ عنه جماعة، ولعل من جملة من أخذ عنه العضد شارح «مختصر ابن الحاجب». قال الإسنوي: كان عالماً ديناً وقوراً، مواظباً على الاشتغال والتصنيف. وقال غيره: كان أحد الشيوخ بتلك الجهات. وله مصنفات منها «شرح منهاج البيضاوي»، و«شرح الحاوي الصغير»، و«شرح شافية ابن الحاجب»، وله على «الكشاف» حواشٍ مفيدة، (ومات) سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة^(١).

٢٩

(الفقيه أحمد بن حسن الزهيري)^(٢)

أديبُ العصر وشاعره. ولد تقريباً سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف، وله في النظم اليد الطولى، وجميعه غرر، والسافل منه قليل. وقد وقفت على ديوانه في مجلد لطيف، وأكثره في مدح أهل كوكبان: السيد أحمد بن محمد بن الحسين، وأخيه عبدالقادر، وإبراهيم، وعيسى. وقليل منه في غير هؤلاء من أعيان كوكبان كأولاد الأربعة الإخوة المذكورين. وله في مدح مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين رحمه الله قصائد. ومع طول باعه في الأدب له في الوعظ مسلك حسن، ويأتي فيه بالرقائق، ويستطرد كثيراً من الأشعار التي لها موقع في القلوب، ومطابقة في المقام. وكان يجتمع عليه بجامع صنعاء جمٌّ غفير. ولوعظه في القلوب قبول، وله معرفة تامة بعلم الآلة والحديث والتفسير والأدب. وفيه ميلٌ إلى الطريقة وتَشَبُّهٌ بأهلها. وله في حسن المحاضرة وحلاوة المفاكهة وملاحاة النادرة، وإملاء غرائب الأخبار والأشعار ما ليس لغيره، فهو لا يمل جلوسه. وقد وفد إليّ مراتٍ متعددة. وجرى بيني وبينه من المطارحات الأدبية والمسائل العلمية ما لا يأتي عليه الحصر. ولا أقدم عليه في جودة الشعر أحداً ممَّن أدركته من أهل العصر. وشعره مشهور بأيدي الناس، ولهم إليه رغبة كاملة، وهو حقيق بذلك فإنه جامع بين الجزالة والجودة، وحسن السبك، وقوة المعاني، وكثيراً ما يمشي في شعره على نمط العرب ويتشبه بهم، وينتحي طريقهم. من غرر شعره قصيدته التي يقول فيها: [من الطويل]

يُلَوِّغُ الْمُنَى وَضُلَّ الْأَحْبَبَةِ فَأَعْلَمُ وَلَمْ تَلْتَفِتْ عَنْ مَعْنَمٍ خَوْفَ مَعْرَمٍ^(٣)
وَمَنْ حَاوَلَ الْأَمْرَ الْمُحَالِ بِعَزْمِهِ يَنْلُهُ وَمَنْ يَعْجِزُ عَنِ الْحَزْمِ يُحْرَمِ

(١) وفي رواية: توفي سنة ٧٤٦هـ (معجم المؤلفين: ١/١٩٨؛ الأعلام: ١/١١١).

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١/١٩٢.

(٣) الْمَعْنَمُ: الغنيمة. الْمَعْرَمُ: الخسارة في المال ونحوه.

مَعَاهِدْ أَنْسٍ مِنْ أَرَاكَةِ أَسْلَمِ أَصْخْتُ لَهَا أَذْنِي فَلَمْ تَتَكَلَّمْ^(١)
 دَعْتَنِي فَلَبَّاهَا فُؤَادِي وَأَدْمَعُ سَقَى وَادِيهَا مِثْلَ صَوْبٍ مُثْجَمٍ^(٢)
 أَسْأَلُهَا عَنْ أَهْلِهَا فَتُجِيبُنِي فَأَصْغِي وَلَكِنَّ الصَّدَى صَوْتُ أَعْجَمٍ^(٣)
 وَمَا الْعَزَّ إِلَّا فَوْقَ كُلِّ مُطْهَمٍ مِنَ الْجُرْدِ مَا بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ أَدْهَمٍ^(٤)
 مِنَ الصَّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ فَوْقَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهُوجِ قَدْ شَدَّتْ بِخَلْقِ مُطْهَمٍ^(٥)
 إِذَا قِلْتُ مِنْ حَرِّ الْهَجِيرِ بَظْلَهُ فَقُلْ أَنَا ضَاخٌ تَحْتَ ظِلِّ الْمَقْلَمِ^(٦)
 وَخَيْرُ النُّفُوسِ السَّيَالَاتُ عَلَى الْقَنَا وَخَيْرُ الْمَنَآيَا تَحْتَ أَزْرَقِ سَلْجَمٍ^(٧)
 وَمِنْ قِصَائِدِهِ الطَّنَانَةُ الْقَصِيدَةُ الَّتِي مَطَّلَعُهَا: [مِنْ الْكَامِلِ]

وَعَدْتُ بِوَصْلِ عَمِيدِهَا بِشُرٍّ صَدَقْتُ وَمَا صِدْقُ الْمُئْنَى صَبْرُ^(٨)
 وكم له من قصائد فرائد. وهو الآن في الحياة إلا أنه قد ضَعُفَ عن الحركة بسبب فالج أصابه، ولعله قد جاوز السبعين، (ومات) يوم الأربعاء ثامن محرم سنة ١٢١٤ أربع عشرة ومائتين وألف بصنعاء.

٣٠

(أحمد بن حسين بن حسن)

ابن علي بن يوسف بن علي بن أرسلان^(٩)

بالهمزة، وقد تُحذف في الأكثر، بل هو الذي عليه الألسنة، الشهاب أبو العباس الرُّمَلِيُّ الشَّافِعِيُّ، نزيل بيت المقدس، ويُعرف بابن رسلان. ولد في سنة ٧٧٣ ثلاث

- (١) المعاهد: جمع المعهد: محضر الناس ومشهدهم. أصاخ له، وإليه: استمع.
- (٢) الصَّوْبُ: المطر. المُثْجَمُ: السريع الدائم.
- (٣) أصغى: أنصت. الصَّدَى: رجع الصوت.
- (٤) الْمُطْهَمُ من الخيل: الكريم الحسب. الْجُرْدُ: جمع أجرد: السريع، أو القصير الشعر من الخيل. الخميسان: الجيشان. أدهم: أسود.
- (٥) مُطْهَمٌ: تأم، أو حسن جميل.
- (٦) ضاخ: صار في الضحى، أو بارز للشمس.
- (٧) القَنَا: الرماح. السَّلْجَمُ: الطويل، وأزرق سلجم: نصل طويل.
- (٨) العميد: المشغوف حبًا.
- (٩) ترجمته في: شذرات الذهب: ٢٤٨/٧؛ الضوء اللامع: ٢٨٢/١؛ كشف الظنون: ١٥٤، ٥٩٤، ٥٩٢؛ إيضاح المكنون: ٣٣٠/١، ٥٨٩/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٠٤/١؛ الأعلام: ١/١١٧.

وسبعين وسبعمائة، وقيل: في سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة برملة، ونشأ بها لم يُعلم له صَبُوة، فحفظ القرآن وله نحو عشر سنين، وكان في الابتداء يشتغل بالنحو واللغة والشواهد والنظم. وقرأ الحاوي على القلقشندي، وابن الهائم. وأخذ عنه الفرائض والحساب، وولي تدريس الخاصكية، ودرّس بها مدة ثم تركها، وأقبل على الله، وعلى الإشتغال تبرّعاً، وعلى التصوّف. وجلس في الخلوة مدة لا يكلم أحداً. وأخذ عن جماعة من أهل الطريقة، وسمع من جماعة في الحديث وغيره، حتى صار إماماً في الفقه وأصوله والعربية، مشاركاً في الحديث والتفسير والكلام وغير ذلك، مع حرصه على سائر أنواع الطاعات من صلاة وصيام وتهجد ومرابطة بحيث لم تكن تخلو سنة من سنينه عن إقامة على جانب البحر قائماً بالدعاء إلى الله سرّاً وجهراً، أخذاً على أيدي الظلمة، مؤثراً محبة الخمول، والشغف بعدم الظهور، تاركاً لقبول ما يُعرض عليه من الدنيا ووظائفها، حتى أن الأمير حسام الدين حسن جدّ بالقدس مدرسة، وعرض عليه مشيختها، وقرّر له فيها كلّ يوم عشرة دراهم فضّة فأبى، بل كان يمتنع من أخذ ما يُرسل به هو وغيره إليه من المال ليفرّقه على الفقراء، وربما أمر صاحبه بتعاطي تفرّقه بنفسه. وله محافظة على الأذكار والأوراد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مُعرضاً عن الدنيا وبنيتها جملة. حتى إنه لما سافر الأشرف إلى (آمد)^(١) هرب من الرملة إلى القدس في ذهابه وإيابه لئلا يجتمع به. وما زال في ازدياد من الخير والعلم حتى صار المشار إليه بالزهد في تلك النواحي. وقُصِدَ للزيارة من سائر الآفاق، وكثرت تلامذته ومريدوه، وتهدّب به جماعة، وعادت على الناس بركته (قال السخاوي): وهو في الزهد والورع والتقشف واتباع السنة وصحة العقيدة كلمة إجماع، بحيث لا أعلم في وقته من يدانيه في ذلك، وانتشر ذكره، وبعد صيته وشهد بخيره كل من رآه. انتهى. وقال (ابن أبي عذينة): وكان شيخاً طويلاً تعلوه صُفرة، حسن المأكل والملبس والملتقى. له مكاشفات ودعوات مستجابات. ولما اجتمع مع العلاء البخاري الآتي ذكره إن شاء الله، وذلك في ضيافة عند ابن أبي الوفاء، بالغ العلاء في تعظيمه بحيث أنه بعد الفراغ من الأكل بادر يصبّ الماء على يديه. ورام الشيخ فعل ذلك معه فما مكّنه. وصرّح بأنه لم ير مثله. واجتمعا اجتماعاً آخر عند قدوم العلاء البخاري إلى القدس، فإنه اجتمع به ثلاث مرات: الأولى، جاء إليه مُسلماً وجلسا ساكِتَيْن، فقال له الشيخ ابن أبي الوفاء: يا سيدي هذا ابن رسلان. فقال: أعرف، ثم قرأ الفاتحة وتفارقا. والثانية، أول يوم من رمضان، اجتمعا وشرع العلاء يُقرّر أدلة ثبوت رؤية هلال رمضان بشاهد، ويذكر الخلاف في ذلك، وابن رسلان لا يزيد على قوله نعم،

(١) آمد: مدينة عظيمة في ديار بكر، بُنيت بحجارة سود، وكانت كثيرة العيون والآبار والبساتين، ويُنسب إليها عدد كبير من العلماء. (معجم البلدان: ٥٦/١).

وانصرفا. ثم إنَّ العلاء في الليلة العاشرة سأل ابن أبي الوفاء في الفطر مع ابن رسلان، فسأله فامتنع. فلم يزل يلح عليه حتى أجاب. فلما أفطر، أحضر خادم العلاء الطشت والإبريق بين يدي العلاء، فحمل العلاء الطشت بيديه معاً، ووضع بين يدي ابن رسلان، وأخذ الإبريق من الخادم وصبَّ عليه حتى غسل، ولم يحلف عليه؛ حتى ولا تشوُّش، ولا توجه لفعلٍ نظير ما فعله العلاء معه. غير أنه لما فرغ العلاء من الصبِّ عليه دعا له بالمغفرة، فشرع يؤمِّن على دعائه ويبكي. وله مصنفات، منها في التفسير قطع متفرقة، وشرحه «لسنن أبي داود»، وهو في أحد عشر مجلداً. وشرع في «شرح البخاري»، ووصل فيه إلى آخر الحجِّ في ثلاثة مجلدات. وشرح «جمع الجوامع» في مجلد، و«منهاج البيضاوي» في مجلدين، و«مختصر ابن الحاجب»، وله غير ذلك مما يكثر تعداده. وله نظم في أنواع من العلم، كالمنظومة في الثلاث القراءات الزائدة على السبع، وفي الثلاث الزائدة على العشر. وما زال رحمه الله على وصفه الجميل حتى (مات) في يوم الأربعاء رابع عشر شعبان سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة. وحكى السَّخَاوِيُّ في «الضوء اللامع» أنه قيل: لما أُلْحِدَ سمعه الحُفَّار يقول، ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين. ورآه حُسين الكردي أحد الصالحين بعد موته، فقال له: ما فعل الله بك، قال: أوقفني بين يديه وقال: يا أحمد أعطيتك العلم فما عملت به؟ قال: علمته وعملت به، فقال: صدقت؛ يا أحمد تَمَنَّ عليَّ. فقلت: تغفر لمن صَلَّى عليَّ. فقال: قد غفرت لمن صَلَّى عليك، وحضر جنازتك. ولم يلبث الرائي أن مات.

٣١

(أحمد بن الحسين الرُّقَيْحِي) (١)

نسبة إلى الرُّقَيْحِ بضم الراء وفتح القاف وسكون المثناة التحتية بعدها مهملة. وهو بلدة من أعمال يَحْصُب؛ ثم الصنعاني الأديب صاحب المقطعات الفائقة الرائقة. وكان يتعيش بالصباغة، فلا تزال كُفُّه سوداء كَأُكُفِّ الصَّبَاغِينَ، فعوتب على ذلك فقال: [من البسيط]

المجدُّ في العلم والكفُّ المُسود مِن
فَن الصَّبَاغَةِ لا في صُحبة الدُّولِ

فما سَعَيْتُ إلى هذا وذاك معاً
إلا لِأُجمَعَ بينَ العِلْمِ والعَمَلِ

ومن مقطعاته: [من الخفيف]

قَدْ بَلَغْتَ الكَمالَ في كُلِّ مَعْنَى
ثم تَرَجُّو أن تَسَلَّمَ الحُسَّادَا

(١) ترجمته في: الأعلام: ١١٨/١.

أَنْتَ أَمَرَضْتَهُمْ فَدَعُهُمْ فَمِنْ حَا قَ لَّيْمِ الطَّبَاعِ أَنْ لَا يُعَادَا^(١)
وله : [من الرمل]

هَذِهِ الْأَطْمَاعُ رَجُسٌ وَبِهَا سَلْ إِذَا مَا شِئْتَ أَرْبَابَ الْوَرَعِ^(٢)
فَاصْرِفِ الرَّاحَاتِ عَنْ إِمْسَاكِهَا إِنَّمَا الرَّاحَةُ فِي تَرْكِ الطَّمَعِ^(٣)
ومن شعره : [من السريع]

أَفْدِي الَّذِي صَلَّى بِمَيْدَانِهِ ثُمَّ تَلَا التَّسْلِيمَ بِالْوَاجِبِ
قُلْتُ وَقَدْ كَلَّمَنِي طَرْفُهُ لَا يُتَّبَعُ الْمَسْنُونُ بِالْوَاجِبِ
وله : [من المتقارب]

أَرَاكَ جَهَلْتَ أَصُولَ الرِّجَالِ فَأَنْعَمْتَ يَا عَمْرُو فِي سُكْرِهَا
وَلَكِنْ مِنْ بَعْدِ بِالْاِخْتِبَارِ سَتَعْرِفُ مَا الْحُلُومِنْ مُرِّهَا
فَسَلْ عَنْ مَعَادِنِهَا عَارِفًا يُبَيِّنُ لَكَ الصُّفْرَ مِنْ تَبْرِهَا^(٤)
فَإِنَّ الصَّدَاقَةَ مُحْتَاجَةٌ إِلَى عَارِفٍ بِأَنْتِهَا أَمْرِهَا^(٥)
وكانت (وفاته) آخر دولة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمه الله^(٦).

٣٢

(أحمد بن حسين الوزان الصنعاني المولد والمنشأ)

وُلِدَ سَنَةَ^(٧)، وأخذ العلم عن مشايخ العصر، فبرع في العلوم الآلية، ثم اشتغل بالحديث فسمع الكثير منه. وهو قوي الحفظ، جيد الفهم، حسن التصور، سمع مني «سنن الترمذي». وهو عند تحرير هذا يقرأ علي في «الكشاف» وحواشيه. وقد صار مُدْرِّسًا في العلوم الآلية والكتب الحديثية، وهو من أفراد علماء العصر، جمَّله الله بوجوده. وله شعر في غاية الجودة، يعجز عنه غالب أهل العصر، مع طول نفس، وحسن انسجام،

(١) عَادَ الْمَرِيضُ: زَارَهُ.

(٢) الرُّجُسُ: الْقَذَرُ، أَوْ الْفَعْلُ الْقَبِيحُ، أَوْ الْحَرَامُ.

(٣) الرِّاحَاتُ: جَمْعُ الرَّاحَةِ: الْكَفُّ. وَالرَّاحَةُ فِي عِزِّ الْبَيْتِ: الْارْتِيَاخُ.

(٤) الصُّفْرُ: النِّحَاسُ. التَّبَرُّ: الذَّهَبُ الْخَالِصُ.

(٥) بِأَنْتِهَا: أَيَّ بِأَنْتِهَا.

(٦) فِي الْأَعْلَامِ (١١٨/١): تَوَفَّى سَنَةَ ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م.

(٧) لَمْ يَذْكُرِ الْمُؤَلِّفُ تَارِيخَ مِيلَادِهِ، وَفِي «التَّقْصِيرِ» لِلشَّجْنِيِّ أَنَّ مَوْلِدَ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ سَنَةَ ١١٨٦هـ؛ وَوَفَاتِهِ سَنَةَ ١٢٣٨هـ.

وقوة معان. ثم سمع عليّ بعد هذا في «الصحيحين»، و«سنن أبي داود»، وفي كثير من مؤلفاتي، وفي «الكشاف»، و«المطوّل» وغير ذلك. وهو إلى الآن مُستمرّ على السماع عليّ مع عناية قويّة، وفهم صادق، وتصوّر تامّ. ومن مشايخه: شيخنا العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والسيد العلامة عبدالله بن محمد الأمير، وغيرهما من أعلام العصر.

٣٣

(أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين ابن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم الشهاب)^(١)

المكي الشافعي المعروف بابن العليّ، بضم العين المهملة تصغير علف. ولد في جمادى الأولى سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة بمكة. ونشأ بها فحفظ القرآن و«الألفية النحوية»، و«الأربعين النووية» وعرضهما، وبعض «المنهاج». وسمع بمكة على التقّي ابن فهد، وولده النجم، والزين عبدالرحيم الأميوطي، وأبي الفضل المرجاني، ويحيى العلمي. ولازم النور الفاكهاني في كثير من دروسه الفقهية والنحوية، وسمع بالقاهرة على الخضير، والجوجري، وجماعة، ودخلها مراراً. وله نظم مقبول. ومنه هذه القصيدة الطنانة: [من الكامل]

خُذْ جَانِبَ الْعَلِيَا وَدَعْ مَا يَنْزِلُ	فَرَضَى الْبَرِيَّةَ غَايَةً لَا تُدْرِكُ
وَاجْعَلْ سَبِيلَ الذُّلِّ عَنْكَ بِمَعْزِلِ	فَالْعَزُّ أَحْسَنُ مَا بِهِ يُتَمَسَّكُ
وَأَمْنُكَ مَوَدَّتُكَ الْكِرَامَ فَرُبَّمَا	عَزَّ الْكَرِيمُ وَفَاتَ مَا يُسْتَدْرَكُ
وَإِذَا بَدَتْ لَكَ مِنْ عَدُوٍّ فُرْصَةٌ	فَأَفْتِكُ فَإِنَّ أَخَا الْعُلَا مَنْ يَفْتِكُ
وَدَعْ الْأَمَانِي لِلْغَبِيِّ فَإِنَّمَا	عُقْبُ الْمُنَى لِلْحَرِّ دَاءٌ مِنْهُكَ ^(٢)
مَنْ يَقْتَضِي سَبَباً بَدُونَ عَزِيمَةٍ	ضَلَّتْ مَذَاهِبُهُ وَعَزَّ الْمُدْرِكُ
تَعَسَّتْ مُدَارَةُ الْعَدُوِّ فَإِنَّهَا	دَاءٌ تَحُولُ بِهِ الْجُسُومُ وَتُوَعَّكُ ^(٣)
لَا يُدْرِكُ الْغَايَاتِ إِلَّا مَنْ لَهُ	فِي كُلِّ حَيٍّ مِنْ عِدَاةٍ مَنْسَكُ
نَدْبٌ غَرِيقٌ لَا يَرَامُ مَرْحَبٌ	ضَرْبٌ جَزِيلٌ فِي الْوَرَى وَمُحَكَّكُ ^(٤)

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ١٤١/٨؛ كشف الظنون: ٧٣٥؛ إيضاح المكنون: ١/٤٦٤؛ معجم المؤلفين: ٢٠٨/١؛ الأعلام: ١١٧/١.

(٢) مِنْهُكَ: مُتَعَبٌ، مُجْهِدٌ.

(٣) المُدَارَةُ: الملاطفة والملاينة والرفق. تُوَعَّكُ: تُمرَضُ وتُوَجَّعُ.

(٤) النَّدْبُ: السريع الخفيف عند الحاجة. جَزِيلٌ: كثير. مُحَكَّكٌ: مُجَرَّبٌ.

ذُو هَضْبَةٍ لَا تُرْتَقَى وَشَكِيمَةٍ
لَا فَائِلٌ عِنْدَ الْحَفِیْظَةِ رَأْيُهُ
وَارْكَبْ سَنَامَ الْعِزِّ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَاسْتَفْرِغِ الْمَجْهُودَ فِي تَحْصِيلِ مَا
وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَاَنْبِذْ بِهِ
وَأَرْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تُرَى فِي سَاحَةِ
وَارْحَلْ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا مُسْتَعِظَمًا
فَالْحَرْ يُنْكَرُ ضِدًّا مَا يَعْتَادُهُ
وَإِذَا تَغَشَّاهُ الْهَوَانُ بِبِلْدَةٍ
وَمَتَى تَنْكَرَتِ الْمَعَارِفُ خِلَّتُهُ
وَمِنْهَا:

بَهْرًا لِلنَّفْسِ لَا تَكُونُ عَزِيزَةً
وَلِوَاكِدٍ سُبُلَ الْكِرَامِ وَلَمْ يَزَلْ
تَبَّتْ يَدُ الْأَيَّامِ تُلْقِي لِلْفَتَى
تُبْكِي اللَّيْبَ عَلَى تَقَاعُسِ حَظِّهِ
وَلَهَا إِلَى طُرُقِ الْمَعَالِي مَسْلَكٌ^(٨)
يُغْضِي الْجَفُونَ عَنِ الْقَدَى وَيُفْتِكُ^(٩)
سِلْمًا وَتَسْلُبُهُ غَدًا مَا يَمْلِكُ
حِينَأَوْ تُطْعِمُهُ الرِّجَاءَ فَيُضْحِكُ
وَهِيَ قَصِيدَةٌ فَرِيدَةٌ طَوِيلَةٌ. وَفِي هَذَا الْمَقْدَارِ دَلَالَةٌ عَلَى الْبَقِيَّةِ. وَلَهُ رَدٌّ عَلَى

(١) الهضبة: الرابية، التلّة، استعيرت للرجل. الشكيمة: قوة القلب، وفلان شديد الشكيمة: أنف أبي. الألد: الشديد الخصومة. الأمحك: اللجوج العسير الخلق، الكثير النزاع.
(٢) الفائل: من فآله بالشيء: جعله يتفاعل به: يستبشر به خيراً. المَحْنَكُ: الذي أحكمته التجارب وهذبتة.

(٣) نبا به المنزل: لم يطمئن فيه. نبذ الشيء: طرحه، وانتبذ فلان: اعتزل ناحية، تنحى. استقل: ارتفع، واستقل القوم: مضوا وارتحلوا. برك البعير: وقع على بركه (صدره)، أو أناخ في موضع فلزمه.

(٤) المُرْمِكُ: المقيم في المكان.

(٥) يَبْتِكُ: يقطع.

(٦) سَامَ الْإِنْسَانَ ذَلًّا أَوْ خَسْفًا أَوْ هَوَانًا: أولاه إياه وأراد له.

(٧) عَنَّاكَ الْفَرَسُ: حَمَلَ وَكَرَّ، وَأَعْنَكَ: سَارَ فِي الرَّمْلِ الْعَانَكِ (الذي تعقّد وارتفع) فلم يكدر يتخلّص منه.

(٨) بَهْرًا لَهُ: تَعَسَّأَ وَهَلَاكَأَ، وَبَهْرًا لَهُ: عَجَبًا.

(٩) فَتَّكَ فِي الْأَمْرِ: لَجَّ.

السيوطي في مصنفه الذي سماه (الكاوي لدماغ السخاوي)، فأجاب عنه صاحب الترجمة بمؤلف سمّاه (الهاوي على الكاوي). وألّف لسلطان الروم (بايزيد عثمان) كتاباً سمّاه (الدرّ المنظوم)، ومدحه، وغيره من أمرائه، فرتب له خمسين ديناراً في كلّ سنة، فتجمل بها. ومدح صاحب مكة السيد بركات بن مُحمّد الحسني، واقتصر على مدحه، فأتى به، وقرّر له مبلغاً، لبلاغته وحسن نظمه. قال الشيخ جاز الله بن فهد: وصار مُتنبّي زمانه والمشار إليه في نظمه، مع سكون وقلة حركة. وبقي في مكة حتى مات) في ضحى يوم الثلاثاء من ذي الحجة سنة ٩٢٦ ستّ وعشرين وتسعمائة.

٣٤

(أحمد بن رَجَب بن طَنْبُغا المجد بن الشهاب القاهري الشافعي)^(١)

ويُعرف بابن المجدي، نسبة لجده. ولد في العشر الأولى من ذي القعدة سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها فحفظ القرآن وبعض «المنهاج»، ثم جميع «الحاوي»، و«ألفية النحو» وغير ذلك. وتفقه بالبلقيني، وابن المُلقّن، والكمال الدّميري، والشرف مُوسَى بن البابا. وبه انتفع في الحاوي لمزيد تقدّمه فيه، والشمس العراقي، وعنه أخذ الفرائض وغيرها. وكذا أخذ الفرائض والحساب عن التقيّ بن عزّ الدين الحنبلي، والعربية عن الشمس العجيمي، وجدّ في الطلب، واجتهد، وتقدم في الفنون مع ذكاءٍ مفرط، وأشير إليه بالتقدم، وصار رأساً في أنواع الحساب، والهندسة، والهيئة، والفرائض وعلم الوقت بلا منازع، ولا مدافع. وانتفع به الأعيان ولازموه في فنونه، وصنف التصانيف المفيدة، منها: «إبراز لطائف الغوامض في إحراز صناعة الفرائض»، و«شرح الجعبرية»، و«الرسالة الكبرى»، وهي ستون باباً لشيخه المارواني، وشرح أيضاً «تلخيص ابن البناء في الحساب»، وهو عظيم الفائدة. وله (إرشاد الحائر في العمل بربيع الدوائر) و«القول المفيد في جامع الأصول والموايد» و«المنهل العذب الزلال في معرفة حساب الهلال» و«الفصول في العمل بالمقنطرات» و«الرسالة في العمل بالجيب» و«الضوء اللائح في وضع الخطوط على الصفائح» ورسالة في (الربع المسير) وأخرى في (الربع الهلالي) وكراسة في (معرفة الأوساط) وأخرى في (استخراج التواريخ بعضها من بعض)، وغير ذلك من التصانيف المفيدة، كل ذلك مع التواضع والأمانة والسكون والسمت الحسن، وإيراد النكتة، والنادرة والطرف، والانجماع عن الناس، بمنزله المجاور للأزهر والاستغناء عنهم بإقطاع بيده. وكان يبرّ

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٢٦٨/٧؛ كشف الظنون: ٦٤، ٥٧٧، ٧٥٨؛ إيضاح المكنون:

١١/١، ٧٤؛ الأعلام: ١/١٢٥؛ معجم المؤلفين: ١/٢٢١، بغية الوعاة: ١٣٢.

الطلبة والفقراء. ودرّس في المدرسة الجانبية، ومما حكي عنه أنه صعد القلعة للاجتماع بالملك الأشرف في قضية ضاق بها صدره، فما تيسّر، ورجع وقد تزايد كربه، فاتفق أنه دخل مدرسة قريبة من القلعة فتوضاً وصلّى ركعتين ورفع رأسه فوجد بجانب محرابها مكتوباً: [من البسيط]

دَعَهَا سَمَاوِيَّةٌ تَجْرِي عَلَى قَدَرٍ لَا تَعْتَرِضُهَا بِأَمْرٍ مِنْكَ تَنْفَسِدُ
فَاسْتِشِرْ بِذَلِكَ، وَآلِي إِنْ قَضَى أَمْرُهُ أَنْ يَنْظُمَهُ فِي أَبْيَاتٍ؛ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا وَقَدْ جَاءَ
قَاصِدُ السُّلْطَانِ يَطْلُبُهُ، وَحَصَلَ الْغَرَضُ، فَقَالَ: [من البسيط]

فَقُلْتُ لِلْقَلْبِ لِمَا ضَاقَ مُضْطَرِباً وَخَانَنِي الصَّبْرُ وَالتَّفْرِيطُ وَالْجَلْدُ^(١)
دَعَهَا سَمَاوِيَّةٌ تَجْرِي عَلَى قَدَرٍ لَا تَعْتَرِضُهَا بِأَمْرٍ مِنْكَ تَنْفَسِدُ
فَحَقَّقَنِي بِخَفْيِ اللَّطْفِ خَالِقُنَا نَعْمَ الْوَكِيلُ وَنَعْمَ الْعَوْنُ وَالْمَدَدُ^(٢)
وما زال مستمراً على حاله الجميل، حتى (مات) ليلة السبت حادي عشر ذي القعدة سنة ٨٥٠ خمسين وثمانمائة. ولم يخلف بعده في فنونه مثله.

٣٥

(أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد

ابن علي بن غانم بن يوسف بن الهادي بن علي بن عبدالعزيز

ابن عبدالواحد بن عبدالحميد الأصغر ابن عبدالحميد الأكبر)

المسوريّ الزيديّ القاضي الفاضل المترسل البليغ المنشئ العارف. شارك في الفنون وتميز في كثير منها، وحرّر رسائل وفتاوى، وأتصل في أول عمره بالإمام القاسم بن مُحَمَّد عليه السلام. وأخذ عنه وكتب لديه. وكان يُؤثّر، ثم اتصل بعد ذلك بولده الإمام المؤيد بالله، فارتفعت درجته لديه، وصار أكثر الأمور منوطاً به، ولم يكن لغيره معه كلام. ثم اتّصل بعد موت المؤيد بالله بأخيه الإمام المتوكل على الله، وشارك في أمور، ونقص حظه قليلاً بسبب أنه بادر إلى مبايعة أحمد ابن الإمام القاسم عند موت المؤيد. ثم لم تتم تلك البيعة وتمّ الأمر للمتوكل على الله. وما زال على جلالته وفخامته حتى (مات) يوم الثلاثاء سادس عشر شهر محرم سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف. وقبر بجوار قبر الإمام القاسم بن مُحَمَّد وولده المؤيد. وقد ترجمه تلميذه القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «مطلع البدور» ترجمة «نفيسة»،

(١) الجَلْدُ: القُوَّة، والصَّبْرُ على المكروه.

(٢) حَقَّنِي: أحاطني، أو عَمَرَنِي. اللَّطْفُ من الله: التوفيق والعصمة.

وأطال الثناء عليه، ووصفه بأوصاف فخيمة، وله شهرة كبيرة بالديار اليمنية إلى الآن. ولعل ذلك بسبب متاخمته للأئمة، وارتفاع حظّه في تلك الدولة ومشيه في جميع مباشرته على طريقة العلماء^(١).

٣٦

(أحمد بن صالح بن أبي الرجال)^(٢)

وصالح هو ابن مُحَمَّد بن عليّ بن مُحَمَّد بن سُليمان بن مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن المعروف بأبي الرجال بن سَرْح بن يَحْيَى بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي حَفْص عُمر بن الخطّاب الخليفة الصحابي. (ولد في ليلة الجمعة من شهر شعبان سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف في جهات (الأهنوم)، وأخذ عن جماعة من أعيان العلماء، منهم الإمام المؤيد بالله مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد، والسيد إبراهيم بن مُحَمَّد بن أحمد بن عزّ الدين المؤيدي، والسيد عزّ الدين بن دريب، والسيد الرئيس مُحَمَّد بن الحسن ابن الإمام القاسم، والقاضي أحمد بن سعد الدين المذكور قبله، والقاضي إبراهيم بن يَحْيَى السحولي، وجماعة غير هؤلاء. وأجاز له جماعة وآخرون. وبرع في كثير من المعارف، وهو صاحب (مطلع البدور ومجمع البحور). ترجم فيه لأعيان الزيدية، فجاء كتاباً حافلاً. ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسّر له جمع ذلك الكتاب. لأن الزيدية مع كثرة فضلائهم، ووجود أعيان منهم في كلّ مكرمة على تعاقب الأعصار، لهم عناية كاملة ورغبة وافرة في دفن محاسن أكابرهم، وطمس آثار مفاخرهم، فلا يرفعون إلى ما يصدر عن أعيانهم من نظم، أو نثر، أو تصنيف، وهذا مع توفر رغباتهم إلى الاطلاع على ما يصدر من غيرهم، والاشتغال الكامل بمعرفة أحوال سائر الطوائف، والاكباب على كتبهم التاريخية وغيرها. وإنني لأكثر التعجب من اختصاص المذكورين بهذه الخصلة التي كانت سبباً لدفن سابقهم ولاحقهم، وغمط^(٣) رفيع قدر عالمهم، وفاضلهم، وشاعرهم، وسائر أكابرهم. ولهذا أهملهم المصنفون في التاريخ على العموم كمن يترجم لأهل قرن من القرون أو عصر من العصور. وإن ذكروا النادر منهم، ترجموه ترجمة مغسولة عن الفائدة، عاطلة عن بعض ما يستحقه، ليس فيها ذكر مولد ولا وفاة، ولا شيوخ، ولا مسموعات، ولا مقروءات ولا أشعار ولا أخبار. لأن الذين

(١) في «جامع المتون»: وُلد صاحب الترجمة سنة ١٠٠٧ هـ.

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ١/١٦٣؛ إيضاح المكنون: ٢/٥٠٠.

(٣) غَمَطَ فلانٌ فلاناً غَمَطاً: استصغره واحتقره.

ينقلون أحوال الشخص إلى غيره هم معارفه وأهل بلده؛ فإذا أهملوه، أهمله غيرهم وجهلوا أمره. ومن هذه الحيثية تجدني في هذا الكتاب إذا ترجمت أحداً منهم لم أدر ما أقول، لأن أهل عصره أهملوه فلم يبق لدى مَنْ بعدهم إلا مجرد أنه فلان بن فلان. لا يُدرى متى ولد، ولا في أي وقت مات، وما صنع في حياته. فمن عرف ما ذكرناه علم أن المترجم له رحمه الله قد أجاد في ذلك الكتاب في كثير من التراجم. وكان صاحب الترجمة من العلماء المشاركين في فنون عدة، وله أبحاث ورسائل وقفت عليها، وهي نفيسة ممتعة. ونظمه ونثره في رتبة متوسطة. (توفي) ليلة الثلاثاء لعله خامس ربيع الأول سنة ١٠٩٢ اثنتين وتسعين وألف، ورثاه جماعة من الفضلاء بمراثٍ، وقد ذكر في تاريخه شيئاً كثيراً من شعره مفرقاً في تراجم شيوخه وغيرهم.

٣٧

(القاضي أحمد بن صالح بن مُحَمَّد بن أحمد بن صالح)^(١) (المذكور قبله المعروف بابن أبي الرجال)

الصَّنْعَانِي. ولد يوم السبت خامس شهر محرم سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء، فقرأ على جماعة من أعيانها، منهم القاضي العلامة أحمد بن زيد الهبل، والسيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير، والسيد العلامة مُحسن بن إسماعيل الشامي، والسيد عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن المهدي، والسيد العلامة إسماعيل بن مُحَمَّد بن إسحاق بن المهدي، والسيد يُوسف العجمي، والسيد العلامة مُحَمَّد بن زَيْد بن مُحَمَّد بن الحسن ابن الإمام القاسم. وبرع في جميع المعارف، وهو شيخ مشايخنا. وله يد طولى في النحو والصرف، والمعاني، والبيان والأصول، والتفسير، ومشاركة فيما عدا ذلك. وقد عكف عليه جماعة من الأعيان، وأخذوا عنه في فنون متعددة، وتخرجوا به وصاروا أعيان عصرهم. فمنهم شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي رحمه الله، ومنهم شيخنا العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، ومنهم شيخنا العلامة عبد الله بن الحسن بن عليّ الأبيض، ومنهم شيخنا العلامة علي بن هادي عرهب، والسيد العلامة إسماعيل المفتي. وسيأتي ذكرهم، إن شاء الله تعالى. وقد اتصل المترجم له بالإمام المهدي العباس بن الحسين رحمه الله، ليقرئ أولاده فيما يحتاجون إليه من العلم، ثم ارتفعت درجته عند الإمام. وكان يجالسه ويحادثه، ويأخذ عنه من فوائده. وأركبه الخيل واختصه، ورفع منزلته حتى كان تارة بمنزلة الوزير، وأخرى بمنزلة المشير، ومع ذلك فلم ينقطع عن نشر العلم

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١٧٩/١؛ معجم المؤلفين: ٢٥٢/١؛ الأعلام: ١٣٧/١.

بحسب الطاقة. ولم يزل على حاله الجميل حتى مات سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف. وله حواشٍ على شرح «الغاية» و«الكشاف». وحواشيه مفيدة جداً، في غاية من الدقة والتحقيق. نقلها عنه شيخنا المغربي المتقدم في كتبه.

٣٨

(السيد أحمد بن صلاح بن يحيى الخطيب الكوكباني ثم الصنعاني)

أخذ العلم عن السيد العلامة إسحاق بن إبراهيم بن المهدي. وبه تخرّج، وعليه عوّل. وبرع في المعارف، وجمع رسائل، منها رسالة في كون الفرجين من أعضاء الموضوع سماها (الرياض الندية). وقد أجبت عليه برسالة سميتها (الصوارم الهندية المسلوقة على الرياض الندية). ومنها رسالة أجاب بها على رسالة للسيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير جمعها في مسائل ثمانٍ، ومنها رسالة في تحريم المتعة. وحصل معه خفة في الدماغ، فكان يتردد ما بين صنعاء وشبام، ثم تراجع عقله، وتصوّف ومال إليه جماعة من الناس، وأخبروا عنه بمكاشفات وأحوال. وابتلي آخر المدة بذهاب بصره. ولعلّ موته على رأس القرن الثاني عشر أو قبله بقليل^(١).

٣٩

(أحمد بن عامر الحدائي ثم الصنعاني)

أخذ علم الفقه، والفرائض بصنعاء عن جماعة من علمائها، وتصدّر للتدريس في الفنين بجامع صنعاء. واستفاد عليه جماعة من الأعيان. وكان في لسانه ثقل لا يكاد يعرف عبارته ويفهمها إلا من مارس ذلك. وكان زاهداً، متقلاً من الدنيا، مواظباً على الطاعات، آمراً بالمعروف؛ ناهياً عن المنكر، يغضب إذا بلغه ما يخالف الشرع. وفيه سلامة صدر زائدة. قرأت عليه في الأزهار وشرحه مرتين، وفي الفرائض وشرحها للناظري مرات. وكان مواظباً على التدريس، لا يمنعه منه مانع. فإنه يقع المطر العظيم الذي يمنعه من خروج من هو في سن الشباب فلا يكون ذلك عذراً لدى صاحب الترجمة، لرغبته في الخير وحرصه على إفادة الطلبة. ولقد استمر انصباب المطر في بعض السنين من قبل الفجر إلى قريب وقت الظهر وكان معنا درس عليه وقت الشروق، فما تركت الذهاب إلى الجامع، لعلمي بأن مثل ذلك لا يمنعه مع علوّ سنّه. فانتظرت له في المكان المعدّ للدرس فلم يأت هو ولا أحد من الطلبة وهم كثيرون، فجاء اليوم الثاني وقال لي: هل أتيت إلى هنا، قلت: نعم، قال: لو علمت

(١) في جامع المتون: توفي أحمد بن الصلاح في جمادى الآخرة، سنة ١١٩٦هـ.

أنك أتيت ما اختلفت. ثم تأسّف كثيراً على فوت الدرس، وما زال كذلك حتى (مات) في شهر رجب أو شعبان سنة ١١٩٧ سبيع وتسعين ومائة وألف، ولعله قد جاوز السبعين. ورثيته بأبيات غابت عني، وذكرت فيها تاريخ موته وهو (حط بجنات الخلود أحمد) رحمه الله وإياي.

٤٠

(أحمد بن عبد الحليم)

ابن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن تيمية^(١)

الحرّانيّ الدمشقيّ الحنبليّ، تقي الدين أبو العباس، شيخ الإسلام إمام الأئمة المجتهد المطلق. ولد سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة، وتحوّل به أبوه من حرّان سنة ٦٦٧ سبيع وستين وستمائة، فسمع من ابن عبد الدايم، والقاسم الإربلي، والمسلم بن علان، وابن أبي نمر، والفخر، ومن آخرين؛ (قال ابن حجر) في الدرر: وقرأ بنفسه، ونسخ سنن أبي داود، وحصل الأجزاء. ونظر في الرجال والعلل. وتفقه، وتمهّر، وتقدّم، وصنّف، ودرّس، وأفقّى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوّة الجنان والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف. انتهى. (وأقول): أنا لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظنه سمح الزمان ما بين عصر الرجلين بمن يُشابههما أو يقاربهما. (قال الذهبي) ما ملخصه: كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف التي يوردها منه. ولا أشدّ استحضاراً للمتون وعزوها منه. وكانت السنّة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة. وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه. وأما أصول الديانة ومعرفة أقوال المخالفين فكان لا يُشقّ غباره فيه، هذا؛ مع ما كان عليه من الكرم والشجاعة، والفراغ عن ملاذّ النفس. ولعل فتاويه في الفنون تبلغ ثلاثمائة مجلد، بل أكثر. وكان قوَّالاً بالحق، لا تأخذه بالله لومة لائم. ثم قال: ومن خالطه وعرفه قد ينسبني إلى التقصير فيه. ومن نابذه وخالفه قد ينسبني إلى التغالي فيه. وقد أوديت من الفريقين من أصحابه وأضداده. وكان أبيض، أسود الرأس واللحية قليل الشيب. شعره إلى شحمة أذنيه، كأنّ عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم، (قال): ولم

(١) ترجمته في: البداية والنهاية: ١٤١/١٤؛ النجوم الزاهرة: ٢٧١/٩؛ كشف الظنون: ١٣٥،

٢٢٠، ٢٦٠، ١٨٧٢، ١٩١٣؛ إيضاح المكنون: ٢٣/١، ٢٥، ٩٧؛ معجم المؤلفين: ١/

٢٦١؛ الأعلام: ١/١٤٤؛ الدرر الكامنة: ١/١٤٤؛ تاريخ آداب اللغة: ٢٥٦/٢.

أر مثله في ابتهاله واستعانت به بالله وكثرة توجهه . وأنا لا أعتقد فيه عصمة ، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية ؛ فإنه كان مع سعة علمه ، وفرط شجاعته وسيلان ذهنه وتعظيمه لحرمان الدين بشراً من البشر ، تعتريه حدة في البحث وغضب وصدمة للخصوم ، تزرع له عداوة في النفوس . ولولا ذلك لكان كلمة إجماع ، فإن كبارهم خاضعون لعلومه ، معترفون بأنه بحر لا ساحل له ، وكنز ليس له نظير . ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً . وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك . قال : وكان محافظاً على الصلاة والصوم ، معظماً للشرائع ظاهراً وباطناً ، لا يؤتى من سوء فهم ؛ فإن له الذكاء المفرط ، ولا من قلة علم فإنه بحر زاخر ، ولا كان متلاعباً بالدين ، ولا ينفرد بمسائل بالتشهي ، ولا يطلق لسانه بما اتفق ، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس وببرهن وينظر أسوة بمن تقدمه من الأئمة . فله أجر على خطئه وأجران على إصابته . انتهى . ومع هذا فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل . وامتنحن مرة بعد أخرى في حياته . وجرت فتن عديدة ، والناس قسمان في شأنه ، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه بل يرميه بالعظائم . وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد ، ويتعصب له كما يتعصب أهل القسم الأول عليه . وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية ، ويفوق أهل عصره ويدين بالكتاب والسنة ، فإنه لا بد أن يستنكره المقصرون ، ويقع له معهم محنة بعد محنة . ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى ، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين ، ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره . وهكذا حال هذا الإمام ، فإنه بعد موته عرّف الناس مقداره ، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به ، وطارأت مصنفاته واشتهرت مقالاته . وأول ما أنكر عليه أهل عصره في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ أنكروا عليه شيئاً من مقالاته فقام عليه الفقهاء ، وبحثوا معه ، ومُنِع من الكلام . ثم طُلب ثاني مرة في سنة ٧٠٥ إلى مصر فتعصّب عليه بعض أركان الدولة ، وهو (بَيْرُوس الجاشنكير) وانتصر له ركن آخر وهو (الأمير سلار) ثم آل أمره أن حُبِس في خزانة البنود مدة ، ثم نُقل في صفر سنة (٧٠٩) إلى الإسكندرية . ثم أفرج عنه وأعيد إلى القاهرة ، ثم أعيد إلى الإسكندرية . ثم حضر السلطان الناصر من الكرك فأطلقه ، ووصل إلى دِمَشق في آخر سنة (٧١٢) وكان السبب في هذه المحنة أن مرسوم السلطان ورد على النائب بامتحانه في معتقده لما رفع إليه من أمور تنكر في ذلك ، فعقد له مجلس في سابع رجب فسئل عن عقيدته ، فأملى منها . ثم أحضروا العقيدة التي تعرف بالواسطية فقرأ منها . وبحثوا في مواضع ، ثم اجتمعوا في ثاني عشره وقرّروا الصفيّ الهنديّ يبحث معه ، ثم آخروه وقدّموا الكمال الزمّلكاني ، ثم انفصل الأمر على أنه أشهد على نفسه أنه شافعي المعتقد ، فأشاع أتباعه أنه انتصر ، فغضب خصومه ورفعوا واحداً من أتباع ابن تيمية

إلى الجلال القزويني نائب الحكم بالعادلية فعزّره، وكذا فعل الحنفي باثنين منهم. وفي ثاني عشر رجب قرأ المَزَيّ فصلاً من كتاب أفعال العباد للبُخاريّ في الجامع، فسمع بعض الشافعية فغضب وقال: نحن المقصودون بهذا ورفعوه إلى القاضي الشافعي فأمر بحبسه. فبلغ ابن تيمية فتوجه إلى الحبس فأخرجه بيده، فبلغ القاضي فطلع إلى القلعة فوافاه ابن تيمية فتشاجرا بحضرة النائب. فأمر النائب من ينادي أن من تكلم في العقائد فعل به كذا وقصد بذلك تسكين الفتنة. ثم عقد له مجلس في سلخ شهر رجب، وجرى فيه من ابن الرّمْلَكاني، وابن الوكيل مباحثة. فقال ابن الرّمْلَكاني لابن الوكيل ما جرى على الشافعية قليل، حيث تكون أنت رئيسهم، فظن القاضي ابن صصرى أنه يُعرّض به فعزل نفسه. ثم وصل بريد من عند السلطان إلى دمشق أن يرسلوا بصورة ما جرى في سنة (٦٩٨) ثم وصل مملوك النائب وأخبر أن بيبرس والقاضي المالكي قد قاما في الإنكار على ابن تيمية، وأن الأمر قد اشتد على الحنابلة حتى صفع بعضهم. ثم توجه القاضي ابن صصرى، وابن تيمية صحبة البريد إلى القاهرة، ومعهما جماعة فوصلا في العشر الأخيرة من رمضان. وعقد مجلس في ثاني عشرينه بعد صلاة الجمعة فادعي على ابن تيمية عند المالكي، فقال: هذا عدوي ولم يجب عن الدعوى، فكرر عليه فأصرّ. فحكم المالكي بحبسه، فأقيم من المجلس وحُسب في برج. ثم بلغ المالكي أن الناس يترددون إليه. فقال: يجب التضييق عليه إن لم يقتل، وإلا فقد ثبت كفره. فنقلوه ليلة عيد الفطر إلى الحب. ولقد أحسن المترجم له رحمه الله بالتصميم على عدم الإجابة عند ذلك القاضي الجريء الجاهل الغبي، ولو وقعت منه الإجابة لم يبعد الحكم بإراقة دم هذا الإمام الذي سمح الزمان به، وهو بمثله بخيل. ولا سيما هذا القاضي من المالكية الذي يقال له ابن مخلوف، فإنه من شياطينهم المتجربين على سفك دماء المسلمين بمجرد أكاذيب وكلمات ليس المراد بها ما يحملونها عليه، وناهيك بقوله إن هذا الإمام قد استحق القتل وثبت لديه كفره، ولا يساوي شعرة من شعراته، بل لا يصلح لأن يكون شسعا لنعله. وما زال هذا القاضي الشيطان يتطلب الفرص التي يتوصل بها إلى إراقة دم هذا الإمام فحجبه الله عنه، وحال بينه وبينه والحمد لله رب العالمين. ثم بعد هذا تُودي بدمشق أن من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ دمه وماله، خصوصاً الحنابلة، فنودي بذلك، وقرئ المرسوم؛ قرأه ابن الشهاب محمود في الجامع. ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي، وكان من أعظم القائمين على المترجم له الشيخ نصر المنبجي لأنه كان بلغ ابن تيمية، أنه يتعصب لابن العربي، فكتب إليه كتاباً يعاتبه على ذلك فما أعجبه، لكونه بالغ في الحطّ على ابن العربي وكفره. فصار هو يحطّ على ابن تيمية ويغري بيبرس الذي يفرط في محبة

نصر وتعظيمه. وقام القاضي المالكي المتقدم ذكره مع الشيخ نصر وبالع في أذية الحنابلة. واتفق أن قاضي الحنابلة كان قليل البضاعة في العلم فبادر إلى إجابتهم في المعتقد، واستكتبوا خطه بذلك. واتفق أن قاضي الحنفية بدمشق وهو شمس الدين بن الجزري انتصر لابن تيمية، وكتب في حقه محضراً بالثناء عليه بالعلم والفهم، وكتب فيه بخطه ثلاثة عشر سطراً، من جملتها أنه منذ ثلاثمائة سنة ما رأى الناس مثله، فبلغ ذلك ابن مخلوف فسعى في عزل ابن الجزري، فعُزل وقرر عوضه شمس الدين الأذري. ثم لم يلبث الأذري أن عُزل في السنة المقبلة. وتعصّب سلار لابن تيمية وأحضر القضية الثلاثة الشافعي والمالكي والحنفي وتكلم معهم في إخراجهم، فاتفقوا على أنهم يشترطون فيه شروطاً، وأن يرجع عن بعض العقيدة. فأرسلوا إليه مرات، فامتنع من الحضور إليهم، واستمرّ على ذلك. ولم يزل ابن تيمية في الجب إلى أن تشفع فيه مهنا أمير آل فضل، فأخرج في ربيع الأول في الثالث والعشرين منه. وأحضر إلى القلعة. ووقع البحث مع بعض الفقهاء فكتب عليه محضر بأنه، قال: أنا أشعري. ثم اجتمع جماعة من الصوفية عند تاج الدين بن عطاء فطلعوا في العشر الأوسط من شوال إلى القلعة، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم في حق مشايخ الطريقة، وأنه قال: لا يستغاث بالنبي ﷺ، فاقتضى الحال أن أمر بتسييره إلى الشام، فتوجه على خيل البريد، وكل ذلك والقاضي زين الدين بن مخلوف مشغول بالمرض، وقد أشرف على الموت فبلغه سير ابن تيمية، فراسل النائب، فردّه من نابلس، وادعى عليه عند ابن جماعة وشهد عليه شرف الدين بن الصابوني. وقيل: إن علاء الدين القونوي شهد عليه أيضاً، فاعتقل بسجن حارة الدليمة في ثامن عشر شوال، إلى سلخ شهر صفر سنة (٧٠٩) فنقل عنه أن جماعة يترددون إليه وأنه يتكلم عليهم في نحو ما تقدم، فأمر بنقله إلى الإسكندرية، فنقل إليها في سلخ صفر. وكان سفره صحبة أمير مقدم ولم يمكن أحداً من جهته من السفر معه. وحُبس ببرج شرقي. ثم توجه إليه بعض أصحابه فلم يمنعوا منه، فتوجهت طائفة منهم بعد طائفة وكان موضعه فسيحاً، فصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه ويبحثون معه. فلم يزل إلى أن عاد الناصر إلى السلطنة، فشفع فيه عنده فأمر بإحضاره فاجتمع به في ثامن عشر شوال سنة (٧٠٩) فأكرمه، وجمع القضية فأصلح بينه وبين القاضي المالكي. فاشتراط المالكي أن لا يعود. فقال له السلطان قد تاب. وسكن القاهرة وتردد الناس إليه إلى أن توجه صحبة الناصر إلى الشام بنية الغزو سنة (٧١٢) فوصل إلى دمشق. وكانت غيبته منها أكثر من سبع سنين، وتلقاه جمع كثير فرحاً بمقدمه. وكانت والدته إذ ذاك حية. ثم قاموا عليه في شهر رمضان سنة (٧١٩) بسبب قوله: إن الطلاق الثلاث من دون تخلل رجعة بمنزلة طلقة واحدة. ثم عقد له مجلس آخر في رجب سنة (٧٢٠) ثم حُبس بالقلعة، ثم أخرج في

عاشوراء سنة (٧٢١) ثم قاموا عليه مرة أخرى في شعبان سنة (٧٢٢) بسبب مسألة الزيارة، واعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن (مات) في ليلة الاثنين، لعشرين من شهر ذي القعدة سنة (٧٣٨) بجامع دمشق. وصار يضرب المثل بكثرة من حضر جنازته. وأقل ما قيل في عددهم أنهم خمسون ألفاً (قال ابن فضل الله): لما قدم ابن تيمية على البريد إلى القاهرة في سنة (٧٠٠) حضّ أهل المملكة على الجهاد وأغلظ القول للسلطان والأمراء. ورتبوا له كل يوم ديناراً وطعاماً فلم يقبل ذلك. ثم قال: حضر عنده شيخنا أبو حيّان فقال: ما رأيت عينا مثل هذا الرجل، ومدحه بأبيات ذكر أنه نظمها بديهة منها: [من البسيط]

لما أتانا تقي الدين لاح لنا داع إلى الله فردّ ماله وزر
على محيّاه سيماء الأولى صحبوا خيّر البرية نور دونه القمر

(قال): ثم دار بينهما كلام فجرى ذكر سيويه فأغلظ ابن تيمية القول في سيويه، فنافره أبو حيان وقطعه، وصيّر ذلك ذنباً لا يغفر. وسئل عن السبب، فقال: ناظرته في شيء من العربية فذكرت له كلام سيويه، فقال: ما كان سيويه نبيّ النحو ولا كان معصوماً، بل أخطأ في الكتاب في ثمانين موضعاً، ما تفهمها أنت. فكان ذلك سبب مقاطعته إياه وذكره في تفسيره البحر بكل سوء، وكذلك في مختصره النهر. وقد ترجم له جماعة وبالغوا في الثناء عليه، ورثاه كثير من الشعراء، و(قال جمال الدين السرمدي) في أماليه: ومن عجائب زماننا في الحفظ ابن تيمية، كان يمرّ بالكتاب مرة مطالعة فينقش في ذهنه، وينقله في مصنّفاته بلفظه ومعناه. وحكى بعضهم عنه أنه قال: من سألني مستفيداً حققت له، ومن سألني متعنّناً ناقصته فلا يلبث أن ينقطع فأكفّ مؤنته. وقد ترجم له الصفدي وسرّد أسماء تصانيفه في ثلاث أوراق كبار. ومن أنفعها كتابه في (إبطال الحيل) فإنه نفيس جداً و(كتاب المنهاج في الرد على الروافض) في غاية الحسن لولا أنه بالغ في الدفع حتى وقعت له عبارات وألفاظ فيها بعض التحامل، وقد نسبته بعضهم إلى طلب الملك. لأنه كان يلهج بذكر (ابن تومرت) ونظرائه، فكان ذلك مولداً لطول سجنه. وله وقائع مشهورة. وكان إذا حوق وألزم، يقول: لم أرد هذا وإنما أردت كذا فيذكر احتمالاً بعيداً. ولعل ذلك - والله أعلم - أنه يصرح بالحق فتأباه الأذهان وتنبو عنه الطبائع لقصور الأفهام، فيحوّله إلى احتمال آخر دفعاً للفتنة. وهكذا ينبغي للعالم الكامل، أن يفعل، يقول الحق كما يجب عليه ثم يدفع المفسدة بما يمكنه. وحكي عنه أنه لما وصل إليه السؤال الذي وضعه السكاكيني على لسان يهودي وهو: [من الطويل]

أيا علماء الدين ذمّي بيّنكم تحيّر دُلّوه بأعظم حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرّضه منّي فما وجه حيلتي

إلى آخرها. فوقف ابن تيمية على هذه الأبيات فثنى إحدى رجله على الأخرى وأجاب في مجلسه قبل أن يقوم بمائة وتسعة عشر بيتاً أولها: [من الطويل]

سؤالك يا هذا سؤال مُعانِدٍ مُخاصِمِ رَبِّ العَرْشِ رَبِّ البَرِيَةِ
وقال ابن سيّد الناس اليَعْمُري في ترجمة ابن تيمية أنه برز في كل فنّ على أبناء جنسه، ولم ترّ عين من رآه مثله؛ ولا رأت عينه مثل نفسه. وقال الذهبي مترجماً له في بعض الإجازات: قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدل وهو دون البلوغ، وبلغ في العلوم والتفسير، وأفتى ودرّس، وهو دون العشرين، وصنّف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة مشايخه. وتصانيفه نحو أربعة آلاف كراسة وأكثر. (وقال): وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين، فضلاً عن المذاهب الأربعة فليس له فيه نظير. وقال: إنه لا يذكر مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأئمة. وقد خالف الأئمة الأربعة في عدة مسائل، صنّف فيها واحتج لها بالكتاب والسنة. وقد أثنى عليه جماعة من أكابر علماء عصره فمن بعدهم. ووصفوه بالتفرد، وأطلقوا في نعته عبارات ضخمة، وهو حقيق بذلك. والظاهر أنه لو سلم مما عرض له من المحن المستغرقة لأكثر أيامه، المكدره لذهنه، المشوشة لفهمه، لكان له من المؤلفات والاجتهادات ما لم يكن لغيره. قال الصفدي: وكان كثيراً ما ينشد: [من المتقارب]

تموتُ النفوسُ بأوصابها ولم يَدْرِ عُوَادُها ما بِها^(١)
وما أنصفتُ مُهجةً تشتكى أذاها إلى غيرِ أربابِها
ومما أنشد له على لسان الفقراء: [من مخلع البسيط]

والله ما فُقِرْنَا اختيَارُ وإنما فُقِرْنَا اضطرارُ
جماعةٌ كلُّنا كَسَالِي وأكلُنا مالَهُ عِيَارُ
تَسْمَعُ مِنَّا إذا اجْتَمَعْنَا حَقِيقَةُ كُلِّها فِشَارُ^(٢)

٤١

(أحمد بن عبد الرّحيم بن الحسين بن عبد الرّحمن

ابن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، الوليّ بن الزين العراقي)^(٣)

الآتي أبوه إن شاء الله تعالى. ولد في سحر يوم الاثنين ثالث ذي الحجة سنة

(١) الأوصاب: جمع الوَصَب: التعب. العُوَادُ: الزائرون في المرض.

(٢) الفشار: الكذب.

(٣) ترجمته في: شذرات الذهب: ١٧٣/٧؛ المنهل الصافي: ٣١٢/١؛ كشف الظنون: ١٢، =

٧٩٢ اثنتين وتسعين وسبعمائة^(١) بالقاهرة، وأحضره والده على جماعة من الشيوخ، ورحل به إلى دمشق، فأحضره بها على أعيان علمائها. ثم لما عاد من الرحلة إلى مصر اجتهد في استيفاء شيوخ الديار المصرية، وأخذ عن دَبٍّ ودَرْج. وكتب الطباقي وضبط الأسماء، وتدرَّب بوالده في الحديث وفنونه، وكذا في غيره من فقه وأصول وعربية ومعان وبيان. وبرع في جميع ذلك، وشارك في غيرها من الفضائل. وأذن له غير واحد من شيوخه بالإفتاء، والتدريس. واستمر يترقى لمزيد ذكائه حتى ساد، وأبدأ وأعاد، وظهرت نجابته ونباهته، واشتهر فضله، وبهر عقله مع حسن خلقه وخلقه، وشرف نفسه، وتواضعه، وانجماعه وصيانتة، وديانته وأمانته، وعفته، وضيق حاله، وكثرة عياله. ودرَّس وهو شاب في حياة أبيه. وقال أبوه في دروسه: [من البسيط]

دُرُوسُ أَحْمَدَ خَيْرٌ مِنْ دُرُوسِ أَبِيهِ وَذَاكَ عِنْدَ أَبِيهِ مُنْتَهَى أَرْبِهِ^(٢)

ولما توجه والده لقضاء المدينة وخطابتها، قام بجميع وظائفه إلا مشيخة دار الحديث فإنه انتزعها منه شيخه ابن الملكن، فتحرك لمعارضته ثم سكنه بعض مشايخه فسكن. ثم أضيفت إليه جهات أبيه بعد موته فزادت رئاسته، وانتشرت في العلوم وجاهته، وأضيف إليه في بعض الأوقات قضاء منوف، وناب في القضاء عن العماد الكركي نحو عشرين سنة. ثم ترفع عن ذلك وفرغ نفسه للإفتاء والتدريس والتصنيف، إلى أن خطبه الظاهر ططر بغير سؤال، إلى قضاء الديار المصرية في منتصف شوال سنة (٨٢٤) مع وجود السعاة فيه بالبدل. وذلك عقب موت الجلال البلقيني بأربعة أيام. فسار فيه أحسن سيرة بعفة ونزاهة، وحرمة وصرامة، وشهامة ومعرفة. وكان يحض أصحابه على الاهتمام بإجابة من يلتمس منهم الشفاعة عنده عملاً بالسنة. وقام عليه جماعته حتى ألزموه بتفضيل الرفيع من الثياب. وقرروا له أن في ذلك قوة في الشرع وتعظيماً للقائم به. وإلا فلم يكن عزمه التحول عن جنس لباسه من قبل. واستمر حتى صُرف، لتصميمه على الحق، وعدم مداراته لأهل الدولة، في أمور لا يحتملونها حتى شقَّ ذلك عليهم فتماثلوا عليه. وكانت مدة ولايته سنة دون شهرين، فتمالت وتكدرت الخواطر الصافية لعزله، وتنغصت معيشته، ولكنه لزم طريقته في الأكباب على نشر العلم وتصنيفه إلى أن (مات) قبل استكمال سنة من صرفه مبطوناً شهيداً، آخر يوم الخميس سابع عشر من شعبان سنة ٨٢٦ ستَّ وعشرين وثمانمائة، ثم دُفن إلى جنب والده بتربته. (قال ابن حجر): ولما صُرف من القضاء حصل له

= ١١٧، ٤٦٤؛ إيضاح المكنون: ٤٦/١، ٥٤، ٨٣/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٧٠/١؛ الأعلام: ١٤٨/١.

(١) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م، ونراه الأصوب.

(٢) الأَرَبُ: البُغْيَةُ والمُنْيَةُ، أو الحاجة الشديدة.

سوء مزاج من كونه صُرف ببعض تلامذته، بل ببعض من لا يفهم عنه كما ينبغي. فكان يقول: لو عُزلت بغير فلان ما صَعُب عليّ، وله مؤلفات، منها (البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مُسَّ بضربٍ من التجريح) و(المستجد في مهمات المتن والإسناد) و(تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل) و(أخبار المُدلسين) والذيل على «الكاشف» للذهبي. وأضاف إليه رجال مُسند أحمد. و(الإطراف بأوهام الأطراف) للمزي، و«شرح السنن» لأبي داود، كتب قطعة منه، وعمل التعقيبات على الرافعي، كتب منه نحو ستة مجلدات. وشرح «جمع الجوامع» شرحاً مختصراً. واختصر «الكشاف» مع تخريج أحاديثه وتتمات ونحوها. وله تذكرة مفيدة في عدة مجلدات. وأقرأ مصنفاته في حياته. وكان يُسرُّ بذكره، وله نظم ونثر كثير.

٤٢

(أحمد بن عبد الله بن بَدْر بن مُفرح ابن بَدْر بن عثمان بن كامل بن ثَعْلَب الشهاب العامري الغزي ثم الدمشقي الشافعي)^(١)

ولد في ربيع الأول سنة ٧٧٠^(٢) سبعين وسبعمئة بغزة، ونشأ بها، فحفظ القرآن والتنبيه، ثم في كبره «الحاوي»، وأخذ عن قاضيهما العلاء عليّ بن خَلَف، وسمع عليه «الصحيح»، ثم تحول إلى دمشق بعد الثمانين، وهو فاضل، فقطنها وأخذ بها عن جماعة من أهلها. ورحل إلى القدس، فأخذ عن التقي القلقشندي، وبرع في الفقه وأصوله، وشارك في غيرهما، مع مذاكرة حسنة في الحديث ومتعلقاته. وناب في الحكم عن الشمس الأحنائي، وعُيِّن مرةً للقضاء استقلالاً فلم يتم، وولي إفتاء دار العدل، والتدريس بعدة أماكن، وتصدّر للإقراء والإفتاء، واشتهر برئاسة الفتوى بدمشق، فلم يبق في أواخر عمره من يقاربه. وله تصانيف، منها (شرح الحاوي الصغير) في أربعة مجلدات و(شرح جمع الجوامع) و(شرح مختصر المهمات للإسنوي) في خمسة أسفار. وحجّ من دمشق غير مرة، وجاور بمكة ثلاث سنين متفرقة، وكانت (وفاته) بها مبطوناً في ظهر يوم الخميس سادس شوال سنة ٨٢٢ اثنتين وعشرين وثمانمئة، وصُلِّي عليه عند باب الكعبة، ودفن في المعلاة. (قال ابن حجر)

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٣٥٦/١؛ المنهل الصافي: ٣٢٩/١؛ شذرات الذهب: ١٥٣/٧؛ كشف الظنون: ٥٩٦، ٦٢٦، ١٨٧٩؛ إيضاح المكنون: ١٢٠/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٨٥/١؛ الأعلام: ١٥٩/١.

(٢) في رواية: ٧٦٠هـ/١٣٥٩م.

في أنبائه: وبلغني أن صديقه النجم المرجاني رآه في النوم. فقال له: ما فعل الله بك، فتلا عليه ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(١) الآية [يس: ٢٦].

٤٣

(السيد أحمد بن عبد الرحمن ابن الحسين بن عز الدين بن الحسن الشامي)

ولد تاسع شهر ذي الحجة سنة ١٠٩٥ خمس وتسعين وألف، وكان من أكابر علماء صنعاء، قرأ في فنون العلم على مشايخها، فبرع في الآلات والفقه والحديث. ثم إن المتوكل قاسم بن حسين أرسل له ورغبه في أن يجعل بنظره من وصل من القاصدين من تهامة فأسعد، وكان يرسل إليه بما يحتاجون إليه من نقد وكسوة. ثم بعد ذلك ولّاه القضاء الأكبر بحضرته في صنعاء، فاستمر في ذلك إلى أن توفي المتوكل، ثم استمر على ذلك في أيام ولده المنصور حتى مات. ثم استمر في ذلك في أيام الإمام المهدي. وقد ارتفعت درجته في أيام المنصور ارتفاعاً زائداً حتى كان مقبول القول في الجليل والدقيق، وصار أمر القضاء في جميع جهات اليمن منوطاً به، وكان يصدع بالحق مع حسن صناعته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله شهرة كبيرة، وصولة عظيمة في مملكة اليمن، وكان يضرب بعقله ورصانته المثل. وإلى الآن كذلك، وله شغف بالعلم والتدريس. وله تلامذة منهم القاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن الآتي ذكره إن شاء الله. ومن حسن أخلاقه وقوة اصطباره واحتماله أنه سمّه رجل ظن أنه غير عليه بعض أمور دنياه، فاستمرّ الإسهال معه مقدار سنة، ولم يحدث بذلك أحداً، وكافأ الذي سمّه بإيصاله إلى مطلبه والقيام في قضاء غرضه. فلله در هذه الأخلاق الشريفة. وتوفي رحمه الله يوم الأحد السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ١١٧٢ اثنتين وسبعين ومائة وألف.

٤٤

(أحمد بن عبد الله الضمدي)

ولد في سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف تقريباً^(٢)، وقرأ ببلده على من بها من أهل العلم. ثم ارتحل إلى صنعاء فأخذ عن جماعة من أكابر علمائها كشيخنا السيد

(١) يريد قول الله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ بما غفر لي ربّي وجعلني من المكرمين [يس: ٢٦، ٢٧].

(٢) في رواية: سنة ١١٧٤ هـ.

الإمام عبد القادر بن أحمد، والقاضي العلامة أحمد بن مُحَمَّد قاطن، وشيخنا العلامة قاسم بن يَحْيَى الخَوْلَانِي، وغيرهم. وعاد إلى وطنه وقد برع في الفقه والحديث والعربية. ثم بعد وصوله إلى بلده عكف عليه الطلبة من أهلها ورغبوا فيه وأخذوا عنه فنوناً من العلم، وعظم شأنه هنالك، وصار المرجع إليه في التدريس والإفتاء في (ضمد) وغيرها، كصيبا، وأبي عريش. ثم ارتحل إلى صنعاء رحلة أخرى فقرأ عليّ في «شرح الغاية»، وسألني بمسائل عديدة أجبت عليها بجواب سميته (العقد المنضد في جيد مسائل علامة ضمد) ثم عاد إلى بلاده، وهو الآن مستمر على حاله الجميل في نشر العلم والفتوى والزهد والاشتغال بخاصة النفس. ثم (مات) رحمه الله في سنة ١٢٢٢ اثنتين وعشرين ومائتين وألف تقريباً.

٤٥

(مولانا الإمام المتوكل على الله أحمد ابن الإمام المنصور بالله عليّ ابن الإمام المهدي العباس)

ابن الإمام المنصور بن الحسين ابن الإمام المتوكل القاسم بن حسين بن أحمد بن حسن بن القاسم. وسيأتي تمام نسبه في ترجمة جدّه الحَسَن بن القاسم. مولده حفظه الله حسبما أخبرني به في أول شهر محرم سنة ١١٧٠^(١) سبعين ومائة وألف. وهو أكبر أولاد أبيه. ولما صارت الخلافة إلى أبيه جعل إليه بعد مضيّ نحو نصف سنة إمارة الأجناد، وولاية صنعاء وما إليها، فباشر ذلك بحرمة وافرة ومهابة ونجابة وحسن سياسة، وبعثه والده لحرب من يناوئه غير مرة فظفر، وانتصر. وهو ميمون النقيية، ما باشر حرباً من الحروب إلّا وكان الغلب له. وله في ذلك مواقف لا يتسع المقام لبسطها، منها حرب (حده) بينه وبين بكيل، لما خرج بهم سيدي علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق بن المهدي. ومنها خروجه بجنده إلى بني الحارث لما أفسدوا فاستولى على جميعهم. ومنها حرب الروضة لما خرج أهلها عن الطاعة بسبب تغرير جماعة من السادة الكباسية وآل أبي طالب عليهم، وعاضدهم على ذلك سيدي أحمد بن عبد الله بن المهدي، فاستولى عليهم مولانا المتوكل على الله في أيام والده رحمه الله. وما زال في خلافة والده جميعها يسوس أمر الناس وينوب عن أبيه في كثير من الأمور، ويفاوضه الوزراء في غالب ما تدعو إليه الحاجة، حتى ولي الوزارة الفقيه حسن بن حسن عثمان بعد والده فلم يسلك مسلك الوزراء، بل ما زال يواحش بين الإمام المنصور بالله رحمه الله وولده. وتزايد الأمر مع سوء تدبير الوزير المذكور

(١) ترجمته في: نيل الوتر: ١/١٥٣؛ الأعلام: ١/١٨٢.

وضعف رأيه حتى كادت الدولة أن تذهب، وتقاصر ظلها وهلكت الرعايا وانقطعت الطرق ومات كثير من أهل صنعاء جوعاً بسبب حصارها، فعند ذلك وقع من مولانا المتوكل على الله ما سيأتي في ترجمة والده رحمه الله. وكانت البيعة له في الليلة التي مات فيها والده وهي ليلة خامس عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف. وكنت أول من بايعه، وتوليت قبض البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم، وأعيان العلماء والرؤساء، وكان تحرير هذه الترجمة في اليوم الثاني من بيعته. وتولى وزارته الفقيه علي بن إسماعيل فارغ. وشاركه في بعض الأعمال القاضي حسن بن علي عبد الواسع. ثم (توفي) رحمه الله ليلة الأربعاء لعله سابع عشر شهر شوال سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف. وقام بعده ولده عبد الله، وتلقب بالمهدي، وكنت المتولي لأخذ البيعة له بعد مبايعتي له، وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٤٦

(أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد
ابن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن
ابن عبد الصمد بن تميم)^(١)

التقي أبو العباس الحسيني العبيدي البعلي الأصل القاهري. ويُعرف بابن المقرزي، وهي نسبة لحارة في بعلبك تعرف بحارة المقارزة، (قال السخاوي): كان مولده حسبما كان يخبر به ويكتبه، بعد الستين، يعني وسبعمئة. وقال ابن حجر: إنه رأى بخطه ما يدل على تعيينه في سنة ٦٦ ست وستين بالقاهرة، ونشأ بها نشأة حسنة فحفظ القرآن وسمع من جماعة من الشيوخ كالأمدي، والبلقيني، والعراقي، والهيثمي. وحج فسمع بمكة من علمائها، وسمع في الشام من جماعة، واشتغل كثيراً، وطاف على الشيوخ، ولقي الكبار، وجالس الأئمة، وتفقه حنفياً على مذهب جدّه لأُمّه، ثم تحول شافعيّاً (قال السخاوي): ولكن كان مائلاً إلى الظاهر، وكذا قال ابن حجر: إنه أحب الحديث فواظب عليه حتى كان يتهم بمذهب ابن حزم. انتهى. ونظر في عدة فنون، وشارك في الفضائل، وقال النظم والنثر، وناب في الحكم وكتب

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢١/٢؛ شذرات الذهب: ٢٥٥/٧؛ المنهل الصافي: ٣٩٤/١؛ كشف الظنون: ٧، ٧١، ١٥٨، ١٧٠؛ إيضاح المكنون: ١٠٠/١، ٢٠٧، ٥١٢/٢؛ معجم المؤلفين: ١١/٢؛ الأعلام: ١٧٧/١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٨٤٤/٣؛ تاريخ آداب اللغة: ١٨٤/٢.

التوقيع، وولي الحسبة بالقاهرة غير مرة، والخطابة بجامع عمرو، والإمامة بجامع الحاكم، وقراءة الحديث بالمؤيدة، وحُمدت سيرته في مباشراته كلّها، وكان قد اتصل بالظاهر برقوق، ودخل دمشق مع ولده الناصر، وعرض عليه قضاءها مراراً فأبى، وصحب (بشيك الدوادار) وقتاً، ونالته منه دنيا، وحجّ غير مرة، وجاور، وكذا دخل دمشق مراراً وتولى بها تداريس، ثم أعرض عن جميع ذلك، وأقام ببلده عاكفاً على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره، وبعد فيه صيته، وصارت له فيه جملة تصانيف (كالخطط والآثار للقاهرة) وهو من أحسن الكتب وأنفعها، وفيه عجائب ومواعظ، وكان فيه ينشر محاسن العبيدية ويفخم شأنهم ويشيد بذكر مناقبهم. وكنت قبل أن أعرف انتسابه إليهم أعجب من ذلك كونه على غير مذهبهم، فلما وقفت على نسبه علمت أنه استروح إلى ذكر مناقب سلفه (قال السخاوي): إن المترجم له ظفر بمسودة للأوحدي في خطط القاهرة وآثارها فأخذها وزاد فيها زوائد غير طائلة ونسبها لنفسه. انتهى. والرجل غير مدفوع عن فضل لا سيما في التاريخ وما يتعلق به واللّه أعلم. ومن مؤلفاته (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) ذكر فيه من عاصره، و(إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والمتاع) و(عقد جواهر الأسفاط في ملوك مصر والفسطاط) و(البيان والإعراب عمّا في أرض مصر من الأعراب) و(الإمام فيما بأرض الحبشة من ملوك الإسلام) و(الطرفة الغربية في أخبار وادي حضرموت العجيبة) و(معرفة ما يجب لأهل البيت النبوي على من عداهم) و(إيقاظ الحنفاء، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء) و(السلوك، بمعرفة دول الملوك) و(التاريخ الكبير) وهو في ستة عشر مجلداً، وله مؤلفات غير هذه، ووُجد بخطه أن تصانيفه زادت على مائتي مجلد، وأن كبار شيوخه بلغت ستمائة نفس. وكان متبحراً في التاريخ على اختلاف أنواعه. ومؤلفاته تشهد له بذلك وإن جحد السخاوي فذلك دأبه في غالب أعيان معاصريه. وكان حسن الخبرة بالزائرة، والأسطرلاب، والرمل، والميقات. (قال ابن حجر) في ترجمته: له النظم الفائق، والنثر الرائق، والتصانيف الباهرة، خصوصاً في تاريخ القاهرة، فإنه أحيا معالمها، وأوضح مجاهلها، وجدد مآثرها، وترجم أعيانها. (قال): وكان حسن الصحبة، حلو المحاضرة. (مات) في عصر يوم الخميس سادس عشر رمضان سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة بالقاهرة. ومن شعره: [من الطويل]

سَقَى عَهْدَ دِمْيَاطَ وَحَيَّاهُ مِنْ عَهْدِ فَقَدْ زَادَنِي ذِكْرَاهُ وَجَدَّاهُ عَلَى وَجْدِي
وَلَا زَالِ الْأَنْوَاءُ يَسْقِي سَحَابُهَا دِيَاراً حَكَتْ مِنْ حُسْنِهَا جَنَّةَ الْخُلْدِ

٤٧

(أحمد بن عليّ بن عبد الكافي بن يحيى بن تمام بن يوسف
ابن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن سليم السُبُكي^(١))

أبو حامد، بهاء الدين. ولد بعد المغرب من ليلة العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧١٩ تسع عشرة وسبعمائة، وأحضر على الحجار في الخامسة، وسمع على الدبوسي، والبدر بن جماعة. وبدمشق على ابن الجزري، والمزّي وغيرهما. (قال الذهبي) في المعجم المختص: الإمام العلامة المُدرّس. له فضائل وعلم جيد، وفيه أدب وتقوى. وساد وهو ابن عشرين سنة، وأسرع إليه الشيب فاتقى وهو في حدود العشرين. (قال ابن حجر): وكانت له اليد الطولى في علم اللسان، والعربية، والمعاني والبيان. وله (عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح) أبان عن سعة دائرة في الفن، وله تعليق على الحاوي، وعمل قطعة على «شرح المنهاج» لأبيه. وكان أديباً فاضلاً متعبداً، كثير الصدقة والحجّ والمجاورة، سريع الدمعة قائماً مع أصحابه، وولي قضاء الشام عوضاً عن أخيه في سنة (٧٦٢) فأقام سنة. ولم يصنع ذلك إلاّ حفظاً للوظيفة على أخيه، ثم ولي قضاء العسكر، وكان شرع في شرح «مختصر ابن الحاجب» فكتب منه قطعة لطيفة في مجلد. ولو أتمه لكان عشرة مجلدات، أو أكثر. وقال والده الشيخ تقي الدين لما درّس ولده هذا: [من البسيط]

دُرُوسُ أَحْمَدَ خَيْرٌ مِنْ دُرُوسِ عَلِيٍّ وَذَاكَ عِنْدَ عَلِيٍّ غَايَةُ الْأَمَلِ
وكان من رحّالي العالم، وكان أبوه قاضي الشام، فكثرت جهاته، واتسع ماله، لأنه ناب عن والده في جميع جهاته وضمّ إلى ذلك وظائف عدة. وكان إذا مات مَنْ له تدريس أو نحوه سعى فيه لنفسه. (ومات) مجاوراً بمكة ليلة الخميس السابع عشر من شهر رجب سنة ٧٦٣ ثلاث وستين وسبعمائة، وله أربع وخمسون سنة وبعض أشهر.

٤٨

(السيد أحمد بن عليّ بن مُحسن
ابن الإمام المُتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الصَّنْعيّ)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف. واشتغل بطلب العلم بعد أن قارب

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٢١٠/١؛ النجوم الزاهرة: ١٢١/١١؛ شذرات الذهب: ٢٢٦/٦؛ المنهل الصافي: ٣٨٥/١؛ كشف الظنون: ٧٧، ٦٢٥، ١٨٧٣؛ إيضاح المكنون: ٧٢٨/٢؛ الأعلام: ١٧٦/١؛ معجم المؤلفين: ١٢/٢؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٨٠٧/٣.

الخمسين من عمره. ثم قرأ عليّ في النحو، والصرف، والمنطق، والمعاني، والبيان، والحديث، والتفسير، وأدرك إدراكاً كاملاً لا سيما في العلوم الآلية. وفهمه جيد، وفكره صحيح، وتصوّره حسن، وإدراكه كامل. وأكّـب على الاشتغال عليّ نحو عشر سنين مع جماعة من الطلبة، ثم جرى بينه وبين بعضهم ما يجري بين أمثالهم من المنافسة فانزعج. ومع كثرة تخيله ظنّ أنّي مؤثّر لمن نافسه عليه، فصار بعد ذلك يروي ما قد حفظه عني من اجتهاداتي الجارية على نمط الدليل التي يخالف ما عليه غالب من لا تمييز له. وكان لديه كتاب لي عارية أحسنت إليه بعاريته فرأى فيه بخطي في مسألة الفرقة الناجية كلاماً مضمونه أنهم ليسوا بعض هذه المذاهب الإسلامية على التعيين، بل هم من تمسّك بالشرعية المطهرة، واهتدى بهدي المصطفى ﷺ على أي مذهب كان، وفي أي عصر وجد. ودفعت قول من قال إنهم فرقته، كما وقع لكثير من المتعصبين، فأقام هذا القيامة وما زال يعرضه على كل من له اشتغال بالعلم فلم يوافقه أحد على ذلك، فعاد يعرضه على المقصرين والعوام، ويوهمهم بأوهام لا حقيقة لها، فكادت تثور فتنة وقى الله شرّها. ثم طلبت منه إرجاع كتابي فما ساعد. كلّ هذا وله من الفهم والعرفان نصيب تامّ، وهو لا يخفى عليه خطأ نفسه، وبطلان ما زعمه، ولم يرع حق التعليم. وبعد ذلك ترك الاشتغال بالعلم، ولم يبق عليه من رونقه شيء. ورام أن يعود للقراءة عليّ فما ساعدته، وأرجع الكتاب المشار إليه بعد سنين، ومدحني بأبيات، وأظهر الندم على ما سلف منه عفى الله عنه. ومن جملة ما كتبه إليّ هذه القصيدة، وفيها إشارة إلى ما قدمته: [من البسيط]

يا قاضياً لفظ ماضٍ إذ تناوله	زَهَا بِهِ كُلُّ مَنْقُوصٍ مِنَ الْكَلِمِ ^(١)
وَلَمْ يَزَلْ كُلَّ مَمْدُودٍ يَمْدُ إِلَى	مَا نَالَ عَيْنِيهِ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ
وَكُلُّ مَا نَالَ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ فِيا	ذَا الْمَدِّ أَقْصِرْ وَلَا تَطْمَعْ وَلَا تَحْمِ
فَالاسْمُ مَرْجِعُ مَا يَحْوِيهِ مِنْ شَرَفٍ	إِلَى مُسَمَّاهُ مِنْ نَعْتٍ وَمِنْ عِلْمٍ
قَاضٍ بِبَهْجَتِهِ الْأَيَّامُ مُشْرِقَةٌ	كَالشَّمْسِ لَكِنَّ نَوْرَ الشَّمْسِ لَمْ يَدُمِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ دُنْيَانَا بِبَهْجَتِهِ	إِشْرَاقُهَا غَيْرُ مَسْلُوخٍ عَنِ الظُّلَمِ
قَاضٍ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لَقِيتَ بِهِ	كُلَّ الْأَفْاضِلِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ
يَخْشَى الْخُصُومَ ارْتِعَادًا مِنْ مَهَابَتِهِ	حَتَّى كَأَنَّ بِهِمْ ضَرْبٌ مِنَ اللَّئِمِ ^(٢)
لَأَنَّ مَا أَضْمَرُوهُ فِي فِرَاسَتِهِ	مِنْ حُسْنِ إِيْمَانِهِ نَارٌ عَلَى عِلْمٍ

(١) زَهَا زَهُوًّا، وَزَهُوًّا: تاه وتعاطف وافتخر.

(٢) اللَّئِمُّ: الجنون.

كَمْ مِنْ الدَّيْلَا مَا زَالَ مُلْتَزِمًا
فَالْمُبْتَغُونَ لغيرِ الحقِّ فِي نَقَمِ
صَحْبَتِهِ زَمَنَ التَّدْرِيسِ مُقْتَضِفًا
فَكَانَ بَرًّا رَوُوفًا بِي وَمُغْتَفَرًا
أَرَاهُ إِنْ طَالَ قَوْلِي فِي بَشَاعَتِهِ
وَعَبْتُ عَنْهُ زَمَانًا وَاتَّصَلْتُ بِهِ
قَاضِي قُضَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
فَقَامَ تَعْظِيمُهُ فِي صَدْرِ كُلِّ فَتَى
وَشَاعَ تَعْظِيمُهُ فِي النَّاسِ ثُمَّ غَدَا
وَمَثُلَ ذَلِكَ أَعَادِي تَوَاتَرَهُ
فَمَا تَغْيِيرُ شَيْءٍ كُنْتُ أَعْهَدُهُ
كَأَنَّهُ لِلنَّدَامَى مِنْ تَوَاضُعِهِ
فَقَامَ ذَلِكَ دَلِيلًا أَنْ هَمَّتْهُ
وَلَوْ أَحَلَّ الْفَتَى فِي النَّاسِ رُتْبَتَهُ
مُمْلَكًا كُلِّ أَقْلِيمٍ وَنَاصِيَةٍ
يَا مَنْ يَرَى أَنْ نَظْمِي قَدْ قُضِيَ بِهِ
لَيْسَتْ مُبَالِغَتِي فِيهِ مُبَالِغَةٌ
وَلَوْ أَتَيْتُ بِأَنْوَاعِ الْبَدِيعِ لَمَّا

مَنْ خَوْفِهِ عَادِلًا عَنْهَا إِلَى نَعَمِ^(١)
مِنْهُ وَكُلُّ مُحَقٍّ مِنْهُ فِي نَعَمِ
مَنْ رَوْضِ إِمْلَاهُ نُورَ الْحُكْمِ وَالْحُكْمِ
لِزَلَّتِي لَمْ يُعَاتِبْنِي وَلَمْ يَلْمِ
كَأَنَّهُ عَنْ كَلَامِي الْغَثِّ فِي صَمَمِ^(٢)
فِي رَتْبَةٍ هُوَ فِيهَا صَاحِبُ الْعِلْمِ
يَمِينُهُ قَاعِدًا فِي الصَّدْرِ لَمْ يَقُمْ
مُسْلِمٌ لِلْأَكُفِّ الطُّهْرِ مُسْتَلِمِ
عِنْدَ الْجَنِينِ كَرَأْيِ الْعَيْنِ فِي الرَّحِمِ
فِينَا وَفِي الْغَيْرِ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْأُمَمِ
قَبْلَ التَّصَدُّرِ فِي الْقَاضِي مِنَ السَّامِ
عَلَى جَلَالَتِهِ مِنْ أَصْغَرِ الْخَدَمِ^(٣)
مَنْ فَوْقَ ذَلِكَ الَّذِي يُعْطِي دَوَّوِ الْهَمَمِ
دَهْرًا لِأَصْبَحَ رَبَّ السَّيْفِ وَالْقَلَمِ
عَمَّالُهُ فِي نَوَاحِي مُضَرٍّ وَالْحَرَمِ
حَقَّ الْمَدِيحِ فَقَدْ أَخْطَأْتُ فَاسْتَقِمِ
وَلَا الْغَلُوْ غُلُوًّا يَا أَخَا الْهَمَمِ
قُضِيَ حَقًّا وَكَانَ الْعَجْزُ مُلْتَزِمِي

وهو الآن في قيد الحياة، لعلَّه قد صار في ستين سنة من عمره. وله إليّ أشعار غير هذه، ومسائل سألني عنها، وأجبتَه بأجوبة هي في مجموع جواباتي. ثم توفي رحمه الله لعلَّه في سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين ومائتين وألف.

٤٩

(أحمد بن علي بن محمد بن أحمد طشي الصَّعْدِي)

ثم الرِّدَاعِي، ولد تقريباً سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف، وقرأ في دمار،

(١) الألدُّ: الشديد الخصومة.

(٢) كلامٌ غَثٌّ: رديءٌ، قبيحٌ.

(٣) الندامى: الأصحاب على الشراب.

وغيرها، فصار عارفاً بالفقه والآلات، يفهم ذلك فهماً جيداً. وله ذكاء عظيم، وفطنة باهرة، وقوة عارضة، وحسن محاضرة، ورقة طبع، وانسجام خلق عجيب، ويشعر شعراً حسناً، سمع مني مدة إقامتي في مدينة (ذي جبلة) عند قدومي إليها مع مولانا المتوكل على الله في سنة ١٢٢٦ في «صحيح مسلم» وسمع في غيره. وكان يحضر للقراءة عند إقامتي هنالك، وهو الآن مقيم بمدينة رداغ^(١).

٥٠

(أحمد بن لطف الباري بن أحمد بن عبد القادر الورْد)

خطيب صنعاء، وابن خطيبها، ولد في شهر رمضان سنة ١١٩٢ اثنتين وتسعين ومائة وألف، وولاه الإمام المنصور بالله علي بن العباس الخطابة مكان والده العلامة التقي الفاضل الورع الزاهد المسند. وكان كل أحد من الناس لا يظن أنه يلحق به في الخطابة أحد. فلما مات استشرف للخطابة جماعة، وكان سن صاحب الترجمة إذ ذاك ثماني عشرة سنة، فقام بالخطابة قياماً لا يقوم به أحد، وفاق والده عن قرب، وهو الآن مُستمر على ذلك. وله شغلة بطلب العلم كبيرة، مع ذهن وقاد، وطبع منقاد، وفهم سليم، وفكر مستقيم، وقد صار معدوداً من العلماء مع حداثة سنّه. قرأ علي في «شرح الجلال» المعروف «بضوء النهار». وفي شرح «جمع الجوامع» للمحلي. وهو الآن مُستمر على ذلك، وعمره عند تحرير هذه الأحرف نحو العشرين سنة. ومن أعلم مشايخه الذين تخرّج بهم والده، ومنهم السيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر، والسيد العلامة مُحَمَّد بن يُوسُف بن أحمد بن يُوسُف. وبالجمله فهو من محاسن الزمن في غالب أوصافه، بحيث يقصر عن حسن سمته ورصانة عقله وطهارة لسانه وعفته ونزاهته كثير من أهل الأسنان العالية. ثم انجمع واعتزل الناس إما زهداً أو فراراً من الخطبة. كما يفعله كثير من عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين. أو أنه حدث في مزاجه سوداء أوجبت له الاستيحاش من الناس. وقام مقامه أخوه العلامة مُحَمَّد بن لطف الباري، وهو تلوّه في الفضائل. وله قراءة علي في أمهات الحديث، وسمع مني بعضاً من تفسيري، وقرأ على أخي يَحْيَى في الأصول وغيرها. وصار ثابت القدم في الخطابة بحيث أنه يفوق كثيراً من الخطباء، مع حسن أداء، وفصاحة لسان، وثبات جنان، وحسن أخلاق، وعمل بما في السنة المطهرة، وبالجمله فهو من محاسن العصر^(٢).

(١) في نيل الوطر: توفي سنة ١٢٧٩هـ.

(٢) قيل: توفي سنة ١٢٨٢هـ.

(أحمد بن علي بن محمد بن محمد ابن علي بن أحمد الشَّهاب، أبو الفضل الكناني العسقلاني)^(١)

القاهري الشافعي المعروف بابن حَجَر، وهو لقب لبعض آبائه، الحافظ الكبير الشهير، الإمام المنفرد بمعرفة الحديث وعِلَّله في الأزمنة المتأخرة. ولد في ثاني عشر شعبان سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر، ونشأ بها يتيماً في كنف أحد أوصيائه، فحفظ القرآن وهو ابن تسع. ثم حفظ «العمدة»، و«ألفية الحديث» للعراقي، و«الحاوي الصغير»، و«مختصر ابن الحاجب في الأصول» و«الملحة». وبحث في ذلك على الشيوخ، وتفقه بالبلقيني، والبرماوي، وابن الملقن، والعز بن جماعة؛ وعليه أخذ غالب العلوم الآلية والأصولية، كالمنهاج وجمع الجوامع وشرح المختصر والمطوّل. ثم حبَّ الله إليه فنَّ الحديث، فأقبل عليه بكلّيته. وطلبه من سنة ٧٩٣ وما بعدها، فعكف على الزين العراقي، وحمل عنه جملةً نافعةً من علم الحديث سنداً وممتناً وعللاً واصطلاحاً. وارتحل إلى بلاد الشام والحجاز واليمن ومكة وما بين هذه النواحي. وأكثر جدّاً من المسموع والشيوخ، وسمع العالي والنازل، واجتمع له من ذلك ما لم يجتمع لغيره. وأدرك من الشيوخ جماعة كلّ واحدٍ رأس في فنه الذي اشتهر به. فالتنوخي في معرفة القراءات، والعراقي في الحديث، والبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع، وابن الملقن في كثرة التصانيف، والمجد صاحب القاموس في حفظ اللغة، والعز بن جماعة في تفننه في علوم كثيرة بحيث كان يقول: أنا أقرأ في خمسة عشر علماً لا يعرف علماء عصري أسماءها. ثم تصدّى لنشر الحديث، وقصّر نفسه عليه مطالعةً وإقراءً وتصنيفاً وإفتاءً، وتفرد بذلك، وشهد له بالحفظ والإتقان القريب والبعيد، والعدو والصديق، حتى صار إطلاق لفظ الحافظ عليه كلمة إجماع. ورحل الطلبة إليه من الأقطار، وطارت مؤلفاته في حياته وانتشرت في البلاد، وتكاتبت الملوك من قطرٍ إلى قطرٍ في شأنها، وهي كثيرةٌ جداً، منها ما كمل ومنها ما لم يكمل، وقد عدّدها السخاوي في «الضوء اللامع». وكذلك عدّد مصنفاته في الأربعينيات، والمعاجم، وتخريج الشيوخ والأطراف، والطرق، والشروح، وعلوم الحديث، وفنونه ورجاله في أوراق من ترجمته، ونقل عنه أنه قال: لست راضياً عن

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٣٦/٢؛ شذرات الذهب: ٢٧/٧؛ كشف الظنون: ٧، ٢٨،

١٦٧، ٨٧٧، ١٣٢٧، وغيرها؛ إيضاح المكنون: ١٣/١، ٦٩، ١٩٧/٢؛ معجم المؤلفين:

٢٢/٢؛ الأعلام: ١٧٨/١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٨٥٠/٣؛ تاريخ آداب اللغة: ٢/

شيء من تصانيفي، لأنني عملتها في ابتداء الأمر. ثم لم يتهياً لي من يُحررها معي سوى (شرح البخاري ومقدمته) و(المشتبه) و(التهذيب) و(لسان الميزان). وروى عنه في موضع آخر أنه أثنى على شرح البخاري والتعليق والنخبة. ولا ريب أن أجل مصنفاته (فتح الباري) وكان شروعه في تصنيفه سنة ٨١٧ على طريق الإملاء. ثم صار يكتب من خطّه، يداوله بين الطلبة شيئاً فشيئاً. والاجتماع في يوم من الأسبوع للمقابلة والمباحثة إلى أن انتهى في أول يوم من رجب سنة ٨٤٢ سوى ما ألحق فيه بعد ذلك، وجاء بخطّه في ثلاثة عشرة سفرأ، وبيض في عشرة وعشرين وثلاثين، وأقل وأكثر. وقد سبقه إلى هذه التسمية شيخه صاحب القاموس، فإنه وجد له في أسماء مصنفاته أن من جملتها «فتح الباري في شرح صحيح البخاري»، وأنه كمل ربعه في عشرين مجلداً. وله مؤلفات في الفقه وأصوله، والعروض، والآداب، سردها السخاوي، وقال بعد ذلك: إنها تهادت تصانيفه الملوك بسؤال علمائهم لهم في ذلك، حتى ورد كتاب في سنة ٨٣٣ من شاه رخ بن تيمور ملك الشرق يستدعي من السلطان الأشرف برسبای هدايا من جملتها (فتح الباري)، فجهّز له صاحب الترجمة ثلاثة مجلدات من أوائله. ثم أعاد الطلب في سنة ٨٣٩، ولم يتفق أن الكتاب قد كمل، فأرسل إليه أيضاً قطعة أخرى. ثم في زمن الطاهر جقمق جُهِزَتْ له نسخة كاملة. وكذا وقع لسلطان الغرب أبي فارس عبد العزيز الحفصي فإنه أرسل يستدعيه، فجهّز له ما كمل من الكتاب. وكان يجهز لكتبة الشرح ولجماعة مجلس الإملاء ذهباً يفرق عليهم. هذا ومصنفه حيّ رحمه الله، ولما كمل شرح البخاري تصنيفاً، وقراءةً، عمل مصنفه رحمه الله وليمة عظيمة بالمكان الذي بناه المؤيد، خارج القاهرة في يوم السبت ثامن شعبان سنة ٨٤٢، وقرأ المجلس الأخير هنالك، وجلس المصنف على الكرسي. قال تلميذه السخاوي: وكان يوماً مشهوداً لم يعهد أهل العصر مثله بمحضر من العلماء والقضاة والرؤساء والفضلاء. وقال الشعراء في ذلك فأكثروا، وفرّق عليهم الذهب. وكان المستغرق في الوليمة المذكورة نحو خمسمائة دينار. ووقعت في ذلك اليوم مطارحة أدبية، فمنها أن المقام الناصري قال للمصنف: يا مولانا شيخ الإسلام هذا يوم طيب فلعلّ أن تنعشونا فيه ببيت من مفرداتكم، لعل أن نمشي خلفكم فيه. فقال المترجم له: أخشى إن ابتدأت أن لا يكون موافقاً لما وقع في خاطرك، والأحسن أن تبتدئ أنت، فقال الناصري: [من السريع]

هَوَيْتَهَا بَيْضَاءَ رُعبُوبَةٍ قَدْ شَغَفَتْ قَلْبِي خَوْذُ زِدَاخٍ^(١)

(١) الرعبوبة: الغضة الطويلة الممتلئة الجسم، أو البضاء الحسناء الناعمة. الخوذ: الشابة الناعمة الحسناء الخلق. امرأة رداخ: ضخمة الأرداف، سمينة الأوراك.

فقال صاحب الترجمة:

سَأَلْتُهَا الْوَصْلَ فَضُنْتُ بِهِ إِنَّ قَلِيلاً فِي الْمَلَاكِ السَّمَا^(١)

فقال علي الدوساني:

قَدْ جَرَحْتُ قَلْبِي لِمَا رَأَيْتُ عُيُونَهَا السُّودَ الْمِرَاضُ الصَّحَا^(٢)

فَهَمَّهُمَ الشَّرْفَ الطُّنُونِي وَلَمْ يُمْكِنَهُ أَنْ يَقُولَ شَيْئاً، فقال صاحب الترجمة.

* مَا لِلطُّنُونِي غَدَا حَائِراً *

فقال الناصري لعليّ المُتَقَدِّم: أجزه، فقال: وحياء أبيك، السلاوي والفرس، فقال: هما لك من غير مُهْلَةٍ وتراخ. فقال:

* وَخَرَبَ الْبَيْتَ وَخَلَّى وَرَاحَ *

وكان للمترجم له يد طولى في الشعر قد أورد منه جماعة من الأدباء المصنفين أشياء حسنة جداً، كابن حجة في شرح البديعية، وغيره. وهم معترفون بعلو درجته في ذلك. ومما أحفظه الآن حال تحرير هذه الكلمات قوله: [من مجزوء الرمل]

بَنُودُهُ الْأَزْرَقُ لَمَّا شَدَّهُ مَنْ قَدْ سَبَانِي^(٣)

جَدُولٌ فَوْقَ كَثِيبٍ دَارَ يَسْقِي غُصْنَ بَانٍ^(٤)

وهذا غاية في الحسن، لا يلحق. وأورد له السخاوي في «الضوء اللامع» قوله:

[من الطويل]

خَلِيلِي وَلَى الْعُمُرُ مِنَّا وَلَمْ نَتُبْ وَنَثَوِي فَعَالَ الصَّالِحَاتِ وَلَكِنَّا

فَحَتَّى مَتَى نَبْنِي الْبُيُوتَ مَشِيدَةً وَأَعْمَارُنَا مِنَّا تُهْدُ وَمَا تُبْنَى^(٥)

وقد كان رحمه الله مُصَمِّماً على عدم الدخول في القضاء، ثم قُدِّرَ أَنَّ المؤيد ولَّاه الحكم في بعض القضاء، ثم عرض عليه الاستقلال به وألزم من أحبائه بقبوله فقبل واستقر في المحرم سنة ٨٢٧ بعد أن كان عرض عليه قبل ذلك وهو يأبى. وتزايد ندمه على القبول لعدم فرق أرباب الدولة بين العلماء وغيرهم، ومبالغتهم في اللوم لردِّ إشاراتهم وإن لم تكن على وفق الحق، واحتياجه لمدارة كبيرهم وصغيرهم بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام

(١) ضُنْتُ: بخلت. الملاح: الحصان.

(٢) رنت: أدامت النظر مع سكون طرف. عيون مراض؛ فاترة، منكسرة الأجفان.

(٣) البند: العلم. سباني: أسرني.

(٤) الكتيب: مجتمع الرمل، أو الطويل المحدودب منه.

(٥) بيوت مشيدة: مرتفعة البنيان.

بما يرومونه. وصرح بأنه جنى على نفسه بذلك، ولم يلبث أن صُرف، ثم أُعيد، ولا زال كذلك إلى أن أخلص في الإقلاع عنه عقب صرفه في جمادى الآخرة سنة ٨٥٢. وجميع مدد قضائه إحدى وعشرون سنة، وزهد في القضاء زهداً كبيراً لكثرة ما توالى عليه من المحن والأنكد بسببه. وصرح بأنه لم يبق في بدنه شعرة تقبل اسمه. وقد درّس بمواطن متعددة، واشتهر ذكره وبعد صيته، وارتحل إليه العلماء، وتبجح الأعيان بلقائه والأخذ عنه. وأخذ الناس عنه طبقةً بعد طبقة. وألحق الأصاغر بالأكابر، وامتدحه الكبار، وتبجح فحول الشعراء بمطارحته. واستمر على طريقته حتى (مات) في أواخر ذي الحجة سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة. وكان له مشهدٌ لم ير مثله من حضره من الشيوخ، فضلاً عمّن دونهم. وشهده أمير المؤمنين والسلطان فمن دونهما. وقدم الخليفة للصلاة عليه، ودفن تجاه تربة الديلمي بالقرافة، وتزاحم الأمراء والكبراء على حمل نعشه.

٥٢

(أحمد بن علي بن هادي النهي ثم الصنعاني)

ولد سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، واتصل بالإمام المهدي العباس بن الحسين قبل أن يلي الخلافة. وبعد أن ولي الخلافة جعله الوزير الأعظم، واستمر وزيراً حتى (مات). وكان صادق اللهجة، كثير البر والإحسان، ملازماً للطاعات والجماعات، مقبلاً على أهل العلم والفضل، كثير السعي فيما فيه صلاح المسلمين، لا رغبة له في الشر، ولا يجلبه إلى أحد. وأحبه الإمام المهدي محبةً شديدة، وكان يُعوّل عليه في جميع الأمور. ولم يكن كثير المال مع كونه قد ولي الوزارة زيادةً على خمسٍ وعشرين سنة، لأنه كان لا يأخذ إلا على وجه يأمن من عاقبته، ولو فعل كما يفعل غيره لترك من المال ما لم يسمع بمثله في وزارة الخلفاء باليمن. (ومات) ليلة الاثنين ثاني وعشرين ربيع الآخر سنة ١١٨٦ ستّ وثمانين ومائة وألف.

٥٣

(أحمد بن عماد بن يوسف)

ابن عبد النبي الشهاب أبو العباس الأقفهسي ثم القاهري^(١)

الشافعي، ويعرف بابن العماد. قرأ على الإسنوي، والبلقيني، والباجي،

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٤٧/٢؛ شذرات الذهب: ٧٣/٧؛ كشف الظنون: ٦٣/٣، ١٣٥، ٤٠٧، ٥٠٨؛ إيضاح المكنون: ٣/١، ٣٥، ١١/٢، ٢٢٩؛ معجم المؤلفين: ٢٦/٢؛ الأعلام: ١٨٤/١.

وآخرين. ومهر وتقدم في الفقه، وكتب على مهمات الإسنوي كتاباً سَمَّاهُ (التعقبات على المهمات) وشرح «المنهاج» عدة شروح، وله مؤلف في أحكام المأموم والإمام، وآخر في موقف الإمام والمأموم. وله منظومات، منها منظومة فيما يحل ويحرم من الحيوان، تزيد على أربعمئة بيت، (والتيبان في آداب حملة القرآن) تزيد على ستمائة بيت، وفي العقائد منظومة تزيد على خمسمائة بيت. وله مصنفات غير ذلك. (قال ابن حَجَر) في أنبائه: أحد أئمة الشافعية في هذا العصر، قال: وكان كثير الفوائد كثير الاطلاع والتصانيف، دمث الأخلاق، وفي لسانه بعض حبسة. (مات) في شهر جمادى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمئة. وكان في تعقباته على الإسنوي يكثُر من تخطئته. وربما أقذع في بعض ذلك، ونسبه إلى سوء الفهم وفساد والتصور، مع أنه شيخه. لكن قال بعض الفضلاء: ربما كان مقصده حسناً في ذلك لتضمنه التفات الناس إلى سماع ما رأى، وأن غيره أخطأ لأنه لو أورد الكلام ساذجاً بدونه لم يلتفتوا إليه لكون الإسنوي عندهم جليل المقدار، انتهى. وهذا محمل حسن، فإن في مثل ذلك تأثيراً ظاهراً، ولمثل هذا المقصد سلكت في حاشيتي على (شفاء الأوام) ذلك المسلك، ونسأل الله إصلاح الأقوال والأعمال.

٥٤

(أحمد بن أبي الفرج بركات الفارقاني، تاج الدين)

كان أبوه نصرانياً يُعرف بسعد الدولة، فأسلم، ولُقِّبَ بشرف الدين. وخدم ولده عند بهادر رأس النوبة، فتقدم إلى أن صار مُستوفي الدولة. فلماً ولي الأعز الوزارة المرة الثامنة، صادره وضربه بالمقارع، فترك المباشرة، وانقطع بزواية الشيخ نصر المنبجي. وكان الشيخ نصر صديق السلطان بيبس الجاشنكير، وقلَّ أن يخالفه في شيء، فكلَّمه في أمره فأعفاه من المباشرة. واستمرَّ بالزواية إلى أن حفظ البقرة، وآل عمران، وتوصَّل إلى أن استخدمه بيبس، وحصل له أموالاً جمّة في مدة يسيرة. وتقدم عنده إلى أن صار هو المتحدث في الدولة بأسرها، ولا يعمل فيها شيء إلا بعد مراجعته. وكان كثير الإعجاب والزهو بنفسه، والتعاضم، بحيث كان الشخص إذا كلمه وهو راكب أمر بضربه بالمقارع، فصنع ذلك مرتين أو ثلاثاً، فلم يجسر أحد أن يتحدث معه وهو راكب. وإذا نزل ودخل منزله لم يجسر أحد على الهجوم عليه، فيصبر الناس على اختلاف مراتبهم على بابه حتى القضاة. فصار مهاباً محترماً جداً، ومع ذلك فلا يقبل هدية، ولا يخالط أحداً، ولا يجتمع بغريب. ويقتصد في ملبسه فلا يلبس في الصيف إلا الشامي الرفيع الأبيض، ولا في الشتاء إلا الملطي الصوف الأبيض، ولا يرى عليه إلا فرجية بيضاء. ثم إنَّ سَلار ألزَمه بلبس خلعة الوزارة، وكان

شديد البغض له، فلم يستطع مخالفته، فلبسها في النصف من المحرم سنة ٧٠٦، فعمل بالوزارة ذلك اليوم بالقلعة على العادة، إلى أن انصرف إلى منزله وشيَّعه الناس. ثم أصبحوا إلى بابه ليركبوا في خدمته، فأقام حتى تعالى النهار، وأرسل يقول له مع غلامه أنه عزل نفسه، وتوجَّه إلى زاوية الشيخ نصر، فكتب نصر إلى بيبرس يشفع فيه، ولم يزل حتى أعفي عن الوزارة، وبقي على عادته، والأمر كلُّه إليه في جميع ما يرجع إلى الدولة، ولم يكن السلطان يكتب علامته على شيء حتى يرى خطه فيه، كذا ترجم له ابن حَجَر في الدُّرر، ولم يذكر وفاته.

٥٥

(أحمدُ بن مُحمَّد بن أحمد)

ابن جَاد اللَّهِ مُشَحَّم الصَّعْدِيّ ثم الصَّنْعَانِيّ

ولد سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء، وقرأ على شيخنا العلامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي في الفقه، وعلى غيره في العربية. واشتغل بالحديث، وكتب بخطه الحسن كتباً. ولما (مات) والده وكان قاضياً ولَّاه الإمام المهدي العباس بن الحسين القضاء بصنعاء من جملة قضائتها، وجعل له مقررًا. فباشر ذلك مباشرة حسنة، بعفة ونزاهة وديانة وأمانة وسكينة ووقار، فما زالت درجته ترتفع فيه. ولما مات الإمام المهدي، وقام مقامه مولانا الإمام المنصور بالله خليفة العصر، عظَّمه وركن عليه في أمورٍ جليلة. وهو الآن من أعيان القضاة ونبلائهم، وكل ما تولَّاه وحكم به انشاحت الخواطر وطابت به النفوس. وهو مُستمرٌّ على حاله الجميل مقبل على شأنه. وله ولدٌ علامة، هو مُحمَّد بن أحمد. سيأتي له ترجمة مُستقلة إن شاء الله تعالى.

٥٦

(أحمدُ بن مُحمَّد بن أحمد بن مُطَهَّر القَابِلِيّ)

نسبة إلى جماعة معروفة يسكنون بالقرب من حصن شبام حراز المعروف بالحرازي: شيخ شيوخ الفروع بلا مدافع، ولد حسبما كتبه إليّ بخطه في يوم الأضحى من شهر ذي الحجة سنة ١١٥٨ ثمان وخمسين ومائة وألف بدمار، ثم نشأ بها، وقرأ على العلامة عبد القادر بن حسين الشَّوَيْطَر، وعلى السيد العلامة الحسين بن يَحْيَى الدَّيْلَمِي. وبرز في الفقه والفرائض، وارتحل في أول شبابه إلى مدينة صنعاء، فاتصل بجماعة من أكابر أهلها كالقاضي العلامة أحمد بن مُحمَّد قاطن، والقاضي العلامة

إسماعيل بن يحيى الصديق. ثم أقرأ الطلبة في جامع صنعاء في «شرح الأزهار» لابن مفتاح، وفيما عليه من الحواشي الواسعة، وفي «بيان ابن مظفر»، وفي «شرح الناظري» على الفرائض. وعكف عليه الطلبة وانتفعوا به وتنافسوا في الأخذ عنه. وصارت تلامذته شيوخاً ومفتيين وحكاماً. وله عافاه الله قدرة على حسن التعبير، وجودة التصوير، مع فصاحة لسان، ورجاحة عقل، وجمال صورة، ووفور حظ عند جميع الخلق، لا تُردُّ له شفاعه، ولا يُكسر له جاه. وقد خُطبَ للأعمال الكبيرة، فقبل منها ما فيه السلامة في دينه. ودنياه، وأرجع ما عداه. واجتمع له من ذلك دنيا عريضة، صانه الله بها عن الوقوع فيما لا يشتهي من التورطات. وقد باشر قسمة تركة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، وتركه الإمام المهدي لدين الله العباس بن الحسين، فأحسن العمل في التركتين جميعاً، مع كثرة الورثة ذكوراً وإناثاً. وقد صار مولانا خليفة العصر حفظه الله يعتمد عليه في كثير من الأعمال. ولو رغب في القضاء لكان أهلاً له. وقد اعتمد الناس عليه في الفتوى، وقصدوه بالمشكلات من كل مكان. وتفرّد في معرفة الفقه، ولم يبق له الآن فيه نظير لا في صنعاء ولا في دمار، فإن شيخه العلامة الحسين بن يحيى المتقدم ذكره هو الآن حيٌّ، ولكنه لا يبلغ رتبته في خصوص هذا الفن، وإن كان له فنون أخرى. وقد لازمته في الفروع نحو ثلاث عشرة سنة، وانتفعت به وتخرّجت عليه، وقرأت عليه في «الأزهار» وشرحه وحواشيه ثلاث دفعات؛ الدفعتين الأوليين اقتصرنا على ما تدعو إليه الحاجة، والدفعة الثالثة استكملنا الدقيق والجليل من ذلك مع بحث وتحقيق. ثم قرأت عليه «الفرائض» للعصيفري، وشرحها للناظري وما عليه من الحواشي، وقرأت عليه «بيان ابن مظفر» وحواشيه. وكانت هذه القراءة قراءة بحثٍ وإتقانٍ وتحريّرٍ وتقرير. وهو الآن حفظه الله حيٌّ ينتفع الناس به في القراءة والفتوى وقضاء أغراضهم والقيام بما توجّه إليه من الأعمال. وأحواله جميلة، وغالب حركاته جليّة، عافاه الله ونفع بعلمه. ومات رحمه الله في شهر شوال سنة ١٢٢٧ سبع وعشرين ومائتين وألف.

٥٧

(السيد أحمد بن محمد بن إسحاق)

ابن المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم

ولد في سابع وعشرين شهر شعبان سنة ١١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء، وقرأ على علمائها في علم الآلة والأصول والحديث والتفسير، فبرع في جميع هذه المعارف. وكان له عناية بتصحيح النسخ، والكتب على هواشها،

وتوضيح غامضها. وعكف عليه الطلبة أياماً متداولة. ومن جملة تلامذته شيخنا العلامة عليّ بن إبراهيم بن عامر الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وله رئاسة عظيمة وجلالة فخيمة، وهو المتولي لأمر آل إسحاق بعد موت والده. وقد كان تولاها صنوه العلامة إبراهيم فتعقب ذلك خروج صاحب الترجمة من صنعاء مغاضباً للإمام المهدي العباس بن الحسين. ثم جرت خطوب كثيرة وآل الأمر أنه صولح على أن يعود ويكون له ما كان لوالده، ويقوم هو مقامه، فوصل إلى صنعاء، واستمر على ذلك إلى وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف. وبالجملة فهو من أكابر العلماء المحققين، وأفاضل السادة القادة المشهورين، وقام ولده العلامة الأديب الرئيس عليّ بن أحمد مقامه في جميع ما كان إليه، وستأتي له ترجمة مستقلة.

(٥٨)

(أحمد بن محمد المشهور)

بابن معصوم الحسيني الحجازي المولد

ذكر ولده عليّ في (سلافة العصر) له أن مولده ليلة الجمعة خامس عشر شهر شعبان سنة ١٠٢٧ سبع وعشرين وألف بالطائف، وحفظ القرآن وتلاه بالسبع، وأخذ الفقه عن شرف الدين اليافعي، والحديث عن السيد نور الدين الشامي، والعربية عن علي المكي، والمعقول عن الشمس الجيلاني. وبرع في الفنون سيما العربية، واعتنى بالأدب، فنظم نظماً جيداً. وارتحل إلى الهند، فوصل إلى سلطانها قطب الدين شاه صاحب (حيدرآباد) في شهر شوال سنة (١٠٥٤) فعظمه وأكرمه، وكان قد اشتاق إليه غاية الاشتياق، واحتال على وصوله، فلمّا وصل إليه زوجه ابنته، واستوزره. ويقال: إنه استولى على المملكة بعده، وهذه من الغرائب، ومن شعره قوله في غلام له ضربه فبكى: [من الطويل]

تَراءى كَظَبِي نَافِرٍ مِنْ حَبَائِلٍ يَصُولُ بِطَرْفٍ فَاتِنٍ مِنْهُ فَاتِرٍ^(١)
وَقَدْ مُلِئْتُ عَيْنَاهُ مِنْ سُحْبٍ جَفْنِهِ كَنَرَجَسٍ رَوْضٍ جَادَهُ وَبُلُ مَاطِرٍ^(٢)

وأجازه وزيره أحمد بن محمد الجوهري بقوله: [من الطويل]

وَضَبِي غَرِيرٍ بِالدَّلَالِ مُحَجَّبٍ يَرَى أَنَّ فَرَضَ الْعَيْنِ سَتْرُ الْمَحَاجِرِ^(٣)
رَمَانِي بِطَرْفٍ أَسْبَلَ الدَّمْعَ دُونَهُ لَكِي لَا أَرَى عَيْنِيهِ مِنْ غَيْرِ سَاتِرٍ^(٤)

(١) الحبائل: جمع الحبال: المصيدة، الشُرْكُ. يصول: يسطو ويقهر. طرف فاتر: ناعس، منكسر.

(٢) الوُبُل؛ المطر الشديد العظيم القطر. (٣) غرير: قليل التجربة.

(٤) أسبل الدمع: أساله.

ومات المترجم له في يوم السبت لثلاث بقين من صفر سنة ١٠٨٥ خمس وثمانين وألف. وهو إمامي، المذهب غفر الله له.

٥٩

(أحمد بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم)

ابن عبد الرَّحِيم بن يُوسُف بن سَمِير بن حَازِم، أبو حازم المصري

التَّيْمِي، ويُعرف بابن البرهان. ولد فيما بين القاهرة ومصر في ربيع الأول سنة ٧٥٤ أربع وخمسين وسبعمئة، واشتغل بالفقه شافعيًا. وسمع الحديث وأحبه. ثم صحب بعض الظاهرية فجذبه إلى النظر في كلام ابن حَزْم فأحبه، ثم نظر في كلام ابن تيمية فغلب عليه بحيث صار لا يعتقد أن أحداً أعلم منه. وكانت له نفس أبيّة ومروءة وعصبية ونظر في أخبار الناس، فطمحت نفسه إلى المشاركة في الملك مع أنه ليس له فيه قدم، ولا له سلف في ذلك، ولا معه مال. فلما غلب (الظاهر برقوق) على المملكة وحبس الخليفة، رام جعل ذلك وسيلة لما حدثته به نفسه، فغضب من ذلك وخرج في سنة (٧٨٥) إلى الشام، ثم إلى العراق يدعو إلى طلب رجل من قریش، فاستقرى جميع الممالك، ودخل حلب، فلم يبلغ قصداً. ثم رجع إلى الشام فاستغوى كثيراً من أهلها. وكان من أكبر الموافقين له ممن يتدين منهم الياصوفي والحساباني، لما ظهر من فساد الأحوال وكثرة المعاصي وفسق الرشوة في الأحكام وغير ذلك، فلم يزل على هذه الطريقة إلى أن نمى أمره إلى (بيدمر) نائب الشام، فسمع كلامه وأصغى إليه، ولم يشوش عليه لعلمه أنه لا يجيء من يديه شيء. ثم نمى أمره إلى نائب القلعة شهاب الدين الحمصي، وكانت بينه وبين بيدمر عداوة شديدة، فوجد فرصة في التآليب عليه بذلك. فاستحضر ابن البرهان واستخبره، وأظهر أنه مال إلى مقالته، فبث إليه جميع ما كان يدعو إليه، فتركه. ثم كاتب السلطان بذلك كله. فلما علم به كتب إلى النائب يأمره بتحصيل ابن البرهان ومن وافقه على رأيه وبتشهيرهم. فتورع النائب عن ذلك، وتكاسل عنه، وأجاب بالشفاعة فيهم والعفو عنهم، وأن أمرهم مُتلاش وإنما هم قوم خفت أدمغتهم من الدرس. واستمر ابن الحمصي في انتهاز الفرصة، فكتب أيضاً بأن النائب قد عزم على المخامرة، فوصل إليه الجواب بمسك ابن البرهان ومن كان على رأيه، وإن آل الأمر في ذلك إلى قتل (بيدمر) فمات الياصوفي خوفاً بعد أن قبض عليه، وفز الحساباني. ولما حضر البرهان إلى السلطان استداناه واستفهمه عن سبب قيامه عليه، فأعلمه أن غرضه أن يقوم رجل من قریش يحكم بالعدل، فإن هذا هو الدين الذي لا يجوز غيره، وزاد في نحو هذا، فسأله عمّن معه

على مثل رأيه من الأمراء فبرأهم. فأمر بضربه فَضْرَبَ هو وأصحابه، وحُبِسُوا في الخزانة حبس أهل الجرائم، وذلك في ذي الحجة سنة (٧٨٨). ثم أُفْرِجَ عنهم في ربيع الأول سنة (٧٩١)، فاستمرَّ ابن البرهان مقيماً بالقاهرة على صورة إملاقٍ إلى أن (مات) لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمان وثمانمائة، وحيداً فريداً بحيث لم يحضر في جنازته إلا سبعة أنفس لا غير. وكان ذا مروءة عليّة ونفس أبيّة، حسن المذاكرة والمحاضرة، عارفاً بأكثر المسائل التي يخالف فيها أهل الظاهر الجمهور، يكثر الانتصار لها، ويستحضر أدلتها. وأملَى وهو في الحبس بغير مطالعة مسألة رفع اليدين في السجود، ومسألة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة، ورسالة في الإمامة. وذلك يدلّ على وفور اطلاعه، (قال ابن حَجَر): وقد جالسته كثيراً، وسمعت من فوائده كثيراً. وكان كثير الإنذار بما حدث بعده من الفتن والشُرور، لما جبل عليه من الاطلاع على أحوال الناس، ولا سيما ما حدث من الغلاء والفساد بسبب رخص الفلوس بالقاهرة، بحيث أنه رأى عندي قديماً مرة منها جانباً كثيراً فقال لي: احذر أن تقتنيها فإنها ليست رأس مال، فكان كذلك؛ لأنها كانت في ذلك الوقت يساوي القنطار منها عشرين مثقالاً فأكثر. وصار الأمر في هذا العصر إلى أنها تساوي أربعة مثاقيل، ثم صار تساوي ثلاثة ثم اثنين وربع ونحو ذلك. ثم انعكس الأمر بعد ذلك وصارت من عنده شيء منها اغتبط فيه لما رفعت قيمتها من كلّ رطلٍ إلى اثني عشر، ثم إلى أربعة وعشرين. ثم انعكس الأمر فظهر أنها ليست مالاً يُقتنى لوجود الخلل في قيمتها، وعدم ثباتها على قيمة واحدة. انتهى.

٦٠

(أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن عبد الملك ابن الزَّين أحمد بن الجمال مُحَمَّد بن الصفي مُحَمَّد ابن المجد حُسين بن التاج علي)

القَسْطَلَانِيّ الأصل المصريّ الشافعيّ؛ ويُعرف بالقَسْطَلَانِيّ^(١). ولد في ثاني عشر ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة، بمصر، ونشأ بها فحظ القرآن والشاطبيتين ونصف الطيبة الجزرية والوردية في النحو، وتلا بالسبع على السراج عمر بن قاسم الأنصاري السَّوَي، وبالثلث إلى (وقال الذين لا يَرْجُونَ لقاءنا) على

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ١٠٣/٢؛ شذرات الذهب: ١٢١/٨؛ كشف الظنون: ٦٩، ١٦٦،

٣٦٦، ١٥٥١، ١٩٦٥؛ إيضاح المكنون: ٤٨٤/٢؛ معجم المؤلفين: ٨٥/٢؛ الكواكب

السائرة: ١٢٦/١؛ الأعلام: ٢٣٢/١؛ تاريخ آداب اللغة: ١٦٥/٢.

الزين عبد الغني الهَيْثَمي، وبالسبع، ثم بالعشر في ختمتين على الشَّهاب بن أسد. وأخذ القراءات عن جماعة أيضاً. وأخذ الفقه عن الفخر المقيسي تقسيماً، والشَّهاب العيادي. وقرأ ربع العبادات من «المنهاج»، ومن البيع وغيره من البهجة على الشمس الياامي، وقطعة من «الحاوي» على البرهان، ومن أول حاشية الجلال البكري على المنهاج إلى أثناء النكاح بفوات في أثنائها على مؤلفها. وسمع مواضع في شرح الألفية، وسمع على المليوني، والرضي الأوحاقي، والسخاوي. وسمع صحيح البخاري بتمامه في خمسة مجالس على الشاوي. وقرأ في الفنون على جماعة. ثم حجَّ غير مرة وجاور سنة أربع وثمانين، ثم جاور مجاورة أخرى سنة أربع وتسعين، وسمع بها عن جماعة، وجلس للوعظ بالجامع العمري. وكان يجتمع عنده جمع جمٌّ. ثم جلس بمصر شاهداً رفيقاً لبعض الفضلاء. وبعده انجمع وكتب بخطه لنفسه أشياء، بل جمع في القراءات (العقود السننية في شرح المقدمة الجزرية) في التجويد و(الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز) وشرحاً على (الشاطبية) وصل فيه إلى الإدغام الصغير، زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره. وكتب على الطيبة قطعة مزجاً، وعلى البردة مزجاً أيضاً سماه (مشارك الأنوار المضية في مدح خير البرية) و(تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري). ومن مؤلفاته المشهورة «شرح البخاري» المسمى (إرشاد الساري على صحيح البخاري) في أربعة مجلدات، وشرح «صحيح مسلم» مثله، ولم يكمل، و(المواهب اللدنية بالمنح المحمدية). وكان متعففاً، جيد القراءة للقرآن والحديث والخطابة، شجِّي الصوت مشاركاً في الفضائل متواضعاً متودّداً، لطيف العشرة، سريع الحركة. كثرت أسقامه، واشتهر بالصلاح والتعفف، على طريق أهل الفلاح، (قال الشيخ جابر اللّه بن فهد): ولما اجتمعت به في الرحلة الأولى أجازني بمؤلفاته ومروياته، وفي الرحلة الثانية عظمي واعترف لي بمعرفة فتي، وتأدب معي، ولم يجلس على مرتبته بحضرتي، فاللّه يزيد في إكرامه ويبلغه غاية مرامه. قال: ثم بلغني في رحلتي إلى الشام أنه (مات) في ليلة الجمعة سابع المحرم سنة ٩٢٣ ثلاث وعشرين وتسعمائة، وصُلِّي عليه بعد الجمعة بالجامع الأزهر، ودُفن بالمدرسة جوار منزله، تغمده اللّه برحمته.

٦١

(أحمدُ بن مُحمَّد بن الحَسَن بن أحمد الحيمي الكوكباني)^(١)

الخطيب البليغ الشاعر. نشأ بكوكبان، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/١٧٢؛ إيضاح المكنون: ١/٩٠، ٥٠٠؛ معجم المؤلفين: ٢/

العلماء، ذكرهم في كتابه المُسمَّى (طيب السَّمر)، وهو كتابٌ حافلٌ ترجم فيه لجماعة من الأعيان تراجم مسجعة، كما هو صُنْع غالب المؤرخين المتأخرين. ومن مصنفاته شرح قصيدة مُحمَّد بن عبد الله ابن الإمام شرف الدين سَمَّاه (الأصداف المشحونة بالآلي المكنونة)، وهو شرح مفيد طالعه فرأيته فائقاً في بابه، وله شرح على (رسالة الواثق) المشهورة، سلك فيها مسلك الصفدي في «شرح لامية العجم». وله مؤلفات أدبية تزيد على الأربعين، وهو مجيد في كلِّ ما يصنفه، ومن شعره الأبيات التي مطلعها: [من الكامل]

لَعِبَ النَسِيمُ بِغَصْنٍ قَدْ أَهَيْفَ لَا بُلَّ مِنْ دَاءِ السَّقَامِ وَلَا شُفَى^(١)
ومن شعره: [من الوافر]

نَسِيمُ الرِّوَضِ عَنْ وَبْلِ بَلِيلٍ تَنْفَسَ لَابَساً بُرْدَ الْأَصِيلِ^(٢)
وَوَافَى رَاوِيَاً خَبِراً صَحِيحاً مِنْ الْأَنْبَاءِ عَنْ جِسْمِ عَلِيلٍ
لَقَدْ سَهَرْتُ عُيُونِي حِينَ وَافَى لِذِكْرِي مَنْ يُعَدُّوا خَيْرَ جِيلٍ
فَمَا اكْتَحَلْتُ بِنَوْمٍ قَطُّ إِلَّا بِمِيلٍ فِي الْمَسَافَةِ بَعْدَ مِيلٍ
وله نظم كثير، ونثر واسع، وكله في رتبة متوسطة، وهو طويل النفس في جميع ما يأتي به. (توفي) سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف^(٣).

٦٢

(أحمد بن مُحمَّد الحجازي الينبي الأصل، الصَّنْغاني المولد والوفاة)

الشاعر المشهور، هو من مشاهير الشعراء، وله قصائد طنانة، ومعاني رائقة، لو لم يكن له منها إلا ما وقع له من تشبيه الهلال، الذي فاق من قبله، ولم يلحق به من بعده، وهو قوله من قصيدة: [من الطويل]

وَنَنْظُرُ فِي الْغَرْبِ الْهَلَالَ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَاجِ مِشْطٌ غَاضٌ فِي آخِرِ الْفَرْعِ^(٤)
(وتوفي) بصنعاء تقريباً سنة ١٠٩٥ خمس وتسعين وألف.

(١) الأهيف: الدقيق الخصر، الضامر البطن.

(٢) الوَبْلُ، والوابل: المطر الشديد العظيم القَطَر.

(٣) في هدية العارفين (١/١٧٢): توفي سنة ١١٥٦هـ.

(٤) الْفَرْعُ: الشَّعْرُ التَّامُّ.

٦٣

(السيد أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين)

الكوكبانى، أمير كوكبان وبلادها. ولد في خامس وعشرين شهر ذي القعدة سنة ١١٢٢ اثنتين وعشرين ومائة وألف. وأخذ العلم عن جماعة من أهل جهته كالسيد العلامة صلاح بن يحيى الخطيب، والفقير عبد الله القاعي، وشيخنا السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الآتي ذكره. وبرع في العلوم واشتهرت فضائله وسارت الركبان بعذله في رعيته بحيث كانت مباشراته على وفق الشريعة المطهرة. وولي الإمارة في حياة أبيه. ولما (مات) الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم دعا إلى نفسه وثوقاً منه بكتب وصلت إليه من جماعة من أهل صنعاء وغيرهم. ثم أرسل الإمام المهدي طائفة من جنوده، ووقعت خطوب وحروب. وآخر الأمر بايع صاحب الترجمة للإمام المهدي، واستقر أميراً لكوكبان وبلادها، ناشراً للعدل، محبباً للشريعة حتى (مات) لعشرين خلت من شعبان سنة ١١٨١ إحدى وثمانين ومائة وألف. وصارت الإمارة بعده إلى أخيه عبد القادر بن محمد، ومشى على طريقته. ثم صارت الإمارة بعده إلى أخيه السيد إبراهيم بن محمد، ثم إلى ولده السيد العباس بن إبراهيم، ثم عادت إلى أخي صاحب الترجمة السيد العلامة عيسى بن محمد، وستأتي ترجمته. ثم انتقلت عنه إلى ابن صاحب الترجمة، وهو السيد شرف الدين بن أحمد بن محمد، وستأتي ترجمته أيضاً، وهو الأمير حال تحرير هذه الأحرف. ولصاحب الترجمة نظم، فمنه قوله: [من السريع]

كأنما العارضُ لمّا بدا كتائبٌ قد صُفِّتْ لِقِتالِ^(١)
وَرَعْدُهُ وَالْبَرْقُ قَدْ أَشْبَهَا بَنَادِقًا فِي الصَّوْتِ وَالِاشْتِعَالِ
وَبَعْضُهُمْ رَامَ بِقَوْسٍ وَمِنْ تَرَائِصِ السُّحُبِ بِجَرِّ النَّبَالِ^(٢)

٦٤

(أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن ابن هبة بن محفوظ بن الحسن بن صصرى)

الملقب نجم الدين الدمشقي. ولد في ذي القعدة سنة ٦٥٥ خمس وخمسين

(١) العارض: السحاب الممطر؛ قال تعالى: ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

(٢) الترائص: التراكب، التراكم.

وستماتة، وأحضر على الرشيد العطار سنة ٦٥٨. وبدمشق على ابن عبد الدائم، وعلى جدّه لأمه المسلم بن عدلان، وعلى ابن أبي اليُسّر. وتفقه على التاج ابن الفرّكاح. وأخذ بمصر عن شمس الدين الأصبهاني. وكتب في ديوان الإنشاء. وكان جيد الخط، فائق النظم والنثر، سريع الكتابة جدّاً، حتى قيل: إنه كتب خمس كراريس في يوم، وكان فصيح العبارة، طويل الدروس، ينطوي على دين وتعبد ومكارم. وولي قضاء دمشق سنة (٧٠٢)، ودام فيه إلى أن (مات) في شهر ربيع الأول سنة ٧٢٣ ثلاثاً وعشرين وسبعمائة. وطالت مدته، وكان كثير التودد والمكارم والمواددة (قال ابن الزملكاني): كان طلق العبارة لا يكاد يتكلم في فن إلا ويذكر دروساً طويلة. ولم يزل في نُموٍّ وارتفاع إلى أن (مات) في التاريخ المذكور بحماة. ولشعراء عصره فيه غرر المدائح، كالشّهّاب محمود، والجمال بن نباتة، وغيرهما. وخرج له العلاني مشيخة فأجازه بجملة دراهم، وأول ما درّس بالعادلية سنة (٦٨٢)، ثم درّس بالأرمستية، ثم درّس بالغزالية، ثم ولي قضاء العسكر، ومشيخة الشيوخ، ثم القضاء الأكبر بدمشق في التاريخ السابق، وكان يتفضل على كل من قدم إليه من كبير وصغير. وهداياه لا تقطع عن أهل الشام، ولا عن أهل مصر مع التودد والتواضع الزايد والحلم والصبر على الأذى. هجاه ابن المرجل بأبيات فتحيل حتى وصلت إليه بخط الناظم، فاتفق أنه دخل عليه فغمز مملوكه فوضع الأبيات أمامه مفتوحة، فلما جلس ابن المرجل لمحها فعرفها. فلما تحقق القاضي أنه عرفها أشار برفعها، ثم أحضر له قماش وصرّة فضة وقال له: هذه جائزة الأبيات، فأخذها ومدحه. ودخل عليه شاعر ومعه قصيدتان في إحداهما هجو، وفي الأخرى مدح، وأضمر أن يعطيه المدح، فإن أرضاه، وإلا أعطاه الهجو، فغلط فأعطاه الهجو فقرأه، وأعطاه جائزة، وأوهم من حضر أنه مدح، فلما خرج الشاعر وجد قصيدة المدح، فعاد ودفعها إليه، وأظهر الاعتذار، فما واخذه.

٦٥

(أحمد بن مُحمّد بن عبد الكريم)

ابن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الإسكندراني الشاذلي^(١)

صحب الشيخ أبا العباس المُرسي^(٢) صاحب الشاذلية، وصنّف مناقبه، ومناقب

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ١٩/٦؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٠٠/٣؛ معجم المؤلفين: ٢/١٢٠؛ الدرر الكامنة: ٢٧٣/١؛ كشف الظنون: ٥٠٢؛ ١٥٥٤؛ إيضاح المكنون: ٩٣/١، ٤٦٩/٢.

(٢) هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن عمر المُرسي: فقيه، متصوف، من أهل الإسكندرية، وكان لأهلها فيه اعتقاد كبير. أصله من مرسية بالأندلس. توفي سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م. (الأعلام: ١/١٨٦).

شيخه . وكان المتكلم على لسان الصوفية في زمانه ، وهو مِمَّن قام على الشيخ تقي الدين بن تيمية فبالغ في ذلك . وكان يتكلم على الناس ، وله في ذلك تصانيف (قال الذهبي): كانت له خلال عجيبة ووقع في النفوس ، ومشاركة في الفضائل . ورأيت الشيخ تاج الدين الفارقي لما رجع من مصر معظماً لوعظه وإشارته . وكان يتكلم بالجامع الأزهر ، يمزج كلام القوم بآثار عن السلف ، وفنون من العلم ، فكثرت أتباعه . وكان عليه سيماء الخير ، ويقال : إن ثلاثة قصدوا مجلسه ، فقال أحدهم : لو سلمت من العائلة لتجرّدت ، وقال الآخر : أنا أصلي وأصوم ولا أجد من الصلاح ذرّة ، فقال الثالث : إنّ صلاتي ما ترضيني ، فكيف تُرضي ربّي . فلما حضروا مجلسه قال في أثناء كلامه : ومن الناس من يقول فأعاد كلامهم بعينه . ومن جملة من أخذ عنه الشيخ تقي الدين السبكي . وقال الكمال جعفر : سمع من الأبرقوهي وقرأ النحو على المُحيي ، وشارك في الفقه والأدب ، وصحب المرسي ، فتكلم على الناس ، فسارعت إليه العامة ، وكثير من المتفكّهة ، وكثرت أتباعه (قال أبو حيان) ، وقال الكمال ابن المكين : حكى له المراكشي قال : كنت أصحب فقيراً فحضر إليه الخليلي الوزير يزوره ، فقال له : جاءني ابن عطاء الله فقال لي الليلة ترى النبي ﷺ في المنام ، فاجعل بشارتي أن توليني الخطابة بالإسكندرية . فمضت الليلة وما رأيت شيئاً ، وقد عزمت على ضربه ، فلم يزل الفقير يتلطف به حتى عفا عنه . وإذا صحّ هذا فهو محتالّ وليس من الرجال ، وهو صاحب الحكم المشهورة الآن بحكم ابن عطاء الله التي يلهج كثير من متصوفة زمننا بحفظ كلمات منها . ومات في نصف جمادى الآخرة سنة ٧٠٩ تسع وسبعمائة .

٦٦

(أحمد بن مُحمّد بن عثمان

الأزدي العدوي ، أبو العبّاس ، ابن البناء)^(١)

أخذ عن قاضي الجماعة مُحمّد بن علي المراكشي ؛ وأبي عبد الله مُحمّد بن أبي البركات ، وأبي العبّاس أحمد بن مُحمّد المدعو ابن أبي عطاء ، وأبي الحسين بن أبي عبد الرحمن ، وغيرهم . وكان فاضلاً عاقلاً نبهاً ، انتفع به جماعة في التعليم . وكان يشتغل من بعد صلاة الصبح إلى قريب الزوال مدة ، إلى أن كان في سنة (٦٩٩) فخرج إلى صلاة الجمعة في يوم ریح وغبار ، فتأذى بذلك وأصابه يبس في دماغه ، وكان له مدّة لا يأكل ما فيه روح ، فبدت منه أحوال لم تُعهد ، وهيئات عجيبة ، وصار يكشف

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/ ٢٧٨؛ كشف الظنون: ٤٧٢، ٩٤٩؛ إيضاح المكنون: ١/

١٦١، ١٦٧، ٦٠٨؛ معجم المؤلفين: ١٢٦/٢.

كل من دخل عليه، ويخبره بما هو عليه. فأمر الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الكريم الأغماتي أهله أن يَحْجِبُوهُ. فأقام سنة ثم صَحَّ وخرج إلى الناس، وصار يذكر ما جرى له من ذلك وفيه عجائب. منها أنه رأى صوراً علوية وجوهم مضيئة تكلموا بعلوم جمّة تتعلق بمعاني القرآن بأساليب بدیعة. قال: ثم هجم عليّ جماعة في صور مفزعة فذكر كلاماً طويلاً. وله مصنّفات منها «التلخيص في الحساب» في سفر، وكتاب في «الأوافق»، وكتاب في «الأنواء» وغير ذلك^(١). واستمرّ ببلده يفيد الناس إلى أن (مات) سنة ٧٢١ إحدى وعشرين وسبعائة^(٢).

٦٧

(أحمد بن مُحمّد بن حَجَر الوائلي السَّعدي الهَيْثمي)^(٣)

المِصْرِيّ ثم المَكِّي، ولد سنة ٩٠٩ تسع وتسعمائة، ونشأ ببلده، وحفظ القرآن. ثم انتقل إلى مصر فحفظ مختصرات، وقرأ على الشيخ عمارة المصري، والرملي، وأبي الحسن البكري، وغيرهم. وبرع في جميع العلوم، خصوصاً فقه الشافعي، وصنّف التصانيف الحسنة. ثم انتقل من مصر إلى مكة المشرفة؛ وسبب انتقاله أنه اختصر «الروض» للمقري، وشرع في شرحه، فأخذ بعض الحسّاد وفتّته، وأعدمه، فعظم عليه الأمر، واشتدّ حزنه، وانتقل إلى مكة، وصنّف بها الكتب المفيدة، منها (الأمداد) و(فتح الجواد) شرحاً على (الإرشاد) الأول بسيط؛ والثاني مختصر، و(تحفة المحتاج شرح المنهاج) و(الصواعق المحرقة) و(شرح الهمزية) و(شرح العباب). وكان زاهداً متقللاً على طريقة السلف، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر. واستمر على ذلك حتى (مات) في سنة ٩٧٣ ثلاث وسبعين وتسعمائة.

٦٨

(أحمد بن مُحمّد بن عبد الله)

ابن إبراهيم بن أبي نصر مُحمّد بن عَرَب شاه^(٤)

الدَّمشقي الأصل، الرُّومِيّ الحنفيّ، ويُعرف بالعجمي، وبابن عَرَب شاه وهو

(١) من آثاره أيضاً: «اللوازم العقلية في مدارك العلوم»، و«الروض المربع في صناعة البديع»، و«منتهى السؤل في علم الأصول»، و«الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة»، (معجم المؤلفين: ١٢٦/٢).

(٢) وفي رواية: توفي سنة ٧٢٤هـ. (٣) ترجمته في: كشف الظنون: ١٠٨٣.

(٤) ترجمته في: شذرات الذهب: ٢٨٠/٧؛ الضوء اللامع: ١٢٦/٢؛ الأعلام: ٢٢٨/١؛ تاريخ=

الأكثر. وليس هو بقريبٍ لداود وصالح ابني مُحمَّد بن عَرَب شَاه الهمذانيين الأصل،
الدمشقيين الحنفيين. ولد في ليلة الجمعة منتصف ذي القعدة سنة ٧٩١ إحدى وتسعين
وسبعمائة بدمشق، ونشأ بها فقرأ القرآن على الزين عُمَر بن اللبان المقرئ. ثم تحول
في سنة ثلاثٍ وثمانمائة في زمن الفتنة مع إخوته وأمهم وابن أخته عبد الرَّحمن بن
إبراهيم بن حولان إلى سمرقند. ثم بمفرده إلى بلاد الخطا، وأقام ببلاد ما وراء النهر
مديماً للاشتغال والأخذ عَمَّن هناك من الأستاذين، فكان منهم السيد مُحمَّد
الجَرْجَاني، وابن الجزري، وهما نزيلاً سَمَرْقُند، وعصام الدين ابن العلامة
عبد الملك، وجماعة. ولقي بِسَمَرْقُند الشيخ العَرِيَّان الأدهمي الذي استفيض هنالك
أنه ابن ثلاثمائة وخمسين سنة. وبرع في الفنون، ثم توجه إلى خُوارِزْم، فأخذ عن نور
الله، وأحمد بن شمس الأئمة. ثم إلى بلاد الدشت، وتلك النواحي. ثم قطع بحر
الروم إلى مملكة ابن عثمان، فأقام بها نحو عشر سنين، وترجم فيها للملك غياث
الدين أبي الفتح مُحمَّد بن أبي يزيد مُراد بن عثمان كتاب (جامع الحكايات ولامع
الروايات) من الفارسي بالتركي نظماً. وباشر عنده ديوان الإنشاء وكتب عنه إلى ملوك
الأطراف عربياً وشامياً وتركياً ومغولياً وعجمياً، كل ذلك مع حرصه على الاستفادة
بحيث قرأ المفتاح على البرهان الحوافي، وأخذ عنه العربية أيضاً. فلما مات ابن
عثمان رجع إلى وطنه القديم فدخل حلب، فأقام بها نحو ثلاث سنين، ثم الشام.
وكان دخوله إليها في جمادى الآخرة سنة (٨٢٥) فجلس بحانوت مسجد القصب، مع
شهوده يسيراً لكون معظم أوقاته الانعزال عن الناس، وقرأ بها على القاضي شهاب
الدين الحنبلي «صحيح مسلم» في سنة (٨٣٠). فلما قدم العلاء البخاري سنة (٨٣٢)
مع الركب الشامي من الحجاز، انقطع إليه ولازمه في الفقه والأصليين والمعاني والبيان
والتصوف وغير ذلك، حتى مات. وتقدم في غالب العلوم، وأنشأ النظم الفائق،
والنثر الرائق، وصنف نظماً ونثراً. ومن تصانيفه (مرآة الأدب) في علم المعاني والبيان
والبديع، سلك فيه أسلوباً بديعاً نظم فيه التلخيص عمله قصائد غزلية، كل باب منه
قصيدة مفردة على قافية، ومقدمة في النحو و(عقود النصيحة) والرسالة المسماة (العقد
الفريد) في التوحيد. وهو مؤلف تاريخ تيمور، وسماه (عجائب المقدور في نوائب
تيمور) وفيه بلاغة فائقة، وسجعات رائقة. وله (فاكهة الخلفاء) و(مفاكهة الظرفاء)
و(الترجمان المترجم بمنتهى الأرب في لغة الترك والعجم والعرب). وأشير إليه
بالفضيلة، وأجله الأكابر، وكان أحد الأفراد في إجادة النظم والنثر، ومعرفة اللغات،
والمجيء بالمستظرفات، وإجادة الخط وإتقان الضبط، وعذوبة الكلام، وملاحة

= الأدب العربي، فروخ: ٨٥٤/٣؛ كشف الظنون: ٣٩٧، ٧١٤، ١١٥٢؛ إيضاح المكنون: ١/

١٧٨؛ معجم المؤلفين: ١٢٢/٢.

المحاضرة، وكثرة التودد، ومزيد التواضع، وعفة النفس، ووفور العقل. واستمرّ على جميل أوصافه حتى (مات) في يوم الاثنين منتصف شهر رجب سنة ٨٥٤ أربع وخمسين وثمانمائة. وجرت له محنة من (الظاهر جقمق) شكا إليه حميد الدين فأدخله سجن أهل الجرائم، فدام فيه خمسة أيام، ثم أخرج واستمرّ مريضاً من القهر حتى مات بعد اثني عشر يوماً. ومن نظمه: [من المتقارب]

قَمِيصٌ مِنَ الْقُطْنِ مِنْ حِلِّهِ وَشَرِبْتُ مَاءَ قِرَاحٍ وَقُوتٌ^(١)
يَنَالُ بِهَا الْمَرْءُ مَا يَبْتَغِي وَهَذَا كَثِيرٌ عَلَى مَنْ يَمُوتُ
ومن نظمه: [من الوافر]

فَعِشْ مَا شِئْتَ فِي الدُّنْيَا وَأَدْرِكَ بِهَا مَا شِئْتَ مِنْ صِيَةٍ وَصَوْتٍ
فَحَبْلِ الْعَيْشِ مَوْصُولٌ بِقَطْعٍ وَخَيْطُ الْعُمَرِ مَقْصُوصٌ بِمَوْتٍ
وله: [من الطويل]

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سُلْمٌ فَبَقْدَرِ مَا يَكُونُ صُعُودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
وَهَيْهَاتَ مَا فِيهِ نَزُولٌ وَإِنَّمَا شُرُوطُ الَّذِي يَرْقَى إِلَيْهِ سُقُوطُهُ
فَمَنْ صَارَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمًا وَفَاءَ بِمَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ^(٢)

و(حكى السخاوي) أنه أُسِرَ مع تيمورلنك، ونقل إلى سمرقند، ثم خرج منها في سنة إحدى عشرة، وجال ببلاد الشرق، ورجع إلى دمشق. وقد جرى بينه وبين البرهان الباعوني المقدم ذكره مطارحات؛ منها أن البرهان كتب إليه بسة أبيات التزم فيها قافية الظاء المشالة أولها: [من الوافر]

أَحْمَدُ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهِ فَظًا وَلَكِنْ لَا أَرَى لِي مِنْكَ حَظًا

واستوفى كثيراً من اللغة، فحصل لصاحب الترجمة ستة أبيات أخرى قبل نظره في كتب اللغة، فعجب من كثرة اطلاعه وسعة دائرته. ثم كتب إليه بأبيات التزم فيها الراء قبل الألف والراء بعدها، أولها: [من مجزوء الرمل]

مَنْ مُجِيرٍ مِنْ ظُلُومٍ مِنْهُ أَبْعَدْتُ فِرَارًا

واستوفى ما في الباب، فكتب إليه صاحب الترجمة قصيدة بغدادية، فلم يقدر على الجواب بمثلها وكتب إليه بقوله: [من مجزوء الرمل]

يَا شِهَابَ الدِّينِ يَا أَحْمَدُ يَا بَنَ عَرَبِ شَاهٍ

(١) ماء قراح: خالص، عذب صافٍ.

(٢) التَّهَشُّمُ: التَّكْسُرُ.

واستوفى القافية، فظفر صاحب الترجمة بأشياء تركها فكتب إليه: [من مجزوء الرمل]

قَدْ أَتَى الْفَضْلُ عَلَيْهِ حُلُّ اللَّفْظِ مُوشَّاه^(١)

فتعجب البرهان من سعة دائرته واطلاعه، ثم قال له: أنا والله ما عرفتكَ إلا الآن. فقال له: والله وإلى الآن ما عرفتني. وطالت المكاتبة بينهما على هذا المنوال حتى اجتمع من ذلك مجلد.

٦٩

(أحمد بن محمد بن عبد الهادي ابن صالح بن عبد الله بن أحمد قاطن)

الجبالي ثم الثلاثي ثم الكوكباني ثم الصنعاني. كان مولده ليلة أربع عشرة محرم سنة ١١١٨ ثمانى عشرة ومائة وألف. قرأ في مدينة شبام وحصن كوكبان، وتكسب بالتجارة في مبادئ عمره بشبام، مع اشتغاله بالعلم وإكبابه على الفنون. ثم أخذ في صنعاء عن السيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي، والسيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش، والسيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي، وطالت ملازمته للثالث، وقرأ عليه في عدة فنون، وبقي في بيته سنين. فعاونه عند الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن حسين ابن الإمام المهدي. وكان السيد المذكور إذ ذاك مُتَوَلِّياً للقضاء الأكبر بصنعاء. فَوَلَّى صاحب الترجمة القضاء، وجعله من جملة حكامها، فاتفقت حادثة كان بسببها عزل صاحب الترجمة، مع أن الحق معه. ثم لما كانت خلافة الإمام المهدي لدين الله العباس بن الحسين ولأه القضاء بمدينة ثلاء. ثم جعل إليه ولاية الأوقاف، ثم بعد ذلك اعتقله، وحصلت له مِحن، وخرب بيته في ثلاء بسبب أن السيد العلامة قاسم بن محمد الكبسي احتسب عليه إذ ذاك أنه عمره فوق مقبرة. ثم عوّضه الله، فملكه الإمام المهدي داراً عظيمة بصنعاء. وبها أولاده الآن وسائر أهلهم. ثم بعد اعتقاله حجّ، وبعد أيام ولّاه الإمام المهدي القضاء الأكبر بمدينة صنعاء واستمر أياماً، وحُمدت مباشرته مع اشتغاله بالعفة والنزاهة وعدم المحاباة في شيء من الأمور، لا لصغير ولا لكبير. وكان يُكثر الحطّ والإنكار على بعض المتعلقين بأعمال الإمام المهدي، كالفقيه علي الجرافي ومن يشابهه، فما زالوا بالإمام المهدي حتى اعتقله قبل موته بنحو عام. ثم استمر محبوساً إلى أيام مولانا الإمام

(١) مُوشَّى: مُزَيْن.

المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله، فأفرج عنه، فخرج إلى بيته، وقد ثقل سمعه، وضعفت قوته، لعلو سنّه، ومع ذلك فما زال يقرئ من يطلب القراءة عليه. وكان له شغف بالعلم، وله عرفان تام بفنون الاجتهاد على اختلاف أنواعها. وله شيوخ عدة. وقد اختصر (الإصابة) وكتب مجلداً يشتمل على أسانيد الكتب العلمية إلى مصنفاتها. وترجم جماعة من رجال الإسناد، وهو في حكم المعجم، وله كتاب آخر ذكر فيه تراجم لأهل عصره. وكان له عناية كاملة بعلم السنّة، ويد قوية في حفظها، وهو عامل باجتهاد نفسه لا يقلد أحداً. واستمر مشغلاً بنشر العلم مجتهداً في الطاعات حتى (توفاه الله) في ليلة الجمعة سابع عشر جمادى الأولى سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف. وله أولاد، أعلمهم عبد الحميد بن أحمد، وله عرفان كامل في علوم الاجتهاد مع سمّة ووفور عقل، وجودة فهم، وقوة إدراك، وهو على طريقة والده في العمل بالأدلة، و(مولده) حسبما ذكر لي بخطّه سابع عشر شهر جمادى الأولى سنة ١١٧٥ خمس وسبعين ومائة وألف. وهو الآن مكبّ على طلب العلوم، مشغول بالنظر في أمر معاشه ومعاده، مقبل على شأنه قد شغلته نفسه عن غيره.

ومن شعر والده المترجم له حسبما رأيت ذلك بخطّه منسوباً إليه: [من البسيط]

يا سارياً لسرى الحُسنِ كم أسرَتْ عُيُونُهُ مِنْ كَمِيٍّ حَارٍ فِي حَوْرِهِ^(١)
نَوَافِثُ السَّحَرِ مِنْهَا قَيِّدَتْهُ ضُحَى وَاللَّهِ أَعْلَمُ مَا كَانَ أَنْتِهَا خَبِرَهُ
فَاعْقِلْ قَلْوَصَكَ وَاغْقِلْ مِنْ سَرِيَّتِ لُهُ فَإِنَّهُ الشَّمْسُ تَعْشُو الْعَيْنُ مِنْ نَظَرِهِ^(٢)

٧٠

(أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن مُربع بن حازم ابن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرِّفعة)^(٣)

ولد سنة ٦٤٥ خمس وأربعين وستمائة. وأخذ عن الضياء جعفر ابن الشيخ

(١) الكميّ: البطل الشجاع التأم السلاح. الحور: شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها.

(٢) عقل البعير: ضم رسغ يديه إلى عضده، وربطهما معاً بالعقال ليبقى باركاً. القلوص: الناقة الفتية القوية. تعشو: يضعف بصرها.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١/ ٢٨٤؛ شذرات الذهب: ٦/ ٢٢؛ البداية والنهاية: ١٤/ ٦٢؛ كشف الظنون: ٤٩١، ٨٨٦؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٠٨، ٥٤٩؛ معجم المؤلفين: ٢/ ١٣٥؛ الأعلام: ١/ ٢٢٢.

عبد الرّحيم، والسديد الأرمي، وابن بنت الأعزّ، وابن دقيق العيد وغيرهم. واشتهر بالفقه إلى أن صار يُضرب به المثل. وكان إذا أطلق الفقيه انصرف إليه بغير مُشارك، مع مشاركته في العربية والأصول. ودرّس بالمُعزّيّة وأفتى، وعمل (الكفاية في شرح التنبيه) ففاق الشروح، ثم شرع في شرح الوسيط فعمل به في أول الربع الثاني إلى آخر الكتاب، وشرع في الربع الأول إلى أثناء الصلاة. ومات فأكمّله غيره. وله تصانيف لطاف، وولي حسبة مصر، وناب في الحكم، ثم عزّل نفسه، وحجّ سنة (٧٠٧). وكان حَسَنَ الشكل فصيحاً ذكياً محسناً إلى الطلبة، كثير السعي في قضاء حوائجهم. وكان قد نُدب لمناظرة ابن تيمية، وسُئِلَ ابن تيمية عنه بعد ذلك، فقال: رأيت شيخاً يتقاطر فقه الشافعية من لحيته. هكذا ذكر ابن حَجَر في الدُّرَر. ونُدب صاحب الترجمة لمناظرة ابن تيمية لا يفعله إلّا من لا يفهم ولا يدري بمقادير العلماء، فابن تيمية هو ذلك الإمام المتبحر في جميع المعارف على اختلاف أنواعها، وأين يقع صاحب الترجمة منه، وماذا عساه يفعل في مناظرته، اللهم إلّا أن تكون المناظرة بينهما في فقه الشافعية. فصاحب الترجمة أهل للمناظرة، وأما فيما عدا ذلك فلا يقابل ابن تيمية بمثله إلّا من لا يفهم، ولعل النادب له بعض أولئك الأمراء الذين كانوا يشتغلون بما لا يعينهم من أمر العلماء، كسلار وبيبرس وأضرابهما. ولا ريب أن صاحب الترجمة غير مدفوع عن تقدمه في فقه الشافعية، ولكن لا مدخل للمناظرة فيه بين مجتهدٍ ومقلّد. وقد أثنى ابن دقيق العيد على صاحب الترجمة، وكذلك السبكي، وقال: كان أفقه من الروياني صاحب البحر. قال الكمال جَعْفَر: برع في التفقه، وانتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره، وكان ديناً، حسن الشكل، جميل الصورة، فصيحاً مُفَوِّهاً كثير الإحسان إلى الطلبة. قال القاضي أبو الطاهر السَّقَطي: كانت لي حاجة عند القاضي لتوليه العقود، فتوجّه ابن الرفعة معي إلى القاهرة، فحضرنا درس القاضي فبحث معي ابن الرفعة في ذلك الدرس. ثم جعل يقول: يا سيدنا يا زين الدين ترفق بي، ثم عرف القاضي بي فقضى حاجتي. ولما تولّى ابن دقيق العيد القضاء توجّه معي إليه ولم يكن له بي معرفة فقال له: ما تذكر سيدنا لما درس العبد بالمعزية، وشرفتهم بالحضور، وأورد سيدنا البحث الفلاني، وأجاب فقيه في المجلس بكذا، فاستحسن سيدنا جوابه هو هذا، فولّاني، وحكاياته في ذلك كثيرة؛ قال: وكان أولاً فقيراً مُضَيّقاً عليه فباشر في حرفة لا تليق به، فلامه الشيخ تقي الدين بن الصايغ، فاعتذر إليه بالضرورة، فتكلم له مع القاضي، وأحضره درسه، فبحث وأورد نظائر وفوائد، فأعجب به القاضي، وقال له: إلزم الدرس ففعل، ثم ولّاه قضاء الواجبات، فحسنت حاله. ثم ولي أمانة الحكم بمصر فوقع بينه وبين بعض الفقهاء شيء، فشهدوا عليه أنه نزل فقيه المدرسة عرياناً، فأسقط العلم السمهودي نائب الحكم عدالته، فتعصب له جماعة

ورفعوا أمره إلى القاضي، فقال: إنه لم يأذن لنائبه في الإسقاط، فعاد لحاله. ومؤلفاته تشهد له بالتبحر في فقه الشافعية. ولما ولي ابن دقيق العيد، استمر على نيابة الحكم حتى حصل له أمر عزّل فيه نفسه، فلم يعده ابن دقيق العيد. وسُئل عن ذلك فقال: أنا ما صرفته. ثم تولّى الحسبة في مصر إلى أن (مات) ليلة الجمعة ثامن عشر شهر رجب سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة. وكان كثير الصدقة مكباً على الاشتغال، حتى عرض له وجع المفاصل بحيث كان الثوب إذا لمس جسده آلمه، ومع ذلك فلا يخلو من كتاب معه ينظر إليه، وربما انكب على وجهه وهو يطالع.

٧١

(أحمد بن محمد بن عماد بن عليّ الشَّهاب،
أبو العباس القرافي المصري ثم المقدسي الشافعي
المعروف بابن الهائم)^(١)

ولد في سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة، وسمع في كبره من التقيّ ابن حاتم، والجمال الأسيوطي، والعراقي، ونحوهم. واشتغل كثيراً، وبرع في الفقه والعربية، وتقدم في الفرائض ومتعلقاتها، وارتحل إلى بيت المقدس، فانقطع به للتدريس والإفتاء. وناب هنالك في تدريس الصلاحية، وانتفع به الناس، وكان خيراً مهاباً معلماً قوَّالاً بالحق، علامة في فنون. انتهت إليه الرئاسة في الحساب والفرائض، وجمع في ذلك عدة تأليف، عليها يعول الناس من بعده، منها (كتاب الفصول) و(الجمال الوجيزة) و(الأرجوزة الألفية) كلّها في الفرائض. وكتاب (المعونة) و(اللمع المرشدة) و(مختصر تلخيص ابن البناء) كل ذلك في الحساب و(المنظومة اللامية في الجبر والمقابلة) والطريقة في المناسخة المشهورة الآن، وفي الفقه شرح قطعة من «المنهاج» في مجلد. و(غاية السؤل في الدين المجهول) و(تحقيق المعقول والمنقول) في رفع الحكم الشرعي قبل بعثة الرسول. ورسائل في مسائل عدة. واختصر (اللمع) لأبي إسحاق الشيرازي في الأصول، وله في العربية (الضوابط الحسان فيما يقوم به اللسان) ونظم قواعد الإعراب وشرحها (التبيان في تفسير غريب القرآن) و(العقد النضيد في تحقيق كلمة التوحيد) كتب منه ثلاثين كراساً، و(البحر العجاج في شرح المنهاج)، وقطعة من التفسير (وإبراز الخفايا في فن الوصايا). وسارت بمؤلفاته

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ١٠٩/٧؛ الضوء اللامع: ١٥٧/٢؛ كشف الظنون: ١٢٤، ١٢٦٥، ١٩٤٢؛ إيضاح المكنون: ١٠/١، ٢٨٢؛ معجم المؤلفين: ١٣٧/٢؛ الأعلام: ١/١.

وفضائله الركبان، وتخرَّج به كثير من الفضلاء، ورحلوا إليه من الآفاق، وأخذ الناس عنه طبقة بعد طبقة، و(توفي) في العشر الأواخر من جمادى الآخرة سنة ٨١٥ خمس عشرة وثمانمائة، وكان نادرة عصره في الفرائض والحساب رحمه الله.

٧٢

(السيد أحمد بن مُحَمَّد بن لُقمان بن أحمد ابن شَمْس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى)^(١)

أحد علماء الزيدية المشاهير، لقي جماعة من أعيان العلماء وأخذ عنهم، وشهد له بالفضل أكابر، منهم السيد العلامة الحسين ابن الإمام القاسم، فإنه وصفه بالاجتهاد، ومن مشايخه الشيخ لطف الله بن مُحَمَّد الغياث، والسيد أحمد الشرفي المذكور بعده. وكان يُدرّس الطلبة بجامع شهارة. وله تصانيف منها (شرح الكافل) و(شرح الأساس) و(شرح التهذيب للتفتازاني) وكتب تعليقات على (المفصل) و(الفصول اللؤلؤية) و(أوائل المنهاج) وشرح بعضاً من (البحر الزخار). وكان أحد أمراء الجيوش في أيام الإمام المؤيد بالله مُحَمَّد بن القاسم. وله في ذلك مقامات مشهورة. و(توفي) في يوم الخميس تاسع شهر رجب سنة ١٠٣٩ تسع وثلاثين وألف.

٧٣

(السيد أحمد بن مُحَمَّد الشَّرْفِي)^(٢)

العلامة المؤرخ مصنف (الآلِي المضية) جعلها شرحاً لقصيدة السيد صارم الدين إبراهيم بن مُحَمَّد التي عارض بها البسامة، وهو شرح حافل في ثلاثة مجلدات، و(توفي) في شهر ذي الحجة سنة ١٠٥٥ خمس وخمسين وألف، ومن مصنفاته: (شرح الأساس)، و(شرح الأزهار) في أربعة مجلدات. وله أشعار، وأخبار، وجهاد، واجتهاد، و(مولده) سنة ٩٧٥ خمس وسبعين وتسعمائة. ومن جملة مشايخه الإمام القاسم بن مُحَمَّد، وله تلامذة جهابذة.

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١٥٧/١؛ معجم المؤلفين: ١٤٦/٢؛ الأعلام: ٢٣٧/١.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١١٢/٢؛ الأعلام: ٢٣٨/١. واسمه في «مطالع البدور»: أحمد بن محمد بن صلاح بن أحمد بن محمد بن القاسم، بن يحيى ابن الأمير داود بن المترجم بن يحيى بن عبدالله بن القسم بن سليمان بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن القاسم بن محمد بن القاسم بن إبراهيم الشرفي. وفيه: توفي في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ١٠٥٥ هـ بمعمرة من جبل هنوم، وقبره هنالك مشهور مزور.

٧٤

(أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي
ابن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة التقي،
أبو العباس الهيمي الداري)^(١)

القُسْنطيني الأصل، السكندري المولد، القاهري المنشأ، المالكي ثم الحنفي، ويُعرف بالشُّمْنِي، بضم المعجمة والميم ثم نون مشددة، نسبة إلى مزرعة ببعض بلاد المغرب أو إلى قرية. (ولد) في العشر الأخيرة من رمضان سنة ٨٠١ إحدى وثمانمائة باسكندرية. وقدم القاهرة مع أبيه فأسمعه عن ابن الكويك، والجمال الحنبلي، والولي العراقي، وجماعة. وأجاز له آخرون، وقرأ في الأصلين، والنحو، والمعاني والبيان، والمنطق وغيرها. ومن جملة مشايخه العلاء البخاري، والصيرامي، وتحول حنفياً في سنة (٨٣٤) وبرع في جميع المعارف، وصنّف حاشية «المغني» لخصها من حاشية الدماميني، وكذلك (مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء) وشرحاً متوسطاً للنقاية في فقه الحنفية. وقرأ ذلك مراراً، وتنافس الناس في تحصيل الحاشية، وتوسل بعض المغاربة بسلطانهم عند من ارتحل إليه، وكتبها في أعاربها (كذا) قال السخاوي. وقد رأيت حاشيته على «المغني» وحضرت عند قراءة الطلبة عليّ في الأصل، فما وجدتها مما يرغب فيه لا بكثرة فوائد، ولا بتوضيح خفيّ، ولا بمباحثة مع المصنف، بل غايتها نُقول من كلام الدماميني. وإني لأعجب من تنافس الناس في مثلها. وكذلك حاشية «الشفاء» فإنها في نحو أربع كراريس، وفيها تفسير ألفاظ غريبة من اللغة، يقوم بذلك أدنى الطلبة إذا حضر لديه القاموس، فضلاً عن غيره. وقد انتفع الناس بصاحب الترجمة في فنون متعددة، وقرأوا عليه طبقة بعد طبقة، وأخذوا عنه علوماً جمّة، لا سيّما الكتب الكبيرة الدقيقة كالكشف، والبيضاوي، وشرح المواقف، وشرح المقاصد، والعصّد، والرضى، والمطول. وانفرد بتقرير جميع ذلك من دون ملاحظة للحواشي. وقد انتفع به جماعة من الأكابر كالأسيوطي، والسخاوي، وغيرهما. وكان إماماً متفنناً متين الديانة زاهداً عفيفاً متواضعاً، حسن الصفات، قوي الإدراك. ورسم له السلطان بفرس يركبها فركبها قليلاً، ثم عجز ونزل عنها وتركها. فقالوا له: إذا لم تركبها فانتفع بثمانها. ولم ينفك الفضلاء عن ملازمته والأكابر عن الأخذ عنه، وكان لا يكتب على الفتاوى، ولا يجيب ما فيه شهرة من الأمور. بل غالب ما يهواه الانجماع

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٣١٣/٧؛ الضوء اللامع: ١٧٤/٢؛ بغية الوعاة: ١٦٣؛ بدائع الزهور: ٩٩/٢؛ كشف الظنون: ١٥٢، ٢٠٢، ١٩٣٥؛ معجم المؤلفين: ١٤٩/٢؛ الأعلام: ٢٣٢/١.

والخمول. وقد كان عرض عليه القضاء، وجاءه كاتب السر وأخبره أنه إن لم يجب نزل السلطان إليه. فصمّم وقال الاختفاء ممكن، فقال له: فيما تجيب إذا سألك الله عن امتناعك مع تعيُّنه عليك. فقال: يفتح الله حينئذٍ بالجواب. ولم يكن يحابي في الدين أحداً. التمس منه بعض الشباب من ذوي البيوت أن يأذن له بالتدريس بعد أن أهدي إليه شيئاً، فبادر إلى ردّ الهدية وامتنع من الإذن. وقد تراحم الناس عليه في آخر أيامه، وصار شيخ الفنون بلا مدافع. وجميع الأعيان من جميع المذاهب تلامذته. (ومات) في سابع عشر ذي الحجة سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمانمائة، ولم يخلف بعده في مجموعته مثله، وخلف ألف دينار، وذكرين وأثنى من جارية.

٧٥

(أحمد بن مُصطفى بن خليل

الرُّومي الحنفي المعروف بطاشكبري)^(١)

ولد ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٠١ إحدى وتسعمائة، وقرأ على جماعة من علماء الروم في عدة فنون، وتولّى القضاء بمدينة بروسا إحدى مدائن الروم، ثم بالقسطنطينية. وهو مصنف: (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية)^(٢)، وقد ترجم لنفسه في آخرها، وذكر مشايخه ومقروءاته، وذكر أنه عمي في سنة (٩٦١). ولم أفد على تاريخ موته^(٣).

٧٦

(أحمد بن موسى الخيالي الرومي)^(٤)

قرأ على والده، وعلى خضر بك، وبرع في العلوم العقلية وفاق أقرانه، ودرّس بمدارس الروم، وكان دقيق الذهن باهر الذكاء، أفحم أكابر علماء عصره في دقائق العلوم، وكان كثير الدرس، قليل الأكل، حتى صار نحيفاً، بحيث إنه كان يحلق

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٣٥٢/٨؛ كشف الظنون: ٣٧/١١، ٨٥٧، ١٢٩٩؛ إيضاح المكنون: ١٣١/١، ١٢٦/٢؛ معجم المؤلفين: ١٧٧/٢؛ الأعلام: ٢٥٧/١.

(٢) من آثاره أيضاً: «مفتاح السعادة»، و«نوادير الأخبار في مناقب الأخيار»، و«الشفاء لأدواء الوباء»، و«الرسالة الجامعة لوصف العلوم النافعة»، وغيرها. (الأعلام: ٢٥٧/١).

(٣) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: توفي سنة ٩٦٨هـ/١٥٦١م.

(٤) ترجمته في: شذرات الذهب: ٣٤٣/٧؛ كشف الظنون: ٣٤٧، ١١٤٤؛ معجم المؤلفين: ٢/١٨٧؛ الأعلام: ٢٦٢/١.

بإصبعه السبابة والإبهام، ويدخل فيها يده فينتهي إلى عضده. وله مصنفات منها (حواشي شرح العقائد)، وحاشية على أوائل (حاشية التجريد). و(مات) وله ثلاث وثلاثون سنة شاباً^(١)، ولو عاش لزاحم الشريف وأضرابه. وهو موجود في دولة السلطان مُحَمَّد خان بن مُراد خان. وكان قعوده على تخت السلطنة سنة (٨٥٥) كما سيأتي إن شاء الله.

٧٧

الإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى ابن المُرتضى بن مُفضل بن منصور بن مُفضل^(٢)

ابن حجاج بن عليّ بن يَحْيَى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يَحْيَى المنصور بن أحمد الناصر بن يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الإمام الكبير المصنف في جميع العلوم. (ولد) بمدينة دمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة. قرأ في علم العربية فلبث في قراءة النحو والتصريف والمعاني والبيان قدر سبع سنين. وبرع في هذه العلوم الثلاثة وفاق غيره من أبناء زمانه، ثم أخذ في علم الكلام على صنوه الهادي، وعلى القاضي يَحْيَى بن مُحَمَّد المَذْحِجِي، فسمع على الآخر الخلاصة، وحفظ العياضة، ثم شرح الأصول للسيد مانكديم. ثم أخذ في علم اللطيف، فقرأ تذكرة ابن متويه على القاضي المذكور مرّة. ثم على القاضي عليّ بن عبد الله بن أبي الخير مرة أخرى، ثم قرأ عليه «المحيط» و«المعتمد» لأبي الحسين البصري، و«منتهى السؤل». وسمع على الفقيه عليّ بن صالح السيرة النبوية، ونظام الغريب، ومقامات الحريري. وعلى المقرئ المعروف بابن النساخ الكشاف، وعلى أخيه الهادي المتقدم علم الفقه. وقرأ غير ذلك وتبحر في العلوم، واشتهر فضله، وبعد صيته، وصنف التصانيف. ففي أصول الدين (نكت الفرائد في معرفة الملك الواحد). و(القلائد وشرحها الدرر الفرائد) و(الملل وشرحها الأمنية والأمل)، و(رياضة الأفهام في لطيف الكلام)، وشرحها (دامغ الأوهام) وفي أصول الفقه (كتاب الفصول في معاني جوهرة الأصول) و(معيار العقول وشرحه منهاج الوصول) وفي علم

(١) في الأعلام: توفي سنة ٨٦٢هـ / ١٤٥٨م؛ وفي معجم المؤلفين: في حدود ٨٨٦هـ / ١٤٨١م؛ وفي شذرات الذهب: سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٦م.

(٢) ترجمته في: كشف الظنون: ٣٢، ٧٣، ١٣٥؛ إيضاح المكنون: ١/ ١٣١؛ ٦٠٤؛ معجم المؤلفين: ٢/ ٢٠٦؛ الأعلام: ١/ ٢٦٩.

النحو (الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر) و(الشافية شرح الكافية) و(المكمل بفرائد معاني المفصل)، و(تاج علوم الأدب في قانون كلام العرب) و(إكليل التاج وجوهره الوهاج)، وفي الفقه (الأزهار) وشرحه (الغيث المدرار) في أربعة مجلدات، و(البحر الزخار) في مجلدين. وفي الحديث كتاب (الأنوار في الآثار الناصة على مسائل الأزهار) في مجلد لطيف، وكتاب (القمر النوار في الردّ على المرخصين في الملاهي والمزمار)، وفي علم الطريقة (تكملة الأحكام)، وفي الفرائض (كتاب الفائض)، وفي المنطق (القسطاس)، وفي التاريخ (الجواهر) و(الدرر) وشرحها يواقيت السير. وقد انتفع الناس بمصنفاته لا سيما الفقهية فإن عمدة زيدية اليمن في جميع جهاته على الأزهار، وشرحه، والبحر الزخار. ولما اشتهرت فضائله وكثرت مناقبه بايعه الناس عند موت الإمام الناصر في شهر شوال سنة (٧٩٣) بمدينة صنعاء بمسجد جمال الدين، ثم خرجوا إلى بيت بوس، فترجّح لأهل بيت بوس أن تكون الدعوة من مكانهم وأظهروا الكلام والتنصير، فبادر رجل من صنعاء فوجد أهل صنعاء في صلاة الجمعة، وقد كانت وقعت المبايعة بالليل لولد الإمام الناصر، وهو الإمام المنصور عليّ بن صلاح الدين. فلما بلغهم ذلك انزعجوا وجعلوا مخرجهم من الجامع إلى حصار بيت بوس، فأحاطوا به ووقع القتال، فقتل من أهل بيت بوس نحو عشرة، ومن جيش المنصور عليّ بن صلاح قدر خمسين، في ثلاثة عشر يوماً. ثم وقع الصلح بين الجميع، على أن يرجعوا إلى ما يقوله العلماء ورجعوا جميعاً إلى صنعاء، ومعهم صاحب الترجمة. فلما وصلوا إلى صنعاء لم يحصل منهم الوفاء بما وقع عليه التصالح، فرجع من ناحية باب شعوب، هو وسبعة أنفار في الليل ووصلوا إلى بني شهاب فأجابوا دعوته وامتثلوا أمره، ومضت أوامره هنالك، وجرت أحكامه، فأخرج المنصور إلى قتاله بعض المتقدمين من أمرائه فكان النصر لصاحب الترجمة. ثم استخلف على جهات آنس، السيد عليّ بن أبي الفضائل، وعزم، ووصلته الكتب من أهل الجهات العليا ومن الأشراف آل يحيى وأهل الظاهر، واستدعوه للنهوض إلى صعدة. فلما وصل إلى محيب من جهة ناحية (حضور) لقيه العلماء والقبائل. ثم وصلته رسل الأمراء بني تاج الدين، أهل الطويلة وكوكبان فتقدم إلى الطويلة وصلحت جميع تلك الجهات ودخلت تحت طاعته، فلما علم المنصور وأمراؤه بذلك خافوا منه على صعدة. فراسلوا السيد عليّ بن أبي الفضائل بأنهم لا يريدون إلا الحق، وأنهم مع اختلاف الكلمة يخافون على البلاد من سلطان اليمن، وعرفوه أنه يسترجع الإمام. فوصلت إليه كتب السيد يستنهضه ويحرج عليه بأنه لا يجوز التأخر ساعة واحدة، فرجع فلم يقع الوفاء بما وعده المنصور، فأقام الإمام في رصابة، ثم خرج جيش من

صنعاء من جيش المنصور على غرة. فلم يشعر الإمام إلا وقد أحاطوا به، فلما علم أنه لا طاقة له بهم وقع الصلح على سلامة من معه من العلماء وسائر أصحابه، ويخرج هو إليهم يذهبون به معهم. فلما صار في جامع معبر نقضوا عهدهم وقتلوا من كان في الدار، وكان في المقتولين ثمانية من الفقهاء، وسلم منهم جماعة فأسروا معه، ودخلوا بهم دمار دخلته منكرة، ثم قيدوه وقيدوا معه السيد علي بن الهادي بن المهدي، والفقهاء سليمان وغيرهم بقيود ثقيلة، وأطلقوا بقية الفقهاء. ثم ساروا إلى صنعاء فلما قربوا منها أحاط بهم السفهاء يؤذونهم بالكلام وهم في المحمل. فقال الفقيه سليمان: أدع عليهم، فرفع سجاج المحمل، وسلم عليهم، فلما رأوه كفوا عن الأذية ودعوا الله أن ينفعهم به. ثم سجن بقصر صنعاء من سنة (٧٩٤) إلى سنة (٨٠١) وفي الحبس صنف الأزهار، ثم خرج بعناية من الذين وضعوا لحفظه. وكان خروجه بين المغرب والعشاء، وسار إلى هجرة العين. ثم طلع في جوف الليل إلى حصن ثلا، وطلب الناس منه إظهار الأمر الذي كان عليه، فرجح التأخير حتى يختبرهم، ثم بعد ذلك تقدم على صعدة مع علي بن المؤيد، وقد دعا في أيام حبسه فافتتحتا صعدة. ثم قدم المنصور بعض أمرائه ثم تلاشى الأمر، وتبسط الناس عن نصرته، فأراح قلبه عن التعلق بهذا الأمر، وعكف على التصنيف، وأكب على العلم حتى (توفاه) الله تعالى في شهر ذي القعدة سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة بالطاعون الكبير الذي مات منه أكثر الأعيان، وقبره بظفير حجة مشهور مزور. ومات المنصور علي بن صلاح في هذه السنة في شهر محرم منها.

٧٨

(أحمد بن يحيى حابس الصَّعدي اليمني أحد مشاهير علماء الزيدية)^(١)

وله مشايخ كبراء، منهم الإمام القاسم بن محمد. وبرع في علوم عدة، وصنف تصانيف منها. شرح (تكملة الأحكام) وشرح الشافية لابن الحاجب ولم يكمل، وشرح الكافل، و(تكميل شرح الأزهار)، و(المقصد الحسن)، وجميع تصانيفه مقبولة. وله شرح على الثلاثين مسألة في أصول الدين. وتولى القضاء بصعدة، واستمر فيه حتى (مات) في ليلة الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ١٠٦١ إحدى وستين وألف.

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/١٥٩؛ إيضاح المكنون: ٢/٥٤٦؛ معجم المؤلفين: ٢/٢٠٢؛
الأعلام: ١/٢٧٠.

٧٩

(أحمدُ المَكْرَ بفتح الميم والكاف وتشديد الراء المهملة)

رجل من أهل اليمن الأسفل رأيته في سنة ١٢١٥ وقد صار في سنّ عالية. أخبرني أنه في مائة وأربع وعشرين سنة ونصف سنة، ومع هذا فهو صحيح العقل والحواس مستقيم القامة حسن العبارة. وله تعلق بالتصوّف تامّ. ورأيت كثير المكاشفة، ثم بعد هذه السنّ تزوّج وولد له كما أخبرني عن نفسه في سنة (١٢١٦). وأخبرني غيره. (ورأيت رجلاً آخر) على رأس القرن الثاني عشر يذكر أنه قد صار في مائة سنة وسبع وعشرين سنة ونصف سنة، ويذكر أنه من بني الهبل، فصدّقه في علوّ سنّه. وهذا العمر خارج عن العادة المعروفة في هذه الأزمنة مع كون كل واحد من الرجلين صحيح الحواس قوي البدن. ومما يحسن ذكره هنا أن رجلاً يقال له حسين عامر الداغية من بلاد الحدا بلغ في العمر إلى نحو تسعين سنة، ثم ظهر برأسه قرنان كقرون المعز فوق أذنيه وانعطفا على أذنيه، وشاعت الأخبار بذلك إلى أن بلغت إلينا إلى مدينة صنعاء، وكان المخبرون من أهل العلم. ثم لمّا بلغ الخبر خليفة العصر حفظه الله، أرسل رسولاً يأتي به، وكان ذلك باطلاعي، فرجعت جوابات من شيخ ذلك المحل، وهو رجل يقال له (سعد مفتاح) أن صاحب القرون موجود لديهم بيقين، ولكنه قطعهما لمّا تأذى بهما، ورأيت الجوابات. ثم تواترت القضية تواتراً لم يبق فيه شكّ، وذلك في سنة (١٢١٥).

ومن الغرائب الحادثة في هذا العام أن امرأة قد كانت قريب البلوغ، فخرج لها في فرجها ذكر، وصارت رجلاً بعد أن كانت امرأة. وقد أخبرني بذلك السيد العلامة مُحَمَّد بن يَحْيَى الكُبْسِي وقال: إنّ فرجها كان ثقباً صغيراً، وأنه أمرها بعد ظهور الذكر أن تلبس لبس الرجال، فلبسته وهي الآن كذلك.

٨٠

(السيد أحمدُ بن يُوسُف)

ابن الحُسين بن الحَسَن ابن الإمام القاسم^(١)

المحقق العلامة المحدث البارع في علم السنّة المشهور بحفظها وحفظ رجالها، حتى لُقّب «الحديث» لغلّبه عليه. كان عارفاً بفنون الآلة جميعاً، وله يد طولى في علم الأدب، وقصائد طنانة، وله تخريج لمجموع الإمام زَيْد بن علي،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢/ ٢١٠؛ الأعلام: ١/ ٢٧٥؛ نبلاء اليمن: ١/ ٣٠٦.

نفيس يدلّ على طول باعه في علم الرواية، وكان مشهوراً بدمائة الأخلاق والتواضع والاحتمال والصبر وسكون الطبع والوقار. وله في ذلك أحوال عجيبة حتى كان إذا تركه أهله من طعامه وشرابه أو شيء مما يحتاج إليه لا يطلب ذلك منهم ولا يظهر عليه غضب، بل يحتمل كل شيء. وهذا في خواصّ أهله الذين هم محل تبذل الإنسان وعدم تحفظه فما ظنّك بسائر الناس. فمن قصائده الطنّانة القصيدة التي أولها: [من الخفيف]

وَأَلَمَّا يَبْتَئَنَّ لَكَ الْإِقْصَارُ	أَيُّهَا الْقَاصِرُ الْفَعَالُ عَلَى اللَّهِ
إِلَيْكَ الْإِعْذَارُ وَالْإِنْذَارُ	قَدْ أَتَاكَ الْمَشِيبُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ
فَهُوَ ضَيْفٌ قَرَاهُ مِنْكَ الْوَقَارُ ^(١)	فَأَثَرُكَ اللَّهُوَ جَانِباً وَاحْتِشَمُهُ
بَعْدَ صَحْوِ الْمَشِيبِ إِلَّا الْخُمَارُ ^(٢)	إِنَّ سُكْرَ الشَّابِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ
وَأَنَارَ الْقَتِيرِ وَهُوَ نَهَارُ ^(٣)	قَدْ تَوَلَّى رَيْعَانُهُ وَهُوَ لَيْلٌ
حُ لِرَائِيهِ فَاسْتَبَانَ الْمَنَارُ	أَضَالٌ مِنْ بَعْدِ أَنْ وَضَحَ الضُّبُّ
لَكَ وَأَقْلَلْ فَحَتَّفَكَ الْإِكْثَارُ	ضَحِكَ الشَّيْبُ مِنْهُ فَأَبْكُ خَطَايَا
فَ وَلَا صَبُوءَ وَلَا اسْتِهْتَارُ	لَيْسَ خَمْسُونَ حِجَّةً بَعْدَهَا عَزُّ
وَذَلَّ الْعُصَاةُ وَالذُّلُّ عَارُ	ذَهَبَ الْمُتَّقُونَ بِاللَّهِ بِالْعَزِّ
دَفِي فَعَلَهُ وَمَا عَنْهُ جَارُوا	وَاتَّبَعَ فِي الْوَرَى الَّذِينَ قَفُوا أَحْمَدَ
قَّ عَلَى الْخَلْقِ عِنْدَهُمْ إِيْثَارُ	سَلَكُوا نَهْجَهُ الْقُوبِمَ فَلِلْحَدِّ
وَيَ عَنْهُ وَلَا لَهُمْ اخْتِيَارُ	مَا لَهُمْ مَذْهَبٌ سِوَى الْخَبَرِ الْمَرِّ

وهي أبيات طويلة. ومن نظمه: [من الكامل]

طِيبٌ عَلَيْهَا لَذْلِي قَضَرُ	يَا لَيْلَةً بِالْقَضْرِ قَضَرَهَا
أَلَقْتُ إِلَيَّ عِنَانَهُ الْخَمَرُ	قَدْ أَمَكَنْتُ كَفِّي مِنْ قَمَرٍ
أَذْنَى إِلَيَّ قَضِيْبِهِ الْهَضَرُ ^(٤)	فَعُودُتُ أَجْنِي الْهَمَّ مِنْهُ وَقَدْ
خَمْرَيْنِ خَيْرَهُمَا حَوَى الثَّغَرُ	وَسَكْرَتُ مِنْ فِيهِ وَمِنْ يَدِهِ

(١) احتشم: استحيا، واحتشم بأمره: اهتم به، وتحشم الشيء: توقاه وتجنّبه. القَرَى: ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب وغير ذلك.

(٢) الخُمَارُ: ما خالط الإنسان من سكر الخمر، أو ما يُصيب شارِب الخمر من ألمٍ وصداع.

(٣) القَتِيرُ: أول ما يظهر من الشيب.

(٤) الهَضَرُ: الكَسْرُ، أو الجَذْبُ والإمالة.

وَعَدَا لِسَانُ الْحَالِ يُنْشِدُنِي مُتَمَثَلًا شِعْرًا هُوَ السَّخَرُ
يَا مِئَّةً افْتَنَّهَا السَّكْرُ لَا يَنْقُضِي مَتِي لَهَا الشَّكْرُ
واستمر على حاله الجميل ناشراً لعلومه متواضعاً في كلِّ أحواله حتى توفاه الله
تعالى في أواخر شهر جمادى الآخرة سنة (١١٩١)، وكان مولده بعد سنة
(١١٢٠)^(١)، ونشأ بصنعاء وأخذ عن علمائها.

٨١

(السيد أحمد بن يوسف بن الحسين ابن أحمد بن صلاح بن أحمد بن الحسين بن علي زبارة)^(٢)

بفتح الزاي بعدها موحدة وبعد الألف راء مهملة نسبة إلى محلِّ يقال له زَبَار
في بلاد خُولَانَ. ولد سنة (١١٦٦) أو في التي بعدها، وقرأ على مشايخ صنعاء،
فمن جملة مقروءاته القراءات السبع، تلاها على الشيخ العلامة هادي بن حسين
القارني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وقرأ النحو والصرف والمعاني والبيان
والأصول على مشايخ صنعاء، ومن جملتهم شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل
المغربي الآتي ذكره إن شاء الله. وقرأ الفقه على الفقيه العارف شيخنا أحمد بن
عامر الحدائي، وعلى الفقيه العارف سعيد بن إسماعيل الرشيدي. وقرأ في
الحديث على السيد العلامة الحسين بن يحيى الديلمي، وفي التفسير على المغربي
المتقدم. وبرع في أكثر هذه المعارف، وأفتى ودرّس، وصار الآن من شيوخ
العصر، ورافقني في قراءة التفسير على شيخنا المغربي. وحضر في قراءة الطلبة
عليّ في شرحي للمنتقى، وطلب مني إجازته له. وقد كنتُ في أيام الصغر حضرتُ
عنده وهو يقرأ في شرح الفاكهي للملحة، وهو أكبر متي. فإنه كان إذ ذاك في نحو
ثلاثين سنة. وهو حسن المحاضرة جميل المروءة كثير التواضع لا يعدُّ نفسه شيئاً،
يعتريه في بعض الحالات حدة، ثم يرجع سريعاً، وقد يقهرها بالحلم. وليس
بِمُتَصَنِّع في ملبسه وجميع شؤونه، وبينني وبينه مجالسة ومؤانسة ومحبة أكيدة من
قديم الأيام. ولما كان شهر رجب سنة (١٢١٣) صار قاضياً من جملة قضاة
الحضرة المنصورية أعزّها الله. وعظّمه مولانا الإمام تعظيماً كبيراً بعد أن أشرت
عليه بنصبه، وعرفته بجليل مقداره. وهو الآن حال تحرير هذه الأحرف مُستمرٌّ
على القيام بوظيفة القضاء ناشراً للعلم بقدر الطاقة.

(١) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ١١١١هـ / ١٧٠٠م.

(٢) ترجمته في معجم المؤلفين: ٢/ ٢١٠؛ الأعلام: ١/ ٢٧٥؛ نيل الوطر: ١/ ٢٤٩.

٨٢

(أحمد بن يوسف الرباعي)

ولد بصنعاء سنة ١١٥٥ خمس وخمسين ومائة وألف. ونشأ بها فأخذ عن جماعة من علمائها في الفقه والعربية والحديث. ومن جملة من أخذ عنه السيد إبراهيم بن محمد الأمير. واتصل بالحاكم الأكبر يحيى بن صالح السحولي، فكان يلي له أعمالاً فيحكمها ويتقنها. ثم بعد موته اتصل بي وأخذ عني في الحديث فقرأ عليّ في البخاري، وفي الأحكام للهادي. وحضر عندي في كثير من الدروس. وصار الآن من جملة الحكام في صنعاء، وهو مستمرّ على ملازمتي، وكثيراً ما أفوض إليه أعمالاً فيقوم بها أتم قيام. وله فهم قويّ وعرفان تامّ وإنصاف، وفهم للحقيقة وعدم جمود على التقليد، مع حسن سميت وسكون ووقار. وهو عند تحرير هذا يقرأ عليّ في شرحي للمنتقى، وفي مؤلفي المسمى «بالدر» وشرحه المسمى «بالدراري». وولده حسن بن أحمد من أذكى الطلبة، وله سماع عليّ في المؤلفين المذكورين. وهو مع حداثة سنّه يسابق في فهمه، وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى.

٨٣

(إسحاق بن محمد العبدّي الصّعديّ اليماني^(١))

ولد تقريباً في وسط القرن الحادي عشر، وقرأ على شيوخ عصره في جميع الفنون، وبرع وفاق الأقران، وصار منفرداً في جميع علومه. وله شيوخ أجلاء منهم: القاضي صالح بن مهدي المقبلّي الآتي ذكره. واتصل بالإمام المهدي صاحب المواهب، فعظمه وصار من جملة وزرائه، بعد أن كان في غاية الفقر، ونهاية المكابدة للحاجة. ثم جرى بينه وبينه شيء فارتحل المذكور إلى بلاد الهند، وأكرمه سلطانها إكراماً عظيماً، وطوّف تلك البلاد، وتردّد في الجهات، واتصل بالعلماء والملوك وغيرهم. وظفر بكتب واسعة، وتبحّر في المعارف، ودرّس وصنّف. فمن مصنفاته الحافلة المفيدة المؤلف الذي سماه (الاحتراس) مجيباً على الكردي مؤلف «النبراس» الذي اعترض به على مؤلف الإمام القاسم بن محمد المسمّى «بالأساس». ولقد أتى صاحب الترجمة في مؤلفه هذا بما يفوق الوصف من التحقيقات الباهرة. وضائق الكردي مع تبحره في العلوم مضائق شديدة، وكان يبين مواضع نقل الكردي ثم ينقل بقية الكلام الذي تركه في المنقول منه كالموافق والمقاصد وشرح التجريد ونحو

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ٢٠١/١؛ معجم المؤلفين: ٢٣٨/٢؛ الأعلام: ٢٩٦/١؛ نبلاء اليمن: ٣١٨/١.

ذلك . وكثيراً ما يوجد في الكلام ما يدفع ما أورده الكردي ، ثم بعد ذلك يتكلم بكلام لا يعرف قدره إلا من تبخّر في علوم العقل والنقل . ولقد سلك مسالك في هذا الكتاب يبعد الوصول إليها من كثير من المحققين . وله أشعار رائقة ، ورسائل فائقة ، وترسلات بليغة . وخطه في الطبقة العليا من الحسن . وحاصله أن مثله في مجموعه قليل النظير . و(توفي) في سنة ١١١٥ خمس عشرة ومائة وألف بأبي عريش ، وقبر هنالك . ومن نظمه : [من الرجز]

قِفْ بِالرُّسُومِ الْعَافِيَاتِ نَادِبَا وَأَدِّ مَنْ حَقَّ الْبُكَاءِ وَاجِبَا^(١)
وَنَادِ وَصِلِ الْعَافِيَاتِ نَادِمَا يَا آيِبَا أَنْ لَا يَكُونَ آيِبَا
فَلَا تَلَامُ إِنْ وَقَفْتَ شَاكِيَا وَإِنْ وَقَفْتَ الدَّمْعَ فِيهَا سَاكِبَا
مَعَاهِدَ عَهْدَتِهَا مَلَاعِبَا فَقَدْ عَدَّتْ بِرُغْمِنَا مَتَاعِبَا
مَا زِلْتُ فِي شَرْعِ الْغَرَامِ قَاضِيَا لَكِنَّهُ عَدَا عَلَيَّ قَاضِيَا^(٢)
وَلَمْ تَكُنْ عَزَائِمِي نَوَائِبَا وَكَمْ وَقَفْتُ فِي النَّوَى نَوَائِبَا^(٣)
فَمَا لِمَخْضُوبِ الْبَنَانِ مُعْرَضَا عَنْ وَصْلِ مَسْلُوبِ الْجَنَانِ جَانِبَا^(٤)
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً قَوْلُهُ : [من الوافر]
أَمْرٌ بَدَارَهَا فَاطُوفُ سَبْعَا وَالْثَمُّ رُكْنُهَا مِنْ بَعْدِ لَمْسِ
فَسَمُّونِي بِعَبْدِ الدَّارِ جَهْلَا وَمَا عَلِمُوا بِأَنِّي عَبْدُ شَمْسِ

٨٤

(السيد إسحاق بن يوسف بن المتوكل) على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم بن محمد^(٥)

ولد حسبما وجد بخطه في سنة ١١١١ إحدى عشرة ومائة وألف . وهو إمام الآداب ، والفائق في كل باب ، على ذوي الألباب . قرأ في الآلات ولم تطل أيام طلبه ، بل هي بالنسبة إلى أيام طلب غيره من الطلبة لا تُعدُّ ، ولكنه نال بقوة فكرته الصادقة ، وجودة ذهنه الفائقة ما لا يناله غيره من أهل الاشتغال الطويل . ثم قرأ بعد ذلك في علم الحديث على السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير ، وكان يتعجب من

(١) العافيات : الدارسات ، الممحوّات . (٢) القاضب : القاطع .

(٣) النوائب : المصائب ، النوازل . (٤) الجنان : القلب .

(٥) ترجمته في : معجم المؤلفين : ٢/ ٢٤٠ ؛ هدية العارفين : ١/ ٢٠٢ ؛ الأعلام : ١/ ٢٩٧ ؛ نبلاء اليمن : ١/ ٣٢٤ .

ذكائه، وله مصنفات منها (تفريج الكرب) في مناقب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وهو كتاب نفيس، وله رسائل كالرسالة التي سماها (الوجه الحسن المذهب للحنن)^(١)، وفيها من البلاغة وحسن المسلك ما يشهد له بالتفرد، ومضمونها الإنكار على من عادى علم السنة من الفقهاء الزيدية، وعلى من عادى علم الفقه من أهل السنة. وكان يميل إلى الإنصاف ولكنه لا يظهر ذلك لشدة الجامدين من الفقهاء على من أنصف ولم يتعصب للمذهب. وهو الذي أورد السؤال واستشكله بقوله في أوله: [من الرمل]

أَيُّهَا الْأَعْلَامُ مِنْ سَادَاتِنَا	وَمَصَابِيحِ دِيَاغِي الْمُسْكَلِ ^(٢)
خَبَرُونَا هَلْ لَنَا مِنْ مَذْهَبٍ	يُقْتَنَى فِي الْقَوْلِ أَوْ فِي الْعَمَلِ ^(٣)
أَمْ تُرَكُّنَا هَمَلًا نَرْعَى بَلَا	سَائِمِ نَقْفُوهِ نَهْجِ السَّبِيلِ ^(٤)
فَإِذَا قُلْنَا لِيَحْيَى قِيلَ لَا	هَهُنَا الْحَقُّ لَزِيدِ بْنِ عَلِي
وَإِذَا قُلْنَا لَزِيدٍ حَكَمُوا	أَنْ يَحْيَى قَوْلُهُ النَّصُّ الْجَلِي ^(٥)
وَإِذَا قُلْنَا لِهَذَا وَلِذَا	فَهُمْ خَيْرُ جَمِيعِ الْمَلَلِ
أَوْ سِوَاهُمْ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ	أَمْنَاءِ الْوَحْيِ بَعْدَ الرُّسُلِ
قَرَّرُوا الْمَذْهَبَ قَوْلًا خَارِجًا	عَنْ نُصُوصِ الْآلِ فَابْحَثْ وَسَلِّ
إِنْ يَكُنْ مُجْتَهِدًا قَرَّرَهُ	كَانَ تَقْلِيدًا لَهُ كَالْأَوَّلِ
إِنْ يَكُنْ قَرَّرَهُ مَنْ دُونَهُ	فَقَدْ ائْتَسَدَ طَرِيقُ الْجَدَلِ
ثُمَّ مَنْ نَازِلًا أَوْ جَادِلًا أَوْ	رَامَ كَشْفًا لِقَدَى لَمْ يَنْجَلِ
قَدَحُوا فِي دِينِهِ وَاتَّخَذُوا	عَرَضَهُ مَرْمَى سِهَامِ الْمُئَصِّلِ ^(٦)

ثم أجاب عن هذا السؤال علماء عصره وكثرت الجوابات إلى غاية، وهي مجموعة عند كثير من الناس، ولم يعجب المترجم له شيء منها. ثم إنه رام كشف الإشكال، وجمع رسالة سماها (التفكيك لعقود التشكيك). فلما وقفت عليها لم أستحسنها، بل كتبت عليها جواباً سميت (التشكيك على التفكيك). ولعل الذي حملة

(١) من آثاره أيضاً: «التفكيك لعقود التشكيك»؛ و«حسن الأخلاق من حسنات المولى إسحاق»؛

و«الغفر الباسم في تراجم آل القاسم»، وغيرها.

(٢) الدياجي: الظلمات. المشكل من الأمور: الملتبس، أو المبهم.

(٣) يُقْتَنَى: يُتَّبَعُ.

(٤) الهمل: المهمل المتروك ليلاً ونهاراً بلا رعاية ولا عناية. السائم: الراعي.

(٥) الجلي: الواضح، البين.

(٦) قدحوا: عابوا. المؤصل: السيف، ونحوه.

على ذلك الجواب تعويل جماعة عليه ممن علم أنه السائل . والظاهر أنه قصد بالسؤال ترغيب الناس إلى الأدلة، وتنفيرهم عن التقليد، كما يدلّ على ذلك قصيدته التي أوردتها القاضي العلامة أحمد بن مُحَمَّد قَاطِن في كتابه الذي سمّاه (تحفة الإخوان بسند سيد ولد عدنان) وأولها: [من الطويل]

تَأْمَلْ وَفَكِّرْ فِي الْمَقَالَاتِ وَأَنْصِتْ وَعَدَّ عَنْ ضَلَالَاتِ التَّعَصُّبِ وَالْفِتْ
وقد ذيلت أنا هذه القصيدة بقصيدة أطول منها وأولها: [من الطويل]

مَسَامِعُ مَنْ نَادَيْتَ يَا عَمْرُو سُدَّتْ وَصُمَّتْ لَدَى صَفْوٍ مِنَ النُّصَحِ صُمَّتْ
وهي موجودة في مجموع شعري، وقد أوردت كثيراً منها في الجواب على التفكيك المشار إليه. وسكن المترجم له (سربة)، وهي نزهة قريب دمار، جارية الأنهار باسقة الأشجار، ثم باعها وفرّاً إلى أبي عريش، إلى شريفها، وكاتب من هنالك أنه يريد رجوع ما باعه. ثم جرت خطوب آخرها أنه عاد إلى حضرة مولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين، وقد كان يكثر الإحسان إليه، كما كان والده المنصور يكثر الإحسان إليه كذلك، وكان مفرط الكرم لا يبالي بما أخذ ولا بما أعطى. وله أشعار رائقة فائقة مجموعة في كراريس، جمعها السيد الأديب مُحَمَّد بن هَاشِم بن يَحْيَى الشامي رحمه الله. وهي مشهورة بأيدي الناس فلا حاجة إلى إيراد شيء منها. و(مات) في سنة ١١٧٣ ثلاثٍ وسبعين ومائة وألف. وقد كان يحكي عن نفسه أن أجود شعره القصيدة التي مدح بها الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم رحمه الله، وهي: [من الطويل]

حَقِيقَةُ عِشْقِي فِي الْفَوَادِ مَجَازُهَا لَهَا قَرَضُ عَيْنٍ فِي الْخُدُودِ جَوَازُهَا
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ لِلْعِشْقِ دَوْلَةً تَذُلُّ لَهَا أَبْطَالَهَا وَعِزَّازُهَا
وهي قصيدة طويلة مشتملة على بلاغةٍ بليغة.

(السيد إسماعيل بن إبراهيم)

ابن الحسين بن الحسن بن يوسف ابن الإمام المهدي لدين الله مُحَمَّد بن المهدي لدين الله أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم رحمهم الله. ولد سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف بصنعاء المحمية بالله. ونشأ بها واشتغل بالمعارف العلمية. وهو ذو فكرٍ صحيح ونظرٍ قويم رجيح، وفهم صادق، وإدراك تام، وكمال تصوّر، وعقل يقلّ وجود نظيره، وحسن سمّة فائق، وتأدّب

رائق، وبشاشة أخلاقٍ وكرم أعراق . أخذ عني في الفقه والأصول والحديث، فقرأ عليّ في شرح الأزهار، وشرح «الغاية» و«شفاء» الأمير الحسين، و«أمالي» أحمد بن عيسى، و«الأحكام» للهادي . وفي البخاري والهدى، وشرحي للمنتقى، ومؤلفي المُسمّى «بالدر»، وشرحه المُسمّى «بالدراري» وفي «الكشاف» وغير ذلك . وهو الآن مُكبّ على الطلب، له فيه أكمل رغبة وأتم نشاط وعظم إقبال . وصار الآن يكتب تفسيري الذي سميته (فتح القدير) بعد أن كتب غالب مصنفاتي وسمعتها عليّ . وله اشتغال بالعبادة ومحبة للاستكثار منها . ومن حسن أخلاقه واحتماله، أتني لم أعرفه مع طول ملازمته لي أنه قد غضب مرة واحدة مع كثرة ما يدور بين الطلبة من المذاكرة والمناظرة المفضية في بعض الحالات إلى تكدر الأخلاق وظهور بعض القلق . وهذه منقبة عزيزة الوجود . وكان والده رحمه الله معدوداً من علماء الفقه . وأخوه العلامة العَلَم، ستأتي له ترجمة مُستقلة إن شاء الله . ولصاحب الترجمة نظم حسن، فمنه ما كتبه إليّ وقد أهدى لي طاقة زهر منشور: [من مجزوء الرجز]

إِلَيْكَ يَا عَزَّ الْهُدَى نِظَامَ مَنْثُورٍ أَتَى
هَدِيَّةَ أَبْرَزْهَا الرِّ بِيْعُ فِي فَضْلِ الشَّتَا
حَقِيرَةً لَكِنَّهَا طَابَتْ شَذَى وَمُنْبِتَا
كَأَصْلِكَ الزَّكَايِ الَّذِي أَبْدَى لَنَا خَيْرَ فَتَى
فَأَقْبَلَ وَسَامَحَ نَازِماً قَصَّرَ فِيمَا نَعَتَا^(١)
فَأَجَبْتُ بِقَوْلِي: [من مجزوء الرجز]

يَا بَنَ الْأُولَى فِي شَأْنِهِمْ بِهَلْ أَتَى الْمَذْحُ أَتَى
وَمَنْ هُمُ الْقَادَةُ إِنْ أَعْضَلَ خَطْبٌ أَوْ عَتَا^(٢)
بِحَلْقٍ مِنْ فِضَّةٍ بَعَثْتَ يَا خَيْرَ فَتَى
كَأَنَّهُ الْجَامَاتُ فِي فَيَرْوِجُ قَدْ نَعَتَا^(٣)
أَوِ الثُّرَيَّا أَوْ عُقْو دَالِدُورٌ إِنْ مَا نَبَتَا
نَظْمُكَ وَالْمَنْثُورُ وَ فَاِنِّي مَتَى الْوَصْلُ مَتَى

(١) نَعَتَ: وَصَفَ.

(٢) أَعْضَلَ الْخَطْبُ: صَعِبَ وَأَشْكَلَ.

(٣) الْجَامَاتُ: الْكُؤُوسُ، الْوَاحِدُ: جَامٌ، وَهِيَ مِنَ الْفِضَّةِ خَاصَّةً.

٨٦

(إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد)

الهاشمي العقيلي الجبرتي، ثم الزبيدي الشافعي. ولد سنة ٧٢٢ اثنتين وعشرين وسبعمائة، وكان له أحوال ومقامات، ولأهل زبيد فيه اعتقاد كبير. وكان يلزم قراءة سورة يس، ويأمر بها، ويزعم أن قراءتها لقضاء كل حاجة. وكان أول ظهور أمره أنه بشر السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه، وكان الأمر كذلك. وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا تُردُّ. وكان منزله ملجأً لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات. فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة، وأهل البطالة للسمع واللهو، وأهل الحاجات لوجهته، فإنه تتلمذ له أحمد بن الرَّدَاد، ومُحمَّد المزجاجي، فجالسا السلطان، وكان مغرَى بالسمع والرقص، داعياً إلى نحلة ابن عربي حتى صار من لا يحصل نسخة من الفصوص تنقص منزلته عنده. واشتد البلاء على العلماء الصادعين بالحق بسببه، وفيه يقول بعض الأدباء، وكان منحرفاً عنه ومعتقداً لإصلاح المصري: [من الرمل]

صَالِحُ الْمِصْرِيِّ قَالُوا صَالِحٌ وَلَعْمَرِي إِنَّهُ لَلْمُنْتَخَبِ
كَانَ ظَنِّي أَنَّهُ مِنْ فِتْيَةٍ كُلُّهُمْ إِنْ تَمَتَّحْنَهُمْ تُخْتَلَبُ^(١)
رَهْطُ إِسْمَاعِيلَ قُطَاعُ الطَّرِ يَقُ إِلَى اللَّهِ وَأَرْبَابُ الرِّيبِ
سَفَلٌ حَمَقَى رَعَا غَاغَةً أَكَلَبُ فِيهِمْ عَلَى الدُّنْيَا كَلَبُ^(٢)

وقد كان قام صالح المصري هذا على صاحب الترجمة، فتعصبوا له حتى نفوه إلى الهند، ثم كان الفقيه أحمد الناشري عالم زبيد يقوم عليه، وعلى أصحابه، ولا يستطيع أن يغيرهم عمّا هم فيه لميل السلطان إليه. وبالغ في تعظيمه (الخزرجي) في تاريخه وقال: كان في أول أمره مُعلِّم أولاد، ثم اشتغل بالنسك والعبادة وصحب الشيوخ ففتح عليه، وتسلك على يديه الجم الغفير، وبعد صيته، وانتشرت كراماته، وارتفعت مكانته عند الخاص والعام. وبالغ الأشرف إسماعيل بن العبّاس في امتثال أوامره. (مات) في نصف شهر رجب سنة ٨٠٦ ست وثمانمائة.

٨٧

(السيد إسماعيل بن أحمد الكبسي)

ولد تقريباً بعد سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، وهو أحد علماء صنعاء

(١) اختَلَبَ فلاناً: خدعه وفتن قلبه.

(٢) الرَّعَاغُ من الناس: الغوغاء. الكَلَبُ (هنا): شِدَّةُ الحرص على الشيء.

المعاصرين، له عرفان بالنحو والصرف والمعاني والبيان والفقه، وإمام بالأصول، لا سيما أصول الدين. وهو بمكان من الزهد والعفة والانجماع عن بني الدنيا والقنوع بما يصل إليه وإن كان يسيراً. وله عناية بقول الحق والمناصحة لأهل الولايات. وأكثر ما يكتب إليّ في ذلك من كلماته المقبولة، وله شعر جيد، فمن شعره ما كتبه إليّ يعاتبني لما شددت على جماعة من القضاة الذين يأخذون الأجرة من الناس، وكان فيهم ثلاثة حكام من الكباسية. ومن جملة أبياته قوله: [من الكامل]

عَزُّ الْأَنَامِ مُحَمَّدٌ فَهُوَ الَّذِي طَابَتْ عَنَاصِرُهُ وَأَكْرَمُ مَنْ سُئِلَ
الْحَبْرُ وَالْبَحْرُ الْخِضْمُ وَحَاكُمُ الْإِسْلَامَ عَالِمَنَا وَمَلْجَأُ مَنْ وَجِلَ^(١)
يَا مَنْ عَلَا كَيَوانُ إِنْ زَمَانُنَا أَرْسَى عَلَى الْآلِ الْوِبَالِ فَهَلْ جَهْلُ^(٢)

وهي أبيات طويلة مذكورة في غير هذا الموضع، وله إليّ سؤالات. وكان ساكناً في الروضة، فأرسلها إليّ مع شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي رحمه الله، فأجبت عليها بجواب طويل وأرسلتها إليه مع شيخنا المذكور. وهو الآن يقرأ عليه في فنون متعددة، وللناس إليه رغبة لزهده وورعه^(٣).

٨٨

(السيد إسماعيل بن أحمد الكبسي الملقب «مُغَلِّس»)

ولد سنة^(٤) وقرأ على جماعة من أهل العلم كالسيد العلامة عليّ بن عبد الله الجلال. وشيخنا العلامة أحمد بن محمد الحرازي، وغيرهما من مشايخ صنعاء، وهو الآن من المدرسين في جامع صنعاء في الفقه والآلات. وله معرفة تامة، وفطرة سليمة، وفاهمة قوية. وهو الآن يقرأ عليّ من جملة الطلبة في شرح العضد على مختصر «المنتهى» وحواشيه. وهو كثير الطاعة، قليل الفضول، كثير الإقبال على شأنه، صليب الديانة، تعتريه حدة، لا سيما إذا شاهد شيئاً من المنكرات، كثر الله أمثاله. وقد خرج من صنعاء في أواخر سنة (٢١) إلى حصن الظفير هو وجماعة، ودعا إلى نفسه، وبثّ دعوته إلى الأقطار، وجرت أمورٌ طويلة، وبعد ذلك ترك الدعوة واستقرّ هنالك^(٥).

(١) الْحَبْرُ: العالم الخبير. الْبَحْرُ الْخِضْمُ: الواسع. وَجِلَ الرَّجُلُ: خاف وفزع.

(٢) الْوِبَالُ: الفساد، أو الشدة، أو سوء العاقبة، قال تعالى: ﴿فَذَاقْتُ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: ٩].

(٣) توفي سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م (الوجيز).

(٤) لم يذكر المؤلف تاريخ ولادته.

(٥) توفي سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م. (شرح تحفة المسترشدين بذكر الأئمة المجددين).

(إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم)^(١)

ابن علي بن عطية بن علي الشرف الشرجي اليماني الشافعي المعروف بالمقرئ الزبيدي: (ولد) سنة ٧٥٤ أربع وخمسين وسبعمئة، وتفقه بالجمال الراعي، وقرأ العربية على محمد بن زكريا، وعبد اللطيف الشرجي، وغيرهما. وقرأ في عدة فنون، وبرز في جميعها، وفاق أهل عصره، وطال صيته، واشتهر ذكره، ومهر في صناعة النظم والنثر، وجاء بما لا يقدر عليه غيره. وأقبل عليه ملوك اليمن، وصار له حظ عظيم عند الخاص والعام. وولاه الملك الأشرف تدریس المجاهدية بتعز، والنظامية بزبيد، فأفاد الطلبة. وعُيِّن للسفارة إلى الديار المصرية، ثم تأخر ذلك لطمعه في الاستقرار في قضاء الأقضية بعد المجد الشيرازي صاحب القاموس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، فلم يتم له مناه، بل كان يرحوه في حياة المجد، ويتحامل عليه بحيث أن المجد عمل للسلطان كتاباً، وجعل أول كل سطر منه الألف. فاستعظمه السلطان، فعمل له صاحب الترجمة كتابه الذي لم يسبق إليه المعروف (بعنوان الشرف) والتزم أن يخرج من أواخره ووسطه علوماً غير العلم الذي يخرج من جميعه وهو الفقه، ولم يتم في حياة الأشرف، فقدّمه لولده الناصر، ووقع عنده، بل وعند سائر علماء عصره ببلده وغيرها موقعاً عظيماً. ومن تأمله رأى فيه ما يعجز عنه غالب الطباع البشرية، فإنه إذا قرأه القارئ جميعاً وجده فقهياً، وإذا قرأ أوائل السطور فقط وأواسطها فقط وأواخرها فقط استخرج من ذلك علم النحو والتاريخ والعروض والقوافي. ومن مصنفاته (الروض) مختصر الروضة، فكان الاسم مختصراً من اسم الأصل (الإرشاد) وهو كتاب نفيس في فروع الشافعية رشيح العبارة حلو الكلام في غاية الإيجاز مع كثرة المعاني. وشرحه في مجلدين، وقد طار في الآفاق، واشتغل به علماء الشافعية في الأقطار، وشرحه جماعة منهم، وله «بديعية» بديعة، وله تصانيف غير هذه. وارتقى في جميع المعارف إلى رتبة لم يشتمل على مجموعها غيره، بل قيل إن اليمن لم ينجب مثله. وشعره في الذروة العالية حتى قال بعض معاصريه: إنه أشعر من المتنبي. ولعلّه بالنسبة إلى ما يأتي به في شعره من الأنواع الغريبة، والأساليب العجيبة، كالقصيدة التي تُقرأ حروف رويها بالضم والنصب والجر. ومن شعره ما يخرج من البيت الواحد وجوه تزيد على الألف. وكان مع إجادته في الشعر يكره أن ينتسب إليه حتى قال: [من الوافر]

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢٩٢/٣؛ بغية الوعاة: ١٩٣؛ شذرات الذهب: ٢٢٠/٧؛ كشف الظنون: ٦٩، ٢٣٤، ١٣٣٦؛ إيضاح المكنون: ٤٩/١، ١٨٩/٢؛ معجم المؤلفين: ٢/٢٦٢؛ الأعلام: ٣١١/١.

بَعَيْنِ الشَّعْرِ أَبْصَرْنِي أَنَا
فَلَمَّا سَأَنِي أَخْرَجْتُ عَيْنَهُ
خُرُوجاً بَعْدَ رَأْيِ كَانِ رَأْيِي
فَصَارَ الشَّعْرُ مِنِّي الشَّرْعَ عَيْنَهُ

قال ابن حَجَرٍ في أنبائه: أنه اجتمع به في سنة (٨٠٠) ثم في سنة (٨٠٦)، قال: وفي كل مرة يحصل لي منه الودّ الزائد والإقبال. وتنقلت به الأحوال، وولي بعض البلاد في دولة الأشرف، وناله من الناصر جائحة تارة، وإقبال أخرى، وكان يتشوّق لولاية القضاء بتلك البلاد فلم يتفق له. قال: ومن نظمه بديعية التزم في كل بيت منها تورية مع التورية باسم النوع البديعي، وله مسائل وفصائل. وعمل مرة ما يتفرع من الخلاف في مسألة الماء المشمس، فبلغت آلافاً. قال: وله خصوصية بالسلطان. وولي عدة ولايات دون قدره. وله تصانيف، وحذق تام، ونظر مليح، ما رأيت باليمن أذكى منه. انتهى. والحاصل أنه إمام في الفقه والعربية والمنطق والأصول وذو يد طولى في الأدب نظماً ونثراً، ومتفرد بالذكاء وقوة الفهم وجودة الفكر، وله في هذا الشأن عجائب وغرائب لا يقدر عليها غيره. ولم يبلغ رتبته في الذكاء واستخراج الدقائق أحد من أبناء عصره، بل ولا من غيرهم. سمع بعض الناس يذكر بيتي الحريري^(١) في المقامات اللذين قال إنه قد أمن أن يُعزّزا بثالث وهما: [من السريع]

سِمٌ سِمَةٌ تَحْمَدُ آثَارَهَا فَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِسِمَهُ
وَالْمَكْرَ مَهْمَا اسْطَعَّتْ لَا تَأْتِيهِ لَتَقْتَفِي السُّؤْدُودَ وَالْمَكْرُمَهُ

فقال: إن تعزّيزهما بثالث غير ممتنع، فجدد ذلك البعض، وطال بينهما النزاع، فرجع إلى بيته، وعمل على هذا النمط توفية خمسين بيتاً، وأرسل بها إلى من جادله، وقال: قد صاروا خمسين. وأول أبياته: [من السريع]

مِنْ كُلِّ مَهْدِيٍّ وَدَعَا أَحْمَدًا أَجِيبْ مَا أَسْعَدَ مِنْ كَلَمَةٍ

وقد كان بعض المتأخرين ممن عاصره قبل عصر صاحب الترجمة قد عزّز بيتي الحريري بثالث وهو: [من السريع]

وَالْمَسْ لِمَهْوَى الضَّيْفِ خَيْرَ الْقَرَى وَسَلَّمِ الْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمَةَ

ومع كونه بهذه المنزلة من الذكاء كان غاية في النسيان حتى قيل إنه لا يذكر ما كان في أول يومه. ومن أعجب ما يحكى في نسيانه أنه نسي مرة ألف دينار ثم وقع عليها بعد مدة اتفاقاً فتذكر ذلك مع عدم توسعه في الدنيا بل مع مزيد حاجته إلى ما هو أقل من ذلك. وكان ينكر نحلة ابن عربي وأتباعه، وبينه وبين متبعيه معارك. وله

(١) هو أبو محمد، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري: أديب كبير، له مؤلفات كثيرة، أشهرها «المقامات»، توفي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م. (الأعلام: ٥/ ١٧٧).

في ذلك رسالتان وقصائد كثيرة. (مات) في سنة ٨٣٧ سيع وثلاثين وثمانمائة. وترجمته تحتل كراريس.

٩٠

(السيد إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن)

ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد شيخنا العلامة المدرّس. ولد تقريباً بعد سنة ١١٢٠ عشرين ومائة وألف. ونشأ بصنعاء وأخذ عن أكابر علمائها، ثم انتفع به الطلبة في العربية، واشتهر على الألسن أنه من افتتح طلبه عليه في علم العربية استفاد. وكنت من جملة من افتتح عليه في العربية، فقرأت عليه «ملحة الإعراب» للحريري، وشرحها المعروف بشرح بحرق، وكان له بي عناية كاملة، وله مشاركة قوية في علم الصرف والمعاني والبيان والأصول. ومن بركته المُجربة أني تصدّرت للتدريس في الملحة وشرحها قبل الفراغ من قراءتها عليه، وكان رحمه الله يواظب على التدريس مع ضعفه وعلوّ سنّه، وكنت أراه يأتي الجامع المقدس في أيام الشتاء وشدة البرد فيقعد للتدريس، وقد أثر فيه البرد مع الحركة تأثيراً قوياً. واستمرّ رحمه الله على ذلك حتى (توفاه) الله تعالى في يوم الجمعة لست عشرة ليلة خلت من شهر صفر سنة ١٢٠٦ ستّ ومائتين وألف.

٩١

(السيد إسماعيل بن الحسن الشامي)

مولده سنة ١١٥٤ أربع وخمسين ومائة وألف. وله شغلة بالزهد والورع والاشتغال بخاصة نفسه. وأتصل بالسيد عليّ بن مُحَمَّد بن عامر أيام توليته للأوقاف، فكان ينوب عنه في كثير من الأعمال. ثم استقر بعد مدة في وقف مدينة ثلا، ثم استقرّ بعد ذلك في ولاية وقف صنعاء، وهو الآن مستمرّ على ذلك. وبينني وبينه مودة صادقة ومحبة خالصة، ولنا اجتماعات نفيسة، وهو كثير التواضع، حسن الأخلاق، عالي الهمة، كثير المروءة، كثير البر والإحسان، لا برح في حماية الملك الديان. وله يد في المعارف العلمية، وعمل بما يقتضيه الدليل، وإنصاف في جميع مسائل الخلاف. و(توفي) رحمه الله في شهر شعبان سنة ١٢٣٤ أربع وثلاثين ومائتين وألف.

(الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد^(١))

رضي الله عنهما. وسيأتي تمام نسبه في ترجمة أخيه الحسن إن شاء الله. ولد في نصف شعبان سنة ١٠١٩ تسع عشرة وألف في شهارة، ونشأ بها. وكان كامل الخلق، معتدل القامة، أسمر اللون، عظيم اللحية، أشعر الذراعين، قوي الحركة كثير التبسم، حسن الخلق. قرأ على جماعة من أعيان علماء عصره في الفقه وسائر الفنون، فبرع في الفقه، وفاق على علماء عصره في ذلك، وأقر له الكبير منهم والصغير، ورجعوا إليه في المعضلات. وشارك في بقية الفنون مشاركة قوية. وكان يقرئ فيها أعيان علماء عصره، وصنّف مصنّفات، منها: (العقيدة الصحيحة) وشرحها (المسائل المرتضاة إلى جميع القضايا)، وحاشية على «منهاج» الإمام المهدي في الأصول، بلغ فيها إلى بعضه. ورسالة في «الطلاق للثلاث». وفي المحاضرة في إبطال الدور، وفي الخلع، وفيما وقع إهداره في أيام البغاة، وفيما يؤخذ من الجبايات. وكان واسع الحلم، قوي الصبر، شديد الإغضاء. ولما اشتهرت فضائله وتمّت مناقبه، دعا إلى نفسه بعد موت أخيه الإمام المؤيد بالله مُحَمَّد بن القاسم في يوم الأحد سلخ رجب سنة ١٠٥٤ أربع وخمسين وألف. وقد كان تقدّمه صنوه أحمد بن القاسم، ودعا إلى نفسه، لأنه كان عند المؤيد بالله في شهارة. فقوّى عزمه على الدعوة القاضي أحمد بن سعد الدين المتقدم ذكره فدعا. وتأخرت دعوة المتوكل لأنه كان عند موت أخيه في ضوران، وبين المحلين مسافة. ولم يعدّ دعوة أخيه أحمد مانعة من دعوته، لكونه لم يكن جامعاً لشروط الإمامة المعتبرة في مذهبهما التي منها الاجتهاد، ولم يكن أحمد بهذه المنزلة في العلم. ولما ظهرت دعوة المتوكل على الله تلقاها الناس بالقبول، ودخلوا تحت طاعته. وقد كان أيضاً دعا ابن أخيه مُحَمَّد بن الحسن بن القاسم في اليمن، ولكنه لما بلغته دعوة عمّه إسماعيل ترك. ودعا في الشام (بلاد صعدة) السيد إبراهيم بن مُحَمَّد بن أحمد بن عزّ الدين بن عليّ بن الحسين ابن الإمام عزّ الدين بن الحسن، واستمر أحمد بن القاسم على دعوته، وبعث العساكر إلى الجهات المتفرقة لحفظ الأطراف من غير إيذان بحرب، ولكنه ما زال أمره يتناقص، ولا سيّما بعد مبايعة السديين الأعظمين مُحَمَّد بن الحسن بن القاسم، وأخيه أحمد بن الحسن للمتوكل على الله فإنه ضعف جانب أحمد غاية الضعف، ولم يتقاعد عن القيام بالدعوة وتجهيز الجيوش. ووقعت حروب قتل فيها جماعة قليلة، ثم ارتحل

(١) ترجمته في: الأعلام: ١/٣٢٢؛ معجم المؤلفين: ٢/٢٨٧؛ هدية العارفين: ١/٢١٨؛ إيضاح المكنون: ٢/١١٦.

أحمد إلى عمران، ثم إلى ثلث، وأحيط به فيها، فجرى الصلح على أن يقع الاجتماع بين الأخوين، ومن غلب الآخر في العلم استقل بالإمامة، فظهر فضل صاحب الترجمة، فبايعه أخوه أحمد، ثم بايعه الناس الذين معه، وسكنت الأمور. وأما السيد إبراهيم فما زال أمره يضطرب، فتارة يبايع، وتارة يظهر بقاءه على دعوته، وتكرّر منه ذلك، ولم يكن معه ما يعول به من جند ولا أتباع، وصارت اليمن جميعها تحت طاعة صاحب الترجمة، وصفا له الوقت، وقهر الأضداد، ولم يبق له مخالف. وكان أكبر رؤساء دولته ابن أخيه مُحَمَّد بن الحَسَن بن القاسم، فإنه كان يقبض حواصل أحسن البلاد. ثم بعده أحمد بن الحَسَن بن القاسم، وكان مجاهداً، ويبعث به الإمام إلى الأقطار النائية للغزو، فيظفر ويعود، وقد دوّخ ما بعثه إليه كما فعل لما بعثه المتوكل إلى يافع، فإنه استولى عليها جميعاً وقهر سلاطينها، وفتح حصونها، ودخلوا تحت طاعته. وكذلك فعل مرّة بعد مرّة، ثم وجهه إلى عدن، ولحج، وأبين، ففعل فيها كما فعل في يافع. وكذلك توجّه إلى حضرموت فافتتحها بعد فراغه من افتتاح يافع، وأذعن هذه البلاد كلها بالطاعة لصاحب الترجمة. ولم ير الناس أحسن من دولته في الأمن والدعة والخصب والبركة. وما زالت الرعايا معه في نعمة، والبلاد جميعها مجبورة كثيرة الخيرات. وكثرت أموال الرعايا وكل أحد آمن على ما في يده لعلمه بأن الإمام سيمنعه عدله عن أن يتعرض لشيء من ماله، وغير الإمام تمنعه هيبة الإمام عن الإقدام إلى شيء من الحرام. وقد كان الناس حديثي عهد بجور الأتراك، قد نهكتهم الحرب الواقعة بينهم وبينهم على طول أيامها. قال السيد عَامِر بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عَامِر الشهيد في (بغية المريد) أن الإمام المترجم له مات ومعه من أنواع الطيب ما قيمته مائة ألف أوقية فضة، وذكر أنه خلف من النقد والعروض ما لا يأتي عليه الحصر، وخلف من الطعام ثلاثمائة ألف قدح صنعاني. هذا معنى ما ذكره. والإمام ما زال ينتقل من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، وصحبته أكابر العلماء وطلبة العلم يأخذون عنه ما يريدون، وهو يبذل لهم ذلك ويفيض عليهم من بيوت الأموال ما يحتاجون إليه. وكان الغالب بقاؤه في ضوران، وما زال على هذا الحال الجميل والعيش الحسن. وقد دخل تحت طاعته السلاطين من يافع وحضرموت وعدن وظفار، وغير هذه الديار، فمنهم من وفد راغباً، ومنهم من وفد راهباً، ومنهم من وصل أسيراً وجيوش الإمام تقاتل في الأطراف دائماً. ومن جملة من والى الإمام وتابعه الشريف صاحب مكة. واستمر على حاله الجميل حتى (توفي) في ليلة الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة ١٠٨٧ سيع وثمانين وألف، وله جوابات مسائل سأله بها علماء عصره، وهي كثيرة جداً متفرقة بأيدي الناس، لو جمعت لجاءت مجلداً. وللناس عليها اعتماد كبير لا سيما الحكام.

(السيد إسماعيل بن علي بن حسن ابن أحمد بن حميد الدين بن مطهر ابن الإمام شرف الدين)

ولد في سنة ١١٣٣ ثلاث وثلاثين ومائة وألف، بصنعاء، ونشأ بها فقراً على جماعة من أعيانها، منهم السيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير، والسيد يُوسُف العجمي، وجماعة آخرين في علم العربية وغيره، ودرّس وأفاد، وهو من السادة القادة النجباء الكملاء والعقلاء، وفيه مروءة وفتوة، وحسن أخلاق، وملاححة محاضرة، وجودة بادرة، وحفظ الأخبار النادرة والأشعار الرائقة. وقد مال إليه مولانا الإمام المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله، فصار يدعوه إلى مقامه في كثير من الأوقات ويجالسه، وكثيراً ما يقع الاجتماع بيني وبينه هنالك. أما في يوم الجمعة للحضور عند الخليفة حفظه الله للعشاء والقهوة، فعلى سبيل الاستمرار ويجري بيننا هنالك من المذاكرات الأدبية والعلمية ما تشنف الأسماع، وهو يورد ما يطابق المقام ويوافق مقتضى الحال، ويبحث معي في كثير من المعاني الدقيقة والطرائق الرقيقة والأخبار الرشيقة. وفيه من سُمُو الهمة وعزّة النفس ما لا يقدر عليه غيره لا سيما في مثل هذه المواطن التي يظهر فيها جواهر الرجال، فإني لم أسمع منه على طول مدة اجتماعي به هنالك كلمة مؤذنة بالخضوع لمطلب من مطالب الدنيا، لا تصريحاً ولا تلويحاً، بل يستطرد في كلامه قصصاً ووقائع فيها مواعظ، لها وقع في القلوب قاصداً بذلك التعرض للثواب الأخروي، وقد صار حال تحرير هذه الأحرف وهو سنة (١٢١٣) في ثمانين سنة. وله نشاط تام إلى الحركة وركوب الخيل التي يهاب ركوبها أكثر الشباب. فإن مولانا حفظه الله يركبه على خيله المعدة لركوبه عليها في كثير من الحالات ولم ينقص شيء من حواسه الظاهرة والباطنة إلا مجرد ثقل يسير في سمعه، وهو مواظب على الطاعات يعين الضعفاء بما يقدر عليه من ملكه أو بالشفاعة. ثم (مات) رحمه الله في شهر شوال سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف. وولده (علي) له شغلة بالعلم كبيرة وعناية تامة، قرأ في الآلات على أعيان علماء العصر، ورافقني في قراءة الكشف والعضد والمطول وحواشي هذه الكتب على شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وهو الآن مكبّ على الطلب ملازم لمعالي الرتب. وله قراءة على السيد العلامة شرف الدين بن إسماعيل بن مُحَمَّد بن إسحاق، وربما قرأ عليه بعض الطلبة في الآلات. وله من حسن الأخلاق ولطافة الطبع وبشاشة الوجه للخاص والعام ما لا يقدر عليه غيره. وهو حال تحرير هذا مناهز للخمسين، وأخبر لي أن مولده في سنة ١١٦٦ ست وستين ومائة وألف. وولده (حسن بن علي بن إسماعيل) قد صار من الطلبة المستفيدين، له اشتغال

بالفقه وعلم العربية وسائر العلوم، وهو كأبيه وجده في حسن الأخلاق واللطافة والظرافة، و(مات) رحمه الله في سنة ١٢١٥ خمس عشرة ومائتين وألف قبل موت جده بأشهر، وهو في عنفوان شبابه.

٩٤

(إسماعيل بن علي بن محمود ابن مُحَمَّد بن عُمر بن شاهنشاه بن أيوب)^(١)

الملك المؤيد صاحب حماة. ولد سنة (٦٧٢) اثنتين وسبعين وستمائة، وأمره الناصر فخدمه لما كان بالكرك فبالغ. فلما عاد الناصر إلى السلطنة وعده بسلطنة حماة، ثم سلطنه بها، يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغير ذلك ولا يؤمر ولا ينهى. أركبه الناصر شعار المملكة والسلطنة ومشى في خدمته أكابر أمراء الناصر فمن بعدهم، واستقر بحماة، ثم قدم إلى مصر على السلطان الناصر في سنة (٧١٦) فبالغ السلطان في إكرامه. ثم قدم مرة أخرى فحج مع السلطان سنة (٧١٩) فلما عاد عظم في عين السلطان، لما رآه من آدابه وفضائله وألبسه بعد العود شعار السلطنة وبين يديه جميع خواص الناصر وسائر الناس. ومشى السلحدار بالسلح والديودار الكبير بالدواة والغاشية والعصايب وجميع دست السلطان بين يديه. وكان جملة ما وصل إلى أهل الدولة بسببه في هذا اليوم مائة وثلاثين تشريقاً منها ثلاثة عشر أطلس. وكان يزور السلطان في كل سنة غالباً ومعه الهدايا والتحف، وأمر السلطان جميع النواب أن يكتبوا إليه: يقبل الأرض، وهذا لفظ يختص بالسلطان الأعظم. وكان الناصر نفسه يكتب إليه ذلك. وكان جواداً شجاعاً عالمياً بفنون عدة لا سيما الأدب فله فيه يد طويلة، نظم الحاوي في الفقه، وصنّف تاريخه المشهور، ونظم الشعر والموشحات، وكان له معرفة بعلم الهيئة، قال ابن حجر في «الدرر الكامنة»: ولا أعرف في أحد من الملوك من المدائح ما لابن نباته، والشهاب محمود، وغيرهما فيه إلا (سيف الدولة). وقد مدح الناس غيرهما من الملوك، لكن اجتمع لهذين من الكثرة والإجادة من الفحول ما لم يتفق لغيرهما، وكان يحب أهل العلم ويقربهم. وكان لابن نباته عليه راتب في كل سنة يصل إليه سوى ما يتحفه به إذا قدم عليه، وكان الناصر يكتب إليه (أعز الله أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الملكي المؤيدي) وهذا وهو نائب من نوابه. وكان نائب الناصر في الشام، وهو أكبر النواب يكتب إلى صاحب الترجمة: يقبل الأرض، وأما غير نائب الشام فيكتب إليه: يقبل الأرض وينهى.

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣٧١/١؛ شذرات الذهب: ٩٨/٦؛ النجوم الزاهرة: ٢٩٢/٩؛ فوات الوفيات: ١٦/١؛ البداية والنهاية: ١٦٦/١٤؛ كشف الظنون: ٤٦٨، ١٣٧٤، ١٦٢٩؛ إيضاح المكنون: ٣٨٢/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٨٣/٢؛ الأعلام: ٣١٩/١.

واستمر على حاله الجميل حتى (مات) في شهر محرم سنة (٧٣٢)، ومن نظمه:
[من الكامل]

أَحْسِنُ بِهِ طَرْفًا أَفَوْتُ بِهِ الْقَضَا إِنَّ رُؤْمَتَهُ فِي مَطْلَبٍ أَوْ مَهْرَبٍ
مِثْلُ الْغَزَالَةِ مَا بَدَتْ فِي مَشْرِقٍ إِلَّا بَدَتْ أَنْوَارُهَا فِي الْمَغْرِبِ^(١)

٩٥

(عماد الدين إسماعيل بن عُمَر) ابن كثير البَصْرِيُّ الْأَصْلُ الدَّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ^(٢)

ولد بقرية من أعمال مدينة بصرى سنة (٧٠١)، ثم انتقل إلى دمشق سنة ست وسبع مائة، وتفقه بالشيخ برهان الدين الفزاري، وغيره. وسمع من القاسم بن عساکر، والمزني، وغيرهما. وبرع في الفقه والتفسير والنحو، وأمعن النظر في الرجال والعلل، ومن جملة مشايخه شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ولازمه وأحبّه حباً عظيماً، كما ذكر معنى هذا ابن حجر في الدرر. وأفتى ودرّس. وله تصانيف مفيدة منها التفسير المشهور وهو في مجلدات. وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار. وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها. ومن مصنفاته: كتاب (التكميل في معرفة الثقة والضعفاء والمجاهيل) في خمسة مجلدات و(كتاب البداية والنهاية) في أربعة وخمسين جزءاً و(كتاب الهدى والسنن، في أحاديث المسانيد والسنن) جمع فيه بين مسند الإمام أحمد، والبرّار، وأبي يعلى، وابن أبي شيبة إلى الكتب الستة. وله التاريخ المشهور. وقد انتفع الناس بمصنفاته، ولا سيما التفسير. (مات) في شعبان سنة (٧٧٤).

٩٦

(السيد إسماعيل بن مُحَمَّد بن إسحاق) ابن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن مُحَمَّد^(٣)

ولد سنة ١١١٠ عشر ومائة وألف. ونشأ بمدينة صنعاء وقرأ على والده، وعلى السيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير، وبرع في العلوم لا سيما الأصول، وشرح

(١) الغزالة: الشمس.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣٧٣/١؛ النجوم الزاهرة: ١٢٣/١١؛ شذرات الذهب: ٢٣١/٦؛ كشف الظنون: ١٠، ١٩، ٤٧١، ١١٦٢؛ إيضاح المكنون: ١٩٤/٢؛ معجم المؤلفين: ٢/٢٨٤؛ الأعلام: ٣٢٠/١؛ تاريخ آداب اللغة: ٢٠٢/٢.

(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٨٨/٢؛ هدية العارفين: ٢٢١/١.

(منظومة الكافل) في الأصول لشيخه السيد محمد الأمير شرحاً حافلاً في مجلدين جاء فيه بما في المطولات من الفوائد، وكان من جملة من خرج مع والده أيام وقوع المنازعة بينه وبين الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم ابن الإمام المهدي. واعتقله المنصور، ثم أفرج عنه الإمام المهدي العباس بن الحسين، وله نظم فائق، فمنه: [من مجزوء الكامل]

طَالَ النَّوَى شَهْرًا فَشَهْرًا حَتَّى قَطَعْتُ الدَّهْرَ هَجْرًا^(١)
هَجْرًا طَوِيلًا لَمْ أَطِقْ لَزِمَانِهِ عَدًّا وَحَضْرًا
يَا هِنْدُ رَقِي لِلَّذِي أَضْرَمْتُ فِي أَحْشَاءِ جَمْرًا^(٢)

وهي أبيات طويلة ومنه: [من مجزوء الرمل]

لَا وَخْمُرٍ فِي الشِّفَاتِ أَسْكُرْتُ بِالرَّشْفَاتِ^(٣)
وَلَا لِمَنْ تُغْغُورُ فِي عَقِيقٍ مِنْ شِفَاتِ
وَعُصُونٍ مِنْ قُدُودِ بِنُهْودٍ مُثْمَرَاتِ
وَرِيَاضٍ فِي خُدُودِ زَاهِيَّاتِ نَاعِمَاتِ

وهي أبيات من قصيدة كتب بها إلى السيد العلامة إسحاق بن يوسف، وأجابه بأبيات أولها: [من مجزوء الرمل]

اسْمَعُوا عَنْ عَبْرَاتِي فَهِيَ فِي الْحَبِّ رُؤَاتِي^(٤)
ولصاحب الترجمة رسائل نفيسة وأبحاث شريفة وقفنا على بعضها عند ولده السيد العلامة شرف الدين بن إسماعيل، وستأتي ترجمته. وكان صاحب الترجمة رئيساً كبيراً وعالمًا شهيراً، وأشعاره كثيرة في غاية الرقة والانسجام. وله ماجريات لا يتسع لها المقام، و(مات) في شهر ذي القعدة سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف.

(السيد إسماعيل بن محمد)

ابن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد^(٥)

الرئيس المشهور المؤرخ الأديب مؤلف (سمط اللآل في شعراء آل)، وهو كتاب

(١) النَّوَى: البُعْدُ. (٢) أَضْرَمْتُ: أشعلت.

(٣) الشِّفَات: جمع الشفة. الرَشْفَات: جمع الرشفة: المَصَّة.

(٤) العَبْرَات: الدُمُوع.

(٥) ترجمته في: إيضاح المكنون: ٢٧/٢؛ هدية العارفين: ٢١٨/١، معجم المؤلفين: ٢٩١/٢؛

خلاصة الأثر: ٤١٦/١؛ الأعلام: ٣٢٤/١.

ترجم فيه لكل من شعر من العلوية، ولم يُحط بمشاهيرهم فضلاً عن أهل الخمول منهم. ولكنه في الجملة كتاب مفيد. قيل: إنه أنكر عليه الإمام المتوكل على الله إكثاره من الشعر، فجمع هذا الكتاب وجعله كالرد عليه، ومن شعره: [من مخلع البسيط]

عَطَى عَلَى خَدِّهِ بِكُمِّ فَأَشْبَهَ الْوَرْدَ فِي الْكَمَائِمِ
وَقَالَ لِي نَاطِقاً بِصَوْتٍ كَأَنَّهُ سَاجِعُ الْحَمَائِمِ
أَخْشَى مِنَ الْعَيْنِ قُلْتُ مَهْلاً عَيْنَاكَ يَا مُنِيَّتِي تَمَائِمِ

وشعره كثير غالبه الجودة، ومدحه كثير من الشعراء، و(مات) سنة ١١١١ إحدى عشرة ومائة وألف^(١) ببيت الفقيه الزيدية.

٩٨

(السيد إسماعيل بن هادي المفتي الصنعاني)

أخذ العلم عن العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال مرافقاً لشيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وأخذ العلم أيضاً عن جماعة من أعيان عصره، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير. وأخذ عنه جماعة من علماء العصر، وكان يدرس في جميع الفنون بمسجد الفليحي بصنعاء، وهو قرين شيخنا المغربي في الطلب والتدريس، وما زال على ذلك حتى (توفي) في شهر رجب سنة ١١٩٨ ثمان وتسعين ومائة وألف، ورثاه تلميذه السيد العلامة محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن المتوكل على الله إسماعيل بقصيدة فائقة مطلعها: [من الخفيف]

يَا لَهُ فَادِحُ أَلَمٍ وَخَطْبٌ مِنْهُ كَادَتْ شُمُ الْجِبَالِ تَمُورُ^(٢)

٩٩

(إسماعيل بن يحيى)

ابن حسن الصديق الصعدي ثم الذماري ثم الصنعاني^(٣)

ولد بعد سنة (١١٣٠) بدمار، وطلب العلم هنالك فقرأ الفقه على الحسن بن

(١) في الأعلام: توفي سنة ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م، وفي هدية العارفين: سنة ١٠٧٩هـ / ١٦٦٨م. وفي خلاصة الأثر: سنة ١٠٧٨هـ أو ١٠٧٩هـ، وكان عمره فوق الثلاثين، وتحت الأربعين تقريباً.

(٢) الفادح: الأمر الشديد المُنْقِل. أَلَمٌ: نزل. الْخَطْبُ: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب. جبال شُمٌ: عالية. تمور: تتحرك وتضطرب.

(٣) ترجمته في معجم المؤلفين: ٢/٣٠٠؛ نيل الوطر: ١/٣٠٦؛ الأعلام: ١/٣٢٩.

أحمد الشيببي، فبرع فيه وصار محققاً للأزهار وشرحه، ولييان ابن مظفر. وكان والده قاضياً في حبش، ثم تولى هذا القضاء في أيام صغره بدمار من جملة حكام السبيل، ثم ولي قضاء حبش مكان والده في حياته، ثم عزل فعاد إلى صنعاء، وقرأ على جماعة من العلماء كالفقيه العلامة إبراهيم خالد، وقرأ أيضاً على السيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير في الحديث. وشارك في غير الفقه مشاركةً لطيفةً، ثم جعله الإمام المهدي العباس بن الحسين من جملة حكامه بصنعاء، وعظمه وأجله وركن عليه في أمور كثيرة، منها تركه والده، فإنه جعلها بنظره. وكان له أبهة عظيمة وجلالة في الصدور، وتبحر في الفقه، وتقرّر في العبارات، مع سكينه ووقار ومحافظة على ناموس القضاء، وملازمة لما يجلب الهيبة والعظمة في صدور العامة، من لبس الثياب الفاخرة، وعدم التزيد في الكلام، وترك ما لا ينهض به من الأمور، مخافة أن يعجز عنه بعد ظهوره، فيكون عليه في ذلك وصمة، كما كان يقع بينه وبين الحاكم الأكبر العلامة يَحْيَى بن صالح السّحولي فإنهما قد يتعارضان في أمر فيدع صاحب الترجمة التصميم على ما يظهر له مخافة أن يتم غير كلامه. وكان إذا وفد عليه من له خبرة بعلم الفقه أورد عليه مسائل قد حفظها من علم الأصول والتفسير والحديث. وإذا وفد عليه من يعرف علوم الاجتهاد أو بعضها أورد عليه مسائل من دقائق الفقه، فيظن الفقيه أنه مُبرَز في غير الفقه، ويظن غيره العكس من ذلك فتولد له من هذا عظمة في الصدور كبيرة. وكان كثيراً ما يستخرج رايات شريفة إمامية لجماعة من أهل العلم الذين يلازمون حضرته بأنهم يقضون بين الناس، ويقبضون منهم أجرتهم التي يستحقونها. ومن كان بهذه المثابة من القضاة فهو الذي يقال له حاكم السبيل في العرف، أي لا تقرير له من بيت المال. فكان مثل هذا أيضاً من موجبات تعظيمه. والحاصل أنه كان صدراً من الصدور عظيم الهمة، شريف النفس، كبير القدر، نافذ الكلمة له دنيا واسعة وأملاك جليّة أصلها من فضلات رزقه عند توليته قضاء حبش، فإنه كان يشتري بما فضل له أرضاً للزراع ثم تكاثرت تلك الأرض، وكان يكتسب بما فضل من غلاتها ثم تضاعفت غاية المضاعفة، وصار من المشهورين بكثرة الأملاك. وكان يجعل ضيافات عظيمة ويجمع فيها الأعيان والأكابر. وقد دعاني في أيام طلبي للعلم إلى بيته مرات، ويظهر من التعظيم والإجلال ما لا يوصف، وآخر ذلك قبيل موته بنحو نصف سنة. فإنه أضافني منفرداً وقد كان اشتغل جماعة في تلك الأيام بالحط عليّ بما يقتضيه اجتهادي في كثير من المسائل كما هو دأب اليمن وأهله بل دأب جميع المقصرين مع من يمشي مع الدليل من العلماء، فقال لي رحمه الله ما مضمونه أن في التظهر بذلك فتنة، وذكر لي قضايا جرت مع السيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير شاهدها وعرفها، وما زال يضرب لي الأمثال بكلام رصين وخطاب

متين من جملته أن السيد مُحَمَّد الأمير قد عرفت ما ناله من الناس من الأذى بالقول والفعل، ومع ذلك فمعه الوزير فلان والأمير فلان وفلان وفلان يقومون بنصره ويدفعون عنه ما يكره، وأنت يا ولدي قد انقبضت عن الناس، وعكفت على العلم، وانجمعت عن الأكابر، ثم إن السيد مُحَمَّد قد كان عند مخالفته للناس في سنٍّ عالية في أواخر عمره، وأنت في عنفوان الشباب، فقد لا تحتمل الناس منك ما كانوا يحتملون منه. وأطال معي في هذا الشأن رحمه الله. وما زال على حاله الجميل حتى (مات) في ليلة الأربعاء تاسع شهر صفر سنة ١٢٠٩ تسع ومائتين وألف. وله شرح على مقدمة بيان ابن مظفر، وشرح في شرح (المسائل المرتضاة) للإمام المتوكل على الله ولم يكمل، ورسالة في البسملة، وولده (يوسف بن إسماعيل) أصلح أولاده بعده، جعل الخليفة مولانا المنصور بالله حفظه الله إليه ما كان إلى والده من القضاء وغيره، وهو الآن قائم بذلك أتم قيام على طريقة حسنة مع عفة ونزاهة، وله قراءة عليّ في أوائل بيان ابن مظفر.

(١٠٠)

(أمير كاتب بن أمير عُمر بن العميد بن الإِتْقَانِي الحَنَفِي)^(١)

ولد في شوال سنة ٦٩٥^(٢) خمس وتسعين وستمائة، واشتغل ببلاده، ومهر وتقدم وقدم دمشق في سنة (٧٢٠) ودرّس وناظر، وظهرت فضائله، ودخل مصر ثم رجع فدخل بغداد وولي قضاءها، ثم قدم دمشق نائباً في سنة (٧٤٧) وولي بها تدريس دار الحديث الظاهرية بعد وفاة الذهبي. وتكلم في رفع اليدين عند الركوع والرفع [بعده]، وادعى بطلان صلاة من فعل ذلك، وصنف فيه مصنفاً ردّ عليه السبكي، وفارق دمشق ودخل الديار المصرية سنة (٧٥١) فأقبل عليه بعض أمرائها وعظمه وجعله شيخاً لمدرسة بناها ونظم في ذلك قصيدة مدحه بها. وكان ذلك في جمادى الأولى سنة (٧٥٧) وكان معادياً للشافعية كثير الحطّ على علمائهم وفيه تيه زائد وكبر شديد وبأو عظيم وتعصب لنفسه جداً، قال في بعض مصنفاته ما لفظه: لو كان الأسلاف في الحياة لقال أبو حنيفة اجتهدت، ولقال أبو يوسف نار البيان أوقدت، ولقال محمد أحسنت، واستمر هكذا حتى سرد غالب أعيان الحنفية، وشرح الهداية شرحاً حافلاً، وادّعى أن بينه وبين الرّمخسريّ رجلين فقط، وأنكر

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٤١٤/١؛ بغية الوعاة: ٢٠١؛ شذرات الذهب: ١٨٥/٦؛ النجوم الزاهرة: ٣٢٥/١٠؛ معجم المؤلفين: ٤/٣؛ الأعلام: ١٤/٢، وفيه: «أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازي الفارابي الإِتْقَانِي العميدي، أبو حنيفة، قوام الدين».

(٢) في الأعلام، معجم المؤلفين: ولد في إِتْقَان في ١٩ شوال سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٨٦م.

عليه ذلك . (ومات) في حادي عشر شوال سنة ٧٥٨ ثمان وخمسين وسبعمئة .

、

(السيد أمير الدين بن عبد الله بن نهشل)

ابن المُطهر بن أحمد بن عبد الله بن عزّ الدين بن مُحمَّد بن إبراهيم ابن الإمام المُطهر بن يَحْيَى: هو أحد علماء الزيدية المشاهير، قرأ على الإمام شرف الدين، وأخذ عنه جماعة منهم الإمام القاسم بن مُحمَّد، وكان ساكناً بهجرة حوث، (ومات) بها في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٠٢٩ تسع وعشرين وألف.

۱۰۲

(أَيْمَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ)

ابن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن
مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد أربعة عشر أباً في نسق واحد . قال ابن
حَجَر في الدرر : لم يوجد له نظير في ذلك إن كان ثابتاً . (ولد) بتونس ، ثم قدم
القاهرة ، وكان كثير الهجاء والوقية ، ثم قدم المدينة النبوية فجاور بها وتاب والتزم أن
يمدح النبي ﷺ خاصة إلى أن يموت فوفى بذلك . وأراد الرحلة عن المدينة فذكر أنه
رأى النبي ﷺ في النوم فقال : يا أبا البركات كيف تَرْضَى بفراقنا فترك الرحيل وأقام
بالمدينة إلى أن مات ، وسمَّى نفسه عاشق النبي . وذكر أن صاحب تونس بعث إليه
يطلب منه العود إلى بلده ويرغبه فيه ، فأجاب : إني لو أعطيت ملك المغرب والمشرق
لم أرغب عن جوار رسول الله ﷺ . فذكر أنه رأى النبي ﷺ وأطعمه ثلاث لقمات
قال : وقال لي كلاماً لا أقوله لأحدٍ ، غير أن في آخره «وأعلم أنني عنك راضٍ» فعمل
قصيدة منها : [من الطويل]

فَرَزْتُ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى سَاكِنِ الْحِمَى

لَجَأْتُ إِلَى هَذَا الْجَنَابِ وَإِنَّمَا لَجَأْتُ إِلَى سَامِي الْعِمَادِ رَحِيْبِهِ (٢)

قال ابن فضل الله: وذكر أبو البركات أنه رأى النبي ﷺ فأنشد بين يديه هذا البيت: [من مجزوء الرجز]

لَوْلَاكَ لَمْ أَدْرِ الْهَوَىٰ لَوْلَاكَ لَمْ أَدْرِ الطَّرِيقَ

(مات) في سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمئة .

(۱) عائد: لائڈ، لاجیء.

(٢) الجَنَابُ: الناحية، أو الكنفُ والرعاية.

حرف الباء الموحدة

١٠٣

(بايزيد خان بن مُراد بن أرخان

ابن عثمان الغازي سلطان الروم وما إليها)

ولد سنة ٧٤٨ ثمان وأربعين وسبعمائة، وجلس على التخت سنة (٧٩٢) وفتح كثيراً من بلاد النصراري وقلاعهم واستولى على من كان بالروم من ملوك الطوائف، وخرج عليه تيمورلنك إلى بلاده، وكان قد لقيه بجيش الروم وفيهم طائفة من التتار، فخدع تيمور من كان مع صاحب الترجمة من التتار فمالوا إليه، فقاتل هو ومن معه قتالاً شديداً. وكان شجاعاً فما زال يضرب بسيفه حتى كاد يصل إلى تيمور، فرموا عليه بساطاً وأمسكوه وحبسوه، (فمات) كمداً في الأسر سنة ٨٠٥ خمس وثمانمائة.

١٠٤

(بايزيد خان بن مُحَمَّد بن مراد بن مُحَمَّد بن بايزيد)

المذكور قبله. ولد سنة (٨٥٥) خمس وخمسين وثمانمائة، وجلس على التخت بعد والده سنة (٨٨٦)، وعظمت سلطنته وافتتح عدة قلاع للنصارى، وخرج عليه أخوه جم فانهزم من صاحب الترجمة لما وقع المصاف، وفرّ إلى بلاد النصراري فأرسل إليه حلاقاً معه سم، فما زال يتقرب إلى جم حتى اتصل به وحلق له بسكين مسمومة، وهرب فسرى السم [فيه] ومات. وكان السلطان بايزيد سلطاناً مجاهداً مثاغراً مرابطاً محباً لأهل العلم محسناً إليهم، و(مات) سنة ٩١٨ ثمان عشرة وتسعمائة. وفي أيامه ظهر شاه إسماعيل الآتي ذكره، وكانت الحرب بينه وبين السلطان سليم ابن صاحب الترجمة كما سيأتي تحقيقه بعد أن غلب سليم على السلطنة وأخذها من والده كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(بَرْسَبَاي الدقماقي الظاهري البرقوقي الملك الأشرف)^(١)

اشتره برقوق ثم أعتقه واستمر في خدمة ابنه الناصر، ثم صار مع المؤيد بعد قتل الناصر، وحضر معه إلى مصر فولّاه نيابة طرابلس، ثم غضب عليه فاعتقله. فلما دخل ططر الشام بعد المؤيد استصحبه إلى القاهرة، وقرّره دواداراً^(٢) كبيراً، فلما استقر ابنه الصالح مُحَمَّد كان نائباً عنه في التكلم مدة أشهر إلى أن أجمع الرأي على خلعه وسلطنة صاحب الترجمة، وذلك في ثامن ربيع الآخر سنة (٨٢٥)، وأذعن الأمراء والنواب لذلك، وساس الملك ونالته السعادة، ودانت له البلاد وأهلها. وفتحت في أيامه بلاد كثيرة من غير قتال، واستمر إلى أن (مات) في عصر يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة سنة ٨٤١ إحدى وأربعين وثمانمائة، وعهد إلى ابنه العزيز بالسلطنة، وأن يكون الأتابك جقمق نظام المملكة، وكثر تزاحم الناس عليه. وكانت أيامه هدواً وسكوناً ولكنه كان موصوفاً بالشُّح والبخل والطمع مع الجبن والخور وكثرة التلوّن وسرعة الحركة، والتقلب في الأمور. وشمل بلاد مصر، والشام الخراب، وقَلّت الأموال بها وافترق الناس وساءت سيرة الحكام والولاة مع بلوغ آماله ونيل أغراضه، وقهر أعداياه وقتلهم بيد غيره. وله مآثر في أرض مصر عظيمة، منها المدرسة المنسوبة إليه. ومدحه بعض العلماء بتوسيعه على الطلبة فوق ما كان يفعله من قبله فقال: السبب أن من تقدّم من الفقهاء لم يكونوا يوافقون الملوك على أغراضهم فلم يسمحوا لهم بكثير أمر. وأما فقهاء زماننا فهم لأجل كونهم في قبضتنا وطُوع أمرنا نسمح لهم بهذا النزر اليسير. (قال السخاوي): وهذا كان إذ ذاك وإلاّ فالآن مع موافقتهم لهم في إشاراتهم فضلاً عن عباراتهم لا يعطونهم شيئاً بل يتلفتون لما بأيديهم ويحسدونهم على اليسير. انتهى.

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٨/٣؛ الأعلام: ٤٨/٢؛ بدائع الزهور: ١٥/٢.

(٢) الدوادار: الحاجب. قال تاج الدين السبكي فيه: «من حقّه الاستئذان على ذي الحاجة، وإنهاء ظلامته، وألاّ يتركه على الأبواب لا يجد ملجأ إلى الدخول على الملك. وليعلم أن لصاحب الحاجة حقاً عند أستاذه؛ لأن من وظيفة أستاذه سماع كلامه، وقضاء حاجته، إذا أمر بها الشرع، وليس لأستاذه حقّ عنده، فإن هو قصّر فيما وصفناه كان هو الظالم لأستاذه المُتسبّب في خراب دياره، الباغي على الرعية. وعليه المبادرة إلى تقديم الدواة عند ارتفاع القصص، وتذكير مخدمه بها. فربما اشتغل بال الملك عن ذلك ولم يجد من يذكره. وهذه وظيفة الدوادار». (معيد النعم ومبيد النقم: ٣٠).

١٠٦

(بَرْقُوقُ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَبُو سَعِيدِ الْجَزْكَسِيِّ)^(١)

واسمه الطنبغا ولكنه سُمِّيَ بذلك الاسم لنتوء في عينيه كأنهما البرقوق. كان مملوكاً لرجل يقال له الخواجة عثمان، ثم ملكه الأشرف شُعْبَان، فلَمَّا قُتِلَ تَرَقَّى إلى أن صار أمير أربعين، ثم ما زال يترقَّى حتى قبض على بعض الأمراء الكبار وتولَّى التدبير للدولة مكانه. ثم حصل التنافس بينه وبين أمير يقال له بَرَكَة ووقع بينهما حرب، وكان الغلب لبرقوق فقبض على بركة وسجنه، ثم ما زال يعمل في توليه للسلطنة استقلالاً. وخلع مخدمه الصالح حاجي إلى أن استقل في رمضان سنة (٧٨٤) فجلس على التخت، ولقب بالظاهر وبايعه الخليفة والقضاة والأمراء فمن دونهم. وخلعوا الصالح بن الأشرف وأدخلوه إلى دور أهله بالقلعة. فلما كان بعد ذلك بمدة خرج جماعة من الأمراء على برقوق فبرز إليهم فتسلل من معه وخذلوه. فتغيب حينئذٍ واختفى في دارٍ بقرب المدرسة الشيخونية ظاهر القاهرة. ثم إن الأمراء أعادوا الصالح إلى المملكة ولقب بالمنصور وصار يَلْبِغُ الناصري أتابكاً له. وأراد منطاش قتل بَرْقُوق فلم يوافقه الناصري، بل شيعه إلى الكرك وسجنه بها. ثم بعد ذلك ثار منطاش على الناصري فحاربه إلى أن قبض عليه وسجنه بالإسكندرية، واستقل منطاش بالتدبير وكان أهوج فلم ينتظم له أمر. وانتقضت عليه الأطراف فجمع العساكر وخرج إلى جهة الشام فاتفق خروج برقوق من الكرك وانضمَّ إليه جمع قليل، فالتقوا بمنطاش، فانكسر إلى جهة الشام فاستولى الظاهر بَرْقُوق على جميع الأثقال وفيهم الخليفة والقضاة وأتباعهم فساقهم إلى القاهرة، واستقرت قدمه في الملك، وأعاد الصالح بن الأشرف إلى مكانه الذي كان فيه، كل ذلك في أوائل سنة (٧٩٢). ثم جمع العساكر وتوجَّه إلى الشام لمحاربة منطاش، فحصرها وهرع إليه الأمراء، وتعصَّب الشاميون لمنطاش، فما أفاد بل انهزم منطاش بعد أن دامت الحرب بينهما مدة. وثبت برقوق في الملك إلى أن (مات) سنة ٨٠١ إحدى وثمانمائة. وعهد بالسلطنة لولده فرج وله يومئذٍ تسع سنين، واستحلف القاضي الشافعي، فحلف له، وكذلك الخليفة وجميع الأمراء. وكانت مدة استقلال بَرْقُوق بالمملكة من غير مشارك تسع عشرة سنة. ومن آثاره المدرسة التي عمرها بين القصرين. وكان شجاعاً ذكياً خبيراً بالأمور حازماً مهاباً. فإن تَيَمُّورلَنك لم يقدر على التقدم على مصر في سلطنته لما بلغه عنه من الحزم والعزم والشدة والقوة. ولما بلغه موت بَرْقُوق أعطى من بشره مبلغاً من المال كثيراً، وحصل معه الطمع في أخذ مصر فدفع الله عنها كما سيأتي بيان

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ١٠/٣؛ بدائع الزهور: ٢٥٨/١؛ الأعلام: ٤٨/٢.

ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى . وكان (بَرْقُوق) أول من أخذ البذل على الولايات حتى وظيفة القضاء وسائر الوظائف الدينية، وهو أول ملوك الجراكسة في مصر .

(١٠٧)

(أَبُو بَكْر بن أَحْمَد بن مُحَمَّد بن عُمَر)

ابن ذوبين شَرَف المعروف بابن قاضي شهبة الدمشقي الشافعي^(١)

ولد سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة، وأخذ العلم عن جماعة كالسراج البلقيني وطبقته . وله مصنفات منها: الذيل على تاريخ ابن حَجَر، وطبقات الشافعية، وشرح المنهاج إلى الخلع في أربعة مجلدات، وشرح التنبيه . وله التاريخ الكبير، من سنة ٢٠٠ إلى سنة ٧٩٢ . وله ذيل على تاريخ الذهبي في ثمانية مجلدات (ومات) عاشر ذي القعدة سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة .

(١٠٨)

(أَبُو بَكْر بن عَلِي بن عبد الله)

التقي الحموي الأزاري المعروف بابن حَبَّة^(٢)

قال السخاوي: بكسر الحاء المهملة . (ولد) تقريباً سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة بحماة، ونشأ بها وأخذ فنوناً من العلم ومعاني الأدب، وارتحل إلى الشام ومصر . ومدح الأكابر ثم عاد إلى بلاده، ودخل القاهرة في الأيام المؤيدية فعظم أمره وتولّى كتابة الإنشاء . ثم توقف أمره فعاد إلى بلاده فأقام بها ملازماً للعلم والأدب إلى أن مات . وله يد طولى في النظم والنثر مع زهو وإعجاب . وقد يأتي في نظمه بما هو حسن وبما هو في غاية الركة والتكلف، ومع ذلك فيفضله على ما هو من أشعار غيره في السماء وهو في الأرض كما يفعل ذلك في شرح بديعته المشهورة بأيدي الناس، وهو من أحسن تصانيفه . ومنها (بلوغ المرام من سيرة ابن هشام والروض الأنف والأعلام) و(أمان الخائفين من أمة سيد المرسلين) و(بلوغ المراد من الحيوان والنبات

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢١/١١؛ شذرات الذهب: ٢٦٩/٧؛ كشف الظنون: ١٢٧، ١١٠١؛ إيضاح المكنون: ٣٠٢/١؛ الأعلام: ٦١/٢؛ معجم المؤلفين: ٥٧/٣؛ تاريخ آداب اللغة: ٢٠٤/٢.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ٥٣/١١؛ كشف الظنون: ٢٥٤، ٦٠٧؛ إيضاح المكنون: ١/١٧٧، ٣٩٧/٢؛ معجم المؤلفين: ٦٨/٣؛ الأعلام: ٦٧/٢؛ تاريخ آداب اللغة: ١٣١/٢؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٨٣٩/٣.

والجماد) في مجلدين و(بروق الغيث) على الغيث الذي انسجم و(كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام) و(قهوة الإنشاء) في مجلدين جمع فيه ما أنشأه عن الملوك و(تأهل الغريب) في أربعة مجلدات وغير ذلك من المصنفات، وشعره كثير. وبسبب عجبه وتيهه هجاه كثير من معاصريه بمقاطيع مقذعة. وزاد في التحامل عليه النواجي الآتي ذكره إن شاء الله حتى صنف كتاباً سماه (الحُجَّة في سرقات ابن حِجَّة) رأيت في مجلد لطيف تكلف فيه غاية التكلف، وشعره مشهور قد ذكر منه في شرح بديعته كثيراً. وذكر أيضاً فيه بعضاً من نثره وهو أحسن من نظمه. و(مات) في العشر الأواخر من شعبان سنة ٨٣٧ سبع وثلاثين وثمانمائة.

١٠٩

(أبو بكر بن علي الحداد الزبيدي الحنفي)^(١)

قرأ على والده، وعلى علي بن نُوح، وعلى علي بن عُمر العلوي، وبرع في أنواع من العلم، واشتهر ذكره وطار صيته. وصنف مصنفات في فقه الحنفية منها شرحان لمختصر القدوري صغير وكبير^(٢). وجمع تفسيراً حسناً هو الآن مشهور عند الناس يُسمونه تفسير الحداد، وله مصنفات كثيرة تبلغ عشرين مجلداً^(٣). و(مات) سنة ٨٠٠ ثمانمائة بمدينة زبيد. وله زهد وورع وعفة وعبادة.

١١٠

(السيد أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز)^(٤)

بمهملتين وآخره زاي العلوي الحسيني الحسني ثم الدمشقي الشافعي المعروف بالتقي الحسني. (ولد) سنة ٧٥٢ اثنتين وخمسين وسبعمائة. وأخذ العلم عن جماعة من أهل عصره وبرع، وقصده الطلبة وصنف التصانيف، كشرح التنبيه في خمسة مجلدات، وشرح المنهاج، وشرح صحيح مسلم في ثلاثة مجلدات، وشرح أربعين

(١) ترجمته في: كشف الظنون: ٤٤٦، ١٣٦٧؛ إيضاح المكنون: ٧/٢؛ معجم المؤلفين: ٣/٦٧؛ الأعلام: ٦٧/٢.

(٢) الشرح الأول بعنوان: «السراج الوهاج» وهو ثمانية مجلدات، والثاني: «الجوهرة النيرة» مجلدان.

(٣) من هذه المصنفات: «سراج الظلام» في شرح منظومة الهاملي، في الفقه، وشرح «قيد الأوابد» للربيعي.

(٤) ترجمته في: الضوء اللامع: ٨١/١١؛ شذرات الذهب: ١٨٨/٧؛ الأعلام: ٦٩/٢؛ معجم المؤلفين: ٧٤/٣؛ كشف الظنون: ٢٠٣، ٤٨٧، ٢٠٣٩.

النووي في مجلّد، وشرح مختصر أبي شجاع في مجلّد، وشرح الأسماء الحسنی في مجلّد، وتلخیص مهمات الإسنوي في مُجلّدین، وقواعد الفقه في مُجلّدین. وله في التصوّف مصنّفات. و(مات) ليلة الأربعاء منتصف جمادى الآخرة سنة ٨٢٩ تسع وعشرين وثمانمئة.

(١١١)

(بَيْرُسُ العُثماني الجاشنكير الملك المُظفّر)^(١)

كان من مماليك المنصور قلاون، وترقّى إلى أن جعله أمير طبلخانة. وكان أشقر اللون مستدير اللحية موصوفاً بالعقل التام والفقه. وهو من جملة الأمراء الذين تعصّبوا للناصر حتى أقاموه في السلطنة، وبعد استقراره صار صاحب الترجمة من أكابر أمرائه. وولي الأستاذ دارية له. ثم قام بنصرة الناصر مرة أخرى وأعادته إلى السلطنة وصار مدبراً للملكة هو وسلار، فكان هذا الأستاذ دار، وسلار نائب السلطنة. وعظم قدره ثم خرج للحج بعد سنة (٧٠١) وصحبه كثير من الأمراء، وحجّ بالناس فصنع من المعروف شيئاً كثيراً. ومن محاسنه أنه قلع المسمار الذي كان في وسط الكعبة، وكان العوام يسمونه سرّة الدنيا، وينبطح الواحد منهم على وجهه، ويضع سرّته مكشوفة عليه ويعتقد أن من فعل ذلك عتق من النار، وكانت بدعة شنيعة. وكذلك أزال الحلقة التي يسمونها العروة الوثقى. وهو الذي كان السبب في القيام على النصارى واليهود حتى مُنعوا من ركوب الخيل والملابس الفاخرة. واستقر الحال على أن النصراني يلبس العمامة الزرقاء، واليهودي يلبس العمامة الصفراء في جميع الديار المصرية والشامية. ولا يركب أحد منهم فرساً ولا يتظاهر بملبوس فاخر ولا يضاھي المسلمين في شيء من ذلك. وصمّم في ذلك بعد أن بذلوا أموالاً كثيرة، فامتنع، وضاق بهم الأمر جداً حتى أسلم كثير منهم، وهُدِمت في هذه الكائنة عدة كنائس. وأبطل عيد الشهيد وهو موسم من مواسم النصارى كان يخرجون إلى النيل فيلقون فيه إصبعاً لبعض من سلف منهم يزعمون أن النيل لا يزيد إلّا إن وضع الإصبع فيه. وكان يحصل في ذلك العيد من الفجور والفسق والمجاهرة بالمعاصي أمر عظيم. وكان صاحب الترجمة قد غلب هو وسلار على سلطنة الناصر، ولم يبق بيده إلّا الاسم، وكان يبالغ في التأدب مع رفيقه سلار، فلما حجروا على الناصر التصرف في المملكة، وصار معهما صورة بلا حقيقة، أظهر أنه يريد الحجّ ثم خرج وعدل من الطريق إلى الكرك وأرسل إلى الأمراء بمصر بأنه قد ترك الملك فاضطرب الأمراء عند

(١) ترجمته في: النجوم الزاهرة: ٢٣٢/٨؛ السلوك للمقريزي: ٤٥/٢؛ الأعلام: ٧٩/٢.

ذلك وتشاوروا في من يستقر في السلطنة مكانه فحسن سلالر لبيرس أن يتسلطن فأجابه إلى ذلك بعد تمنع كبير. وأفتاه جماعة من العلماء بجواز ذلك، فتسلطن وتلقب بالمظفر، وكتب عهده عن الخليفة، وركب بالعمامة المدورة، والتقليد على رأس الوزير. وناب عنه سلالر على عادته وأطاعه أهل الشام وذلك كله في شهر شوال سنة (٧٠٨). ويقال إن التشاريف التي أعطاها الأمراء وغيرهم كانت ألف تشریف ومائتين، وأبطل ضمان الخمر من طرابلس، وكان ذلك من حسناته. فلما كان وسط سنة (٧٠٩) خامر عليه جماعة من الأمراء وتوجهوا إلى الناصر فأخذوه من الكرك فتوجهوا معه إلى دمشق، وساروا في عسكر كثير، فلما تحقق حركة الناصر جرد إليه عسكراً كثيراً فخامروا وانهزموا، ثم لم يرسل أحداً إلا خامر عليه حتى صهره زوج ابنته. وفي غضون ذلك زين بعض الفقهاء لبيرس أن يجدد له الخليفة عهداً بالسلطنة ففعل وقرأ ذلك، وأرسل بنسخة إلى الأمراء الخارجين عليه. وكان أوله (أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم) فلما قرئ على كبيرهم قال: ولسليمان الريح. وأمر بقراءة هذا العهد على المنابر يوم الجمعة. فلما سمعه العامة صاحوا فممنهم من يقول: نصر الله الناصر، ومنهم من يقول يا ناصر يا منصور. واتفق أنه نصّب أميراً في شهر رمضان ومروا به من وسط القاهرة عليه الزينة، فكان العامة يقولون يا فرحة لا تتم وكان الأمر كذلك. ثم أشار عليه جماعة ممن تأخر معه أن يشهد عليه بالنزول عن السلطنة، ويتوجه إلى أطفيح، ويكاتب الناصر ويستعطفه من هنالك، وينتظر جوابه. ففعل وخرج عليهم القوم فسبوه وشتموه ورجموه بالحجارة ففرق فيهم دراهم فلم يرجعوا، فسلّ مماليكه عليهم السيوف فرجعوا عنه. فأقام بأطفيح يوماً ثم رحل طالباً للصعيد فوصل إلى إخميم. فقدم عليهم الأمان من الناصر، وأنه أقطعه صيهون فقبل ذلك ورجع متوجهاً إلى غزة. فلما وصل غزة وجد هناك نائب الشام وغيره فقبضوا عليه وسيروه إلى مصر، فتلقاهم قاصد الناصر فقيده وأركبه بغلاً حتى قدم به إلى القلعة في ذي القعدة. فلما حضر بين يديه عاتبه وعدّد عليه ذنوباً، فيقال إنه خُنق بحضرته بوتر حتى مات، وقيل سقاه سُمّاً. وكان موصوفاً بالخير والأمانة والتعفف وكان قتله في شهر ذي القعدة سنة (٧٠٩)، وقد كان تعكّست عليه الأمور، وكلّ ما دبّره عاد عليه بالخذلان.

حرف التاء المثناة الفوقية

١١٢

(تُنْكُرُ نائب الشام)

جُلِبَ إلى مصر وهو صغير فاشتراه الأشرف، ثم صار إلى الناصر، فجعله أمير عشرة قبل أن يعزل نفسه ويفرّ إلى الكرك، ثم كان في صحبته بالكرك يترسّل بينه وبين الأفرم، وكان الأفرم إذ ذاك نائب الشام، ففي بعض الأوقات اتهمه الأفرم بأن معه كتباً إلى أمراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة فرجع إلى الناصر وشكى إليه ما لاقاه من الإهانة فقال له: إن عدتُ إلى الملك فأنت نائب الشام عوضه. فلما عاد إلى الملك جهّزه لنياحة الشام في ربيع الآخر سنة (٧١٢)، وأرسل معه من يعرفه بما يحتاج إليه. فباشر ذلك وتمكّن وسلك سبيل الحرمة والناموس البالغ، وفتح الله على يديه مَطْلِيّة في سنة (٧١٥) وذلك أنه استأذن السلطان في ذلك، فأذن له، فأظهر أنه يريد التوجه إلى محل آخر، فخرج وخرجت العساكر معه، وهو في دست السلطنة بالعصايب والكوسات، ومعه القضاة. فلما وصل إلى حلب جرّد عسكرياً إلى مَطْلِيّة، ثم توجه في أثره فنازلها إلى أن فتحها. ورحل بأسرى وغنائم ومال كثير، فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب، قال الصفدي: سار السيرة الحسنة العادلة بحيث لم يكن له همة في مأكلي ولا مشرب ولا ملبس ولا منكح، بل في الفكرة في تأمين الرعايا، فأمنت السبل في أيامه، ورخصت الأسعار. ولم يكن أحد في ولايته يتمكن من ظلم أحد ولو كان كافراً. ثم إن الناصر بالغ في تعظيمه، وتقدّم أمره إلى جميع النواب بالبلاد الشامية أن يكتبوا (تنكر) بجميع ما كانوا يكتبون به السلطان. وزاد في الترقّي حتى كان الناصر لا يفعل شيئاً إلّا بعد مشاورته. ولم يكتب هو إلى السلطان في شيء فيرده فيه إلّا نادراً. ولم يتفق في طول ولايته أنه ولّى أميراً ولا نائباً ولا قاضياً ولا وزيراً ولا كاتباً إلى غير ذلك من جليل الوظائف وحقيرها برشوة ولا طلب مكافأة، بل ربما كان يدفع إليه المال الجزيل لأجل ذلك، فيرده ويمقت صاحبه. وكان يتردد إلى القاهرة بإذن السلطان فيبالغ في إكرامه واحترامه، حتى قال النشؤ مرة: إن الذي خصّ تنكر في سنة (٧٣٣) خاصة مبلغ ألف ألف وخمسين ألف خارجاً عن الخيل والسروج. وكان قد

سمع الحديث من عيسى المطعم، وأبي بكر بن أحمد بن عبد الدايم، وابن الشحنة وغيرهم. ولما حجَّ قرأ عليه بعض المحدثين بالمدينة الشريفة ثلاثيات البخاري. ومن مبالغة السلطان في تعظيمه أنه روى عنه الأمير سيف الدين أنه قال له مرة: لي مدة طويلة أطلب من الناس شيئاً لا يفهمونه مني، وهو أنني لا أقضي لأحد حاجة إلا على لسان (تنكر) ودعا له بطول العمر. قال: فنقلت ذلك إلى (تنكر)، فقال: بل أموت أنا في حياة السلطان. قال فبلغت السلطان ذلك فقال: لا قُلْ له أنت إذا عشت بعدي نفعني في أولادي وأهلي، وأنت إذا متّ قبلي إيش أعمل أنا مع أولادك أكثر مما عملت معهم في حياتك. ولتنكر مآثر في دمشق مساجد ومدارس ورباطات. وحجَّ في سنة (٧٢١)، ويقال: إنه قدم القاهرة بعد حجّه، فأمر السلطان الأمراء بها دونه، وكانت جملة ما قدم إليه ثمانين ألف دينار. وكان الناس في ولايته آمنين على أنفسهم وأموالهم وحريمهم وأولادهم. وكان يتوجّه في كل سنة إلى الصيد، ويصيد أياماً. وكان مثابراً على الحقّ ونصرِ الشرع إلا أنه كان كثير التخيّل سريع الغضب شديد الحدة، ولا يقدر أحد على مراجعته مهابةً له. وإذا بطش بطش الجبارين، وإذا غضب على أحد لا يزال ذلك المغضوب عليه في انعكاس وخمول إلى أن يموت غالباً. وكان يقول أي لذة لحاكم إذا كانت رعاياه يدعون عليه. وما كان يخلو ليله من قيام ودعاء. وكان يعظم أهل العلم، وإذا كان عنده أحد منهم لم يسند ظهره بل يقبل إليه بوجهه ويؤنسه بالقول والفعل. وكان سليم الباطن ليس عنده دهاء ولا مكر، ولا يصبر على الأذى. لا يداري أحداً من الأمراء. وقدم إلى مصر في سنة (٧٣٨) فخرج السلطان لملاقاته، فلما رآه ترجّل له فترجّل جميع من معه من الأمراء، فألقى (تنكر) نفسه من فوق الفرس إلى الأرض وأسرع وهو يقبل الأرض حتى انكب على قدمي السلطان فقبلهما، فأمسك رأسه بيده وأمره بالركوب. وقدم في سنة (٧٣٩) فكانت قيمة تقادمه للسلطان والأمراء مائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار. وبالع السلطان في إكرامه حتى أخرج له نساءه فقبلن يده. وله محاسن منها أنه نظر في أوقاف المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع أن يصرف لأحد جامكية حتى يلم شعثها، فعمرت كلها في زمانه أحسن عمارة. وأمر بكسح الأوساخ التي في مقاسم المياه التي تتخلل الدور، وفتح منافذها، وكانت انسدت، فكان الوباء يحصل بدمشق كثيراً بسبب العفونات، فلما صلح ذلك زال ما كان يعتادهم كل سنة من كثرة الأمراض، فكثر الدعاء له. وأجرى العين إلى بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلاً، وأقاموا في عملها سنة، وأكثر من فكاك الأسرى، وأعظم ربح التجار الذين يجلبونهم. وجمع الكلاب فألقاها في الخندق، واستراح الناس من أذاها. ولما انتهى

حظه وبلغ الغاية في هذه الدنيا أشهر في الناس أنه عزم على التوجه إلى بلاد التتار حتى بلغ ذلك السلطان وتغير عليه وتنكر لتنكر، وجهاز العساكر لإمساكه مع جماعة من الأمراء، وليس عنده خبر، فلما بلغه الخبر بوصول الجند والأمراء لإمساكه بُهت لذلك وقال: ما العمل؟ قالوا: تستسلم، فاستسلم وجَهَّز سيفه إلى السلطان. وذلك في ذي الحجة سنة (٧٤٠) وتأسف أهل دمشق عليه. ثم بعد القبض عليه أحيط بموجوده، ووجد له ما يجاوز الوصف فمن الذهب العين ثلاثمائة وثلاثون ألف دينار، ومن الدراهم ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وأما الجواهر والحوائص والأقمشة والخيول ونحو ذلك فشيء كثير جداً. ثم لما دخل القاهرة أمر السلطان جميع الممالك والأمراء أن يقعدوا له بالطرقات من حد باب القلعة، وأن لا يقوم له أحد. وفي بعض الأوقات قال له السلطان: أنظر من يكون وصيك، فقال له: خدمتك ونصحتك فلم تترك لي صديقاً. وأمر بتجهيزه إلى الإسكندرية، فلم يزل في الاعتقال دون شهر، ثم (مات) في أوائل سنة ٧٤١ إحدى وأربعين وسبعمائة. قال الذهبي في أواخر كتابه (سير النبلاء): كان ذا سطوة وهيبة وزعامة وإقدام على الدماء. وله نفس سبعية، وفيه عُتُوٌّ وحرصٌ مع ديانة في الجملة. وكان فيه حدة وقلة رأفة. وكان لا يفكر في عاقبة ولا رأي له ولا دهاء إلى آخر كلامه. وتعقبه الحافظ صلاح الدين الغلائي فقال: لقد بالغ المصنف وتجاوز الحد في ترجمة تنكر، وأين مثله، وأعرض عن محاسنه الطافحة من العدل وقمع الظلمة وكف الأذى عن الناس ومحبة إيصال الحق إلى مستحقه وتولية الوظائف أهلها. وحسبك أن المصنف يعني الذهبي كان فقيراً فلما خلت دار الحديث الأشرفية وتربة أم الصالح ولَّى (تنكر) المزي والذهبي بغير سؤال منهما، ولا ببذل لأنه أعلم بحالهما واستحقاقهما. ثم ولَّى الذهبي دار الحديث الظاهرية ثم النفيسية ثم دار الحديث التنكيرية. ثم قال الغلائي: ذنب تنكر أنه كان يحط كثيراً على ابن تيمية وفي هذه الإشارة كفاية. انتهى. وهو يشير بهذا إلى أن الذهبي تحيز إلى الحنابلة.

(١١٣)

تَيَمُّورلَنك بن طَرْغاي السلطان الأعظم الطاغية الكبرى

الأعرج، وهو اللنك في لغتهم. كان ابتداء ملكه أنها لما انقرضت دولة بني جنكزخان وتلاشت في جميع النواحي ظهر هذا بتركستان وسمرقند، وتغلَّب على ملكهم محمود بعد أن كان أتايكه، وتزوج أمه فاستبد عليه. وكان في عصره أمير بحاري يُعرف بحسن من أكابر المُغل، وآخر بِخُوارزم يعرف بالحاج حسن الصوفي،

وهو من كبار التتر فنبد إليهم تيمور بالعهد، وزحف إلى بخارى فملكها من يد الأمير حسن، ثم زحف إلى خوارزم وتحرش بها وهلك الحاج حسن في خلال ذلك وولي أخوه يوسف فملكها تيمور من يده وخربها في حصار طويل، ثم كلف بعمارتها وتشيد ما خرب منها. وانتظم له ملك ما وراء النهر، ونزل إلى بخارى، ثم انتقل إلى سمرقند، ثم زحف إلى خراسان. وطال تحرشه بها وحروبه لصاحبها شاه ولي إلى أن ملكها عليه سنة (٧٨٤) ونجا شاه ولي إلى تبريز وبها أحمد بن أويس صاحب العراق وآذربيجان، إلى أن زحف عليهم تيمور سنة (٧٨٨) فهلك شاه ولي في حروبه عليها، وملكها تيمور. ثم زحف إلى أصبهان فأطاعوه طاعة ممرضة، وخالفه في قومه كبير من أهل نسبه يعرف بقمر الدين، فكرر راجعاً وحاربه إلى أن محا أثره. واشتغل بسلطان المغل، وزاحم طقتمش مراراً حتى أوهن أمره، ثم رجع إلى أصبهان سنة (٧٩٤)، ثم زحف إلى بغداد سنة (٧٩٥) ففر منها أحمد بن أويس المتغلب عليها بعد بني هولكو، واستولى عليها تيمور ونهبها. وبلغه حركة طقتمش في جميع المغل فأحجم وتأخر إلى قلاع الأكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قراباغ ورجع طقتمش. ثم سار إليه تيمور أول سنة (٧٩٩) وغلبه على ملكه وأخرجه من سائر أعماله، فلحق ببلغار. ورجع سائر المغل الذين كانوا معه إلى تيمور، فأضحت أمم المغل والتتر كلها في جملته، وصاروا تحت لوائه والملك لله. فلما بلغه موت الظاهر برقوق فرح وأعطى من بشره بذلك خمسة عشرة ألف دينار، وتهياً للمسير إلى بلاد الشام فجاء إلى بغداد فأخذها ثانياً، فإنها كانت استرجعت نائبه، ثم قصد (سيواس) في آخر سنة (٨٠٢) فحاصرها مدة ولم يأخذها، ثم إلى (عين تاب) فأجفل أهل القرى بين يديه وأهل البلاد الحلبية. واجتمع عساكر المماليك الشامية بحلب، ووصل تيمور مرج دابق، وجهاز رسولاً إلى حلب، فأمر (سدون) نائب حلب بقتله. ثم نزل في يوم الخميس تاسع ربيع الأول سنة (٨٠٣) على حلب ونازلها وحاصرها فخرج النواب بالعسكر إلى ظاهرها من جهة الشمال وتقاتلوا يوم الخميس ويوم الجمعة. فلما كان يوم السبت حادي عشر الشهر ركب تيمور في جمع وحشدوا الفيلة تقاد بين يديه وهي في ما قيل ثمانية وثلاثون. وكان معه جمع لا يحصيه إلا الله من ترك وتركمات وعجم وأكراد وتتر، وزحف على حلب فانهزم المسلمون من بين أيديهم وجعلوا يلقون أنفسهم من الأسوار والخنادق والتتر في أثرهم يقتلونهم ويأسرونهم، إلى أن دخلوا حلب عنوة بالسيف، فلجأت النساء والأطفال إلى الجوامع والمساجد فلم يند ذلك شيئاً. واستمر القتل والأسر في أهل حلب فقتلوا الرجال، وسبوا النساء والأطفال. وقتل خلق كثير من الأطفال تحت حوافر الخيل وعلى الطرقات وأحرقوا المدينة. ثم في يوم الثلاثاء تسلم قلعتها بالأمان وصعد إليها في اليوم الذي يليه وجلس في

أبوابها، وطلب القضاة والعلماء للسلام عليه فامتلوا أمره، وجاؤوا إليه ليلة الخميس، فلم يكرمهم، وجعل يتعنتهم بالسؤال. وكان آخر ما سألهم عنه أن قال: ما تقولون في معاوية ويزيد هل يجوز لعنهما أم لا، وعن قتال علي ومعاوية فأجابه القاضي علم الدين القفصي المالكي بأن علياً اجتهد فأصاب فله أجران، ومعاوية اجتهد فأخطأ فله أجر. فتغيظ من ذلك. ثم أجاب الشرف أبو البركات الأنصاري الشافعي بأن معاوية لا يجوز لعنه لأنه صحابي. فقال تيمور: ما حد الصحابي؟ فأجاب القاضي شرف الدين: أنه كل من رأى النبي ﷺ. فقال تيمور: فاليهود والنصارى رأوا النبي ﷺ! فأجاب بأن ذلك بشرط كون الرائي مسلماً. وأجاب القاضي شرف الدين المذكور: أنه رأى في حاشية على بعض الكتب أنه يجوز لعن يزيد فتغيظ لذلك. ولا عتب عليه إذا تغيظ فالتعويل في مثل هذا الموقف العظيم في مناظرة هذا الطاغية الكبير في ذلك الأمر الذي ما زالت المراجعة به بين أهل العلم في قديم الزمان وحديثه على حاشية وجدها على بعض الكتب مما يوجب الغيظ سواء كان محققاً أو مبطلاً. وقد سألهم في هذا الموقف أو في موقف آخر بمسألة عجيبة، فقال ما مضمونه: أنه قد قتل منا ومنكم من قتل، فمن في الجنة ومن في النار هل قتلانا أو قتلاكم؟ فقال بعض العلماء الحاضرين وهو ابن الشحنة كما سيأتي إن شاء الله، هذا سؤال قد سئل عنه رسول الله ﷺ، فاستنكر تيمور ذلك وقال: كيف قلت، قال: ثبت في الحديث الصحيح أن قائلاً قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، الرجل يقاتل حميةً، ويقاتل شجاعةً ويقاتل ليرى موضعه، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة، أو كما قال. فلما سمع تيمور هذا الجواب أعجبه وأطربه. ولله در هذا المجيب فلقد وفقه الله في هذا الجواب، وهكذا فلتكن جوابات العلماء، لا كما قاله القاضي شرف الدين أنه رأى في حاشية. ثم إن تيمور توجه إلى قاعة السلطان الكائنة بقلعة حلب وأمر بطلب دراهم ممن بالقلعة من الحلبيين، فكتب أسماء الناس وقبض عليهم وعوقبوا بأنواع من العذاب بحيث لم يسلم من العقوبة إلا القليل. ونهبوا القلعة وأخذوا من الأموال والأقمشة ما أذهل التتار ولم يظفروا في مملكة بمثله. ثم رحل يوم السبت مستهل ربيع الآخر إلى جهة دمشق وترك بحلب طائفة من التتار بالقلعة وبالمدينة. فوصل إلى دمشق وقد كان وصل إليها الناصر فرج بعساكر الديار المصرية لدفع التتار وحصل بينهم قتال أياماً. ثم إنه وقع الاختلاف بين العسكر المصري وداخلهم الفشل فانكسروا وولوا راجعين إلى جهة مصر. واقتفى التتار آثارهم يسلبون من قدروا عليه أو لحقوه. ورجع السلطان إلى مصر، فأخذ تيمور دمشق وفعل بأهلها أعظم من فعله بحلب. فقصد من بالقلعة أن يمتنعوا منه فأمر بالأخشاب والتراب والحجارة وبنى برجين قبالة القلعة، فأذعنوا حينئذٍ، ونزلوا، فتسلمها ونهب المدينة وخربها خراباً فاحشاً لم يسمع

بمثله، ولم يصل التتار أيام هولاءكو إلى قريب مما فعل بها التتار أيام تيمور. واستمر بدمشق إلى شعبان. ثم رجع إلى ناحية حلب قاصداً بلاده. ولما وصل إلى بلاده استقر إلى السنة الثانية، ثم قصد بلاد الروم فجمع سلطانها بايزيد عسكره، وتقدم كل من الفريقين إلى الآخر، فحصلت مقتلة عظيمة انكسر فيها صاحب الروم وأسر، وتفرق شمل عسكره. فأخذ تيمور ما يلي أطراف الشام من بلادهم، وأخذ (برصا) وهي كرسي مملكة الروم. ثم رجع إلى بلاده ومعه أبو يزيد صاحب الروم معتقلاً فتوفي في اعتقاله من تلك السنة. ثم دخل تيمور بلاد الهند ونازل مملكة المسلمين حتى غلب عليها. والحاصل أنه دُوخ الممالك واستولى على غالب البلاد الإسلامية، بل والعجم وجميع ما وراء النهر والشام والعراق والروم والهند، وما بين هذه الممالك. ومن أحبّ الاطلاع على ما وقع له من الملاحم وكيف صنع بالبلاد والعباد فعليه بالكتاب المؤلف في سيرته، وهو مجلد لطيف وقد قدمنا الإشارة إليه عند ترجمة مؤلفه (ابن عرب شاه)، وقد وصف فيه من عجائب تيمور وغرائب ما ينبر له كل من وقف عليه، ويعرف مقدار هذا الملك الذي لم يأت قبله ولا بعده مثله، فإن جنكزخان ملك التتار وإن كان قد أهلك من العباد والبلاد زيادة على ما أهلك هذا إلا أن ذاك لم يباشر ما باشره هذا ولا بعضه، ولا كان جميع ما فعله في حياته بل الغالب بعد موته في سلطنة أولاده وأحفاده. وأما هذا الطاغية فهو المباشر لكل فتوحاته المدبر لجميع معاركه. ولقد كان من أعاجيب الزمن في حركاته وسكناته، وكان شيخاً طويلاً مهولاً طويل اللحية حسن الوجه، أعرج شديد العرج سلبت رجله أوائل أمره، ومع ذلك يصلي من قيام، مهابةً بطلاً شجاعاً جباراً ظلوماً سفاكاً للدماء مقدماً على ذلك. أفنى في مدة سلطنته من الأمم ما لا يحصيه إلا الله، وخرب بلداناً كثيرة تفوت الحصر. وكان جهير الصوت، يسلك الجدّ مع القريب والبعيد، ولا يحب المزاح، ويحب الشطرنج، وله فيه يد طويلة، ومهارة زائدة، وزاد فيه جملاً وبغلاً، وجعل رقعة عشرة في أحد عشر، بحيث لم يكن يلاعبه فيه إلا أفراد، ويُقرب العلماء والصلحاء والشجعان والأشراف وينزلهم منازلهم، ولكن من خالف أمره أدنى مخالفة استباح دمه، فكانت هيئته لا تُداني بهذا السبب، وما أخرج البلاد إلا بذلك، فإنه كان من أطاعه من أول وهلة آمن، ومن خالفه أدنى مخالفة هلك. وله فكر صائب ومكايد في الحرب عجيبة وفراصة قل أن تخطئ ومعرفة بالتواريخ لإدماجه على سماعها وعدم خلوّ مجلسه عن قراءة شيء منها سَفراً وحضراً. وكان مُغرّياً بمن له معرفة بصناعة ما إذا كان حاذقاً فيها مع كونه أمياً لا يحسن الكتابة ولا القراءة، وله حذق باللغة الفارسية والتركية والمغلية ويعتمد قواعد جنكزخان، ويجعلها أصلاً. ولذلك أفنى العالم مع تظهره بالإسلام وشعائره. وكان له جواسيس في جميع البلاد التي ملكها والتي لم

يملكها، فكانوا ينهون إليه الحوادث الكائنة على جليتها ويكتبونه بجميع ما يروم فلا يتوجه إلى جهة إلا وهو على بصيرة من أهلها. وبلغ من دهائه أنه كان إذا أراد قَصْدَ جهة جمع أكابر الدولة وتشاوروا إلى أن يقع الرأي على التوجه في الوقت الفلاني إلى الجهة الفلانية، فيكتب جواسيس تلك الجهات أهلها فيأخذون الحذر ويأمن غيرهم، فإذا ضرب النفير وأصبحوا سائرين ذات الشمال عَرَجَ بهم ذات اليمين فيدهم الجهة التي يريد وأهلها غافلون. مات وهو متوجه لأخذ بلاد الخطا بسبب ثلوج تنزلت مع شدة برد، وكان لا يسافر في أيام الشتاء، فلما أراد الله هلاكه قَوَّى عزمه على هذا السفر، وكان (موته) يوم الأربعاء سابع عشر شهر شعبان سنة ٨٠٧ سبع وثمانمائة. ولم يكن معه من بنيه وأحفاده سوى حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور، فاتفق رأيهم على استقرار خليل المذكور في السلطنة مع كون أبيه وعمه موجودين، وبذل لهم أموالاً عظيمة ورجع إلى بلاده سمرقند، فإنها كانت كرسي مملكة تيمور. فلما قرب منها تلقاه من بها وعليهم ثياب الحداد وهم يبكون، وجثة تيمور في تابوت آبنوس، وجميع الملوك والأمراء مشاة مكشوفة رؤوسهم وعليهم ثياب الحداد حتى دفنوه وأقاموا عليه العزاء أياماً. (قال السخاوي): ولعله قارب الثمانين، فإنه قال للقاضي شرف الدين الأنصاري وغيره: كم سِنُّكم؟ فقال له الشرف: سَنِي الآن سبع وخمسون سنة، وأجاب غيره بنحو ذلك. فقال: أنا أصلح أن أكون والدكم. وكانت له همة عظيمة لم يبلغ إلى سُمُوها همة ملك من الملوك من جميع الطوائف، فإنه ما زال يفتح البلاد ويقهر الملوك ويستولي على الأقاليم منذ قيامه في بلاده واستيلائه على مملكة أرضه إلى أن مات، وناهيك أنه مات في الغزو، ولم يصده عن ذلك كثرة ما قد صار بيده من الممالك، ولا كفاه ما قد استولى عليه من الأراضي التي كانت قائمة بعدة ملوك هم تحت ركابه ومن جملة خدمه، ولله الأمر وهو الملك حقاً. وكان مُعْرِىً بغزو المسلمين دون الكفار، وصنع كذلك في بلاد الروم والهند. وأنشأ بظاهر سَمَرْقَنْدَ عدة بساتين وقصور عجيبة، فكانت من أعظم النزه، وبَنَى عدة قصبات سماها بأسماء البلاد الكبار كحمص ودمشق، وبغداد، وشيراز. وكان يجمع العلماء ويأمرهم بالمناظرة في مقامه ويسائلهم ويتعنتهم. وبالجملة فكان من الغرائب البارزة إلى العالم الدالة على القدرة الإلهية، وأنه يسلط من يشاء على من يشاء. وكان له من الأولاد عند موته ميرشاهان، وشاه رخ، ومن الزوجات ثلاث، ومن السراري شيء كثير. وترجمته تحتمل كرايس، فمن رام الاطلاع على أحواله فليرجع إلى كتاب سيرته الذي قدمنا الإشارة إليه.

حرف الثاء المثلثة

(١١٤)

(ثَابِت بن مُحَمَّد بن ثَابِت الطَّرَابِلْسِي أمير طَرَابِلِس العَرَب)^(١)

ولي الإمرة بعد أبيه، وكان شاباً غِراً، فاحتال عليه الإفرنج بأن قدم منهم طائفة في عدة مراكب في صورة التجار، وهم مقاتلة، فراسلوا من في البلد من الإفرنج وأطلعوهم على سرهم وأرسلوا من عندهم ترجماناً مجرباً فرأى في البلد غلاء لقلعة الحَبّ عندهم إذ ذاك فتمّت له الحيلة، وأشار على ثابت أن يجمع الأسلحة التي مع جند البلد ويجعلها عنده في القلعة لتطمئن إليه تجار الإفرنج، وينزلوا من مراكبهم ويبيعوا ما معهم من البضائع، وذكر له أن الخمس الذي يخصه من البضائع يجتمع منه مال كثير ويتنفع الناس بما معهم من المأكولات ففعل. فلما بلغ الإفرنج ذلك أنزلوا من مركبهم بعض البضائع التي معهم وكان معهم عدة أعدال من التين، وفرح أهل البلد وسارعوا إلى شرائها منهم، فلما اطمأنوا إليهم هجموا على البلد بالليل دفعة واحدة وأهلها غافلون فقتلوا فيهم كيف شاؤوا، وحاصروا القلعة، فهرب ثابت مُتدلياً بعمامته من القصر، ففطن به بعض العرب ممن يعاديه فقتله. واستولى الإفرنج على البلد، وكان ذلك في سنة ٧٥٦ ست وخمسين وسبعمائة.

(١١٥)

(ثُقْبَة بن رُمَيْثَة بن مُحَمَّد بن أَبِي سَعْد
ابن عَلِي بن قَتَادَة الحسني الشريف أمير مكة)^(٢)

أخو عجلان، تأمراً جميعاً بعد موت والدهما مدة، ثم اختلفا واستقل عجلان، ثم قدم ثقبه بن رميثة إلى مصر في رمضان سنة (٧٤٦) ومعه هدية جلييلة، وقدم مرة أخرى سنة (٧٥٦) وقدم هدية جلييلة، وطلب أن يكون أخوه عجلان مستقلاً فأجيب،

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٥٢٩/١؛ الأعلام: ٩٨/٢.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٥٣٠/١؛ النجوم الزاهرة: ٢٢٦/١٠.

وخلع عليه، فاستمر الأخوان مختلفين. وتأذى الحاج بسببهما. ثم جهّز إليهما عسكرياً فقبض على ثقبه في موسم سنة (٧٥٤) فسُجن بمصر، ثم أطلق في سنة (٧٥٦) بشفاعة فياض بن مهنا. ثم هرب ثقبه من مصر وتبعه العسكر فلم يدركوه، واستمر خارج مكة إلى موسم سنة (٧٦١) فهجم مكة بعد توجه الحاج وفعل بها أفعالاً قبيحة، ونهب خيول الأمراء الذين من جهة المصريين، واستولى على ما في بيوتهم. ووقع بين الطائفتين مقتلة عظيمة في الحرم حتى انكسر الأتراك فقتل أكثرهم وباعوا من أسر منهم بأبخس ثمن. وأسر أمير الترك فأجارته امرأة من القتل فعُذّب بأنواع العذاب، ثم أطلقه ثقبه بشفاعة القاضي تقي الدين الحراري، على شريطة أن يخرج من مكة، فخرج إلى البقيع، فلحقوا الركب المصري فسافروا معهم. واستقل بعد ذلك بمكة فأدركه (الموت) في أواخر رمضان سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة^(١).

(١) في الأعلام: سنة ٧٦٣هـ / ١٣٦٢م.

حرف الجيم

(١١٦)

(جَعْفَرُ بْنُ تَغْلِبِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كَمَالِ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ الْأَدْفُويّ) ^(١)

الأديب الفقيه الشافعيّ: (ولد) بعد سنة ٦٨٠ ثمانين وستمائة ^(٢). قال الشيخ تقيّ الدين السُّبكي: كان يُسمّى وعد الله. قال الصّفيّ: اشتغل في بلاده فمهر في الفنون ولازم ابن دقيق العيد وغيره، وتأدّب بجماعة منهم: أبو حيّان، وحمل عنه كثيراً. وكان يقيم في بستان ببلده. وصنف (الاتباع في أحكام السماع) و(الطالع السعيد، في تاريخ الصعيد) و(البدر السافر في تحفة المسافر) وكل مجاميعه جيدة. وكانت له خبرة بالموسيقى، وله النظم والنثر الحسن. فمنه: [من الكامل]

إِنَّ الدُّرُوسَ بِمِضْرِنَا فِي عَضْرِنَا	طُبِعَتْ عَلَى غَلَطٍ وَفُرِطٍ عِيَاطٍ ^(٣)
وَمَبَاحِثٌ لَا تَنْتَهِي لِنَهَايَةٍ	جَدَلًا وَنَقْلٌ ظَاهِرٌ الْأَغْلَاطِ
وَمُدْرَسٌ يُبْدِي مَبَاحِثَ كُلِّهَا	نَشَأَتْ عَنِ التَّخْلِيصِ وَالْأَخْلَاطِ ^(٤)
وَمُحَدَّثٌ قَدْ صَارَ غَايَةً عِلْمِهِ	أَجْزَاءَ يَرْوِيهَا عَنِ الدِّمِّيَاطِي
وَفُلَانَةٌ تَرْوِي حَدِيثًا عَالِيًا	وَفُلَانٌ يَرْوِي ذَاكَ عَنْ أَشْبَاطِ
وَالْفَرْقُ بَيْنَ عَزِيزِهِمْ وَغَرِيرِهِمْ	وَأَفْصَحُ عَنِ الْخِيَاطِ وَالْحَنَاطِ ^(٥)
وَالْفَاضِلُ النُّحْرِيرُ فِيهِمْ دَأْبُهُ	قَوْلُ (الرَّسْطَالِيْسِ) أَوْ بُقْرَاطِ
وَعُلُومُ دِينَ اللَّهِ نَادَتْ جَهْرَةً	هَذَا زَمَانٌ فِيهِ طَيُّ بَسَاطِي

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ١٥٣/٦؛ الدرر الكامنة: ١/٥٣٥؛ الأعلام: ١٢٢/٢؛ النجوم الزاهرة: ١٠/٢٣٧؛ كشف الظنون: ١٦٧، ١٠٩١؛ معجم المؤلفين: ١٣٦/٣؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٥٩/٣.

(٢) في معجم المؤلفين، والأعلام: ولد سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦.

(٣) العِيَاطُ: البكاء، أو الجلبة والصياح.

(٤) التخليط: الإفساد؛ يقال: خَلَطَ في أمره تخليطاً: أفسد فيه.

(٥) الْحَنَاطُ: الذي يُحَنِّطُ الموتى: يضع على أجسادهم وأكفانهم الحنوط، وهو خليط من أنواع الطيب.

وكان عالماً فاضلاً متقللاً من الدنيا، ومع ذلك لا يخلو من المآكل الطيبة. (مات) في أول سنة ٧٤٨ ثمان وأربعين وسبعمائة^(١).

(١١٧)

(السيد جعفر بن مطهر بن محمد الجرُمُوزي)

الرئيس الكاتب الشاعر، ولّاه المُتوكّل على الله إسماعيل بلاد العدين، وبعد ذلك صار كاتباً مع السيد عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن ابن الإمام القاسم لما استولى على بلاد العدين وغيرها، وكان صاحب الترجمة متشبهاً بالصاحب بن عباد^(٢)، وأبي إسحاق الصابي^(٣)، مكثراً من ذكرهما، حتى في شعره، وما أحسن قوله في ذلك بعد الترشيح الفائق: [من السريع]

تَعَانَقْتُ أَغْصَانُ بَانَ النَّقَا فَشَابَهَتْ أَغْطَافَ أَحْبَابِي^(٤)
وَمُنْذُ صَبَا قَلْبِي صَبَا صَاحِبِي آهَ عَلَى الصَّاحِبِ وَالصَّابِي
وقوله في المجون وأجاد: [من الطويل]

تَشَابَهَ ذُقْنِي حِينَ شَبْتُ وَبَغْلَتِي فَكَلْتَاهُمَا فِي اللَّوْنِ أَشْبَهُ^(٥)
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي عِلَامَ أَتَيْتُكُمْ عَلَى لِحْيَتِي أَمْ بَغْلَتِي كُنْتُ أَرْكَبُ
وكانت (وفاته) في حدود سنة ١٠٩٦ ست وتسعين وألف بالعدين، ووالده هو الجامع لسيرة الإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد، السيرة الحافلة المشهورة. وكان له في حرب الأتراك عناية كُلية، وولّاه الإمام المُتوكّل على الله إسماعيل عتمة.

(١١٨)

(جَقْمَقُ الظاهر أبو سعيد الجرَكسي)^(٦)

جلبه إلى مصر الخواجا وهو صغير، ثم اشتراه منه العلاء بن الأتابك، ثم

-
- (١) في النجوم الزاهرة، وطبقات الإسنوي: توفي سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م.
(٢) هو أبو القاسم، إسماعيل بن عباد الطالقاني: وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديباً وجوداً رأي. توفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م. (الأعلام: ١/ ٣١٦).
(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال الحرّاني، الصابي: نابغة كُتّاب جيله، مال إلى الأدب، فتقلد دواوين الرسائل والمظالم في أيام المطيع العباسي، ثم خدم معز الدولة الديلمي وغيره. توفي سنة ٣٨٤هـ / ٩٩٤م. (الأعلام: ١/ ٧٨).
(٤) الأعطاف: جمع العطف، وهو جانب الجسد من لدن الرأس إلى الورك.
(٥) الأشهب: الذي اختلط سواده ببياضه.
(٦) ترجمته في: الأعلام: ٢/ ١٣١؛ الضوء اللامع: ٣/ ٧٤.

أعتقه. وكلّمه الظاهر في أن يعطيه إياه، فسلمّه إليه من غير أن يُعلمه بعثقه. فدفعه الظاهر لأخيه إينال، ثم صار في الدولة الناصرية أمير عشرة، ثم صار في أيام المؤيد أمير طبلخانة، ثم جعله خازنداراً^(١)، ثم صار بعد المؤيد أحد المقدمين، ثم استقرّ في الحجوبية الكبرى أيام الأشرف برّسبائي، ثم نقله في سنة (٨٢٦) إلى الأتابكية، واستمرّ فيها إلى أن مات الأشرف بعد أن أوصاه على ولده المستقر بعده في السلطنة الملقب بالعزیز، فصارت أمور السلطنة كلّها معقودة بصاحب الترجمة، والعزیز إنما هو معه صورة. ثم خلعه بعد أيام يسيرة، وتسلمن في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة (٨٤٢). ثم اتّفق في أوائل سلطنته بعض الكدر إلى أن صفا له الوقت. وقد كان أخبره شخص في سنة (٨٠٤) أنه سيكون صاحب الترجمة سلطاناً، وهو في ذلك الوقت غير منظور بذلك، بل مظهر للوله والتغفيل عن أحوال الناس وتعاطي الأسباب المقللة للهيبة. وكذا بشّر به قديماً جماعة من الصالحين. واستمر في السلطنة وثبت قدمه. وكان ملكاً عادلاً كثير الصلاة والصوم والعبادة، عفيفاً عن المنكرات والقاذورات، لا يضبط عنه في ذلك زلة ولا تُحفظ له هفوة، مُتَقَشِّفاً بحيث لم يَمْشِ على سنن الملوك في كثير من ملبسه وهيئته وجلوسه وحركاته وأفعاله، متواضعاً، يقوم للفقهاء والصالحين إذا دخلوا عليه، ويبالغ في تقريبهم منه، ولا يرتفع في المجلس بحضرتهم. وله إلمام بالعلم واستحضر لبعض المسائل لكثرة تردّد العلماء إليه في حال إمرته ورغبته في الاستفادة منهم، وله كرم زائد بحيث ينسب إلى التبذير، فإنه قد يعطي بعض أهل العلم ألف دينار فصاعداً. وله عناية في إزالة كثير من المنكرات، وإن كانت من شعار السلطنة. وكان كثير الإحسان إلى الأيتام بحيث كان يرسل من يحضرهم إلى حضرته، فيمسح رؤوسهم، ويعطي كل واحد منهم. وأصلح كثيراً من المصالح العامة كالقناطر والجوامع والمدارس، وقرّر لأهل الحرمين رواتب في كل سنة، خصوصاً الفقراء منهم، يُحمل إليهم من مائة دينار وأقل وأكثر، وكثر الدعاء له بذلك. وهادن ملوك الأطراف وهاداهم وتردد إليهم لا عن عجزٍ أو ضعفٍ قوة، بل كان يقول: كل ما أفعله مع الملوك لا يفي بنعل الخيل لو أردت المسير إليهم، كل ذلك والأقدار تساعد والسعادة تعاضده مع حدة تعثره في بعض الأحوال، وسرعة بطش، وبادرة مفرطة، والكمال لله. وبالجملّة فهو من محاسن الملوك في غالب أوصافه. وقد كان كثير التعظيم لأهل العلم، وله معرفة بمقاديرهم، حتى كان يتأسف

(١) الخازندار: كلمة مركبة من «خزانة» العربية، و«دار» الفارسية، وتعني: مُتَوَلِّي الخزانة. قال السبكي: «وَحَقُّ عَلَيْهِ أَلَّا يُمَظَّلَ مِنْ أُحِيلَ إِلَيْهِ، بَلْ يَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا أَمَرَ لَهُ بِهِ مُهْنَتًا مُيسَّرًا. والخازندار أمين، فلو ادّعى أنه دفع المال إلى مخدمه كان القول قوله بيمينه، وإن كان له على الخازندارية معلوم أو إقطاع، لأنه الوكيل بِجُعلٍ». والجعل: الأجرة أو الراتب.

على فقد الحافظ ابن حجر، ويسميه أمير المؤمنين، وهو ممن ظهرت سعادته في ممالكه بحيث تسلطن جماعة منهم. ولم يزل على ملكه إلى أن ابتدأ به المرض، وصار يظهر التجلّد، لا يمتنع من الكتابة حتى غلب عليه الحال فعجز وانحط ولزم الفراش نحو شهر حتى (مات) بين المغرب والعشاء ليلة الثلاثاء ثالث شهر صفر سنة ٨٥٧ سيع وخمسين وثمانمائة. وعهد لولده المنصور بالسلطنة، وقد كان سنّه عند موته زيادة على ثمانين سنة، ورآه بعض الصلحاء بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: والله لقد أعطانا الملك من قبل أن نردّ عليه، فقال له: ما هو الملك الذي أعطاك إياه؟ قال: الجنة، ثم قال: وجاء جماعة بعدنا ليس لهم فيها وقت ولا مكان.

(١١٩)

(جَلال بن أحمد بن يُوسُف التَّبْرِيزي المعروف بالتَّبَّاني)^(١)

بمثناة ثم موحدة ثقيلة نسبة إلى التبانة ظاهر القاهرة، قدم القاهرة قبل سنة (٧٥٠) وأخذ عن جماعة من أهلها في فنون عديدة، وبرع في الجميع، مع الدين والخير، وصنّف عدة تصانيف منها «المنظومة» في الفقه، وشرحها في أربعة مجلدات، وشرح المشارق والمنار والتلخيص، واختصر شرح مغلطي على البخاري. وله مصنف في منع تعدد الجمع، وآخر في أن الإيمان يزيد وينقص. وكان محباً للحديث حسن الاعتقاد شديداً على الاتحادية والمبتدعة. وانتهت إليه رئاسة الحنفية. وعُرض عليه القضاء غير مرّة فأصرّ على الامتناع، وقال: هذا أمر يحتاج إلى دراية ومعرفة اصطلاح، ولا يكفي فيه مجرد الاتساع في العلم. و(مات) في ثالث رجب سنة ٧٩٣ ثلاث وتسعين وسبعمائة بالقاهرة عن بضع وستين سنة.

(١) ترجمته في: النجوم الزاهرة: ١٢٣/١٢؛ كشف الظنون: ٨٤١، ١٢٢١؛ الأعلام: ١٣٢/٢؛ الدرر الكامنة: ١/٥٤٥؛ شذرات الذهب: ٦/٣٢٧؛ بغية الوعاة: ٢١٣؛ معجم المؤلفين: ٣/١٥٢.

حرف الحاء المهملة

(١٢٠)

(حاجي بن الأشرف شُعْبَان بن حُسَيْن بن النَّاصِر مُحَمَّد بن قَلَاوَن)

استقرَّ في السلطنة بعد أخيه المنصور عليّ بن الأشرف وهو ابن زيادة على عشرِ سنينَ ولقب بالصالح، ثم عُزل بعد سنة ونصف بأتابكه الظاهر برقوق المتقدم ذكره في شهر رمضان سنة (٧٨٤)، وأمره بالإقامة في داره بقلعة الجبل جرياً على عادة بني الملوك، فاستمر إلى أن خُلع برقوق، وسُجن بقلعة الكرك فأعيد ثانياً إلى السلطنة، ولُقب بالمنصور، فأقام دوره تسعة أشهر. وعاد برقوق إلى السلطنة وخلعه في صفر سنة (٧٩٢). واستمرَّ المنصور ملازماً لداره إلى أن (مات) في تسع عشرة شوال سنة ٨١٤ أربع عشرة وثمانمائة، بعد أن تعطلت حركة يديه ورجليه منذ سنين، ودُفن بتربة جدته. (قال العيني): كان شديد البأس على جواريه لسوء خلقه، لغلبة السوداء عليه. وكان مشغلاً باللهو والسُّكر وقد جاوز الأربعين من عمره.

(١٢١)

(حَاجِي بن مُحَمَّد بن قَلَاوَن الملك

المُظَفَّر سَيْف الدين بن الناصر بن المنصور)^(١)

ولد سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة. فلما كان في آخر سلطنة أخيه الكامل شعبان قبض عليه وسجنه هو وأخوه حسين والد الأشرف شعبان، وذلك في جمادى الأولى سنة (٧٤٧)، فاتفق أن دولته زالت بقيام الأمراء عليه في يوم الاثنين أول جمادى الآخرة من تلك السنة فأُمسك وسجن، حيث كان حاجي. ونُقل حاجي إلى تخت السلطنة، فمدّوا له السباط الذي أُعدَّ للكامل، وأدخلوا للكامل السباط الذي أُعدَّ لحاجي، وأُحيط بمال الكامل وخواصه، وصُودروا. واتفق رخص الأسعار أول ما

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/٢، بدائع الزهور: ١/١٨٧؛ النجوم الزاهرة: ١٠/١٤٨؛ البداية والنهاية: ١٤/٢٣٢؛ الأعلام: ٢/١٥٣.

ولي المظفر ففرح الناس به لكنه أقبل على اللهو والشغف بالنساء حتى وصلت قيمة حظيته المسماة (إنفاق) مائة ألف دينار، وصار يحضر الأوباش يلعبون بالمصارعة بين يديه. وكان جلوسه على التخت في مستهل جمادى الآخرة سنة (٧٤٧) فبقي سنة وأربعة أشهر، وخلع في ثاني عشر شهر رمضان سنة (٧٤٨) وكان قتل جماعة من أكابر الأمراء، فنفرت عنه القلوب، واستوحش منه بقية الأمراء. وكان كثير اللعب بالحمام، فلامه على ذلك بعض أكابر أمراءه فقال له: اذبحها، فذبح الأمير منها طيرين، فطار عقل السلطان وقال لخواصه: إذا دخل إلي فبضعوه بالسيوف، فبلغه ذلك فأخذ حذره منه. ثم اجتمع الأمراء إلى قبة النصر، فبلغ ذلك المظفر فخرج في من بقي معه فلما تراءى الجمعان حمل عليه أميران، طعنه أحدهما، وضربه الآخر فقتلاه، ثم قرروا أخاه الناصر حسن في السلطنة.

(١٢٢)

(١) حامد بن حسن شاكر الصنعاني

نشأ بصنعاء، وأخذ عن جماعة من أكابر العلماء، كالسيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش، والسيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي، والسيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي، وغيرهم. وأكب على علم الحديث غاية الإكباب، حتى فاق فيه. وشارك في سائر الفنون مشاركة قوية، وانتفع به الناس في الوعظ. وكان له في الجامع حلقة كبيرة يحضرون عليه لسماع وعظه، ولوعظه وقع في القلوب لما هو عليه من الزهد والتقشف وعدم الاشتغال بالدنيا. وقد أخبرني جماعة ممن أخذ عنه أنه كان فقيراً قانعاً يلبس الثياب الخشنة، ويباشر شراء حاجاته بنفسه، ويتواضع في جميع أموره. وكتبه مضبوطة غاية الضبط، ولا يضبط إلا عن بصيرة، حتى صارت مرجعاً بعد موته، وله مؤلفات دالة على سعة حفظه للحديث، وإتقانه لهذا العلم، رأيت منها (الأنموذج اللطيف في حديث أمر معاذ بالتخفيف) وله شرح لعدة الحصن الحصين ليس على نمط الشروح، بل يكتب أحاديث ولا يشتغل بالكلام على أحاديث العدة لا تخريجاً ولا تفسيراً، وقفت عليه بعد شرحي للعدة، وجمع حاشية على ضوء النهار للعلامة الجلال، وصار تارة يرجح ما في ضوء النهار وتارة يرجح ما في حاشيته «منحة الغفار» للعلامة السيد محمد الأمير، ولكنه ليس بمتقن لعلم الأصول وسائر العلوم التي يحتاج إليها من حرر المسائل. وأما بالنسبة إلى ما يرجع إلى متون الأحاديث

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/١٧٨؛ هدية العارفين: ١/٢٦٠؛ نبلاء اليمن: ١/٤١٨؛
الأعلام: ٢/١٦١.

والكلام على أسانيدها فهو قليل النظر. وقد أكثر من التعقبات في تلك الحاشية لما في حاشية الأمير. وله رسائل ومسائل. (مات) رحمه الله فجأة في بضع وسبعين بعد المائة والألف. وسمعت من يروي عن السيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير أنه قال لما بلغه أن صاحب الترجمة يجمع حاشية على «الكشاف»: إن على «الكشاف» حاشية السعد، وحاشية صاحب الترجمة ينبغي أن يقال لها «حاشية الشقب»، والشقب في لسان أهل اليمن عبارة عن مقابل السعد وهو النحس. وكان السيد المذكور يتحامل عليه لما بلغه أنه يتعقب حاشيته المتقدم ذكرها. روى لي ذلك من عرف الرجلين رحمهما الله تعالى وإيانا.

١٢٣

(الحسن بن أحمد بن صلاح)

اليوسفي الجمالي اليماني المعروف بالحيمي^(١)

أحد أعيان دولة الإمام المؤيد بالله بن القاسم، وأخيه الإمام المتوكل على الله، وهو من أكابر العلماء وأفاضل الأدباء، وكان يقوم بالأمر العظيمة المتعلقة بالدولة ثم يشتغل بالعلم درساً وتدریساً. وكان يوجهه الإمام المتوكل على الله في المهمات لفصاحته ورجاحة عقله وقوة تدبيره. فمن جملة ما بعثه إليه من المهمات إرساله إلى حَضْرَمَوْت لما وقع الاختلاف بين السلاطين آل كثير، فقام بالأمر أتم قيام، وصلحت الأمور بحميد رأيه وجميل عنايته. ووجهه أيضاً إلى سلطان الحبشة لما وصلت إليه منه كتب تتضمن رغبه في الإسلام، ويطلب وصول جماعة من آل الإمام إليه ليسلم على أيديهم، فتوجه في نحو خمسين رجلاً، وركب من بندر المخا، ثم توجه من هنالك ولاقى مشاقاً عظيمة، واستمر في الطريق سفراً وإقامة نحو تسعة أشهر، فوصل إلى سلطان الحبشة في يوم عيد للنصارى، فدخل على السلطان لا بساً شعار الإسلام من الثياب البيض. وكان السلطان غير مُريد لما أظهره في كتبه من الرغوب في الإسلام، بل معظم قصده المراسلة كما يفعله الملوك. وأنه يريد إصلاح الطريق. فلما استقر صاحب الترجمة في مدينة السلطان أضافه وأكرم أصحابه وأراد أن يخلع عليه خلة حرير خالص وسوارين من الذهب فقال له: هذا لا يحل في شريعتنا. وكان لصاحب الترجمة في تلك البلاد صولة عظيمة حتى كان أصحابه يبطشون بالنصارى إذا تعرضوا لهم ويضربونهم. وشاع عند الحبشة أن العرب الذين هم أصحاب المترجم له يأكلون

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ٢٩٢/١؛ إيضاح المكنون: ١٢٢/١؛ معجم المؤلفين: ١٩٩/٣؛ تاريخ آداب اللغة: ٢٩٥/٢.

الناس فزادت مهابتهم في صدورهم . وكان أعظم معين لهم على ذلك البنادق فإنه لا يعرفها أهل الحبشة إذ ذاك ، ولولا هي ما قدروا على مرور الطريق ، فإنهم كانوا ينصبون عليهم كالجراد فيرمونهم بالبنادق فيقتلون منهم وينهزمون ويفزعون لأصواتها وتأثيرها . ثم لما أيس صاحب الترجمة من إسلام السلطان طالبه بالإذن له بالرجوع إلى ديار الإسلام ، فتناقل عنه ثم بعد حين أذن له ، وكان لا يصحو من شرب الخمر ، فعين له وقتاً يصل إليه للوداع ، وترك شرب الخمر في ذلك اليوم ، وجمع وزراءه وأمرائه وأعيان دولته ، فأمر صاحب الترجمة أصحابه أن يرموا بالبنادق عند وصولهم إلى باب السلطان كما يفعل أهل اليمن ، ويسمون ذلك تعشيرة ، فلما سمع السلطان أصوات البنادق هرب من إيوانه ، وهرب الوزراء وسائر أصحاب السلطان ، فدخل صاحب الترجمة الدار ، ثم بعد ذلك عاد السلطان إلى مكانه ، وأخذ في أهبة توجيهه إلى بلاد الإسلام . وكان جملة بقائه لديه ثلاث سنين . ورجع إلى حضرة الإمام سالماً . وهذه الرحلة مشتملة على عجائب وغرائب قد جمعها صاحب الترجمة في كراريس هي بأيدي الناس . ومن شعره أيام إقامته بالحبشة هذه الأبيات : [من الطويل]

على كُلِّ سَعْيٍ فِي الصَّالِحِ ثَوَابٌ	وَكُلُّ اجْتِهَادٍ فِي الرَّشَادِ صَوَابٌ
وَلَيْسَ عَلَى الْإِنْسَانِ إِدْرَاكُ غَايَةِ	وَدُونَ مَدَاهَا لِلْعُيُونِ حِجَابٌ
وَلَوْ عَلِمَ السَّاعُونَ غَايَةَ أَمْرِهِمْ	لَمَا كَانَ شَخْصٌ بِالشُّرُورِ يُصَابُ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ دَعَا	وَحَقٌّ لَهُ بَعْدَ الدَّعَاءِ يُجَابُ
وَلَكِنْ دَعَا قَوْمًا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ	رَمَوْا غَرَضًا فِي دِينِهِمْ فَأَصَابُوا

وهي أبيات طويلة جيدة ، وله أشعار أيام إقامته هنالك ، وشعره جيد . (مات) في شهر ذي الحجة سنة ١٠٧٠ سبعين وألف^(١) .

(١٢٤)

(السيد الحسن بن أحمد بن محمد

ابن علي بن صلاح بن أحمد بن الهادي بن الجلال)^(٢)

ابن صلاح بن محمد بن الحسن بن المهدي بن علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن المختار لدين الله القاسم بن

(١) في رواية أنه توفي ثاني أيام عيد الأضحى من سنة ١٠٧١ هـ .

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ١/ ٢٩٥؛ إيضاح المكنون: ٤٦/٢ ، ٧٥؛ معجم المؤلفين: ٣/

النَّاصِر بن الهادي يَحْيَى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم، المعروف بالجلال العلامة الكبير. (ولد) في شهر رجب سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف، بهجرة رغافة بضم الراء المهملة بعدها معجمة وبعد الألف فاء، قرية ما بين الحجاز وصعدة، ونشأ بها. ثم رحل إلى صعدة وأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى شهارة وأخذ عن أهلها، ثم رحل إلى صنعاء وأخذ عن أكابر علمائها وما حواليا من الجهات. ومن جملة مشايخه القاضي عبد الرحمن الحيمي، والعلامة الحسين بن القاسم بن مُحَمَّد، والعلامة مُحَمَّد عز الدين المفتي، وسائر أعيان القرن الحادي عشر، وبرع في جميع العلوم العقلية والنقلية، وصنف التصانيف الجليلة فمنها (ضوء النهار) جعله شرحاً للأزهار للإمام المهدي، وحرّر اجتهاداته على مقتضى الدليل ولم يعبأ بمن يوافقه من العلماء أو يخالفه، وهو شرح لم تُشرح «الأزهار» بمثله بل لا نظير له في الكتب المدونة في الفقه. وفيه ما هو مقبول وما هو غير مقبول، وهذا شأن البشر. وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا المعصوم، وما أظنّ سبب كثرة الوهم في ذلك الكتاب إلا أن هذا السيد كالبحر الزخّار، وذهنه كشعلة نار، فيبادر إلى تحريم ما يظهر له واثقاً بكثرة علمه وسعة دائرته وقوة ذهنه. ولا أقول كما قال السيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش في وصفه لبعض مصنفات صاحب الترجمة: إنه عظام لا لحم عليها، بل أقول: هو بحر عجاج متلاطم الأمواج. وله في أصول الدين (شرح الفصول) و(شرح مختصر المنتهى)، وفي المنطق (شرح التهذيب)، وفي أصول الدين (عصام المتورعين)، وغير ذلك من المؤلفات في غالب الفنون. وله حاشية كمل بها حاشية السعد على «الكشاف»، وحاشية على (شرح القلائد) ومجموعات مفيدة، ورسائل عديدة، وله القصيدة التي سماها (فيض الشعاع) أولها: [من الكامل]

الدينُ دينُ مُحَمَّدٍ وصَحَابِهِ يا هائماً بقياسِهِ وكتَابِهِ

وشرحها شرحاً نفيساً فيه فوائد جمّة، ولي كثير من المناقشات في ترجيحاته التي يحررها في مؤلفاته، ولكن مع اعترافي بعظيم قدره وطول باعه وتبريزه في جميع أنواع المعارف. وكان له مع أبناء دهره قلاقل وزلازل، كما جرت به عادة أهل القطر اليمني من وضع جانب أكابر علمائهم المؤثرين لنصوص الأدلة على أقوال الرجال. وقد كان الإمام المتوكل على الله إِسْمَاعِيل بن القاسم المتقدم ذكره يجله غاية الإجلال، ولا يعرف أهل الفضل إلا أهله، واستوطن الجراف، ومات فيه، وقبره هنالك، وكان (موته) ليلة الأحد لثمانٍ بقين من ربيع الآخر سنة ١٠٨٤ أربع وثمانين وألف، وكان جيد النظم، وما أحسن قوله في القصيدة التي تقدمت الإشارة إليها مخاطباً لرسول الله ﷺ: [من الكامل]

وَقُلِ ابْنُكَ الْحَسَنُ الْجَلَالُ مُبَايِنٌ مَنْ قَدْ غَلَا فِي الدِّينِ مِنْ تَلْعَابِهِ^(١)
 لَا عَاجِزاً عَنْ مِثْلِ أَقْوَالِ الْوَرَى أَوْ هَائِباً مِنْ عِلْمِهِمْ لِصَعَابِهِ
 فَالْمُشْكَلَاتُ شَوَاهِدٌ لِي أَنَّنِي أَشْرَقْتُ كُلَّ مُحَقِّقٍ بِلُغَابِهِ^(٢)
 لَوْلَا مَحَبَّةُ قُدُوتِي بِمُحَمَّدٍ زَاخَمْتُ رِسْطَالِيْسَ فِي أَبْوَابِهِ
 وَمِنْهُ : [من السريع]

وَشَادِنٍ يَغْرُقُ أَهْلَ الْهَوَى فِي حُسْنِهِ فَابُكٌ عَلَى وَارِدِهِ^(٣)
 مُذْ لَاحَ فِي الْخَدِّ أَخُو أُمِّهِ عَايَنْتُ تَضْجِيفَ أَخِي وَالِدِهِ
 وَلَهُ مِضْمَنٌ مَعَ حَسَنِ التَّصْرِفِ : [من مجزوء الوافر]

رَفَعْتُ عِمَامَتِي فَرَأْتُ بِرَأْسِي شَيْباً أَشْتَعَلَا
 فَعَادَتْ بَعْدُ تُنْكِرُنِي فَقُلْتُ لَهَا أَنَا ابْنُ جَلَا

١٢٥

(السيد الحسن بن إسحاق)

ابن المَهْدِي أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ الْإِمَامِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٤)

ولد سنة ١٠٩٣ ثلاثٍ وتسعين وألف، ونشأ بصنعاء، فقرأ على السيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير وغيره، وفاق في غالب العلوم. وصنّف تصانيف منها: (منظومة المهدي النبوي) لابن القيم. ثم شرحها شرحاً نفيساً، ومنها رسائل نفيسة في علوم عدة، وكان أحد الرؤساء مع أخيه السيد العلامة مُحَمَّد بن إِسْحَاق الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. ثم اعتقله الإمام المنصور الحسين بن القاسم، وكان قد اعتقله الإمام المتوكل على الله القاسم بن حسين، وله أشعار فائقة، منها وهو بالسجن: [من الكامل]

وَعَدْتُ أَسِيرَ الْوَجْدِ ظَبِيَّةً حَاجِرٍ بِالطَّيْفِ يَطْرُقُ فِي الظَّلَامِ مَحَاجِرِي^(٥)

(١) غلا في الدين: تشدد فيه، وجاوز الحد، وأفرط؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

التَّلْعَابُ: اللُّعْبُ، والتَّلْعَابُ: الكثير اللُّعْبِ.

(٢) أَشْرَقَ فُلَانًا: أَغَصَّهُ. اللُّعَابُ: الرِّيقُ.

(٣) الشَّادِنُ: ولد الطَّبِيَّةِ إذا قوي ومشى مع أمه.

(٤) ترجمته في: هدية العارفين: ١/٢٩٧؛ معجم المؤلفين: ٣/٢٠٥؛ نبلاء اليمن: ١/٤٢٩؛

الأعلام: ١٨٤/٢.

(٥) يطرق: يزور ليلاً. المحاجر: جمع المَحْجَرِ: ما أحاط بالعين.

وهي أبيات جيدة. وله قصيدة أخرى مطلعها: [من الرجز]

يَا صَاحِبِي مَا لِنَسِيمِ نَجْدٍ قَدْ عَطَّرْتُ سُوحِي بِعَرَفِ الثَّدِّ^(١)

مدح بها شيخه العلامة مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل الأمير، وله شعر كثير سائر مجموع عند أهله، وكل أهل هذا البيت الشريف علماء شعراء لا يخلو عن ذلك إلا النادر. وصاحب الترجمة من أكابرهم وأفاضلهم الجامعين بين العلم والأدب والرياسة ومكارم الأخلاق وجميع صفات الكمال، و(مات) في سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف.

١٢٦

(حَسَن بن أحمد بن يُوسُف الرِّبَاعِي الصَّنْعَانِي)^(٢)

ولد تقريباً على رأس القرن الثاني عشر، وقرأ على جماعة من شيوخ العصر كالسيد العلامة الحَسَن بن يَحْيَى الكبسي، والقاضي العلامة مُحَمَّد بن أحمد السوداني، وغيرهما. واستفاد في جميع العلوم الآلية، وفي علم السنّة المطهرة، وله فهم صادق وإدراك قويّ وتصوّر صحيح، وإنصاف وعمل بما تقتضيه الأدلة. وله قراءة عليّ في علم المعاني والبيان، وفي علم التفسير، وفي الصحيحين، والسنن، وفي مؤلفاتي. وهو الآن من أعيان أهل العرفان، ومحاسن حملة العلم بمدينة صنعاء. وقد تقدمت ترجمة والده.

١٢٧

(الحَسَن بن إِسْمَاعِيل بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد المغربي)

نسبة إلى مغارب صنعاء ثم الصنعاني، حفيد شارح «بلوغ المرام» الآتي ذكره. هو شيخ شيوخ العصر (ولد) بعد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء كسلفه، وقرأ على جماعة من أعيان علماء صنعاء، منهم العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والعلامة مُحَسِّن بن إِسْمَاعِيل الشَّامي، وغير واحد في عدة فنون كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والحديث والتفسير والفقه. وانتفع به الطلبة في جميع هذه الفنون، وأخذ عنه أعيان العلماء وتخرجوا به وصاروا مُبرزين في حياته، وكان رحمه الله زاهداً ورعاً عفيفاً متواضعاً متقشفاً، لا يعدّ نفسه في العلماء، ولا يرى له حقاً على تلامذته فضلاً عن غيرهم، ولا يتصنع في ملبوس، بل يقتصر على عمامة صغيرة وقميص وسراويل وثوب يضعه على جنبه، وتارة يجعل إزاراً مكان الثوب

(١) الثَّدُّ: ضربٌ من النبات يُتَبَخَّرُ بِعُودِهِ. السُّوح: الساحات.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/٢٠٤؛ نيل الوطر: ١/٣١٨؛ الأعلام: ٢/١٨٣.

ويقتضي حاجته من الأسواق بنفسه، ويباشر دقيقها وجليلها، ويحمل على ظهره ما يحتاج إلى الحمل منها، ويقود دابته ويسقيها بنفسه. ولا يتصدّر لما يتصدّر له مَنْ هو معدود من صغار تلامذته من تحرير الفتاوى، وممارسة أهل العلم، بل جلّ مقصوده الاشتغال بخاصة نفسه، ونشر العلم بإلقائه إلى أهله والقيام بما لا بدّ منه من المعيشة، يكتفي بما يحصل له من مستغلاته التي ورثها عن سلفه الصالح مع حقارتها. وخطب للقضاء في أيام شبابه فلم يساعد بل صمّم على الامتناع بعد أن رغبه شيخه أحمد بن صالح المتقدم ذكره. والحاصل أنه من العلماء الذين إذا رأيتهم ذكرت الله عزّ وجلّ، وكلّ شؤونه جارية على نمط السلف الصالح، وكان إذا سأله سائل أحاله في الجواب على أحد تلامذته، وإذا أشكل عليه شيء في الدرس أو فيما يتعلق بالعمل سأل عنه غير مبالٍ سواء كان المسؤول عنه خفياً أو جلياً لأنه جُبِلَ على التواضع. ومع هذا ففي تلامذته القاعدين بين يديه نحو عشرة مجتهدين، والبعض منهم يُصنّف في أنواع العلوم إذ ذاك، وهو لا يزداد إلاّ تواضعاً. قرأت عليه رحمه الله في «المُطَوَّل» وحواشيه، و«العُضْد» وحواشيه، من أولهما إلى آخرهما. و«الكشاف» وبعض حواشيه من أوله إلى آخره، إلاّ فوتاً يسيراً، وبعض «الرسالة الشمسية» وشرحها للقطب وحاشيتها للشريف، وبعض «تنقيح الأنظار في علوم الحديث»، وقطعة من صحيح مسلم، وقطعة من شَرْحِه للنووي، وجميع سنن أبي داود، ومختصر المنذري عليها، وبعض شرح ابن رسلان، والخطابي لها، وشرح «بلوغ المرام، لجده إلاّ قليلاً من أوائله. واستمرّ على حاله الجميل لا يزداد إلاّ تواضعاً وتواضعاً وتحقيراً لنفسه. وهكذا فليصنع من أراد الوصول إلى ثمرة العلم والبلوغ إلى فائده الأخرى. وكان رحمه الله يقبل عليّ إقبالاً زائداً، ويعينني على الطلب بكتبه. وهو من جملة من أرشدني إلى شرح «المنتقى» وشرعت في حياته، بل شرحت أكثره وأتممته بعد موته. وكان كثيراً ما يتحدث في غيبتني أنه يخشى عليّ من عوارض العلم الموجبة للاشتغال عنه، فما أصدق حدسه وأوقع فراسته، فإني ابتليت بالقضاء بعد موته بدون سنة، و(انتقلت) روحه الطاهرة إلى جوار الله في يوم الثلاثاء ثالث وعشرين ذي الحجة سنة ١٢٠٨ ثمانٍ ومائتين وألف، ورثته بقصيدة أولها: [من الطويل]

كَذَا فَلْيَكُنْ رِزُّ الْعُلَا وَالْعَوَالِمِ وَمِنْ مِثْلِ ذَا يَنْهَدُ رُكْنَ الْمَعَالِمِ^(١)

ورثته أيضاً بأبياتٍ أخرى أولها: [من الكامل]

جُفُنُ الْمَعَارِفِ مِنْ فِرَاقِكَ سَافِحٌ وَالْعَذْبُ مِنْهَا بَعْدَ بُعْدِكَ مَالِحٌ^(٢)

(١) الرِّزُّ: المصيبة. يَنْهَدُ: يَنْهَدِمُ.

(٢) سَافِحٌ: من سفح الدمع: أساله.

١٢٨

(السيد الحسن بن الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد^(١))

الصَّنْعَانِي المولد والوفاء والدار، العلامة المُبَرِّز في عدة فنون لا سيَّما علم المعقول، فهو فيه فريد عصره، وله مصنَّف في المنطق جعله حاشية على شرح العلامة الجلال في التهذيب، وتلامذته جماعة نبلاء كانوا يقصدونه للقراءة عليه إلى منزله، وله أشعار حسان منها القصيدة التي مطلعها: [من الكامل]

لِجَمَالِ ذَاتِكَ فِي الْوُجُودِ تَطْلُعِي وَلِنَيْلِ وَصْلِكَ فِي الْحَيَاةِ تَطْمُعِي
وَلَوْجْهِكَ الزَّاهِي بِحُسْنِ جَمَالِهِ حَجِّي وَتَطُوفِي بِذَاكَ الْمَرْبَعِ
وله يد في علم التصوُّف قوية، وكذلك في علم الأسماء. وقد أثنى عليه صاحب (نسمة السحر) وذكر له مؤلفات، وقال: إنه كتب له بخطه، أنه ولد بضوران سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف، وذكر له شعراً كتبه إليه، مطلعها: [من الطويل]

تَرْنَمُ حَادِي الشُّوقِ فَهُوَ مُزْمَرٌ فَرَعِيًّا لِحَادٍ بِالْهَوَى يَتَرْنَمُ
وذكر ما يدل على أن صاحب الترجمة وقف على نسمة السحر وقرضها، وقد بلغ عمره ثمانين سنة، ولم يذكر وفاته^(٢).

١٢٩

(السيد الحسن بن زيد بن الحسين الشامي)

قرأ بصنعاء على أعيان علمائها كالسيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي وطبقته، وبرع في علم الحديث، وشارك في غيره من الفنون مشاركة قوية. ونشر العلم وأتعب نفسه في الإرشاد إلى الحق من العمل بالدليل. وأقبل عليه الخاص والعام، وأخذوا عنه، وتخلقوا بأخلاقه، ومشوا على طريقته. وكان لا يملّ من ذلك في جميع الأوقات، فظهرت بركته، وعمّ النفع به، فإنه سكن في صنعاء فصار له أتباع لا يعملون إلا بالأدلة، ثم سكن في هجرة سناع فصار أهلها جميعاً مشغولين بالطاعة مواظبين على الجمعة والجماعة. وكذلك سكن في زهبان، وصار أهله كذلك. وله في حسن التعليم طريقة لا يقدر عليها غيره، وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي العباس بن الحسين، وعند وزيره أحمد بن علي التُّهْمِي، فنفع به جماعة من المحاويج، وصار يبذل جاهه لهم فيجلب إليهم خيراً كثيراً ولا يأخذ لنفسه شيئاً مع

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ٢٩٦/١؛ معجم المؤلفين: ٢١٩/٣.

(٢) قيل: توفي في التاسع من ربيع الأول سنة ١١١٤هـ/ ١٧٢٣م.

كونه فقيراً. وكان هذا دأبه طول حياته ولا مطمع له في مواصلة أرباب الدولة إلا ذلك. وله في الزهد والتقشف وكثرة العبادة وظائف لا يقدر عليها غيره مع قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والترسلات في ذلك على الإمام، فمن دونه، والإرشاد إلى الرفق بالرعية، ولقد كان خيراً كله ولم أعرفه، ولكنه أخبرني بأخباره كل من يعرفه. وما زال مستمراً على ذلك حتى (مات) في سنة ١١٩٦ ست وتسعين ومائة وألف في جمادى الأولى منها.

(١٣٠)

(الحسن بن علي بن جابر الهبل اليماني الشاعر المفلق)^(١)

الفائق المكثّر المجيد: (ولد) سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف، وله شعر يكاد يسيل رقة ولطافة وجودة سبك وحسن معانٍ، وغالبه الجودة. وله ديوان شعر موجود بأيدي الناس، ومنه: [من المديد]

أَتَرَى يَسْلُو الْهَوَى وَلَهُ عِنْدَ سُكَّانِ الْجَمَى وَلَهُ^(٢)
مُغْرَمٌ فِي قَلْبِهِ حَزَنٌ فَصَلَ الْهَجْرَانِ مُجْمَلَهُ
عَظُمْتُ أَسْقَامُهُ فَعَدَا لَا يَرَاهُ مَنْ تَأَمَّلَهُ
لَوْ رَأَى مَنْ ظَلَّ يَعْزِلُهُ وَجْهَ مَنْ فِي الْحُبِّ أَنْحَلَهُ^(٣)
قَالَ أَمَا فِيكَ لَا حَرْجٌ إِنْ قَضَى وَجَدًا يَحِقُّ لَهُ
وله: [من المديد]

يَا قَلِيلَ الْحِفْظِ لِلذَّمِّ أَيَّ شَرِّعٍ حَلَّ فِيهِ دَمِي
هَلْ لِمَنْ أَتْلَفْتُ مُهْجَتَهُ يَا شَقِيقَ الرُّوحِ مِنْ حَكَمِ^(٤)
وله: [من مجزوء الكامل]

لَا ذُقْتُ حَرَّ صَبَابَتِي وَكُفِّيتَ مَا أَلْقَى بِهَا^(٥)
فَالنَّارُ مِنْ أَسْمَائِهَا وَالْمَوْتُ مِنْ الْقَابِهَا
وله القصيدة الطنانة التي مطلعها: [من الكامل]

لَوْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهَا الْأَحْدَقُ يَوْمَ التَّقَامَا خَاطَرَ الْمُشْتَاقُ

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ٢٩٤/١؛ معجم المؤلفين: ٢٥٠/٣؛ الأعلام: ٢٠٥/٢.

(٢) يسلو: ينسى، مع طيب نفس بالفراق. الولة: الحيرة من شدة وجدٍ وحُبٍّ.

(٣) يعذله: يلومه. أنحله: أهزله. (٤) أتلّف مهجته: أعطبها وأفناها.

(٥) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.

جَهْلَ الْهَوَى حَتَّى غَدَا فِي أَسْرِهِ وَالْحَبُّ مَا لِأَسِيرِهِ إِطْلَاقٌ
وَكُلُّهَا غَرَّرَ لَوْلَا مَا كَدَّرَهَا بِهِ مِنْ ثَلَبِ الْأَعْرَاضِ الْمَصُونَةِ أَعْرَاضِ خَيْرِ
الْقُرُونِ . وَلَمَّا ارْتَفَعَتْ دَرَجَتُهُ عِنْدَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، وَكَانَ كَالْوَزِيرِ
لَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ ، وَتَصَدَّى لِلْقَعُودِ فِي دَسْتِهَا (تُوفِي) فِي شَهْرِ صَفَرِ سَنَةِ ١٠٧٩ تِسْعَ
وَسَبْعِينَ وَأَلْفَ ، فَيَكُونُ عَمْرُهُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَلَوْ طَالَ عَمْرُ هَذَا الشَّابِّ
الظَّرِيفِ وَلَمْ يَشِبْ صَافِي شَعْرُهُ بِذَلِكَ الْمَشْرَبِ السَّخِيفِ ، لَكَانَ أَشْعَرُ شَعْرَاءِ الْيَمَنِ
بَعْدَ الْأَلْفِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . وَأَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ بَنِي الْهَبَلِ ، وَهِيَ هَجْرَةٌ مِنْ هَجَرَ
خَوْلَانَ ، وَمَحَلُّهُ وَمَحَلِّيُّ وَاحِدٌ ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ ، بَلْ بَيْنَهُمَا مِنَ الْقَرَبِ بَحِثٌ
يَسْمَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِمَّنْ فِيهِمَا كَلَامَ الْآخَرِ . وَقَدْ بَالِغٌ صَاحِبُ نَسْمَةِ السَّحَرِ فِي حَقِّهِ
فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ بِالْيَمَنِ أَشْعَرُ مِنْهُ مِنْ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا مَعْلُومُ الْبَطْلَانِ ،
فَالصَّوَابُ مَا قُلْتَهُ سَابِقًا .

(١٣١)

(الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ)
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن صالح
ابن مُحَمَّد بن يَحْيَى بن مُحَمَّد بن أحمد بن يَحْيَى
ابن أحمد بن حَنْشٍ^(١)

وبقية نسبه معروفة فله سلف صالح فيهم العلماء والقضاة والصلحاء ، وبينهم
مشهور في الديار اليمنية . (ولد) بشهارة في سنة ١١٥٣ ثلاث وخمسين ومائة وألف ،
ورحل من وطنه لطلب العلم إلى مدينة صنعاء ، فأخذ عن جماعة من أعيانها كالسيد
العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير في الحديث ، والقاضي العلامة أحمد بن مُحَمَّد
قَاطِنَ ، قرأ عليه في «مغني اللبيب» ، ورسالة الوضع للهروي ، وغيرهما . والسيد
العلامة إسحاق بن يُوْسُف بن المُتَوَكَّل ، قرأ عليه في المعالجة ، والقاضي العلامة
أحمد بن صالح بن أبي الرِّجَال في العربية ، والقاضي حُسين بن مُحَمَّد المغربي في
شرح «بلوغ المرام» . وشيخنا العلامة علي بن إبراهيم بن عامر ، وقرأ عليه في «غاية
السؤل» وشرحها ، وسيرة الشامي ، وشيخنا العلامة الأكبر السيد عبد القادر بن أحمد ،
قرأ عليه في «جامع الأصول» لابن الأثير ، وغيره ، وولده العلامة إبراهيم بن
عبد القادر ، قرأ عليه في «الغاية» وشرحها ، وفي «صحيح البخاري» . وقرأ القراءات

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢/٢٠٦.

السبع على شيخها المتفرد بمعرفتها الفقيه علي اليدومي. وأول من اتصل به عند وصوله إلى صنعاء الفقيه إسماعيل بن مُحَمَّد حَسَن، وقرأ عليه، وأعانه على الطلب. وولي في أوائل عمره أعمالاً من وقف وغيره، ثم أمره مولانا الإمام المهدي أن يتصل بولده مولانا خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله ليقراً عليه، فاتصل به وقرأ عليه ولازمه مدة. ثم لما مات الإمام المهدي وبُويع مولانا الإمام المنصور بالله أناط بصاحب الترجمة أعمالاً وصيّره أحد وزرائه المقربين عنده، وجعل بنظره بعض البلاد اليمنية، وبالع في تعظيمه لكونه شيخه في العلم، ولم يعامله معاملة سائر الوزراء. وإذا ناب الدولة أمر يتعلق بالأمور الشرعية كان التعويل عليه في الغالب. وغالب ما يتحصل له ينفقه على العلماء، ويواسي به الفضلاء الفقراء على وجه لا يحب أن يطلع عليه أحد، وما زال هذا دأبه وديدنه من أول وزارته إلى حال تحرير هذا نحو ثلاث وعشرين سنة، وهو لا يزداد، إلا خيراً وإنفاقاً على من يستحق ذلك، وهو في هذه الخصلة منقطع القرن عديم النظر، لا سيما في هذا العصر، فإنه قد يعطي بعض المحاويع الذين لا يتصلون به عطاءً يجاوز الوصف في الكثرة، ويشتري البيوت ويهبها لمن لا بيت له، ويعين من أراد أن يشتري بيتاً إذا كان مستحقاً بأكثر الثمن أو كله. وقد صنع هذا الصنع مع أناس كثيرين، وهو يكره ظهور ذلك وإطلاع الناس عليه، وذلك دليل الخلوص. وإني لأكثر التعجب من كثرة صدقاته التي منها ما يبلغ المائة قرش وفوقها ودونها، بل أخبرني بعض العلماء أنه اطلع على ما وهبه لبعض العلماء، وكانت جملة ألف قرش دفعة واحدة. وأخبرني آخر أنه بلغ إعطاؤه لعالم آخر اثنتي عشرة مائة قرش دفعة واحدة. وناهيك بهذا فإن عطاء الملوك في عصرنا يتقاصر عنه. ويزداد التعجب من استمراره على ذلك كيف قدر على القيام به مع أن غيره ممن بنظره أعمال أكثر من أعماله ومدخولات أوفر من مدخولاته قد لا يقوم ما يتحصل له بما يستغرقه لخاصة نفسه وأهله فضلاً عن غير ذلك. ثم أذكر قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقول النبي ﷺ: «أنفق ينفق عليك» فأعلم عند ذلك السبب، ومع هذا فهو في عيش فائق مُترَف في ملبوسه ومأكوله ومسكنه ومركبه وجميع أحواله على حد يقصر عنه أمثاله، قد جمع الله له من نعم الدنيا ما لا يدركه غيره، وأعطاه من الكمالات ما لا يوجد مجتمعاً في سواه، فإنه مع إحكامه لما يتعلق به من الأعمال الدولية معدود من العلماء، مذكور في الفرسان مشهور بحسن الرماية، جيد الخط، قوي النثر، حسن الأخلاق. وكان بشوشاً متواضعاً سيّوساً جلياً وقوراً ساكناً عفيفاً مواظباً على الجمعة والجماعة، كثير الأذكار محباً للفقراء، ولا سيما إذا كانوا من أهل بيت النبوة راغباً في الخير كافاً لنفسه عن الشرّ مُعظماً للشرع. مجالسه مشتملة على المباحثات العلمية والمفاكهات الأدبية مُقرباً لأهل الفضل، مبعداً لأهل البطالة، حسن المحاضرة، قوي المباحثة، جيد الفهم، حسن الإدراك، ينشط إذا سُئل عن مسألة علمية، ويبحث ويستخرج بدقيق ذهنه فرائد بديعة.

يعرف النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والقراءات والتفسير، ويعمل بجميع هذه الفنون. وله كمال الاشتغال والعناية بعلم الحديث والتفسير والعمل بما تقتضيه الأدلة ولا يبالي بما عدا ذلك. ولديه من الكتب النفيسة ما لا يوجد عند غيره. وبينه من خالص الوداد ما لا أقدر على التعبير عن بعضه، وما أعده إلا بمنزلة الوالد، وهو ينزلني منزلة الولد، ويجلّني إجلال الوالد. وقد اتفقت الألسن على الثناء عليه ونشر محاسنه، مع أن الناس لا يرضون عن المتعلقين بأعمال الدولة، ولكن رأوا فيه من المحاسن ما لا يمكن جحده. والحاصل أنه للدولة جمال، ولأهل العلم جلال، وللفقراء ذخيرة أفضال، طالت أيامه ومدت أعوامه. وفي سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف حصل له نسيان وكثرة سهو، فباشر ما بنظره من الأعمال بعض قرابته فلم يحسن المباشرة. وما زال ذلك العارض يتزايد. وفي سنة ثلاثٍ وعشرين رجع رفع يده عن الأعمال التي كان يباشرها ثم أحاطت الديون بغالب ما يملكه بسبب مباشرة ذلك القريب. ثم (توفي) إلى رحمة الله يوم السبت خامس عشر شهر شعبان سنة ١٢٢٥ خمسٍ وعشرين ومائتين وألف بصنعاء، وقُبر بمقبرتها.

(١٣٢)

(الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي)^(١)

رأيت سيرته في مجلّد وصفه مؤلفه بالتبحر في علوم عديدة كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير والفقه والحديث. ورأيت له رسائل تدل على بلاغته وقوة تصوّفه. دعا إلى نفسه سنة (٩٨٤) في نصف شهر رمضان منها، فاجتمعت إليه الزيدية، وأجابوا دعوته وبايعوه في بلاد صعدة. وخرج منها بجيش إلى الأهنوم، واشتعلت الأرض ناراً بقيامه على الأتراك، ودخل في طاعته بعض أولاد الإمام شرف الدين. وأسر عبد الله بن المطهر وأودعه السجن، ثم توجه بجند واسع لأخذ بلاد همدان، ففتح أكثرها، وخرج الأتراك من صنعاء وأميرهم سنان، فما زالت الحرب بينهما سجّالاً. وفي سنة (٩٩٣) افتتح سنان بلاد الأهنوم، وانحصر الإمام الحسن في محلّ يقال له الصاب، ودُعِيَ إلى السلم فأجاب، وخرج إلى يد سنان في نصف شهر رمضان منها. وهذا من غرائب الزمان كون قيامه في نصف شهر رمضان، وأسرّه في نصف شهر رمضان. ثم دخل به سنان إلى صنعاء فوصل به إلى الباشا حسن فسجنه، وقد كان أسر أولاد المطهر بن شرف الدين الأربعة: لطف وعلي يحيى وحفظ الله وغوث الدين، وسجنهم مع الإمام. وفي شهر شوال من هذه السنة أوصل

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢/ ٢٠٤.

الباشا بهم جميعاً إلى الروم، وكان آخر العهد بهم. وقد رُوي أنه مات الإمام الحسن في الروم محبوساً في شهر شوال سنة ١٠٢٤ أربع وعشرين وألف، والله أعلم. وله أخبار حسان، استوفاهما مؤلف سيرته، فمن رام الاطلاع عليها فليقف على السيرة المذكورة ليعرف مقدار هذا الإمام وسعة دائرته في المعارف العلمية.

(١٣٣)

(الحَسَنُ بنُ عُمَرَ بنِ الحَسَنِ بنِ حَبِيبٍ)

ابن عُمَرَ بنِ شَرِيحَ بنِ عُمَرَ الملقب بِدُرِّ الدِّينِ الدَّمَشَقِيِّ الحَلَبِيِّ^(١)

ولد سنة ٧١٠ عشر وسبعمائة بشهر شعبان منها، ونشأ مغرمًا بعلم الأدب، وأخذ عن جماعة من الأدباء منهم: ابن نباتة. وله مؤلف في الأدب سمّاه (نسيم الصبا) يشتمل على نفائس. واستعمل مفاصل شفاء القاضي عياض فسبكها سجعاً، وألف (درة الأسلاك في دولة الأتراك) سجع كله يدل على مزيد اطلاعه وفصاحته. وسمع الحديث على جماعة من أعيان علماء عصره. قال ابن حَجَر: وكان فاضلاً كيساً صحيح النقل، حدث عنه جماعة، وكان يُوقَّع عن القضاة. وانقطع في آخر مدته بمنزله. وله (تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه) سجعاً. وباشر نيابة القضاء، ونيابة كتابة السرّ. (مات) في شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة، ومن شعره: [من الكامل]

أَلْحَاضُهُ شَهِدْتُ بِأَنِّي ظَالِمٌ وَأَتَتْ بِخَطِّ عِذَارِهِ تَذَكَارَا
يَا حَاكِمَ الْحَبِّ أَتَّذُّ فِي قِصَّتِي فَالْخَطُّ زُورٌ وَالشُّهُودُ سُكَارَى

(١٣٤)

(السيد الحَسَنُ ابنُ الإمامِ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدٍ)

ابن عليّ بن مُحَمَّدٍ بنِ عليّ بنِ الرَّشِيدِ بنِ أَحْمَدَ

ابن الأميرِ الحُسَيْنِ بنِ عليّ بنِ يَحْيَى^(٢)

ابن مُحَمَّدٍ بنِ يُوْسُفِ الأصغر الملقب بالأشل ابن القاسم ابن الإمام الداعي يوسف الأكبر ابن الإمام المنصور يَحْيَى ابن الإمام الناصر أحمد ابن الإمام الهادي

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٢/٢٩؛ شذرات الذهب: ٦/٢٦٢؛ النجوم الزاهرة: ١١/١٨٩؛

كشف الظنون: ٢٦، ٢٧٧، ١٩٥٢؛ إيضاح المكنون: ١/٧٩؛ معجم المؤلفين: ٣/٢٦٦؛

الأعلام: ٢/٢٠٨؛ تاريخ آداب اللغة: ٣/١٧٣.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢/٢١١.

يَحْيَى بن الحُسَيْن بن القَاسِم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحسن ابن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه وعليهم ورحمته وبركاته . (ولد) بعد صلاة العشاء من ليلة الاثنين غرة شهر شعبان سنة ٩٩٦ ستّ وتسعين وتسعمائة، وقرأ على جماعة من الشيوخ وأدرك حصة نافعة من المعارف، وفرغ نفسه للجهاد مع والده، فنهض بما لا ينهض به غيره، ونال من الأتراك ما لم ينله أحد، وأوقع بهم وقعات متعددة حتى استأصلهم وأخرجهم من الديار اليمنية بعد أن حارب جماعة من كبرائهم كحيدر باشا وقانصوه باشا، وأخذ جميع ما بأيديهم من مدن اليمن . ووقعاته وملاحمه لا يتسع لها هذا المختصر، وقد سرد جميع ذلك الجرُموزي في سيرته، وهي كتاب حافل . ولم يكن لأحد من العناية التامة بمجاهدة الأتراك ما كان له رحمه الله . وأسر في أيام والده، وحُبس بصنعاء، وبقي أياماً طائلة ثم خرج خفية، وهياً الله له أسباب ذلك فلم يشعر به أحد . وفيه من الشجاعة والإقدام في المعارك ما يبهر العقول، فإنه وحده يقوم مقام الجيش الكثير . وقد أحاط به في قاع صنعاء أيام محاصرته لها جماعة من فرسان الأتراك المشهورين، وهم عدد واسع يزيد خيلهم على الألف فضلاً عن سائر الجيش، ولم يكن عنده إذ ذاك إلا أخوه العلامة الحُسين الآتي ذكره، ونفر يسير، فدار القتال عليه، وعلى أخيه، وما زال يصاولهم طعناً وضرباً، ويجدل شجعانهم حتى خرج من بينهم سالماً هو ومن معه من النفر اليسير . وكم أعدد من إقدامات هذا السيد الذي تقصر الأقلام عن حصر بعض مناقبه، وهو نظير المطهر بن شرف الدين أو أرفع درجة منه في الشجاعة والرياسة وحسن التدبير . وقد بلغت جيوشه في بعض المواطن نحو ثمانين ألفاً . وله في الكرم يدٌ طولى . قال السيد عامر بن مُحَمَّد بن عبد الله بن عامر الشهيد في «بغية المريد» أنه أعطى الشريف طاهر الإدريسي خمسة وعشرين ألف قرش من النقد، ومن الجواهر والنفائس ما يخرج عن الفكر . انتهى . ثم بعد أن أجلى الأتراك من أرض اليمن جميعها، اختطّ حصن الدامغ في حدود سنة (١٠٤٠) فعمره عمارة بليغة، وأجرى فيه الأنهار، وغرس في جوانبه الأشجار، وشيّد الديار، حتى صار مدينة كبيرة . واستقر فيه حتى (توفاه) الله في وقت المغرب من ليلة الأحد ثالث شوال سنة ١٠٤٨ ثمانٍ وأربعين وألف في خلافة أخيه الإمام المؤيد بالله مُحَمَّد بن القاسم، ورثاه شعراء عصره بمراثٍ جيدة، منها قول بعضهم: [من الكامل]

أَدْرَى الَّذِي يَنْعِي إِلَيْنَا مَنْ نَعَى لَوْ كَانَ يَذْرِي مَا أَشَادَ وَأَسْمَعَا
أَتَرَاهُ يَذْرِي أَنَّهُ يَنْعِي إِلَيَّ كُلُّ الْأَنَامِ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا مَعَا
وَحَيَاتُهُمْ وَمَعَاشُهُمْ وَرِيَاسَتُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ هَذِي الْخِصَالُ الْأَرْبَعَا^(١)

(١) الرِّيَاسُ: الأثاث، أو اللباس الفاخر، أو المال .

وكان موته في مدينة الحصين التي عمرها تحت حصنه المتقدم، وله نظم فممه ما قاله في أيام اعتقاله يرغب والده في الصلح بأبيات أولها: [من الكامل]

مَوْلَايَ إِنَّ الصُّلْحَ أَعَذِبُ مَوْرداً فَاسْأَلْكَ لَهُ جَدَدًا سَوِيًّا أَجْرَدًا^(١)
وهي أبيات مشهورة.

وكان يلزم في أسفاره وجهاداته القراءة على الشيوخ، والمطالعة لكتب العلم. ولازم في آخر أيامه السيد مُحَمَّد بن عَزَّ الدين المفتي، فقرأ عليه في الأصول وغيرها. وقد جمع إلى شجاعته الباهرة الكرم الفاضل حتى كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر. والحاصل أنه من أعظم سلاطين الجهاد وأساطين مصالح العباد.

١٣٥

(حَسَنُ بن مُحَمَّد بن قَلاوَن)

(الصَّالِحِي الْمَلِكُ النَّاصِرُ بنُ النَّاصِرِ بنِ الْمَنْصُورِ)^(٢)

ولد سنة ٧٣٥ خمس وثلاثين وسبعمائة، وسمي أولاً قماري، فلما جلس على التخت قال للنائب يا أباي ما اسمي قماري، اسمي حَسَن، فقال: على خيرة الله، واستقر اسمه حسناً، وولي السلطنة بعد أخيه المظفر سنة (٧٤٨)، وقبض على حاشية أخيه، وصودروا لتخليص الأموال، فوجد لديهم من الجواهر ما قيمته مائة ألف دينار. فلما كان يوم السبت رابع عشر شوال سنة (٧٥١) قال الناصر لأهل المملكة: إن كنت سلطاناً فاقبضوا هذا، فأمسك وأرسل إلى الإسكندرية. ثم ما زال يقبض الأمراء واحداً بعد واحد، فنفروا منه وركبوا عليه في سابع عشر جمادى الآخرة سنة (٧٥٢) وخلعوه وقرروا أخاه الصَّالِح، وأعيد الناصر في شوال سنة (٧٥٥) واستبد بالمملكة وصفا له الوقت، ولم يشاركه أحد في التدبير، فبالغ في أسباب الطمع، واستحوذ على إهلاك بيت المال، وأكثر من سفك الدماء، وشرع في عمارة المدرسة المعروفة بالرميلة، وليس لها نظير بالديار المصرية، ومات ولم تكمل. ثم عزم على قتل بعض أكابر أمراءه، فاستعد له وتقاتلا فكانت الدائرة على الناصر فانهزم، ثم أمسك (وقتل) في تاسع جمادى الأولى سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة. وكان ذكياً مفراطاً، وله بعض اشتغال بالعلم.

(١) الجَدُّ: الأرض المستوية.

(٢) ترجمته في: بدائع الزهور: ١/١٩٠؛ البداية والنهاية: ١٤/٢٨٨؛ الأعلام: ٢/٢١٦.

١٣٦

(الحَسَن بن مُحَمَّد شاه الفناري المعروف بالشَّلبي^(١) صاحب حاشية المطول)

قرأ على علماء الروم، ثم ارتحل إلى مصر لقراءة «مغني اللبيب» على رجل مغربي. وكان عليّ الفناري قاضي السلطان مُحَمَّد خان عمّ صاحب الترجمة، فقال له: استأذن السلطان في عزمي على مصر لقراءة «مغني اللبيب» على شيخ مغربي هنالك ليس له نظير في معرفة هذا الكتاب، فاستأذن المذكور السلطان فقال: لعله قد اختلّ دماغه، وكان منحرفاً عنه بسبب أنه صنف حاشية التلويح باسم ابن السلطان، وهو بايزيد بن مُحَمَّد، فرحل إلى مصر، وقرأ الكتاب المذكور قراءة متقنة، وكتب له المغربي في ظهر كتابه إجازة. ثم عاد إلى بلاد الروم، وأرسل كتاب «مغني اللبيب» إلى السلطان مُحَمَّد خان، فلما نظر فيه زال عنه ما كان. فأعطاه مدرسة يدرس بها، ثم في دولة السلطان بايزيد عيّن له كل يوم ثمانين درهماً. وله مصنفات منها حاشية «المطول» المتقدم ذكرها، وهي حاشية مفيدة، ومنها حاشية على «شرح المواقف» للشريف، وحاشية على «التلويح» وكلها مقبولة. وسمع في مصر «صحيح البخاري» على بعض تلامذة الحافظ ابن حَجَر. و(مات) في دولة السلطان بايزيد خان. وكان جلوسه على تخت السلطنة سنة (٨٨٦).

١٣٧

(الحَسَن بن قاسِم المُجاهد القاضي العلامة الذكيّ)

ولد تقريباً سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف أو قبلها بيسير أو بعدها بيسير، ومسكنه هو وأهله في مدينة ذي جبلة، انتقلوا إليها من مدينة دمار. وهو عارف بالفقه والفرائض والنحو والأصول، وله مشاركة في علم الحديث، وفهم جيد، وذهنه صحيح، قرأ عليّ عند وصولي مدينة جبلة مع مولانا الإمام المتوكل على الله في الحديث والأصول، ولازماني مدة إقامتي في تلك المدينة من جملة من لازمني من أهلها للقراءة. وقد أجزت له أن يروي عني مروياتي، وهو أهل لذلك لرغوبه إلى العلم، وإكبابه عليه. وقد كتب بعض مؤلفاتي «كالدُرر»، و«الدراري»، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»؛ وحاشية «شفاء الأوام»، و«السييل الجرار» وغير ذلك. وله سماعات عليّ عند قدومه إلى صنعاء، وقد قدم مرّاتٍ، وصار قاضياً في مواضع، ورسخت معرفته وعمل بالدليل.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢/٢١٦؛ الضوء اللامع: ٣/١٢٧؛ شذرات الذهب: ٧/٣٢٤.

۱۳۸

(الحَسَنُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ الحَسَنِ
ابنِ سَابِقِ الدِّينِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَحْمَدَ بنِ أَصْعَدَ بنِ أَبِي السُّعُودِ
ابنِ يَعِيشَ المَعْرُوفِ بِالنَّحْوِيِّ)^(١)

الصنعاني الزيدي: عالم الزيدية في زمانه، وشيخ شيوخهم، وناشر علومهم. كان يحضر حلقة تدريسه زهاء ثمانين عالماً. وله تحقيق وإتقان، لا سيما لعلم الفقه يفوق الوصف. وله مصنفات منها في الفقه (كتاب التذكرة الفاخرة) أودعه من المسائل ما لا يحيط به الحصر مع إيجاز وحسن تعبير. وهو كان مدرس الزيدية وعمدتهم حتى اختصره الإمام المهدي أحمد بن يحيى وجرّد منه (الأزهار) فمال الطلبة من حينئذٍ إلى هذا المختصر. وله تفسير، وله تعليق على (اللمع) واختصر (الانتصار) للإمام يحيى في مجلّد. وكان زاهداً ورعاً متقشفاً متواضعاً، وولي قضاء صنعاء، وانتفع الناس به. وكان يأكل من عمل يده، واستمر على حاله الجميل إلى أن (مات) في سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعائة، وقُبر في عدان صنعاء قريب من باب اليمن، وقبره مشهور مزور.

۱۲۹

(السيد الحسن بن مطهر
ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد^(٢))

ابن الداعي الْمُنتَصِر بن مُحَمَّد بن أَحْمَد بن الْقَاسِم ابن الإمام يُوسُف الداعي بن يَحْيَى المنصور بن أَحْمَد النَّاصِر بن يَحْيَى الهادي بن الْحُسَيْن بن الْقَاسِم بن إِبْرَاهِيم بن إِسْمَاعِيل بن إِبْرَاهِيم بن الْحَسَن بن الْحَسَن بن عَلِي بن أَبِي طَالِب رضي اللّٰه عنهم الحسنی الیمنی الجرُموزی . ولد بعتمة سنة ١٠٤٤ أربع وأربعين وألف، وقرأ على القاضي عبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد الحيمي، والقاضي مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم السَّحُولِي، والقاضي علي الطَّبْرِي، وغيرهم من علماء صنعاء، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والحديث والتفسير، وله مؤلفات منها شرح (نهج البلاغة)، (نظم الكافل)، وله شعر حسن، فمنه في تشبيه الزنبق: [من المنسرح]

انظر إلى الزنبق وقد أبدع في شكله وفي نمطه^(٣)

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٨٠/٣؛ الأعلام: ٢١٦/٢.

(٢) ترجمته فی: معجم المؤلفین: ٢٩٥/٣؛ هدیة العارفین: ٢٩٦/١؛ الأعلام: ٢٢٣/٢.

(٣) النمط: الصنف أو النوع أو الطراز من الشيء؛ وقيل: ثوب من صوف ملون.

كَمَثَلِ قِنْدِيلٍ فِضَّةٍ غُرِسَتْ شُمُوعُ تَبْرِ تُضِيءُ فِي وَسْطِهِ^(١)
 وله أشعار رائقة، واتصل بالمتوكل على الله إسماعيل، وتنقل في الولايات،
 فولي حراز، ثم بندر المخا، ومدحه أعيان الشعراء في زمنه كالشيخ إبراهيم الهندي،
 وغيره من شعراء اليمن، وجماعة من شعراء البحرين وعمان. وعظمت رياسته وطار
 صيته ونال من العز ما لم يكن له في حساب، (ومات) يوم الاثنين، الثامن والعشرين
 من جمادى الآخرة سنة ١١٠٠ إحدى عشر مائة بصنعاء بعد أن تغيّرت له الأحوال.

(١٤٠)

(السيد الحسن بن يحيى بن أحمد ابن علي بن محمد بن أحمد بن القاسم الحمزي الكبسي ثم الصنعاني)^(٢)

ولد بصفر سنة ١١٦٧ سيع وستين ومائة ألف، ونشأ بصنعاء فقراً فيها على
 جماعة من العلماء. وأكثر انتفاعه على شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي فإنه
 لازمه في جميع الفنون، فقرأ عليه النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والحديث
 والتفسير، وبرع في جميع هذه الفنون، وصار من أعيان علماء العصر المشار إليهم
 بالتحقيق والإتقان. وهو جيد التحرير، حسن المباحثة، وله رسائل في مسائل متفرقة
 متقنة غاية الإتقان. وقد رافقني في قراءة «الكشاف» على شيخنا المتقدم، فكان
 يستخرج بفاضل ذهنه فوائد نفيسة، وبعد موت شيخنا استقر المترجم له بهجرة
 الكبس، وعكف عليه طلبة العلم هنالك، وما زال يرشدهم إلى المعارف العلمية
 ويدرس في كثير من الفنون، وله شعر حسن، ونثر جيد، فمنه ما كتبه إليّ من هنالك
 نظماً ونثراً، وهذا لفظه: [من الطويل]

سَلَامٌ مِنَ اللَّهِ السَّلَامِ وَرَحْمَةً عَلَيْكَ إِمَامَ الْعِلْمِ وَالِدِينَ وَالْهُدَى
 يَفُوحَانِ كَالْمَسكِ الذَّكَيِّ بِسُوحِكُمْ دَوَاماً كَمَا دَامَتْ مَعَالِيكَ سَرْمَدًا^(٣)
 فَيَا رَاكِباً بَلَّغْ سَلَامِي لِيَسْتَفِي فُؤَادِي بِهِ إِنْ مَا بَلَغْتَ مُحَمَّدًا
 من ضرب سرادقات مجده على هام الكواكب، وسبح فلك فخره في بحار أعلى

(١) التبر: فتات الذهب، أو الفضة قبل أن يُصاغ.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/٣٠٢؛ نيل الوطر: ١/٣٥٨؛ الأعلام: ٢/٢٢٦.

(٣) السُّوح، والساح: جمع الساحة: المكان الواسع، أو فضاء يكون بين الدور، ويقال: نزل
 بساحة فلان: نزل به. السَّرْمَدُ: الدائم.

المراتب، وحازت جياذ مساعيه قصبات الفضائل في غاية المناقب، وتفردت أفكاره باستخراج دقائق العلوم بنظره الثاقب، ونشر أعلام الحق في قناة الاجتهاد في رأيه الصائب، العلامة على الإطلاق في جميع مسارح المذاهب، عمدة الخاصة والعامة بالاتفاق، فالكل راغب وراغب: [من الكامل]

العزُّ مولانا الكريمُ مُحَمَّدٌ شَيْخُ الشيوخِ وَفَيْضُ الحُكَّامِ^(١)
هَشٌّ إذا نزلَ الوفودُ ببابه سَهْلُ الحجابِ مُؤدَّبُ الخُدامِ^(٢)
وإذا رأيتَ شقيقَه وصديقَه لم تدرِ أيُّهما أخو الأرحامِ
أبقاهُ ربِّي للعلومِ ونشرِها يُحيي مواتَ شرائعِ الإسلامِ
وبعد هذا نثر طويل فأجبتُ بما لفظه:

السُّدَّة التي ضربت خيامها على هام السَّمَاء^(٣). والعقوة^(٤) التي تتضاءل عند تعاضلها أعناق الأملاك، والحسنة التي صارت لمحاسن الدهر غُرَّة^(٥)، والمكرمة الكائنة في ذات المكارم طُرة^(٦): [من الكامل]

أعني به الحسن بن يحيى من غدا قَرَدَ الزَّمانِ وَحَبْرَه المُتبحِّرا^(٧)
السابقُ الأعلامِ فَهُوَ مُقَدَّمٌ يَوْمَ الرَّهانِ وَغَيْرُهُ فِيهِ وَرَا

لا برح زينة للزمان ومنقبة يفتخر بها نوع الإنسان. وخصه الله بجزيل سلامه وجميل إكرامه وجليل إنعامه، والله المسؤول أن يقيم به سوق المجد على ساق، ويجعله بفضائله وفواضله ماشياً فوق الأعناق، وبعد هذا نثر طويل. والمترجم له حال تحرير هذه الأحرف مُستمرٌّ على حاله الجميل مشغول بنشر العلم وأعمال الخير، قد قنع من عيشه بالكفاف من غلات أموال يسيرة ورثها عن والده، وكثيراً ما يقع بيني وبينه مباحثات علمية وتحريرات لما يدور منها. ولما مات أخوه العلامة مُحَمَّد بن يَحْيى قام هذا مقامه في القضاء بالجهات الخولانية وما يتصل بها، وعظمه مولانا

(١) الفَيْضُ: الحاكم أو القاضي، أو الماضي الفاطمى يفصل بين الحق والباطل.

(٢) الهَشُّ (من الرجال): البَشُّ المسرور، الطُّلُقُ الوجه عند اللقاء.

(٣) السَّمَاءُ: نجم نَيْر في السماء، وهما سماكان، أحدهما في الشمال، وهو السَّمَاءُ الرامح، والآخر في الجنوب، وهو السماك الأعزل.

(٤) العقوة: الموضع المُتسع أمام الدار، أو المحلة، أو ما حولهما.

(٥) الغُرَّة (من كل شيء): أوله وأكرمه، ومن الهلال: طلوعه، ومن الرجل: وجهه، وكل ما بدا من ضوء أو صبح فقد بدت غُرَّتُه.

(٦) الطُّرَّة: القُصَّة: ما تطرَّه المرأة من الشعر الموفي على جبهتها وتُصَفِّفه.

(٧) الحَبْرُ: العالم الخبير. المُتبحِّرُ: المُتوسِّع، المُتعمِّق في العلوم والمعارف.

الإمام بما يليق بجلاله وقدره بعد أن عرّفته - حفظه الله - بأنّ المذكور بالمحلّ العالي في العلم والعمل^(١). وأخوه العلامة مُحَمَّد بن يَحْيَى ستأتي ترجمته إن شاء الله.

(١٤١)

(الحَسَنُ بن يَحْيَى سَيْلان السَّيفاني ثم الصَّعدي)^(٢)

أحد العلماء المشاهير، أخذ العلم عن القاضي صديق بن رَسام، والسيد إبراهيم بن مُحَمَّد حورية. وبرع في عدة فنون، وله مؤلفات منها: حاشية على (شرح غاية السؤل) للحسين بن القاسم، وله حاشية على (شرح الآيات) للنجري، وحاشية على (القلائد)، وحاشية على حاشية الشلبي على (المطول)، اقتصر فيها على إيضاح ما أشكل من عبارات الشلبي. ولم يزل مُدرّساً بصعدة ونواحيها حتى (مات) في شهر ذي القعدة سنة ١١١٠ عشر ومائة وألف.

(١٤٢)

(الحُسين بن أحمد بن الحُسين بن أحمد ابن عليّ بن مُحَمَّد بن سُليمان بن صالح بن مُحَمَّد السياغي الحَيَمي ثم الصَّنْعاني)^(٣)

ولد سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، فقرأ على أعيان علمائها، وهو رفيقي في بعض مسموعاتي على شيوخه، رافقني في قراءة الخبيصي، والرضيّ شرحي الكافية، وشرح السعد المختصر على التلخيص، وحاشية الشيخ لطف الله، وشرح اليزدي على التهذيب، وشرح الشافية للطف الله على شيخنا العلامة القاسم بن يَحْيَى الحَوْلاني رحمه الله. ورافقني أيضاً في قراءة سنن أبي داود، والعضد وحواشيه، والمطول وحواشيه، والكشاف وحواشيه، على شيخنا العلامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي. وحضر معنا قليلاً على شيخنا السيد الإمام عبد القادر بن أحمد في قراءة الحديث، وقراءة الفقه كشرح الأزهار والبيان على والده. وقرأ مجموع الإمام زيد بن عليّ، على القاضي العلامة يَحْيَى بن صالح السَّحُولي، وعلى آخرين. وبرع في هذه المعارف كلّها وفاق وصار من أعيان علماء العصر المفيد في عدة فنون.

(١) توفي الكيسي سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٢؛ الأعلام: ٢/ ٢٢٦؛ نشر العرف: ١/ ٥١٩.

(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/ ٣٠٨؛ نيل الوطر: ١/ ٣٦٦؛ الأعلام: ٢/ ٢٣٢.

وكتب الكثير بخطه الحسن الفائق. وله إكباب على العلم، واشتغال به عمّا سواه، مع ذهن قويّ، وفهم صحيح، وإدراك جيد، وسمت حسن، وورصانة عقل، ومثانة دين. وغالب انتفاعه على الشيخين الأولين، وقد قرأ عليهما غير ما تقدم ذكره كالصحيحين، وشرح العمدة. ووقفت على حاشية له نفيسة على شرح الجلال لأدب البحث، ورأيت له حلاً للغز السيد العلامة إسحاق بن يوسف المتقدم ذكره جعله شرحاً لأبيات اللغز وأجاد فيه كلّ الإجادة. وهو الآن يشرح مجموع الإمام زَيْد بن عليّ شرحاً حافلاً، وبينني وبينه مكاتبات ومشاعرات ومباحثات في عدة مسائل. وله نظم جيد ونثر حسن، وإذا حرّر بحثاً في مسألة أتقنه غاية الإتقان. وهو الآن مستمرّ على حاله الجميل في الاشتغال بالمعارف العلمية درساً وتديساً، ثم (مات) رحمه الله شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢١ إحدى وعشرين ومائتين وألف، وقبر بمقبرة صنعاء. ووالده من علماء الفقه المبرزين فيه، وهو أحد الحكام بصنعاء الآن. و(توفي) في رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف. وجدّ صاحب الترجمة هو من المتقنين في علم الفقه والفرائض، أخذ عن أكابر علماء عصره، وأخذ عنه الأكابر، وتولّى القضاء مدةً طويلةً حتى (مات) في شهر شوال سنة (١١٦٤).

(١٤٣)

(السيد الحسين بن أحمد بن صلاح)

ابن أحمد بن الحسين بن عليّ المعروف بزبارة^(١)

نسبة إلى موضع كما تقدم في ترجمة حفيده أحمد بن يوسف. (ولد) تاسع عشر شهر رمضان سنة ١٠٨٨ ثمانٍ وثمانين وألف، وأخذ عن العلامة الحسين بن مُحَمَّد المغربي، وأخيه الحسن بن مُحَمَّد، والعلامة عليّ بن يحيى البرطي، وعن العلامة السيد زَيْد بن مُحَمَّد، وسائر أعيان ذلك الزمان. وبرع في جميع المعارف، وله عناية كاملة بأسانيد مسموعاته وغيرها. وكان له بالسيد يوسف بن المتوكل اتصال ومحبة ومعاضدة، وولاه الإمام المتوكل القاسم بن الحسين القضاء بضوران، وكان يتخوّف قبل ذلك من المهدي صاحب المواهب بسبب صحبته ليوسف بن المتوكل إسماعيل، وهو من أكابر العلماء. وأنا أروي عن شيخنا العلامة عبد القادر بن أحمد عن يوسف ابن صاحب الترجمة عنه. و(توفي) في سنة (١١٤١)، وقيل سنة (١١٣٥)، وقيل سنة (١١٣٦).

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣/٣١١؛ نشر العرف: ١/٥٢٠.

١٤٤

(السيد الحُسَيْن بن عبد الرَّحْمَنِ بن مُحَمَّد
ابن عليّ الحُسَيْنِيّ العلويّ الشافعيّ المعروف بالأَهْدَل)^(١)

ولد تقريباً سنة ٧٧٩ تسع وسبعين وسبعمائة. قرأ على الزيلعي، وعلى الأزرق، والرضي الطبري، ومُحمَّد المَوْزعي، وابن الرَّدَّاد، والناشري، وبرع في عدة علوم، وصنّف حاشيةً على البخاري؛ انتقاها من شرح الكرّماني مع زيادة سمّاها (مفتاح القاري لجامع البخاري) و(اللمعة المقنعة في ذكر الفرق المبتدعة) و(الرسائل المرضية في نصر مذهب الأشعرية وبيان فساد مذهب الحشوية) و«شرح الأسماء الحسنی»، ومؤلف في مروق ابن العربي^(٢)، وابن الفارض^(٣)، وأتباعهما، (وتحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن)، وله مصنفات غير هذه. وهو شيخ عصره بلا مدافع، دارت عليه الفتيا، ورحل إليه الناس للتدريس. واستقر بأبيات حُسين، واشتهر ذكره، وطار صيته. و(مات) بها في صبح يوم الخميس تاسع شهر محرم سنة ٨٥٥ خمس وخمسين وثمانمائة، ودفن بها، وهو من مشاهير علماء اليمن المبرزين في علمي المعقول والمنقول.

١٤٥

(السيد الحُسَيْن بن عبد الله الكبسيّ)

ولد سنة ١١٤٧ سبع وأربعين ومائة وألف، وهو أحد علماء العصر المبرزين، قرأ على علماء صنعاء والروضة، وترافق هو وشيخنا العلامة الحَسَن بن إسماعيل المغربي، وقرأ كلّ واحدٍ منهما على الآخر، واستقر بالروضة التي هي من أعظم نزه مدينة صنعاء. ونشر العلم هنالك واستفاد عليه جماعة من الطلبة، ثم ارتحل إلى

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٥/٤؛ كشف الظنون: ٣٦٦، الضوء اللامع: ١٤٥/٣؛ إيضاح المكنون: ٣٢٣/١؛ ١٤٣/٢؛ الأعلام: ٢٤٠/٢.

(٢) هو أبو بكر، محمد بن علي بن محمد الحاتمي، الطائي، الأندلسي، المعروف بـ«ابن عربي»: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كلّ علم. ولد في مرسية، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م.

من آثاره: «محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار»، و«مفاتيح الغيب»، و«التعريفات»؛ وغيرها. (شذرات الذهب: ١٩٠/٥).

(٣) هو أبو حفص، عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل، المصري المولد والدار الوفاء، شرف الدين، المعروف بـ«ابن الفارض»، والملقب بـ«سلطان العاشقين»: من كبار شعراء المتصوفة. توفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م. (شذرات الذهب: ١٤٩/٥).

كَوْكَبَانِ بِسْؤَالِ أَمِيرِهَا لَهُ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحُسَيْنِ. وَكَانَ ارْتِحَالَهُ بَعْدَ رَحْلَةٍ شَيْخِنَا السَّيِّدِ الْعَلَّامَةِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ مِنْ كَوْكَبَانِ، فَاحْتَاجَ أَهْلُهُ إِلَى مَنْ يَقُومُ مَقَامَ شَيْخِنَا هُنَالِكَ، فَاسْتَدْعَوْا صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ. وَهُوَ مِنَ الْمُبْرِزِينَ فِي عُلُومِ الاجْتِهَادِ، وَلَهُ رِسَائِلٌ وَمَسَائِلٌ. وَقَدْ كَتَبَ إِلَيَّ بِمَسَائِلٍ مُشْكَلَةٍ أَجَبْتُ عَلَيْهَا بِجَوَابَاتٍ هِيَ فِي مَجْمُوعِ رِسَائِلِي، وَهُوَ الْآنَ مُقِيمٌ بِكَوْكَبَانِ، وَلَعَلَّهُ قَدْ جَاوَزَ السَّيِّدِينَ. وَهُوَ مَتِينُ الدِّيَانَةِ، كَثِيرُ الْعِبَادَةِ، قَلِيلُ الْإِشْتَغَالِ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ. ثُمَّ رَحَلَ عَنْ كَوْكَبَانِ لِأُمُورٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهَا، وَاسْتَقَرَّ فِي الرُّوضَةِ إِمَامًا لَجَامِعِهَا. وَوَلَّاهُ إِمَامَ الْعَصْرِ الْقَضَاءِ فِي الرُّوضَةِ، وَلَمْ يَقْبَلْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ كَثُرَتْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ، وَأَشْرَتْ عَلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ بِعَدَمِ قَبُولِ عِذْرِهِ. وَفِي أَوَاخِرِ شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ (١٢٢٢) أَظْهَرَ الْمَذْكُورُ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكِبَاسِيَةِ وَآلِ أَبِي طَالِبِ الْخُرُوجَ عَنْ طَاعَةِ الدَّوْلَةِ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَنْصُورِ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمْ جَمِيعُ أَهْلِ الرُّوضَةِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ وَرَدُّوا أَمْرَ الدَّوْلَةِ، وَطَرَدُوا الْعَامِلَ، وَرَامُوا خَلْعَ الْخَلِيفَةِ مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ حَفِظَهُ اللَّهُ، وَكَتَبُوا إِلَى جَمِيعِ الْأَقْطَارِ الْيَمْنِيَةِ، وَكَادَ صَاحِبُ التَّرْجُمَةِ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى نَفْسِهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِجَابَةَ إِلَى كُلِّ مَا يَطْلُبُونَهُ. وَخَرَجَ شَيْخِنَا الْقَاضِي الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِرَازِيُّ مِنَ الْحَضْرَةِ الْإِمَامِيَّةِ وَمَعَهُ مَكَاتِيبُ فِي كُلِّ مَا طَلَبُوهُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانِ لَهُمْ. وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَكَاتِيبُ بِخَطِّي، فَمَا رَجَعُوا بَلَّ صَمَّمُوا عَلَى مَا عَزَمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ بِالْجَيْشِ سَيْفُ الْخِلَافَةِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ الْإِمَامِ، وَنَاجِزُهُمْ، وَتَحَصَّنُوا فِي بَعْضِ سُورِ الرُّوضَةِ، ثُمَّ أَحَاطَ بِهِمُ الْجَيْشُ، وَأَسَرَ صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْكِبَاسِيَةِ، وَوَصَلُوا بِهِمْ إِلَى تَحْتِ طَاقَةِ الْخَلِيفَةِ، وَبَالِغَتْ فِي الشَّفَاعَةِ لَهُمْ مِنَ الْقَتْلِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ وَقَعَ الْعَزْمُ عَلَيْهِ، وَقَمْتُ بِالْحُجَّةِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَقْتَضِيَةِ لِحَقْنِ دِمَائِهِمْ، فَأَوْدَعُوا السَّجْنَ، وَصَاحِبُ التَّرْجُمَةِ وَقَعَ التَّغْرِيرَ عَلَيْهِ وَالْخُدَاعَ لَهُ مِنْ بَعْضِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ. وَقَدْ كَانَ الْإِسْتِيلَاءُ عَلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ، وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَسْجُونًا بَعْدَانِ، بَقِيَ فِي السَّجْنِ نَحْوَ عَامَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً^(١).

١٤٦

(السَّيِّدُ الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ النَّاصِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّبِّ

ابْنِ عَلِيِّ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ ابْنِ الْإِمَامِ شَرَفِ الدِّينِ الْكُوكَبَانِيِّ)^(٢)

الشاعر المشهور المجيد المكثر المبدع الفائق في الأدب، ترجم له جماعة من

(١) توفي الكبسي سنة ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٨/٤؛ نشر العرف: ١/٥٦٠؛ هدية العارفين: ١/٣٢٥؛ الأعلام: ٢/٢٤١.

الأدباء كالقاضي يُوسُف بن عليّ بن هادي في (طوق الصادح)، ويُوسُف بن يحيى في (نسمة السحر)، والحيمي في (طيب السمر). وهو ذو رياسة وكياسة ومكارم وفضائل وفواضل. ولما دعا المهدي مُحمّد بن أحمد صاحب المواهب فرّ منه صاحب الترجمة إلى مكّة لأُمورٍ لا يتسع المقام لشرحها. ومن نظمه الفائق قوله من قصيدة: [من البسيط]

ما أعجبَ الحبَّ يشتاقي العميدُ إلى طَبِي الصَّريمِ وَقَدْ أَرَدَاهُ بِالْحَدَقِ^(١)
يا وَرَدِي الخَدَّ دَعِ إنْكَارَ قَتْلِ فَتَى ما قَطُّ أَبَقْتُ لَه عَيْنَاكَ مِنْ رَمَقِ^(٢)
في خَدِّكَ الشَّفَقُ القَانِي بَدَا وَعَلَى قَتْلِ الحُسَيْنِ دَلِيلُ حُمرة الشَّفَقِ^(٣)
وأعاد هذا المعنى في قصيدة أخرى فقال: [من البسيط]

في خَدِّكَ الشَّفَقُ القَانِي وفيهِ عَلَى قَتْلِ الحُسَيْنِ كما قالوا أَمَارَاتُ^(٤)
ومن محاسن قصائده القصيدة التي مطلعها: [من الكامل]

خَفَّفَ عَلَى ذِي لَوْعَةٍ وَشُجُونٍ وَاحْفَظْ فُؤَادَكَ مِنْ عُيُونِ الْعَيْنِ^(٥)

ومن لطائفه هذان البيتان قالهما لما قُتل السيد أحمد بن مُحمّد بن الحُسَيْن بن القاسم الملقب بحجر رحمه الله، وفيهما تضمين مطرب: [من البسيط]

وَدَدْتُ مَضْرَعَ مَوْلَانَا الصَّفِيِّ وَلَا الزُّ رُجُوعَ فِي سِلْكِ قَوْمٍ بَعْدَمَا كَسَرُوا
وَصِرْتُ أَنْشَدُ مَنْ كَرِبَ وَمَنْ أَسْفِ مَا أَطِيبَ الْعَيْشَ لَوْ أَنَّ الْفَتَى حَجَرُ
ومن قصائده الطنانة القصيدة التي مطلعها: [من الرمل]

لِفُؤَادِي فِي الْهَوَى كَدٌّ وَكَدْحُ وَلِطَرْفِي بِالْدمَا سَحٌّ وَسَفْحُ^(٦)

وأشعاره كلها غُرَر، وكلماته جميعها دُرَر، وهو من محاسن اليمن، ومفاخر الزمن. و(مات) في يوم السبت الثاني عشر من ربيع الآخر سنة ١١١٢ اثنتي عشرة ومائة وألف بشبام، ودفن هنالك.

(١) العميد: الذي شغفه الحبُّ والشوق. الصريم: القطعة المنعزلة من معظم الرمل. أَرَدَاهُ: أهلكه. الحَدَقُ: العيون.

(٢) الرَّمَقُ: بقية الروح. (٣) القاني: الأحمر.

(٤) الأمارات: العلامات. (٥) العَيْنُ: جمع العيائن: الواسعة العينين.

(٦) الكَدُّ: الشدّة في العمل، والإلحاح في محاولة الشيء؛ يقال: كَدَّ لسانه بالكلام، وقلبه بالحب، وذهنه بالفكر. الكَدْحُ: السعي والكُدُّ والدأب، يقال: كدح لعياله: كسب لهم بمشقة، وكدح لنفسه: عمل خيراً أو شراً.

السَّحُّ: السيلان من أعلى إلى أسفل. السَّفْحُ: الانصباب؛ يقال: سفح الماء أو الدم: انصبَّ.

١٤٧

(السيد الحسين بن عليّ)

ابن الإمام المُتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم^(١)

الرئيس الكبير الشاعر المشهور. ولد في سنة ١٠٧٢ اثنتين وسبعين وألف، وكان في أيام شبابه مائلاً إلى ملاذ الدنيا والتمتع بمحاسنها، مريحاً لنفسه العنان غير كافٍ لها عن التفلت في رياض محاسن الحسان. ثم تزهد وتعبّد وانجمع وتمسّح وتألّه وأقلع عن جميع ما كان عليه، وجاد بجميع موجوده. وله في المكارم أحاديث حاتمية تلتذ لسماعها الأسماع. وكان إذا لم يجد النقد تصدّق بشيابه وفراشه. ومال إلى مخالطة الفقراء، وليس ملبوسهم، وقعد في مقاعدهم. ومع هذا فابنه عليّ بن الحسين إذ ذاك رئيس كبير له خيّل وخولٌ وحاشية عظيمة، ورياسة فخيمة. ولكن صاحب الترجمة قد حبّب الله إليه الانعزال عن بني الدنيا حتى عن ولده. ومن شعره الفائق هذان البيتان: [من البسيط]

لَا تَحْسَبَنَّ لِبَاسَ الصُّوفِ فِي مَالٍ تَدْعَى بِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْفَضْلِ بِالصُّوفِي
وَإِنَّمَا مَنْ صَفَا قَلْباً وَمَالٌ إِلَى صِقَالَةِ النَّفْسِ مِنْ أَوْصَافِهَا صُوفِي^(٢)

ومن محاسن شعره القصيدة المشهورة التي أولها: [من الرمل]

أَهْ كَمْ أَطْوَى عَلَى الضَّيِّمِ جَنَاحِي وَأُدَاجِي فِي الْهَوَى قَالٍ وَلَا حِي^(٣)

وله القصيدة الطويلة التي عارض بها قصيدة ابن الوردي^(٤) وأولها: [من الرمل]

أُتْرِكَ الدُّنْيَا وَدَعْتُكَ الْأَمْلَ طَالَ مَا عَنُ نَيْلُهَا حَالَ الْأَجَلِ

وفيها مواعظ وحكم. وما زال مقبلاً على الطاعة عاكفاً على العبادة حتى (توفاه) الله تعالى. قال بعض من ترجم له أنه كان في سنة (١١٤٥) حياً، وأرخّ موته بعض المشتغلين بهذا الشأن سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف.

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ٣٢٥/١؛ إيضاح المكنون: ٥١٠/١؛ معجم المؤلفين: ٢٧/٤.

(٢) صِقَالَةُ النَّفْسِ: جلاؤها وتهذيبها وتنقيتها من الشوائب والأهواء.

(٣) الضَّيِّمُ: الظلم. أداجي: أسائر. القالي: المُبغض. اللّاحي: العاذل أو اللائم.

(٤) ابن الوردي: هو أبو حفص، زين الدين، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس المصري، الكندي، المعروف بـ«ابن الوردي»: شاعر، أديب، مؤرخ. ولد في معرة النعمان، وتوفي بحلب سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. (الأعلام: ٦٧/٥) أما قصيدته فمطلعها:

اغْتَزَلْتُ ذُكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزْلُ وَقُلِّ الْفَضْلُ وَجَانِبُ مَنْ هَزَلُ
تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٦٩/٣.

١٤٨

(حُسَيْنُ بن عَلِيٍّ بن صَالِحِ العِمَارِيِّ الصَّنْعَانِيِّ)

ولد في سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف تقريباً أو فيما بعدها، ونشأ بصنعاء، وطلب العلم فقرأ على جماعة من مشايخ صنعاء في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والأصول، وقرأ عليّ في شرح الرضيّ على الكافية وفي «مغني اللبيب» وفي شرح «غاية السؤل» وفي شرح «مختصر المنتهى» للعضد. ورغب بعد أن طلب العلم في سكّون وطنه الأصلي، وهو بلاد عمار، فعزم إليها وسكن فيها، وهو الآن هنالك. وله نظم جيد، فمنه ما كتبه إليّ يطلب القراءة عليّ في «شرح الغاية» بعد أن فرغ من قرائتها على العلامة أحمد بن عبد الله الضمّدي المتقدم ذكره وهو: [من البسيط]

مَوْلَايَ عَزَّ الْهَدَى وَالْفَرْدُ فِي مَالٍ
وَمَنْ إِذَا جَالَ فِي الْأَنْظَارِ نَاطِرُهُ
عَلَّامَةُ الْعَصْرِ وَالْفَرْدُ الَّذِي جُمِعَتْ
إِنَّ الصَّنْفِيَّ بن عبد الله مَنْ بَلَغَتْ
بُلُوغَ مَا رَامَ يَا بَذَرَ التَّمَامِ لَهُ
فَامْنَحْ بِفَضْلِكَ هَذَا الدُّوْلَ طَالِبَهُ
وَهَا هُوَ الْآنَ مِنْ صَنْعَاءَ مُرْتَحِلٌ
فَأَجِبْتَ عَلَيْهِ بِقَوْلِي: [من البسيط]

صُغْتَ الدَّرَارِي أَمْ عَقْدًا مِنَ الدَّرَرِ
لَا زِلْتَ تَرْقَى عُرُوجًا لِلْكَمَالِ وَلَا
فَالْحَالُ مَا حَالَ وَالْعَهْدُ الْقَدِيمُ هُوَ الـ
لَا تَحْسَبِ الدَّرَسَ مَتْرُوكًا وَأَنْتَ عَلَى
مَنْ كَانَ (غاية سؤلي) كَيْفَ أَمْنَعُهُ
وَدَمْتَ تُحْيِي رُبُوعَ الْعِلْمِ مَا صَدَحَتْ
يَا أَوْحَدَ الْعَصْرِ بَيْنَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ
بَرَحْتَ تُطْرِبُ سَمْعَ الدَّهْرِ بِالْفِقْرِ (٢)
عَهْدُ الْقَدِيمِ وَلَا عَهْدُ لِمُبْتَكِرِ (٣)
نَهَايَةِ الْجَدِّ وَالتَّحْصِيلِ لِلْوَطْرِ (٤)
مِنْهَا وَأَحْجَبُ عَنْهُ (نُخْبَةُ الْفِكْرِ)
وَرَقًا عَلَى فَنَنِ لَدُنِ مِنَ الشَّجَرِ (٥)

وكان (موت) صاحب الترجمة رحمه الله في سنة ١٢٢٥ خمس وعشرين ومائتين وألف ببلاد عمار.

(١) جلا الأمر: كشفه. (٢) العروج: العلو والارتفاع.

(٣) المبتكر: من ابتكر الشيء: ابتدعه غير مسبوق إليه.

(٤) الوطر: الحاجة فيها مأرب.

(٥) صدحت: غنت. ورقا: ورقاء. حماة. الفن: الغصن. اللدن: اللين.

١٤٩

(الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل

على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن حسن ابن الإمام القاسم)^(١)

بُويغ بالخلافة عند موت والده في رمضان سنة (١١٣٩)، ثم تنازع هو والسيد العلامة مُحَمَّد بن إِسحاق بن المهدي، وكان قد دعا إلى نفسه، ولُقّب بالناصر، وبايعه علماء اليمن ورؤساؤها وجميع أهلها. ثم إنَّ الإمام المنصور بايعه على شروط اشترطها، فلم يقع الوفاء فاستمرَّ المنصور على دعوته، وغلب على القطر اليمني، وبايعه الناس، وظفر بجيوش الناصر، وأسر أولاده وإخوته وقرباته ورؤساء أجناده، ومنهم السيد يَحْيَى بن إِسحاق، والسيد العلامة الحسن بن إِسحاق، والسيد العلامة إِسماعيل بن مُحَمَّد بن إِسحاق، والسيد عبد الله بن طالع، وكل واحدٍ من هؤلاء رئيس كبير يقود الجيوش الكثيرة. وكان استيلاؤه على المذكورين في أسرع وقت وأقرب مدة. وكان المنصور مشهوراً بالشجاعة وعلو الهمة ومصابرة القتال واحتمال مشاق الغزو. وآخر الأمر بايعه الناصر واجتمع الناس عليه، ولم يبق له مخالف إلا أخوه السيد أحمد بن المتوكل، ولم يزل الحرب بينهما إلى أن مات، ولكنه لم يدعُ إلى نفسه. وتأخر موته بعد أخيه المنصور نحو سنة، وبايع ولده المهدي العباس. وكان المنصور إماماً عظيماً وسلطاناً فخيماً، وكان قد وقع بينه وبين والده الإمام المتوكل بعض مخالفة في آخر مدة المتوكل. ولما حضرت المتوكل الوفاة دخل المنصور صنعاء، واستقر بها، ودامت خلافته مع سعادة كبيرة وظفر بالأعداء لم يسمع بمثله في الأزمنة القريبة، وجميع القطر اليمني داخل تحت طاعته لم يخرج عن طاعته إلا بلاد تعز والحجرية فإنَّ أخاه أحمد كان مُستولياً عليها، وكان (موته) في سنة ١١٦١ إحدى وستين ومائة وألف.

١٥٠

(السيد الحسين ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد)^(٢)

تقدّم تمام نسبه في ترجمة أخيه الحسن، ولد يوم الأحد رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٩٩٩ تسع وتسعين وتسعمائة. قرأ على الشيخ لطف الله بن مُحَمَّد الغياث، وكان يتعجب من فهمه وحسن إدراكه، وقرأ على جماعة من علماء عصره وبرع في كل الفنون وفاق في الدقائق الأصولية والبيانية والمنطقية والنحوية وله مع ذلك شغلة

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢/٢٥٢.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢/٢٥٢؛ معجم المؤلفين: ٤/٤١؛ هدية العارفين: ١/٣٢٢؛ إيضاح المكنون: ٢/٣٧١.

بالحديث والتفسير والفقه، وألف الغاية وشرحها الكتاب المشهور الذي صار الآن مدرّس الطلبة، وعليه المعوّل في صنعاء وجهاتها، وهو كتاب نفيس يدلّ على طول باع مصنفه، وقوة ساعده وتبحّره في الفن، اعتصره من مختصر المنتهى وشروحه وحواشيه، ومن مؤلفات آبائه من الأئمة في الأصول، وساق الأدلة سوقاً حسناً وجوّد المباحث، واستوفى ما تدعو إليه الحاجة، ولم يكن الآن في كتب الأصول من مؤلفات أهل اليمن مثله، ومع هذا فهو ألفه، وهو يقود الجيوش ويحاصر الأتراك في كلّ موطن، ويضايقهم ويوردهم المهالك، ويشنّ عليهم الغارات، وله معهم ملاحم تذهل المشاهد لبعضها عن النظر في كتاب من كتب العلم، فكيف به رحمه الله وهو قائد الجيوش، وأمير العساكر والمرجوع إليه هو وأخوه الحسن المقدم ذكره فيما دقّ وجلّ من أمر الجهاد، فإن بعض البعض من هذا يوجد تكدّر الذهن وتشوُّشه ونسيان المحفوظات فضلاً عن تصنيف الدقائق وتحرير الحقائق والمزاحمة لعضد الدين، والسعد التفتازاني، والاستدراك عليهما، وعلى أمثالهما من المشتهرين بتحقيق الفن. فما هذه إلّا شجاعة تتقاعس عنها الشجعان، ورصانة لا يُقعقع لها بالشَّان، وقوة جنان تبهر الأبواب، وثبات قدم في العلوم لم يكن لغيره في حساب. وما زال رحمه الله مجاهداً وقائماً في حرب الأتراك قاعداً وناشراً للعلوم ومحققاً لحدودها والرسوم حتى (توفاه) الله تعالى في آخر ليلة الجمعة ثاني شهر ربيع الآخر سنة ١٠٥٠ خمسين وألف بمدينة دمار، ودفن بها في قبته المشهورة، وله نظم حسن، فمنه: [من الكامل]

مَوْلَايَ جُدْ بِوَصَالِ صَبِّ مُدْنِفٍ وَتَلَاْفُهُ قَبْلَ التَّلَافِ بِمَوْقِفِ^(١)
وَأَرْحَمْ فُديتَ قَتِيلَ سَيْفِ مُرْهِفٍ مِنْ مُقْلَتَيْكَ طَعِينٍ قَدْ أَهْيَفِ^(٢)

(١٥١)

(السيد الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد) ابن الحسين بن الحسن بن زيد بن الحسين الحسيني العلوي المعروف بابن قاضي العسكر^(٣)

ولد في سنة ٦٩٨ ثمان وتسعين وستمائة، وولي التوقيع بالقاهرة، ونقابة الأشراف، ومهر في ذلك وفي النظم والنثر، ولم يكن له نظير في الاقتدار على سرعة النظم والنثر. كتب

(١) الصَّبُّ: العاشق الشديد الحرقه والشوق. المُدْنَفُ: الذي اشتدّ مرضه وأشفى على الموت.

تلافي الشيء: تداركه. التلاف: العطب والهلاك.

(٢) سيفٌ مُرْهِفٌ: رقيقٌ حادٌ. الأَهْيَفُ: الضامر الدقيق.

(٣) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٦٧/٢؛ معجم المؤلفين: ٤٩/٤؛ الأعلام: ٢٥٦/٢.

بديوان الإنشاء من التقاليد والتواقيع ما لا يدخل تحت الحصر . وله إجازة من ابن دَقِيق العيد،
والدمياطي، وحفظ في صغره «التنبيه» ودرس في بعض المدارس . ومن شعره: [من الطويل]

إذا العلم لم يَعْضْده جَاءَ وَثَرُوهُ فَصَاحبه في القهرِ يُمسي وَيُصْبِحُ (١)
وإنَّ أسعدَ المَقْدُورُ فالصَّعْبُ هَيِّنٌ وَذو الجَهْلِ مع نُقصانه يَتَرَجَّحُ (٢)
وله: [من المتقارب]

تَلَقَّ الأمورَ بَصْبَرٍ جَمِيلٍ وَصَدْرٍ رَحِيبٍ وَخَلَّ الحَرْجُ (٣)
وَسَلَّمَ لِرَبِّكَ في حُكْمِهِ فإِذَا المَمَاتُ وإِذَا الفَرَجُ
قال الصفدي: وبنى مدرسة بحارة بهاء الدين، ووقف عليها وفقاً جيداً، ووقف
فيها كتباً كثيرة جيدة. وكان دمث الأخلاق متواضعاً، وله ديوان خطب سماها (المقال
المحبر في مقام المنبر) عارض بها خطب ابن نباتة. (مات) في سابع عشر شعبان سنة
٧٦٢ اثنتين وستين وسبع مائة.

١٥٢

(الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عبد الله العَنَسِي ثم الصَّنْعَانِي)

ولد سنة ١١٨٨ ثمانٍ وثمانين ومائة وألف، واشتغل بطلب العلم، فأخذ عن السيد
العلامة إبراهيم بن عبد القادر، وعن غيره من مشايخ العصر، واستفاد في النحو والصرف
والمنطق والمعاني والبيان والأصول، وله إدراك كامل، وعرفان تام وفهم فائق. وقرأ عليّ
في شرح الرضي على الكافية. وهو الآن يقرأ عليّ في شرحي للمنتقى، وقد صار من العلماء
المحققين مع كونه في عنفوان الشباب، وهو قليل النظير في فهم الدقائق، وحسن التصور،
وقوة الإدراك نفع الله به. وقرأ عليّ أيضاً في العضد وحواشيه قراءة تشدّ إليها الرحال، وله
قراءة عليّ في غير ذلك من مؤلفاتي وغيرها، كالكشف وحواشيه والمطوّل وحواشيه.

١٥٣

(الحُسَيْن بن مُحَمَّد)

ابن عبد الله الطيبي الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة (٤)

وحاشية الكشف وغيرهما. كان في مبادئ عمره صاحب ثروة كبيرة فلم يزل

(١) يعضده: يعينه وينصره.

(٢) يترجّح: ضيق الصدر.

(٣) الحَرْجُ: ضيق الصدر.

(٤) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٦٨/٢؛ شذرات الذهب: ١٣٧/٦؛ بغية الوعاة: ٢٢٨؛ كشف=

ينفق ذلك في وجوه الخيرات إلى أن كان في آخر عمره فقيراً. وكان كريماً متواضعاً حسن المعتقد شديد الردّ على الفلاسفة والمبتدعة، مظهرأ فضائحهم مع استيلائهم على بلاد المسلمين في عصره، شديد المحبة لله ولرسوله، كثير الحياء ملازماً للجمعة والجماعة، ملازماً لتدريس الطلبة في العلوم الإسلامية، وعنده كتب نفيسة يبذلها لطلبته ولغيرهم من أهل بلده، بل ولسائر البلدان من يعرفه ومن لا يعرفه، وله إقبال على استخراج الدقائق من الكتاب والسنة، وحاشيته على الكشف هي أنفس حواشيه على الإطلاق مع ما فيها من الكلام على الأحاديث في بعض الحالات إذا اقتضى الحال ذلك على طريقة المحدثين مما يدل على ارتفاع طبقة في علمي المعقول والمنقول. وله كتاب في المعاني والبيان سماه (البيان) وشرحه، وأمر بعض تلامذته باختصاره. ثم شرع في جمع كتاب في التفسير، وعقد مجلساً عظيماً لقراءة كتاب البخاري، وكان يقرأ في التفسير من بكرة إلى الظهر ومن بعده إلى العصر لإسماع البخاري، إلى أن كان يوم وفاته، ففرغ عن قراءة التفسير، وتوجه إلى مجلس الحديث، فدخل مسجداً عند بيته فصلّى النافلة قاعداً، وجلس ينتظر الإقامة للفيضة، فقضى نحبّه متوجّهاً إلى القبلة في يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة.

١٥٤

(الحُسَيْن بن مُحَمَّد بن سَعِيد بن عَيْسَى اللاعي المعروف بالمغربي)^(١)

قاضي صنعاء وعالمها ومحدثها جدّ شيخنا الحسن بن إسماعيل بن الحسين، ولد سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف. وأخذ العلم عن السيد عزّ الدين العبالي، وعبد الرحمن بن مُحَمَّد الحيمي، وعليّ بن يَحْيَى البرطي، وغيرهم. وبرع في عدّة علوم وأخذ عنه جماعة من العلماء كالسيد عبد الله بن عليّ الوزير وغيره. وتولى القضاء للإمام المهدي أحمد بن الحسن، واستمر قاضياً إلى أيام الإمام المهدي مُحَمَّد بن أحمد، وهو مصنف (البدر التمام شرح بلوغ المرام) وهو شرح حافل نقل ما في التلخيص من الكلام على متون الأحاديث وأسانيدها، ثم إذا كان الحديث في البخاري نقل شرحه من فتح الباري. وإذا كان في صحيح مسلم نقل شرحه من شرح النووي، وتارة ينقل من شرح السنن لابن رسلان، ولكنه لا ينسب هذه النقول إلى أهلها غالباً مع كونه يسوقها باللفظ، وينقل الخلافات من (البحر الزخار) للإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى، وفي بعض الأحوال من (نهاية ابن رشد) ويترك التعرض

= الظنون: ٣٤١، ٧٢٠؛ معجم المؤلفين: ٥٣/٤؛ الأعلام: ٢٥٦/٢.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢٥٦/٢؛ هدية العارفين: ٣٢٣/١؛ معجم المؤلفين: ٥١/٤.

للترجيح في غالب الحالات، وهو ثمرة الاجتهاد. وعلى كل حال فهو شرح مفيد. وقد اختصره السيد العلامة مُحَمَّد بن إِسماعيل الأمير، وسمَّى المختصر (سبل السلام)، وله رسالة في حديث (أخرجوا اليهود من جزيرة العرب) رجح فيها أنه إنما يجب إخراجهم من الحجاز فقط محتجاً بما في رواية بلفظ (أخرجوا اليهود من الحجاز). وكان (أخوه الحسن) من محاسن اليمن، وله حاشية على شرح القلائد للإمام المهدي. وهو مُبرِّز في جميع الفنون. ولهذين الأخوين ذرية صالحة هم ما بين عالم وعامل وإلى الآن وهم كذلك، وبيتهم معمور بالفضائل. (وتوفي) صاحب الترجمة سنة ١١١٩، وقيل: سنة ١١١٥ خمس عشرة ومائة، وألف، (وتوفي) أخوه الحَسَن المذكور سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف. وقد ترجم لهما الحيمي في (طيب السمر) وذكر لهما شعراً كشعر العلماء.

(١٥٥)

(الحُسَيْنُ بن نَاصِر)

ابن عبد الحفيظ المعروف كسلفه بالمهالا^(١)

الشرفي اليمني العالم الكبير صاحب (المواهب القدسية شرح البوسية)، وهو شرح نفيس يبين ما اشتملت عليه القصيدة من المعاني والمسايل، ثم ينقل الدليل ويحرره تحريراً قوياً، وينقل من (ضوء النهار) للجلال مباحث، ويجيب عليه في كثير من ذلك، ويصفه بأنه شيخه في العلم. وبالجمله فهو شرح مفيد وقفت على مجلدات منه، وبلغني أنه في سبعة مجلدات. وهذه المنظومة التي شرحها هي في الفقه للبوسي على نمط الشاطبية في الوزن والروي والقافية والإشارة إلى مذاهب العلماء بالرمز، مع جودة الشعر وقوته وسلاسته. وجمله أبياتها أربعة آلاف بيت وخمسمائة وثمانون بيتاً، والبوسي المذكور هو أحد علماء الزيدية بالديار اليمنية. ولصاحب الترجمة مؤلفات هذا أشهرها. وقد ترجم له الحيمي في (طيب السمر) وذكر أنه كان أطلس لا لحية له، وتوفي شهيداً قتله أصحاب المحطوري في فتنته حسبما سيأتي شرحه في ترجمة المهدي مُحَمَّد بن أحمد صاحب المواهب، وكانت تلك الفتنة في سنة (١١١١)، وله نظم حسن فمنه: [من الطويل]

هِيَ الدارُ ما الآمالُ إِلَّا فجائِعُ عَلِيْهَا وما اللَّذَاتُ إِلَّا مَصائبُ
فكم سَخْنَتْ بالأمس عَيْنٌ قَريرةٌ وَقَرَّتْ عُيُونٌ دَمْعُهَا قبلُ سَاكِبُ

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ٣٢٣/١؛ إيضاح المكنون: ٣٢٣/١؛ معجم المؤلفين: ٦٥/٤؛ نبلاء اليمن: ٦٢٨/١؛ الأعلام: ٢٦٠/٢.

فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبٌ

(١٥٦)

(السيد الحُسَيْن بن يَحْيَى بن إبراهيم الدِّلَمي الذِمَارِي)^(١)

ولد في سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف، ونشأ بدمار وأخذ عن علمائها كالفقيه عبد الله بن حسين دُلَامَة، والفقيه حسن بن أحمد الشببي، وهما المرجع هنالك في علم الفقه. ثم ارتحل إلى صنعاء، وقرأ في العربية. وله قراءة في الحديث على السيد العلامة مُحَمَّد بن إِسماعيل الأمير، ثم عاد إلى دمار واستقر بها، وكان فقيراً فتزوج بامرأة لها ثروة، ثم اشتغل بالتجارة، وتكاثرت أمواله. ولم يكن يتجر بنفسه بل كان ينوب عنه غيره، وهو مُكِبٌّ على العلم، ودرّس في الفقه وغيره، وتخرّج به جماعة منهم شيخنا العلامة أحمد بن مُحَمَّد الحرازي المتقدم ذكره. ثم رحل إلى صنعاء رحلة ثانية بعد سنة (١٢٠٠)، ورافقني في القراءة على شيخنا العلامة الحَسَن بن إِسماعيل المغربي فقرأ معنا في صحيح مسلم، وأقرأ الطلبة في الفقه بجامع صنعاء، وبقي مدة، وعزم على استيطان صنعاء ثم بعد ذلك رجّح العود إلى دمار فعاد إليها، وهو الآن عالمها المرجوع إليه المتفرد بها من دون مدافع، وصار الطلبة هنالك يقرأون عليه في الفقه والنحو والصرف والأصول والتفسير والحديث، وبينني وبينه من المودة ما لا يعبر عنه، وقد جرى بيننا مباحثة علمية مدونة في رسائل هي في مجموع ما لي من الفتاوى والرسائل، ولا يزال يعاهدني بعد رجوعه إلى دمار، ويتشوق إلى اللقاء، وأنا كذلك. والمكاتبة بيننا مستمرة إلى الآن، وهو من جملة من رغبني في شرح المنتقى. فلما أعان الله على تمامه صار يرأسني في الإرسال إليه بنسخة، ولم يكن قد تيسّر ذلك. ولما أُلْفُت الرسالة التي سميتها (إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي) ونقلت إجماعهم من ثلاث عشرة طريقة على عدم ذكر الصحابة بِسَبِّ أو ما يقاربه، وقعت هذه الرسالة بأيدي جماعة من الرافضة الذين بصنعاء المخالفين لمذاهب أهل البيت فجالوا وصالوا وتعصبوا وتحزبوا وأجابوا بأجوبة ليس فيها إلا محض السباب والمشاتمة، وكتبوا أبحاثاً نقلوها من كتب الإمامية والجارودية. وكثرت الأجوبة حتى جاوزت العشرين، وأكثرها لا يعرف صاحبه. واشتغل الناس بذلك أياماً وزاد الشرُّ، وعظمت الفتنة، فلم يبق صغير ولا كبير ولا إمام ولا مأموم إلا وعنده من ذلك شيء. وأعانهم على ذلك جماعة ممن له صولة ودولة. ثم إن تلك الرسالة انتشرت في الأقطار اليمنية، وحصل الاختلاف في شأنها،

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ١/٤٠١؛ معجم المؤلفين: ٤/٦٨؛ الأعلام: ٢/٢٦٢.

وتعصب أهل العلم لها وعليها حتى وقعت المراجعة والمجاوبة والمكاتبة في شأنها في الجهات التهامية، وكل من عنده أدنى معرفة يعلم أنني لم أذكر فيها إلا مجرد الذب عن أعراض الصحابة الذين هم خير القرون، مقتصرأ على نصوص الأئمة من أهل البيت، ليكون ذلك أوقع في نفوس من يكذب عليهم وينسب إلى مذاهبهم ما هم منه برآء، ولكن كان أهل العلم يخافون على أنفسهم ويحمون أعراضهم فيسكتون عن العامة. وكثير منهم كان يُصوّبهم مداراةً لهم، وهذه الدسيسة هي الموجبة لاضطهاد علماء اليمن وتسلط العامة عليهم، وخمول ذكرهم، وسقوط مراتبهم، لأنهم يكتمون الحق. فإذا تكلم به واحد منهم وثارت عليه العامة صانعوهم وداهنوهم، وأوهموهم أنهم على الصواب، فيتجراؤون بهذه الذريعة على وضع مقادير العلماء وهضم شأنهم، ولو تكلموا بالصواب أو نصروا من يتكلم به أو عرّفوا العامة إذا سألوهم الحق وزجروهم عن الاشتغال بما ليس من شأنهم لكانوا يداً واحدة على الحق. ولم يستطع العامة ومن يلتحق بهم من جهلة المتفقهة إثارة شيء من الفتن، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وكان تألّفي لتلك الرسالة في سنة (١٢٠٨). ومن جملة من اشتغل بها فقهاء دمار، وقاموا وقعدوا، وكانوا يسألون صاحب الترجمة عن ذلك، ويتهمونه بالموافقة لما في الرسالة لما يعلمونه من المودة التي بيني وبينه، فسلك مسلك غيره ممن قدمت الإشارة إليهم من أهل العلم، بل زاد على ذلك فحرّر جواباً طويلاً على تلك الرسالة موهماً لهم أنه قد أنكر بعض ما فيها. فلما بلغني أنه أجاب ازداد تعجبي لعلمي أنه لا يجهل مثل ذلك ولا يخفى عليه الصواب، فلما وقفت على الجواب وهو في كراريس، رأيته لم يبعد عن الحق ولكنه قد أثار فتنة بجوابه لظن العامة ومن شابههم أن مثل هذا العالم الذي هو لي من المحبين لا يجب إلا وما فعلته مخالف للصواب، فأجبت عليه بجواب مختصر تناقله المشتغلون بذلك وفيه بعض التخشين. ثم إنه عافاه الله اعتذر إليّ مرات، ولم اشتغل بجواب على غيره لأنهم ليسوا بأهل لذلك. وفي الجوابات ما لا يقدر على تحريره إلا عالم، ولكنهم لم يسموا أنفسهم، فلم أشتغل بجواب من لا أعرفه إلا أنه وقع في هذه الحادثة من بعض شيوخه ما يقضى منه العجب، وهو أنه بلغني أنه من جملة المجيبين، فلم أصدّق لعلمي أنه ممن يعرف الحق ولا يخفى عليه الصواب، وله معرفة بعلوم الكتاب والسنة، فبعد أيام وقفت على جوابه بخطه فرأيت ما لا يظن بمثله من المجازفة في الكلام والاستناد إلى نقول نقلها من كتب رافضة الإمامية والجارودية وقررها ورجحها. وأنا أعلم أنه يعلم أنها باطلة بل يعلم أنها محض الكذب. وليته اقتصر على هذا ولكنه جاء بعبارات شنيعة وتحامل عليّ تحاملاً فظيماً، والسبب أنه أصلحه الله نظر بعض وزراء الدولة وقد قام في هذه الحادثة وقعد وأبرق وأرعد، فخدم حضرته بتلك الرسالة التي جنى بها على أعراض الصحابة فضلاً عن غيرهم فما ظفر بطائل.

(واتفقت لصاحب الترجمة محنة) وذلك أن رجلاً يقال له مُحَمَّد بن حُسَيْن من أولاد

المهدي صاحب المواهب غاب عن المواهب نحو عشرين سنة ثم لم يشعر أهله بعد هذه المدة إلا وقد وصل رجل يزعم أنه هو، فصدقه أهل الغائب كزوجته ووالدته وإخوته. وشاع أنه دخل بالمرأة واستمر كذلك أياماً، فوصل بعد ذلك رجل من بيت النجم الساكنين في زبيد وقال لأهل ذمار وعاملها أن هذا لم يكن الغائب، بل رجل من بيت صَعَصَعَة المزينة أهل شعسان صعلوك مُتَحِيل مُتَلَصِّص كثير السياحة. وكان عند وصوله قد لبس الثياب المختصة بآل الإمام، فطلبه العامل فصمَّ على أنه مُحَمَّد بن حُسين من آل الإمام، وشدَّ عضد دعواه مصادقة أم الغائب وزوجته وإخوته. ثم طلبه مولانا الإمام إلى حضرته، ثم بعد ذلك حضر شهود شهدوا أنه صَعَصَعَة المزيني، ثم تعقب ذلك صدور الإقرار، فَعَزَّزَ تعزيراً بليغاً وطُرد ومات عن قرب. وقد كان صاحب الترجمة حَكَمَ له بأنَّه مُحَمَّد بن حُسين استناداً إلى الظاهر، وهو إقرار الأهل، فَطُلِبَ من الحضرة العلية، وأُرْسِلَ عليه رسول، ثم أعفي عن الوصول. والمترجم له عافاه الله مُسْتَمِرَّ على حاله الجميل، ناشرٌ للعلم في مدينة ذمار أكثر من أعمال الخير، قائمٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقدار ما يمكن، مع سلامة صدرٍ وكرامة أخلاقٍ وحسن محاضرةٍ وجميل مذاكرةٍ واحتمالٍ لما يلاقيه من الجفاء الزائد من أهل بلده بسبب نشره لعلوم الحديث بينهم، وميله إلى الإنصاف في بعض المسائل مع مبالغته في التكنم وشدة احترازه.

١٥٧

(الحُسَيْنُ بن يَحْيَى السَّلَفِيُّ الصَّنْعَانِي)

ولد تقريباً بعد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف، وأخذ العلم عن جماعة من علماء صنعاء، ومنهم شيخنا السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، وشيخنا السيد العلامة علي بن إبراهيم بن عامر، وشيخنا العلامة أحمد بن مُحَمَّد الحرازي، وآخرين. وأخذ عني في أمالي الإمام أحمد بن عيسى، وحضر في القراءة علي في أدوال متعددة. وهو رجلٌ ساكنٌ عاقلٌ حسن السمعة، قوي المشاركة في علوم الاجتهاد، عامل بما تقتضيه الأدلة، جيد الفهم. وهو الآن أحد المدرسين في الفنون بجامع صنعاء، نفع الله به. ولصاحب الترجمة أخٌ عالمٌ شاعرٌ، وهو إسماعيل بن يَحْيَى، توفي وهو في سن الشباب بمكة المشرفة في شهر ذي الحجة سنة ١١٩٤. (ومات) المترجم له رحمه الله في سنة ١٢٣٠ ثلاثين ومائتين وألف.

١٥٨

(السيد الحُسَيْنُ بن يُوسُف بن الحُسَيْن بن أحمد زبارة)

قد تقدم رفع نسبه. ومولده على التقريب بعد سنة ١١٥٠. نشأ بصنعاء، وأخذ

العلم عن جماعة من علمائها. وهو أحد علماء العصر المفيدين، حسن السمات والخلق والأخلاق، متين الديانة، حافظ للسانه، كثير العبادة والأذكار، مقبل على أعمال الخير مستكثر منها، عاكف على العلم والعمل. وقد أجاز لي جميع ما يرويه عن أبيه عن جدّه الحُسَيْن. وهو الآن حيٌّ نفع الله به. ثم (توفي) رحمه الله في أوائل شهر محرم سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف.

١٥٩

(حَمْرَةُ بن عبد الله بن مُحَمَّد)

ابن علي بن أبي بكر التقي الناصري الزبيدي الشافعي^(١)

ولد في ثالث عشر شوال سنة ٨٣٣ ثلاث وثلاثين وثمانمائة بنخل وادي زبيد، ونشأ بزبيد فحفظ القرآن، والشاطبية، وألفية ابن مالك، وبعض الحاوي، وتلا بالسبع على مُحَمَّد بن أبي بكر المقرئ، وقرأ على جماعة من علماء زبيد في فنون من العلم، وأجاز له آخرون من جهات. ومن جملة مشايخه: صديق بن أبي الطيب، والزين الشرجي، والتقي بن فهد، وابن ظهيرة. وتردد إلى مكة وأخذ عن السخاوي، وناب في قضاء زبيد، وأفتى، ونظم وألف مؤلفات منها (مسالك التحرير في مسائل التكبير) و(البستان الزاهر في طبقات بني ناضر) و(انتهاز الفرص في الصيد والقنص) ألفه للملك المظفر، و(ألفية في غريب القرآن). وكان كثير الزواج، ورزق كثيراً من الأولاد، ومات غالبهم. وطال عمره حتى قارب المائة، وهو متمتع بحواسه، يستفض الأبكار. (ومات) في صبح يوم الخميس تاسع عشر ذي القعدة سنة ٩٢٦ ست وعشرين وتسعمائة، ودفن بتربة سلفه في باب سهام.

١٦٠

(حَمِيْضَةُ بن أبي نمي مُحَمَّد بن حَسَن)

ابن علي بن قتادة بن إدريس الحسني الشريف عز الدين أمير مكة^(٢)

كان هو وأخوه رميثة وليي أمر مكة في حياة أبيهما سنة (٧٠١)، ثم استقلاً بالإمرة، واستمرّا إلى الموسم، فحجّ ببيرس تلك السنة، فلما كان في طواف الوداع كلمه أبو الغيث وعطيفة في أمر أخويهما حميضة ورميثة، وأنهما منعاهما ميراثهما، فأنكر عليهما ببيرس، فقال له حميضة: يا أمير نحن نتصرف في إختونا، وأنتم قضيتم

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ١٤٢/٨؛ كشف الظنون: ١٧٥؛ إيضاح المكنون: ١/١٨٠،

٢١/٢؛ معجم المؤلفين: ٧٩/٤؛ الضوء اللامع: ٣/١٦٤؛ الأعلام: ٢/٢٧٨.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٧٨/٢؛ الأعلام: ٢/٢٨٥.

حَجَّكُمْ فَلَا تَدْخُلُوا بَيْنَنَا، فغضب بيبرس، وقبض على حُمَيْضَةَ ورُمَيْثَةَ وحملهما إلى القاهرة. وأقام أبا الغيث وعُطَيْفَةَ موضعهما. ثم أفرج عنهما في أوائل سنة (٧٠٢)، وخلع عليهما وتوجَّها إلى مكة، ففرَّ أبو الغيث، ثم فرَّ حُمَيْضَةُ من أمير الحجِّ في سنة (٧٠٧)، فقرَّر أبا الغيث مكانه. فلما رجع العسكر عاد حُمَيْضَةُ مخفياً في زي امرأة، وفرَّ إلى العراق مستجيراً بملكها خريدا فتلقاه وأكرمه وبالغ في الإحسان إليه. وندب معه أربعة آلاف فارس، وراسل أخاه رُمَيْثَةَ أن يأذن له بدخول مكة، ويشاركه الإمرة كعادته فامتنع، وكتب الناصر فأجابه بأن لا يفعل إلا إن دخل حُمَيْضَةُ إلى مصر، فوصل حُمَيْضَةُ بالعسكر ونازل رُمَيْثَةَ فانهمز، ودخل حُمَيْضَةُ مكة عنوةً، وقطع خطبة الناصر، وخطب لخريدا، وأخذ أموال التجار. فجرَّد الناصر عسكراً فانهمز منهم من غير قتال. ثم عاد بعد ذهاب الحجِّ فأرسل رُمَيْثَةَ يطلب الأمان فأمنه، ثم اصطالحا، فبلغ ذلك الناصر، فغضب وقرَّر عُطَيْفَةَ في إمرة مكة، فخرج حُمَيْضَةُ عن مكة. فلما حجَّ الناصر سنة (٧١٩) وعاد، عاد حُمَيْضَةُ وأخذ أموال الناس من النقد وغيره وحمل منه مائة جمل، وأحرق الباقي، وتحصَّن بحصنه الذي له بالجديدة، وقطع ألفي نخلة. فأرسل الناصر عسكراً ودخل مكة العسكر في ذي القعدة سنة (٧١٥) ثم تبعوه إلى مكانه فأحرقوا الحصن وأخذوا ما مع حُمَيْضَةَ من الأموال وأخذوا ابن حُمَيْضَةَ أسيراً وسلموه لِعَمِّهِ رُمَيْثَةَ، واستقرَّ رُمَيْثَةَ أميراً. ولحق حُمَيْضَةُ بالعراق، ثم اتَّصل بخريدا، وقام في بلاده وجَهَّز له جيشاً بعد أن أطمعه أن يخطب له بها، فمات خريدا، ولم يتم ذلك، فعاد حُمَيْضَةُ إلى مَكَّة. واتفق أنه هرب من ممالك الناصر ثلاثة أنفس، فمروا بحُمَيْضَةَ فأضافهم فرأى فيهم شاباً جميلاً فمال إليه، وكان معروفاً بذلك، وأوسع له في المواعيد إلى أن أطاعه واستمر في خدمته. فلما رأى ذلك رفيقه أقاما في خدمة حُمَيْضَةَ. واختصَّ بذلك الشاب، فصار لا يكاد يصبر عنه ساعة. وتمادى حالهم عند حُمَيْضَةَ فخشوا منه أن يتقرب بهم إلى الناصر فقتلوه في وادي بني شعبة. وظفر بهم عطيفة فقيد الذي تولى قتله وجَهَّزه إلى الناصر فقتله به وذلك في جمادى الآخرة سنة (٧٢٥)، وكان شجاعاً فاتكاً كريماً وافر الحرمة عظيم المهابة، اتفق أن رجلاً مَدَّ يَدَهُ لأخذ شيءٍ وجده مطروحاً فقطع يده، فصارت الأموال توجد ولا يتعرض لها أحد من مهابته.

(١٦١)

(الشريف حَمُود بن مُحَمَّد الحسني صاحب أبي عريش)^(١)

ولد بعد سنة ١١٦٠^(٢) تقريباً، ثم استقل بولاية أبي عريش وسائر الولاية

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ١/٤٠٨؛ الأعلام: ٢/٢٨٢.

(٢) في الأعلام: ولد سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م.

الراجعة إلى أبي عريش، كصبيا وضمدا والمخلاف السليماني. وكان متولياً لذلك من طرف مولانا الإمام المنصور بالله رحمه الله. ثم حَدَث ما حدث من قيام صاحب نجد واستيلائه على البلاد التي بينه وبين أبي عريش، فأمر عبد الوهاب بن عامر العسيري المعروف بأبي نقطة بأن يتقدم في جيشه على بلاد الشريف حمود، فتقدم في نحو عشرين ألفاً، والشريف حمود استقر في أبي عريش لقلّة جيشه، فتقدم عليه أبو نقطة إلى أبي عريش فدخلها في سنة (١٢١٧) وقُتِل من الفريقين فوق الألف، ثم استسلم الشريف حمود ودخل في الدعوة النجدية، ثم خرج على البلاد الإمامية فاستولى على بندر اللحية، وعلى بندر الحديدية، وعلى زبيد والحيس وما يرجع إلى هذه الولايات، واختط مدينة الزهراء، وصار الآن ملكاً مستقلاً. ثم فسد ما بينه وبين النجدي فأمر أبا نقطة المذكور بأن يغزوه فغزاه والتقى بأطراف البلاد فقتل أبو نقطة وانهزم جيش الشريف وقتل منهم نحو ألفين. وكان جيشه من يام وبكيل وقبائل تهامة زهاء سبعة عشر ألفاً. وكان جيش أبي نقطة كما قيل مائة ألف لأنه أمده النجدي بجماعة من أمرائه كابن شكيان والمضايفي. ثم إن جيش صاحب نجد بعد قتل أبي نقطة وهزيمة الشريف تقدّم على بلاد أبي عريش وجرت بينهم ملاحم كبيرة وانحصر الشريف في أبي عريش، وشحن سائر بلاد أبي عريش بالمقاتلة. ثم رجع سائر الأمراء النجدية وبقي بقية من الجيش في بلاد أبي عريش والحرب بينهم سجال. وكانت هذه الحرب التي قتل فيها أبو نقطة في سنة (١٢٢٤). وبالجملّة فصاحب الترجمة من الأبطال، وقد جرت بينه وبين الأجناد الإمامية عند استيلائه على البلاد التي قدمنا ذكرها ملاحم عظيمة لا يتسع المقام لبسطها. وفي سنة (١٢٢٤) وقع الصلح بينه وبين مولانا المتوكل على الله قبل دعوته، وكان ذلك باطلاعي أن يثبت الشريف على ما قد صار تحت يده من البلاد، ثم بعد هذا انتقض الصلح بينه وبين مولانا المتوكل، ولم تزل الحرب ثائرة بينه وبين الإمام إلى هذا التاريخ وهو سنة (١٢٢٩)، وهو مُستمرٌّ على الانتماء إلى صاحب نجد. (ومات) في سنة ١٢٣٣ ثلاثٍ وثلاثين ومائتين وألف.

حرف الخاء المعجمة

(١٦٢)

(خشقدم الملك الظاهر أبو سعيد الرومي النَّاصري^(١))

نسبة إلى تاجر ملكه، ثم اشتراه الملك المؤيد وهو ابن عشر سنين ثم أعتقه بعد مدة وصار من المقدمين بدمشق. ثم عاد إلى مصر، وصار الحاجب الأكبر. ثم صار في دولة الأشرف أمير سلاح، ثم صار أتابكاً لابنه، ثم صار سلطاناً في يوم الأحد تاسع عشر رمضان سنة (٨٦٥) ولقب بالظاهر. ولم يزل يتودد ويتهدد ويصافي وينافي ويراشي ويماشي حتى رسخ قدمه ونالته السعادة الدنيوية مع مزيد الشرة في جمع المال على أي وجه، لا سيما بعد تمكنه بحيث اقتنى من كل شيء أحسنه. وأنشأ مدرسة بالصحراء بالقرب من قبة النصر، وكثرت مماليكه فعظموا محاسنه وعظم وضخم، وهابته الملوك، وانقطع معاندوه إلى أن مرض في أوائل المحرم ولزم الفراش حتى (مات) يوم السبت عاشر ربيع الأول سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمانمائة وقد ناهز خمساً وستين، ودفن بالقبة التي أنشأها بمدرسته. وكان عاقلاً مهاباً عارفاً صبوراً بشوشاً مدبراً متحملاً في شؤونه كلها عارفاً بأنواع الملاعب كالرمح والكرة، مُكرِّماً للعلماء، معتقداً فيمن يُنسب إلى الخير.

(١٦٣)

(خضر بن عطاء المؤصلي مصنف كتاب الإسعاف^(٢))

شرح «شواهد البيضاوي» و«الكشاف»، قال في الريحانة: كعبة فضل مرتفعة المقام، تضمنت ألسن الرواة التزامه، فله ذلك التضمن والالتزام. أقام بمكة مع بني حسن مخضر الأكناف، وصنف باسم الشريف حسن شرح شواهد الكشاف. انتهى. قلت: وهذا الشريف هو حسن بن أبي نُميَّ الشريف مكة وابن شريفها. وقد ذكر

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣٠٥/٢؛ بدائع الزهور: ٧٠/٢.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٣٠٧/٢؛ خلاصة الأثر: ١٣١/٢؛ معجم المؤلفين: ١٠١/٤؛ كشف الظنون: ١٤٨٢؛ إيضاح المكنون: ٧٨/١.

العصامي في تاريخه أن الشريف المذكور أجازته بألف دينار ذهباً، وأرخ موته سنة ١١٠٧^(١) سبع ومائة وألف. وهذا التاريخ الذي ألفه صاحب الترجمة من أحسن التواريخ وأنفسها وأجمعها، يذكر فيه البيت الشاهد ثم يشرحه شرحاً مُستوفى، ثم يترجم لقائله ترجمة «كاملة»، ويذكر القصيدة التي منها ذلك البيت.

١٦٤

(خليل بن أيك بن عبد الله المعروف بصلاح الدين الصفدي الأديب المشهور)^(٢)

ولد سنة ٦٩٧ سيع وتسعين وستمائة، وكتب الخطّ الجيد، وذكر عن نفسه أن أباه لم يمكنه من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنة، وطلب بنفسه، فأخذ عن الشهاب محمود، وابن سيد الناس، وابن نباتة، وأبي حيّان. وسمع من المزي، والدبوسي. وطاف مع الطلبة، وكتب الطباقي، وقال الشعر الحسن، وأكثر منه جداً، وترسل، وألف كتباً، منها التاريخ الكبير الذي سماه (الوافي بالوفيات) في نحو ثلاثين مجلداً على حروف المعجم، وأفرد منه أهل عصره في كتاب سماه (أعوان النصر وأعيان العصر) في ستّة مجلدات. وشرح (لامية العجم) بمجلدين، وله (ألحان السواجع بين المبادئ والمراجع) مجلداً و(جرّ الذيل في وصف الخيل) و(كشف الحال في وصف الخال). وأول ما ولي كتابة الدرج بصفد، ثم بالقاهرة كتابة السر، وغير ذلك من الأعمال. وكان حسن المعاشرة جميل المروءة، وكان إليه المنتهى في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم. (قال ابن كثير): مصنفاته بلغت المئين من المجلدات، قال: ولعل الذي كتبه في ديوان الإنشاء ضعف ذلك. ومن تصانيفه (فض الختام عن التورية والاستخدام). ونظمه مشهور قد أودع منه في شرح لامية العجم وغيرها ما يعرف به مقداره. ولكثرة ملاحظته للمعاني البديعية صار الغث من شعره كثيراً. وينضم إلى ذلك ما يطويه به من المبالغة في حسنه فيزداد ثقلًا، وقد يأتي له ما هو من الحسن بمكان كقوله: [من مخلع البسيط]

بَسَّهْمِ أَجْفَانِهِ رَمَانِي وَذُبْتُ مِنْ هَجْرِهِ وَبَيِّنُهُ^(٣)

(١) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م.

(٢) ترجمته في: طبقات الشافعية: ٩٤/٦ - ١٠٣؛ الدرر الكامنة: ٨٧/٢؛ البداية والنهاية: ١٤/

٣١٨؛ النجوم الزاهرة: ١٩/١١؛ شذرات الذهب: ٢٠٠/٦؛ كشف الظنون: ٣١، ٤٨،

٧٢١، ١٥٤٨؛ إيضاح المكنون: ٢٩١/١، ٦٧/٢؛ معجم المؤلفين: ١١٤/٤، الأعلام: ٢/

٣١٥؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٨٩/٣؛ تاريخ آداب اللغة: ١٧٠/٢.

(٣) البَيِّنُ: الفراق والهجر.

إِنْ مَتَّ مَالِي سِوَاهُ خَصْمٍ لِأَنَّهُ قَاتِلِي بَعِيْنِهِ
 وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه . وقد صَنَّف ابن نباتة
 في ذلك مصتَفاً سَمَّاهُ (خبز الشعير المأكول المذموم) ويَبَيِّن سرقاته لشعره . و(مات)
 بدمشق ليلةَ عاشر شَوَّال سنة ٧٦٤ أربع وستين وسبعمائة .

(١٦٥)

(خَلِيلُ بْنُ أَمِيرَانَ شَاهُ بْنُ تَيْمُورَلَنْك)

ملك بعد موت جده تَيْمُور كما تقدم تحقيقه في ترجمته ، وكان ذلك في حياة والده
 وأعمامه لكونه كان معه عند وفاته في سنة (٨٠٧) فلم يجد الناس بداً من سلطنته .
 واستولى على الخزائن وتمكن من الأمراء ببذله ، وفيه رفقٌ وتودد مع حسن سياسة وصدق
 لهجة وجمال صورة . وأخذ في تمهيد ملكه وملك قلوب الرعية فاستفحل أمره وجرت
 حوادث إلى أن (مات) بالريِّ مسموماً في سنة ٨٠٩ تسع وثمانمائة . ونحرت زوجته
 المسماة شاد ملك نفسها بخنجر من قفاها فهلكت من سَاعَتِهَا . وقد وصف مؤلف سيرة
 تيمور من أحواله وأشعاره بلسان قومه ومزيد عشقه لزوجته هذه وإفراط محبته لها ما يقضى
 منه العجب ، حتى قال : إنه يقف معها في قميص واحد يدخلان فيه جميعاً لمزيد شغف
 كل واحدٍ منهما بالآخر ، فلهذا قتلت نفسها بعد موته . ووصف من جماله ما تعذر معه
 زوجته . وكذلك وصف من جمالها ما يخفف عنه الملامة فيما تهتك به من عشقها حتى
 كان ذلك سبب ذهاب ملكه ونفسه ، والأمر لله .

(١٦٦)

(خَلِيلُ بْنُ كَيْكَلْدِي الْعَلَائِي)^(١)

ولد في ربيع سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة ، وأول سماعه للحديث في سنة
 (٧٠٣) ، سمع على شرف الدين ألفزاري ، وبُرْهان الدين الذهبي ، وابن عبد الدايم ،
 والقاسم بن عَسَاكِر ، وجماعة كثيرة بلغوا إلى سبعمائة . ورحل إلى الأقطار ، واشتغل
 قبل ذلك بالفقه والعربية ، ومهر ، وصَنَّف التصانيف في الفقه والأصول والحديث ،
 ومنها : (تحفة الرائي في علم الفرائض) و(الأربعين في أعمال المتقين) ، وشرح
 حديث ذي اليدين في مجلد ، و(الوشي المعلم في من روى عن أبيه عن جده عن

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٩٠/٢؛ النجوم الزاهرة: ٣٣٧/١٠؛ شذرات الذهب: ١٩٠/٦؛
 طبقات الشافعية: ١٠٤/٦؛ كشف الظنون: ١٠٠، ٥٠٠، ١٦٧٧؛ إيضاح المكنون: ٢٣/١،
 ٩٥/٢؛ معجم المؤلفين: ١٢٦/٤؛ الأعلام: ٣٢١/٢.

النبي ﷺ). قال ابن حَجَر في الدرر: إنه صَنَّف كتباً كثيرة جداً سائرة مشهورة نافعة. وكان بزيّ الجند، ثم لبس زي الفقهاء، وحفظ التنبيه، ومختصر ابن الحاجب، ومقدمته في النحو والتصريف. وولي تدريس الحديث بالناصرية ثم الصلاحية بالقدس، وقطن به إلى أن مات. وحجّ مراراً، وجاور، وكان ممتعاً بكل باب، وبحفظ تراجم أهل عصره، ومن قبلهم. ووصفه الذهبي بالحفظ. وكان يستحضر الرجال والعلل، وتقدم في هذا الشأن مع صحة الذهن وسرعة الفهم. وقال غيره: كان إماماً في الفقه والنحو والأصول والحديث وفنونه حتى صار بقية الحفاظ، عارفاً بالرجال علامة في المتون والأسانيد، ومصنفاته تنبئ عن إمامته في كل فن. وقال الإسنوي: كان حافظاً زمانه إماماً في الفقه والأصول وغيرهما، ذكياً نظاراً فصيحاً كريماً، وله نظم حسن. واستمرّ على حاله حتى (مات) في القدس خامس المحرم سنة ٧٦١ إحدى وستين وسبعمائة.

حرف الدال المهملة

١٦٧

(الشيخ داود بن عمر الأنطاكي الضرير رئيس الأطباء)^(١)

قال العصامي: هو المتوحد بأنواع الفضائل، والمتفرد بمعرفة علوم الأوائل. شيخ العلوم الرياضية سيما الفلسفية وعلم الأبدان القسيم لعلم الأديان، فإنه بلغ فيه الغاية التي لا تدرك، وانتهى إلى الغاية التي لا تكاد تملك، له فضل ليس لأحد وراءه فضل، وعلم لم يُحزْ أحدٌ في عصره مثله (قال): حكى أن الشريف حسن لما اجتمع به أمر بعض إخوانه أن يعطيه يده ليجس نبضه، وقال له الشريف حسن: جُسْ نبضي، فأخذ يده فقال: هذه ليست يد الملك، فأعطاه الأخ الثاني يده فقال كذلك، فأعطاه الشريف حسن يده فحين جَسَّها قبلها وأخبر كلاً بما هو ملتبس به، قال: وحكى أنه استدعاه يعني الشريف لبعض نسائه فلما دخل قادته جارية، ولما خرجت به، قال للشريف حسن: إن الجارية لما دخلت بي كانت بكرًا، ولما خرجت بي كانت ثيبًا، فسألها الشريف وأمنها فأخبرته أن فلاناً استفضها قهراً، فسأله، فاعترف بذلك. وله عجائب من هذا الجنس. وقد أرخ العصامي موته سنة ١٠٠٧ سبعم وألف، وهو مصنف (التذكرة) الكتاب المشهور في الطب.

١٦٨

(السيد داود بن الهادي بن أحمد)

ابن المَهْدِي ابن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن

ولد سنة ٩٨٠ ثمانين وتسعمائة، وهو شيخ الشيوخ الزيدية في زمانه. وكان عالماً بعدة علوم، ومن تلامذته القاضي أحمد بن يحيى حابس، والقاضي أحمد بن سعد الدين، وغيرهم ممن في طبقتهم. وله شرح على أساس الإمام

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٨/٤١٥، هدية العارفين: ١/٣٦٢؛ كشف الظنون: ٧٩،

٣٨٦، ١٩٤٦؛ خلاصة الأثر: ٢/١٤٠؛ معجم المؤلفين: ٤/١٤٠؛ الأعلام: ٢/٣٣٣.

القاسم بن مُحَمَّد، وكتب إليه القاضي أحمد بن علي بن أبي الرجال، وهو من تلامذته قصيدة منها: [من الكامل]

سُؤلي وَجُلُّ مَطالبي وَمَرامي تَقبيلُ كَفِّ الأروع الصَّمصام^(١)
العالمُ العَلَمُ الحميدُ فعَالُهُ نُورُ الأنامِ وَسَيِّدُ الأقرامِ^(٢)
ولصاحب الترجمة نظم فمنه: [من الطويل]

إلى الله أشكو عالم السرِّ والنَّجوى تَحْمُلَ هَمٌّ: لا يُطيقُ لَهُ رَضوى^(٣)
وَجَوْرَ زمانٍ دأبه خَفُضُ كاملٍ وَرَفْعُ الذي لا خَيْرَ فيه ولا جَدوى^(٤)
عَتَبْتُ على دَهري فقلتُ إلى متى تُعاملني بالضدِّ من كلِّ ما أهوى
فَقَالَ مُجيباً لي بِعُنفٍ وَغِلْظَةٍ وأَيُّ كريمٍ قَدْ أَجَبْتُ لَهُ شَكوى
وتوفي رحمه الله بدرب الأمير بحضرة الإمام المؤيَّد بالله مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد في ضحوة يوم الأربعاء لستَّ بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٥ خمسِ وثلاثين وألف، وعمَّرت عليه قبة هنالك.

(١٦٩)

داود بن يُوسُف بن عُمَر بن عليّ ابن رسول الملك المؤيَّد بن المظفر التركماني الأصل صاحب اليمن^(٥)

كان له شغلة بالعلم، حفظ مقدمة ابن بابشاذ في النحو، وكفاية المتحفظ في اللغة. وسمع من المحب الطبري وغيره. وكان أبوه قد أثر أخاه الأشرف بالسلطنة، فلما مات أبوه وتسلمن أخوه الأشرف أقبل المؤيَّد، وكان في جهة اليمن فغلب على عدن. فجهز الأشرف ولده المنصور فهزمهم المؤيَّد. ثم سار طائعاً إلى أخيه فتلقاه وأمره، فلما (مات) في أول سنة ٦٩٦ ستَّ وتسعين وستمئة تسلمن المؤيَّد، وتابعه الناصر ولد أخيه الأشرف، وخرج عليه أخوه المسعود فلم تقم له قائمة، ودخل في طاعة المؤيَّد. ولما عرف الناس محبته للفضائل قصدوه من الآفاق بكل تحفة. وكان

(١) مرامي: بغيتي ومرادي. الأروع: الذكيُّ الفؤاد. الصَّمصامُ: المصمَّم، أو السيف الصَّارم لا يثني.

(٢) الأقرام، والقروم: جمع القَرَم: السَّيِّدُ المُعْظَم.

(٣) النجوى: إسرائُ الحديث. رضوى: اسم جبل.

(٤) الجَوْرُ: الظلم. الخَفُضُ: ضدُّ الرَفْع. الجَدوى: الفائدة.

(٥) ترجمته في: النجوم الزاهرة: ٢٥٣/٩؛ الدرر الكامنة: ٩٩/٢.

يبالغ في إنصافهم حتى إنها أهديت له نسخة من «الأغاني»^(١) بخط ياقوت الحموي^(٢) فبذل فيها مائتي دينار مصرية. ولشعراء عصره فيه مدائح. واشتملت خزانة كتبه على مائتي ألف مجلد. وأنشأ بتعز القصور العظيمة البديعة. ودام في الملك خمساً وعشرين سنة، حتى (مات) في ذي الحجة سنة ٧٢١ إحدى وعشرين وسبعمائة.

١٧٠

(الشريفة دَهْمَاء بنت يَحْيَى)

ابن المرتضي أخت الإمام المَهْدِي أحمد بن يَحْيَى الْمُتَقَدِّم ذِكْرُهُ^(٣)

عالمة فاضلة أخذت العلم عن أخيها، قرأت عليه هي والإمام مُطهر، ولها مصنفات منها: شرح للأزهار في أربعة مجلدات، وشرح لمنظومة الكوفي في الفقه والفرائض، وشرح لمختصر المنتهى. ودرّست الطلبة بمدينة ثلاث حتى (ماتت) هنالك، وقبرها مشهور مزور، وعليها قبة. وتزوجها السيد مُحَمَّد بن أبي الفضائل، وأولدها ولدًا سَمِّي إدريس بن مُحَمَّد. ولها شعر منه في مدح كتاب أخيها «الأزهار»: [من الخفيف]

يا كتاباً فيه شفاء النفوس أنتجته أفكار من في الحبوس
أنت للعلم في الحقيقة نور وضياء وبهجة كالشموس

(١) الأغاني: هو كتاب ضخّم لأبي الفرج الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م.

(٢) هو أبو عبد الله، شهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: مؤرخ ثقة، جغرافي، لغوي، أديب. توفي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩. (وفيات الأعيان: ١٢٧/٦).

(٣) ترجمتها في: الأعلام: ٥/٣؛ معجم المؤلفين: ١٤٦/٤.

حرف الذال المعجمة

(١٧١)

(ذيان الماردي ناصر الدين والي القاهرة)

ورد من الشرق صحبة عبد الرحمن التكريتي إلى المنصور قلاوُن، وتعانى الخياطة للكوافي بدمشق، ثم توصل بخدمة بيبرس الجاشنكير، وتقرب منه إلى أن ولي القاهرة، ثم عُوقب وُصودر، ثم تولَّى شدّ الدواوين في جمادى الآخرة سنة (٦٩٤)، ثم نقل إلى ولاية القاهرة، ثم ولي الجيزة، ف وقعت بينه وبين القبط مرافعة فالتزم إن تسلمهم أن يحمل ثلاثمائة ألف دينار، فتسلمهم وضيق عليهم وأخذ منهم جملة مستكثرة. ثم سعى في الوزارة فاستقر في شوال سنة (٧٠٣) فباشرها بتعاضم وحرمة. واتفق أنه توجّه إلى الإسكندرية، وتوجّه الناصر إلى الجيزة، وهو يومئذ تحت حجر بيبرس وسالار، فأرسل وكيله يستدين له من التجار مبلغاً يشتري به هدية لحرمة إذا رجع، فقدم له صاحب الترجمة ألفي دينار، فأعجبه وقربه وشكى إليه حاله، فوعده وبسط أمله، فنقل ذلك إلى الأميرين المذكورين، فقبضا عليه وسجناه وصادراه (ومات) في ذي القعدة سنة ٧٠٤ أربع وسبعمئة.

حرف الرءاء

(١٧٢)

(رضوان بن مُحَمَّد بن يُوسُف بن سَلَامَة)

ابن البهاء بن سَعِيد الزين الشافعي الحافظ الكبير القاهري الصّحراوي^(١)

ولد صبح جمعة من رجب سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة بمنية عقبة بالجيزة، وحفظ القرآن والتنبية، وجوّد بعض القرآن، وتلا بالسبع على جماعة، وحضر درس البلقيني، وابن الملقن، والصدر المناوي، والعزّ بن جماعة، وقرأ عليهم وغيرهم في فنون متعددة، كالنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والجدل والفرائض والحساب. وحجّ مرات، وزار بيت المقدس والخليل، وما تيسرت له رحلة، لكنه أخذ بالحرمين والقدس عن جماعة، وسمع الأمهات، ومسند أحمد^(٢) ومسند الشافعي^(٣)، والموطأ^(٤)، ومسند أبي حنيفة^(٥)، ومعاني الآثار للطحاوي^(٦)، والسنن للدارقطني^(٧) وغير ذلك. وأخذ عن مشايخ العصر، وعرف العالي والنازل، وفاق

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢٧/٣؛ الضوء اللامع: ٢٢٦/٣؛ هدية العارفين: ٣٦٩/١؛ إيضاح المكنون: ٥٣/١؛ معجم المؤلفين: ١٦٦/٤.

(٢) هو الإمام أحمد بن حنبل، أحد أئمة أهل السنة الأربعة، وهو صاحب المذهب الحنبلي. توفي سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م. (الأعلام: ٢٠٣/١).

(٣) هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي، أحد أئمة أهل السنة الأربعة، وإليه نسبة الشافعية كافة. توفي سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م (الأعلام: ٢٦/٦).

(٤) هو كتاب الإمام مالك بن أنس، صاحب المذهب المالكي عند أهل السنة، والمتوفى سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م. (الأعلام: ٢٥٧/٥).

(٥) هو الإمام أبو حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي الكوفي، رابع أئمة أهل السنة، صاحب المذهب الحنفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. (الأعلام: ٣٦/٨).

(٦) هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي: فقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر. توفي سنة ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. (الأعلام: ٢٠٦/١).

(٧) هو أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الشافعي: إمام عصره في الحديث، وأول من صنف القراءات.

توفي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. (الأعلام: ٣١٤/٤).

الأقران، وانتفع به الناس، وأخذوا عنه، واشتهرت فضائله. وله تخريجات خرّجها لشيوخه. وله شعر على نمط أشعار المحدثين. رحمه الله (مات) يوم الاثنين ثالث شهر رجب سنة ٨٥٢ اثنتين وخمسين وثمانمائة.

١٧٣

(رُمَيْثَةُ بِمَثَلَةِ مَصْغَرٍ ابْنِ أَبِي نُمَيْ)^(١)

قد تقدم ذكر بعض نسبه في ترجمة أخيه حُمَيْضَةَ. ولي أمر مَكَّةَ مع أخيه حُمَيْضَةَ، ثم استقل سنة (٧١٥)، ثم قبض عليه في ذي الحجة سنة (٧١٨). فلما كان في سنة (٧٣١) تحارب هو وأخوه (عُطَيْفَةُ) ثم اصطلحا. وكثر تضرر الناس منهما، ثم بلغ الناصر أنه أظهر مذهب الزيدية فأنكر عليه فأرسل إليه عسكرياً ففرّ، فلم يزل أمير الحاج يستميله حتى عاد، ثم أَمَنَهُ السلطان فرجع إلى مكة سنة (٧٣١)، ولبس الخلعة، ثم حجَّ السلطان سنة (٧٣٢) فتلّقه رُمَيْثَةُ إلى ينبع، فأكرمه السلطان. واستمر رُمَيْثَةُ وَعُطَيْفَةُ إلى أن تفرَّد رُمَيْثَةُ سنة (٧٣٨)، فلم يزل على ذلك إلى سنة (٧٤٤)، فترك الأمر لولديه ثقبه وعجلان، ثم كتب له من القاهرة باستقراره، فباشّر الأمر عنه ولده عجلان حتى (مات) رُمَيْثَةُ في سنة ٧٤٨ ثمانٍ وأربعين وسبعمائة^(٢).

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣/٣٣؛ شذرات الذهب: ٦/١٤٩؛ الدرر الكامنة: ٢/١١١؛ النجوم الزاهرة: ١٠/١٤٤.

(٢) في الأعلام: توفي سنة ٧٤٦هـ/ ١٣٤٦م.

حرف الزاي

١٧٤

زَكَرِيَّا بن أحمد بن مُحَمَّد بن يَحْيَى
ابن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حَفْص عُمر الشَّاوي^(١)

الحَفْصِيُّ اللَّحْيَانِي القائم بأمر الله، صاحب المغرب. (ولد سنة نيف وأربعين وستمائة^(٢))، وتفقه وأتقن النحو، واستوزره ابن عمّه المستنصر مدّة. ثم ملك سنة (٦٨٥)، ثم خُلع، فتوجّه إلى الحجّ سنة (٧٠٩)، ثم رجع إلى القاهرة سنة (٧١٠) فجهز معه الناصر عسكرياً فملك طرابلس، وخطب للناصر بها. ثم صَبَحُوا تونس في ثامن جمادى الأولى فنازلوها وصاحبها أبو البقاء مريض، فدخل زَكَرِيَّا البلد، وأشهد أبا البقاء على نفسه بالخلع. فلما استوثق له الأمر قطع ذكر المهدي من الخطبة، ثم أرسل إلى صاحب سحانة فهادنه، فسار صاحب سحانة إلى أفريقية وجال في بلاد هوازن فخشي منه صاحب الترجمة فجمع ما قدر عليه من المال وخرج من تونس سنة (٧١٧) قاصداً فاس، فأقام بها، ثم توجه من فاس إلى طرابلس، ثم حمل أهله وأمواله في البحر وتوجّه إلى الإسكندرية. ثم استأذن الناصر في القدوم عليه فأذن له ودخل القاهرة سنة (٧٢١) وأراد الحجّ فمرض فأقام بها ورفض الملك إلى أن (مات) سنة ٧٢٧ سبع وعشرين وسبعمائة. وكان فاضلاً متقناً للعربية، حسن النظم، ويعاب بالشحّ. وأنكر عليه أهل بيته إسقاط ذكر المهدي من الخطبة، وكان جدّه أبو حَفْص من كبار أصحاب ابن تومرت^(٣)، وولي السلطنة بعده أبو ضَرْبَة، فنازله أبو بَكْر المتقدم.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤٥/٣؛ الدرر الكامنة: ١١٣/٢، البداية والنهاية: ١٣٥/١٤.

(٢) في الأعلام: ولد سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م.

(٣) هو أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي، البربري، المتلقب بالمهدي، ويقال له: مهدي الموحدين: صاحب دعوة عبدالمؤمن بن علي ملك المغرب، وواضع أسس الدولة المؤمنية الكومية. توفي سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م. (الأعلام: ٢٢٨/٦).

١٧٥

(زَكَرِيَّا بن مُحَمَّد بن أحمد)

ابن زَكَرِيَّا الأنصاري القاهري الأزهري القاضي الشافعي^(١)

ولد سنة ٨٢٦^(٢) ستّ وعشرين وثمانمائة فحفظ القرآن، وعمدة الأحكام، وبعض مختصر التبريزي في الفقه، ثم تحوّل إلى القاهرة في سنة (٨٤١) فقطن الأزهر، وأكمل حفظ المختصر المذكور، وحفظ المنهاج الفرعي، وألفية النحو، والشاطبيتين، وبعض المنهاج الأصلي، وبعض ألفية الحديث، ومن التسهيل إلى كاد، وأتمه من بعد. ثم جدّ في الطلب، وأخذ عن جماعة منهم البلقيني، والقاياتي، والشرف السبكي، وابن حَجَر، والزين رضوان، وغيرهم. وقرأ في جميع الفنون، وأذن له شيوخه بالإفتاء والتدريس، وتصدّر وأفتى، وأقرأ وصنف التصانيف منها: (فتح الوهاب شرح الآداب) و(غاية الوصول في شرح الفصول) و(شرح الروض مختصر الروضة) لابن المقري. وله حاشية على (شرح البهجة) للولي العراقي، وشرح (لشذور الذهب). وله شروح ومختصرات في كل فنّ من الفنون، انتفع الناس بها وتنافسوا فيها. ودرّس في أمكنة متعددة وزاد في الترقّي وحسن الطلاقة والتّلقّي مع كثرة حاسديه. وارتفعت درجته عند السلطان قايتباي وكثر توسّل الناس به إليه. وكان السلطان يلهج بتوليته القضاء مع علمه بعدم قبوله له في سلطنة خشقدم. ثم ولّاه القضاء قايتباي وصمّم عليه فأذعن بعد مجيء أكابر الدولة إليه، فباشره بعفة ونزاهة. ثم عُزل سنة (٩٠٦) ثم عُرض عليه بعد ذلك فأعرض عنه لِكُفِّ بصره. وانجمع في محله، واشتهرت مصنفاته، وكثرت تلامذته وألحق بالأجداد، وعمّر حتى جاوز المائة أو قاربها، و(مات) في يوم الجمعة رابع ذي الحِجّة سنة (٩٢٦)، وحزن الناس عليه كثيراً لمزيد محاسنه. ورثاه جماعة من تلامذته، فمن ذلك قول عبد اللطيف: [من الطويل]

قَضَى زَكَرِيَّا نَحْبَهُ فَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ عُيُونُ النَّيْلِ يَوْمَ حِمَامِهِ^(٣)
لِيَعْلَمَ أَنَّ الدَّهْرَ رَاحَ إِمَامُهُ وَمَا الدَّهْرُ يَبْقَى بَعْدَ فَقْدِ إِمَامِهِ

(١) ترجمته في: الكواكب السائرة: ١/١٩٦؛ شذرات الذهب: ٨/١٣٤؛ كشف الظنون: ٤٧، ٩٢، ١٠٢١، ١٥٧١، ١٨٨٠، إيضاح المكنون: ١/١٠١، ٢/١٤٤؛ معجم المؤلفين: ٤/١٨٢؛ الأعلام: ٣/٤٦.

(٢) في النور السافر: توفي سنة ٩٢٥هـ، وفي نظم العقيان: سنة ٨٢٤هـ تقريباً، وفي الكواكب السائرة: سنة ٨٢٣هـ.

(٣) الحِمَامُ: الموت.

سَقَى اللَّهَ قَبْرًا ضَمَّهُ عَوْتُ صَيِّبٍ عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ صُبْحَ غَمَامِهِ^(١)

(١٧٦)

(السيد زَيْدُ بن مُحَمَّد بن الحَسَن ابن الإمام القاسِم بن مُحَمَّد)^(٢)

المُحَقِّق الكبير، شيخ مشايخ صنعاء في عصره في العلوم الآلية بأسرها. أخذها عنه جماعة من أكابرهم كالسيد هاشم بن يحيى الشامي، والسيد مُحَمَّد الأمير، والسيد أحمد بن عبد الرَّحْمَن الشامي وغيرهم. ولد في سنة ١٠٧٥ خمس وسبعين وألف، وأخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء كالقاضي العلامة علي بن يحيى البرطي، والقاضي العلامة الحُسَيْن بن مُحَمَّد المغربي، والسيد العلامة الحَسَن بن الحُسَيْن بن القاسِم. وكان صدرًا مبجلًا معظمًا مفخمًا، له صورة كبيرة وصولة شهيرة، يهابه ولاية صنعاء، ويخافون من أن يُنهي أمرهم إلى الإمام المهدي مُحَمَّد بن أحمد صاحب المواهب. وكان كثير الإجلال له إلى غاية، ويطلبه إلى حضرته مرَّاتٍ، ويعطيه العطاء الواسع. وكان يُؤَهِّل للإمامة ويُرجى لها. وقد برع في جميع المعارف لا سيما علم المعاني والبيان فإنه فُتِّه الذي لا يدانيه فيه مدان، ولا يختلف في تفرده بهذا الشأن اثنان. وشرحه المجاز لمختصر الشيخ لُطْف اللَّه الغياث الذي سماه (الإيجاز) في المعاني والبيان يشهد بفضل له في هذا العلم، فإنه شَرَحَ يشرح صدر طالب فن المعاني والبيان، لأن الشيخ لُطْف اللَّه ألف هذا المختصر معتصرًا له من تلخيص المفتاح، لكنه ترك من عباراته ما وقعت فيه مناقشة لأحد من الشراح أو أهل الحواشي، وزاد ما لا بد من زيادته. ثم أتى صاحب الترجمة فاعتصر المطول وحواشيه، والمختصر وحواشيه في شرحه، وترك ما فيهما من المباحث التي وقع الاعتراض عليها من أهل الحواشي، ورسم ما هو الصواب، وأنا أظن أن الشيخ لُطْف اللَّه إنما جمع هذا المتن مع قراءة الطلبة عليه للتليخيص وشروحه وحواشيه. وكذلك صاحب الترجمة إنما جمع الشرح مع قراءته كذلك. وكان كثير الأخذ من حاشية الشيخ لُطْف اللَّه على شرح التليخيص. وقد قُوبِل هذا الشرح بالقبول من أعيان العلماء ونقادهم، وإن لم يشتهر بين الطلبة. وما أحقَّ من رام حفظ التليخيص أن يستغني عنه بحفظ مختصر الشيخ لُطْف اللَّه. ومن رام القراءة في «المطول» و«المختصر» وحواشيهما أن يقتصر على القراءة في شرح صاحب الترجمة فإنه يستغني بذلك عن مهمات ما في غيره. وإن كان

(١) الصَّيْبُ: السحاب ذو الصَّوْب، أي المطر؛ قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩].

(٢) ترجمته في: هدية العارفين: ٣٧٧/١؛ إيضاح المكنون: ٢٩٢/١، ٢٢٦/٢؛ معجم المؤلفين: ١٩١/٤؛ نبلاء اليمن: ٦٨٩/١؛ الأعلام: ٦١/٣.

الطالب الراغب لا يقنع إلا بالتبحر في كل المعارف، فإنه لا ريب أن في المطول والمختصر وحواشيهما من الفوائد والقواعد ما لا يستغني عنه طالب علم المعاني والبيان. وقد كان شيخنا السيد العلامة عبد القادر بن أحمد كثير الثناء على شرح صاحب الترجمة، وكان يرشد طلبة هذا الفن إليه. وأقرأ ولده إبراهيم المتقدم ذكره فيه واستغنى بذلك عن غيره من كتب المعاني والبيان. وكنت أهم في أيام الطلب بجمع حاشية على ذلك الشرح، وأنا إلى الآن غير منقطع الرجاء إن شاء الله. وكان لصاحب الترجمة اعتقاد في الصوفية، وجرت بينه وبين السيد صلاح بن الحسين الأخفش في ذلك منافرة بسبب رجل كان يملي الأذكار في جامع صنعاء جهرًا يقال له «القبتين»، فأنكر عليه السيد صلاح، فألف صاحب الترجمة رسالة سماها (تشديد أركان القبتين) ذكر فيها مباحث أصولية وأحاديث. ورأيت له رسالة أخرى في تبين الفرقة الناجية، وأحسن القول فيها ورجح أنهم من كان على النمط الذي كان عليه الصحابة. وله جواب على (النبراس) الذي اعترض به الكردي على (الأساس)، ولكنه مات قبل تمامه. وكان قد سمّاه (الرد بالقسطاس). و(مات) رحمه الله في سنة ١١٢٣ ثلاث وعشرين ومائة وألف، ورثاه السيد العلامة عبد الله بن علي الوزير بأبيات مشتملة على تاريخ وفاته وهي هذه: [من الرمل]

هاهنا علامة الدنيا فزُرْ قَبْرُهُ تَحْظَى بِأَنْوَارٍ وَتَسْعَدُ
هُوَ سَعْدُ الدِّينِ فِي تَحْقِيقِهِ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ فِي التَّحْقِيقِ أَسْعَدُ
لَقِيَ اللَّهَ فَأَرَخَ (جَالٌ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ)
سنة ١١٢٣.

وقبر بقبته المتصلة بمدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء، وله شعر حسن فمته: [من مجزوء الرمل]

جَمَعَ الْحُسْنَ فَأُضْحَى سَاكِنًا بَيْنَ ضُلُوعِي
بِأَبِي جَامِعٍ حُسْنٍ وَقَفَّهَ جَارِي دُمُوعِي
وله قصيدة عارض بها قصيدة ابن زريق^(١) التي أولها: [من البسيط]
لَا تَعْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُوْلَعُهُ قَدْ قَلَّتْ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ^(٢)

(١) هو أبو علي، الحسن بن زريق الكوفي: شاعر، كاتب، عاش في الكرخ (الجانب الغربي من بغداد)، ويبدو أن حاله في بغداد رقت، فرحل إلى الأندلس متكسباً بشعره، فأخفق. ويقال: إنه توفي هناك كمدأ، سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٩٠/٣).
(٢) العذل: اللوم. يولعه: يزيده كلفاً وتعلّقاً.

ومطلع قصيدة صاحب الترجمة: [من البسيط]

بانوا فسالَتْ على خَدْيِهِ أذْمَعُهُ مُورِقُ الْجَفْنِ مُغَرِّى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ^(١)
وَوَلَدُ صاحب الترجمة هو (العلامة مُحَمَّد بن زَيْد) من أعيان العلماء، لا سيما في علم المعاني والبيان، فإنه من المبرزين فيه. وكان مقبول الكلمة عند الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، وله به اتصال. ومن دُرِّيَّة صاحب الترجمة في عصرنا هذا:

(١٧٧)

(السيد العلامة مُحَمَّد بن يَحْيَى بن أحمد بن زَيْد بن مُحَمَّد)

وهو من أعيان السادة آل الإمام، وله معرفة تامة بفنون من العلم. وقد رافقته في قراءة كتاب الله عز وجل في المكتب، وترافقنا في قراءة الفقه وبعض الآلات في أيام الصغر. ولعل مولده سنة (١١٧٠) أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل، وبينه وبينه مودة أكيدة ومحبة صادقة. وله عرفان بعلم الطب. وقد انتفع به الناس فيه، لا سيما في هذه الأيام بعد موت السيد يَحْيَى بن مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم، فإن الناس عولوا عليه، وانتفعوا به. وهو الآن مُستمرٌّ على حاله الجميل، من أكابر آل الإمام رياسة ورفعة وشهرة.

(١٧٨)

(السيد زَيْد بن يَحْيَى)

ابن الحسين بن المؤيد ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد^(٢)

الصنعاني. ولد يوم الخميس لخمس ليال بقين من ذي الحجة سنة ١٠٧٧ سبيع وسبعين وألف، وقرأ على السيد الحسن بن الحسين بن القاسم المتقدم ذكره، وعلى القاضي حسين بن عبد الله المسعودي. وبرع في العلوم الأدبية، وقال الشعر الحسن، فمنه القصيدة التي مطلعها: [من الخفيف]

قُمْ فَقَدْ أَلَمْتُ صَبَا الْإِبْكَارِ وَاكْتَسَى الْأَفْقُ حُلَّةَ الْأَنْوَارِ^(٣)
وَاحْتَلَى جِيدَهُ قِلَادَةُ تَبْرِ مِنْ سَنَا الشَّمْسِ بَعْدَ ذُرِّ الدَّرَارِ^(٤)

(١) بانوا: رحلوا وابتعدوا.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٩١/٤؛ نشر العرف: ٧٠٠/١.

(٣) الصَّبَا: ريح ناعمة تهب من الشرق. الإِبْكَار: أول النهار إلى طلوع الشمس؛ قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمران: ٤١].

(٤) احتلى: تحلى؛ لبس حلية. التَّبْر: الذهب، أو فُتاته قبل أن يصابغ. الدَّراري: النجوم.

دَبَّ جَمْرُ الصَّبَاحِ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ لِي وَطَارَتْ نُجُومُهُ كَالشَّرَارِ^(١)
وهي قصيدة طنانة روضية. وقد ترجم له صاحب (نسمة السحر)، وهو أخوه
ترجمةً فائقةً طويلةً، وذكر من شعره ما يدلُّ على أنه في أعلى رتبِ البلاغة. وأرخ
موته يوم عيد النحر سنة ١١٠٤ أربع ومائة وألف.

١٧٩

(الشريفة زَيْنَبُ بنت مُحَمَّد)

ابن أحمد ابن الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي^(٢)

الأديبة الشاعرة المجيدة، من شعرها القصيدة التي كتبتها إلى زوجها السيد علي
ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ومطلعها: [من الوافر]

أَصْخَ لِي أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ عَلَيَّكَ صَلَاةُ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ^(٣)
ومن شعرها المقطوع الذي فضلت فيه «شهادة» على «صنعاء» وهو: [من البسيط]
وَقَائِلٍ لِي (أزال) لَيْسَ تُشَبِّهُهَا (شهادة) قُلْتُ قَفْ لِي وَاسْتَمِعْ مَثَلِي^(٤)
أَلَيْسَ صَنْعَاءُ تَحْتَ الظَّهْرِ مَعَ ضَلَعٍ أَمَا شَهَادَةُ فَوْقَ النَّحْرِ وَالْمُقَلِّ
والنحر والمقل موضعان بشهادة، كما أنَّ وادي ظهر وضلع موضعان قريب
صنعاء. ولها أشعار كثيرة. وقد فارقتها علي بن المتوكل، ثم تزوجها غيره. وكانت
تعرف النحو والأصول والمنطق والنجوم والرمل والسيما. و(ماتت) في شهر محرم
سنة ١١١٤ أربع عشرة ومائة وألف بشهادة.

١٨٠

(زَيْنُ العابدِين بن حُسَيْن الحَكَمي أحد العلماء المشهورين)

المعاصرين من أهل القطر التهامي، كثيراً ما يكتب إليّ من هنالك بمذاكرات.

(١) دَبَّ: مشى رويداً.

(٢) ترجمتها في: الأعلام: ٦٧/٣؛ نبلاء اليمن: ٧٠٩/١.

(٣) أَصْخَ: اسْتَمِعَ. الْهُمَامُ: السيد الشجاع السخي من الرجال.

(٤) أزال: اسم مدينة صنعاء؛ وأزال: هو والد صنعاء بن أزال بن يقطن بن عامر بن شالخب بن
أرفخشذ، وكان أول من بناها؛ ثم سُمِّيَتْ باسم ابنه لأنه ملكها بعده، فغلب اسمه عليها؛ والله
أعلم. (معجم البلدان: ١/١٦٧). شهادة: من حصون صنعاء باليمن. (معجم البلدان: ٣/٣٧٤).

وله نثر مُتوسّط، فمنه ما كتبه إلَيَّ عند أن وليت القضاء ولفظه: الحمد لله الذي ألهم مولانا الإمام الأعظم، والطود الباذخ الأشم^(١)، أمير المؤمنين وسيد المسلمين، المؤيّد بالنصر والتمكين، والظفر والفتح المبين، المنصور بالله رب العالمين، بإقامة من انتعشت به الشريعة المحمدية من مرضها، وقامت به قناتها مفصحة عن مُرادها، خالصة من مَضْضِها. واختصاصه من بين الأنجم الزاهرة من علماء العِثْرَةِ^(٢) الأعلام بالفضل بين الأنام، والتصدر للإصدار والإيراد عن الخاص والعام. وإعطاء القوس باريه، وتقليد هذا الأمر خِرَّتِه^(٣) الماهر بفجاجة ومراميه. عين أعيان سكان صنعاء، ومن حسنت به الأيام جمعاء، القاضي الثبت العلامة، الحلالح العُمدة النّحرير^(٤) الفهامة الغيث المدرار، المقتطف من بستان عوّارِفه نوافح الأزهار ويانع الأثمار، المقتبس من ثاقب فهمه أنوار الشموس والأقمار، الكافل بغاية السؤل والتحقيق، ومن هو بكل ثناء خَلِيق^(٥). الذي إذا اجتمعت الفضائل فهو منتهى الجموع، وبغية المستفيد بالعلم النافع الذي ليس بمقطوع ولا ممنوع. من ليس له في تحقيق العلوم ثانٍ (مُحمّد بن عليّ بن مُحمّد الشّوكاني) حفظه الله وأمدّه بالتوفيق في جميع الأمور. وأصلح بتسديد آرائه الثاقبة ومقاصده الحسنة أحوال الجمهور. ولا زال مرفوع الجنب إلى الغاية. مَنْصُوبَةٌ رايات مَجْدِه بداية ونهاية. مسند إليه صحيح أحاديث كل فضيلة على الحقيقة لا المجاز. محكوم له بصدق المقدمتين بأنه كعبة أولي التحقيق التي ليس بينها وبين طالب الإفادة حجاز. فلو مثلت كتب النحاة بنعته لما جاز أن يجري على نعته النقص. والله المسؤول أن يعينه ويعافيه. وعليه من السلام ما يحفل به، ومن الإكرام ما يراوحه ويغاديه: [من الطويل]

تحية صَبَّ ما الفرات وِماؤه بأعذب منها وهو أزرق سَلَسَالُ^(٦)
تخصّ خدين الفضل بدرّ أوانه سليل عليّ من به حسن الحال^(٧)
أخا العلم والتّحقيق في كلّ مبحث فما غيرُهُ يُرجى إذا عنّ إشكال

(١) الطّود: الجبل العظيم الذاهب صُعداً في الفضاء، ويُشَبّه به كلّ مرتفع أو عظيم أو راسخ؛ وفي التنزيل العزيز: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطّودِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. الباذخ، والأشم: المرتفع.

(٢) العِثْرَةُ: نَسْلُ الرجل، ورهطه، وعشيرته.

(٣) الخِرَّت: الماهر، الحاذق، الخبير.

(٤) النّحرير: العالم الخبير.

(٥) خَلِيقٌ: جدير.

(٦) الصَّبُّ: العاشق الذي أضناه الشّوق والحُب. السَّلَسَالُ: الماء العذب الصافي السَّليْسُ السَّهْلُ.

(٧) الخَدَيْنُ: الصديق.

هُوَ الْحَاكِمُ الْفَيْصُولُ وَالْعَالَمُ الَّذِي لَهُ فِي عُلُومِ الشَّرْعِ وَرَدٌ وَمِنْهَا^(١)
ثم أطال النفس وختم النثر بقصيدة من شعره أولها: [من الكامل]

سِرِّيَا بَرِيدُهَا بِغَيْرِ تَمْنُعٍ وَارَوْ الْحَدِيثَ عَنِ اللَّوَى وَالْأَجْرِعِ^(٢)
وَاحْفَظْ حَدِيثَهُمُ الصَّحِيحَ وَلَا تَزَلْ تَرْوِيهِ عَنْهُمْ عَالِيَا فِي الْمَجْمَعِ
فَالْعِلْمُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ أَتْبَاعِ أَشْرَفِ شَافِعٍ وَمُشَقِّعِ
لَا زَالَ طَائِفَةٌ هِدَاةً مِنْهُمْ يَرْوُونَهُ مِنْ أَرْوَعَ عَنْ أَرْوَعَ^(٣)
لَا سِيَّمَا بَحْرُ الْعُلُومِ وَحَايِزُ الْمَدَى نَطُوقِ وَالْمَفْهُومِ شَمْسُ الْمَطْلَعِ
حَاوِي الْأَصُولَ مَعَ الْفُرُوعِ وَنَاثِرُ أَزْهَارِهَا مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ أَنْفَعِ
سَمِعَ الْحَدِيثَ رَوَايَةً وَدَرَايَةً عَنْ كُلِّ شَيْخٍ عَالِمٍ مُتَضَّلِعِ^(٤)
أَعْنِي بِهِ عَزَّ الْأَنَامُ مُحَمَّدًا نَجَلَ الْجَمَالَ الْحَاكِمَ الْمُتَوَرِّعِ
عِلْمَ السَّرَاةِ الْغَرِّ فِي عِلْمٍ وَفِي كَرَمٍ وَحُسْنِ شَمَائِلٍ لَمْ تَجْمَعِ^(٥)
مَنْ خُصَّ مِنْ كَنْزِ الْأَنَامِ بِمَنْصَبِ بِشَرِيفٍ تَرْجِيحٍ مَنِيفٍ أَرْجَعِ^(٦)
مُحِي عُلُومِ الطَّاهِرِينَ وَسُنَّةِ الْمَخْتَارِ مِنْ فَضْلِ الْحَكِيمِ الْمُبْدَعِ

وهي قصيدة طويلة، ولكنها من جنس شعر العلماء لا من شعر الأدباء. وهو الآن حي يفيد في وطنه، وأخباره تبلغنا جملة لا تفصيلاً.

(١) الْفَيْصُولُ: الْفَيْصَلُ: الْحَاكِمُ أَوْ الْقَاضِي، أَوْ الْمَاضِي الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. الْمِنْهَالُ: الْكَثِيرُ الْإِنْهَالِ، مَنْ أَنْهَلَ الْعَطْشَانَ: سَقَاهُ حَتَّى رَوَى، وَالْمِنْهَالُ أَيْضاً: الرَّجُلُ يَبْلُغُ الْغَايَةَ فِي السَّخَاءِ.

(٢) اللَّوَى: مَنْقُطَعُ الرَّمْلِ، أَوْ مَا التَوَى مِنْهُ. الْأَجْرِعُ: الْأَرْضُ ذَاتُ الْحَزُونَةِ تُشَاكِلُ الرَّمْلَ.

(٣) الْأَرْوَعُ: الذَّكِيُّ الْفَوَادِ.

(٤) مُتَضَّلِعٌ: مُتَّبِعٌ بِالْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، مَنْ تَضَّلَعَ الرَّجُلُ: امْتَلَأَ شَيْعاً وَرِبّاً؛ وَمِنْهُ: اضْطَلَعَ لِلْأَمْرِ، وَعَلَيْهِ: قَوِيَ عَلَيْهِ، وَنَهَضَ بِهِ.

(٥) السَّرَاةُ الْغَرَّ: الْأَشْرَافُ الْمَشْهُورُونَ.

(٦) الْمُنِيفُ: الْعَالِي الْمُشْرِفُ عَلَى غَيْرِهِ.

حرف السين المهملة

١٨١

(أبو السَّعود أفندي الإمام الكبير عالم الروم)^(١)

برع في جميع الفنون، وفاق الأقران. ومولده سنة تسعمائة^(٢) وأخذ عن أكابر علمائها ودرس بمدارسها وصار قاضياً بمدينة بروسا، ثم صار قاضياً للعسكر، ثم صار مفتياً بقسطنطينية. وعين له السلطان كل يوم مائتين وخمسين درهماً. وله تصانيف منها التفسير المشهور عند الناس بأبي السَّعود في مجلدين ضخمين سمّاه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، وهو من أجل التفاسير وأحسنها وأكثرها تحقيقاً وتدقيقاً، وأهداه للسلطان سليمان خان، فأنعم عليه بنعم عظيمة، وزاد في معلومه اليومي زيادةً واسعة. وكان قد تناهت عظمته في الممالك الرومية، وصار المرجع في جميع ما يتعلق بالعلم. (ومات) في سنة ٩٨٢ اثنتين وثمانين وتسعمائة.

١٨٢

(سُعود بن عبد العزيز بن مُحَمَّد بن سُعود)^(٣)

ولد تقريباً سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف أو قبلها بقليل^(٤) أو بعدها بقليل في وطنه، ووطن أهله القرية المعروفة بالدرعية من البلاد النجدية. وكان قائد جيوش أبيه عبد العزيز. وكان جدّه مُحَمَّد شيخاً لقريته التي هو فيها فوصل إليه الشيخ العلامة مُحَمَّد بن عبد الوهاب الداعي إلى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه وقام بنصره وما زال يجاهد من يخالفه. وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية، وصار الإسلام فيها غريباً. ثم مات مُحَمَّد بن سُعود، وقد دخل في الدين

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٣٩٨/٨؛ الأعلام: ٥٩/٧؛ معجم المؤلفين: ٣٠١/١١؛ كشف الظنون: ٦٥، ٢٤٧، ١٩١٠.

(٢) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: سنة ٨٩٨هـ/ ١٤٩٣م.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٩٠/٣.

(٤) في الأعلام: سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م.

بعض البلاد النجدية. وقام ولده عبد العزيز مقامه فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد العارضية والحسا والقطيف، وجاوزها إلى فتح كثير من البلاد الحجازية، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب. وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود. ثم قام بعده ولده سعود فتكاثر جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش وقد تقدمت ترجمته، وأمدّوه بالجنود، ففتح البلاد التهامية كاللحية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد. وما زال الوافدون من سعود يفتدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة. ويكتب إليّ أيضاً مع ما يصل من الكتب إلى الإماميين. ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار وما يتصل بها. ثم خرج باشا مصر إلى مكة بعد إرساله بجنود افتتحوا مكة والمدينة والطائف وغلبوا عليها وهو الآن في مكة، والحرب بينه وبين سعود مستمر. و(مات) سعود في هذه السنة ١٢٢٩ تسع وعشرين ومائتين وألف. وقام بالأمر ولده عبد الله بن سعود. وقد أفردت هذه الحوادث العظيمة بمصنف مستقل، وسيأتي في ترجمة الشريف غالب شريف مكة إشارة إلى طرف من هذه الحوادث.

١٨٣

(سعيد بن عليّ القرواني الشبامي ثم الصنعاني)

الأديب الفائق في نظمه ونثره، المجيد في جميع ما يبيده من ذلك. كان من جملة ندماء الفقيه أحمد بن عليّ النهمي وزير الإمام المهدي العباس بن الحسين، وبسببه اتصل بالإمام وجعل بنظره صدقات القاصدين لحضرته، فسلك في ذلك مسلكاً مشكوراً. ونظمه كله غرر، ولكنه كان لا يعتني بجمعه، ومنه من قصيدة: [من الكامل]

فِي خَدِّهَا زَهْرُ الْمَحَاسِنِ يَانِعٌ وَبَشْعُهَا دُرٌّ جَرَى جَرِيالاً^(١)
وَالْخَضِرُ مِنْهَا كَالنَّسِيمِ رَشَاقَةٌ مُتَحَمِّلٌ مِنْ رَدْفِهَا أَثْقَالاً^(٢)
ومنها في المديح:

مِنْ فَتِيَةٍ غَرَسُوا الْجَمِيلَ أَجْنَةً وَجَنَوْا ثِمَارَ الْمَكْرُمَاتِ رَجَالاً^(٣)

(١) يانع: ناضج، واليانع: الأحمر من كل شيء. الجريال: صبغ أحمر، ولعله أراد الخمر.

(٢) الرشاقة: الحسن واللفظ، يقال: رشق رشاقة: حسن ولطف. الردف: العجز أو الكفل.

(٣) الأجنة: جمع الجنين، وهو الطفل قبل أن يولد.

وَجَدُّوْا إِلَى إِسْرَاعِهِنَّ مَجَالَا الْمُسْرِعِينَ إِلَى الْمَكَارِمِ كُلَّمَا
أَعْلَى الْفَخَارَ وَأَرْخَصَ الْأَجَالَا وَأَبُوكَ مِنْ حَازِ الْعُلَى طِفْلاً وَمَنْ
عَمَّتْ يَدَاهُ الْعَالَمِينَ نَوَالَا^(١) النَّاسُكَ الْأَوَاهُ وَالْمَلِكُ الَّذِي
وَالنَّارِ ذُهْنًا وَالْهَلَالِ مَنَالَا^(٢) كَالْبَحْرِ صَدْرًا وَالْجِبَالِ رَجَاحَةً
وتوفي سنة ١٢٠٤ أربع ومائتين وألف. وولده عبد الله له شعر فائق مع لطافة
وظرافة وحسن محاضرة وعفاف وقنوع بالكفاف وهو الآن حي.

١٨٤

(سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدٍ)

ابن أَبِي بَكْرٍ الْمَقْدِسِيِّ الْحَنْفِيِّ نَزِيلِ الْقَاهِرَةِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الدِّيَرِيِّ^(٣)

نسبة إلى مكان يقال له الدير أو إلى دير في بيت المقدس. ولد في يوم الثلاثاء
تاسع عشر رجب سنة ٨٦٨ ثمان وستين وثمانمائة وحفظ في صغره القرآن ومختصر
ابن الحاجب الأصلي والمشارك لعياض. وكان سريع الحفظ مفرط الذكاء، وأكْبَرُ
على الاشتغال، وتفقه بأبيه، وبالكمال السريحي، وابن النقيب، والشمس بن
الخطيب، والمحجب الفاسي، وجماعة كثيرة، في فنون عدة. وبرع في الفقه حتى صار
المرجوع إليه فيه، وشارك في سائر الفنون، وتولى قضاء الحنفية، وصار معظماً عند
الملوك والوزراء والأمراء. وقد عُرض القضاء على ابن الهمام والأمين الأقصراني
فامتنعا، وقالوا لا يقدران على ذلك مع وجوده. وقد انتفع به الناس وكثرت تلامذته،
وتبجح الأكابر بالفعود بين يديه. وأخذ عنه أهل كل مذهب، وقُصِدَ بالفتاوى من سائر
الآفاق. وله تصانيف منها (شرح عقائد النسفي) و(الكواكب النيرات في وصول ثواب
الطاعة إلى الأموات) و(السهم المارقة في كبد الزنادقة) وفتوى في الحبس في التهمة
في جزء، ورسالة في نوم الملائكة هل هو كائن أم لا؛ وهل منع الشعر مخصوص
بنبيينا ﷺ أم هو عام لكل الأنبياء. وشرع في تكملة شرح الهداية للسروجي، فكتب
منه مجلدات. وله نظم فمنه قصيدة مطلعها: [من الكامل]

مَا بَالُ سِرِّكَ بِالْهَوَى قَدْ لَاحَا وَخَفِي أَمْرِكَ صَارَ مِنْكَ بَوَاحَا

ولم يزل على جلالاته إلى أن (مات) في تاسع ربيع الآخر سنة ٨٦٧ سبع وستين
وثمانمائة، وأكرمه الله قبل موته بشهر بانفصاله عن القضاء.

(١) الأَوَاهُ: الكثير الدعاء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]. النوال: العطاء.

(٢) الرجاحة: الرسوخ والثقل. (٣) ترجمته في: كشف الظنون: ١٠١٠، ١٥٢٢.

١٨٥

(سُلَيْمَانُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ)
ابن عُمَرَ بْنِ نَفِيسٍ الدِّينِ الْعَكِّيِّ الْعَدْنَانِيِّ الزَّيْدِيِّ التَّعَزِّيِّ الْحَنْفِيِّ

ويُعرف بنفيس الدين العلوي نسبة إلى عليّ بن راشد شيخه. ولد في ظهر يوم الثلاثاء سادس عشر رجب سنة ٧٤٥ خمس وأربعين وسبعمائة، وأخذ عن والده، والشمّاخي، وعليّ بن راشد، والمجد صاحب القاموس، وغيرهم. وأجاز له البلقيني، وابن الملقن، والعراقي، والهيتمي، والمناوي، وبرع في الحديث وصار شيخ المحدثين ببلاد اليمن وحافظهم. وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة، وارتحلوا إليه من الآفاق. وتلمذ له ما لا يحيط به الحصر. حدّث عن نفسه أنه قرأ البخاري أكثر من خمسين مرة. ووصفه شيخه صاحب القاموس فقال: إمام السّنة. وأما ابن حَجَر فقال في أنبائه أنه مع محبته للحديث وإكبابه على الرواية غير ماهر فيه. انتهى. وقد درّس بعدة مدارس حتى (مات) في سابع عشر جمادى الأولى سنة ٨٢٥ خمس وعشرين وثمانمائة.

١٨٦

(سَلِيمُ بْنُ بَايَزِيدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُرَادٍ)
ابن مُحَمَّدَ بْنِ بَايَزِيدَ بْنِ مُرَادٍ بْنِ أَوْرَخَانَ بْنِ عُثْمَانَ الْغَازِي

سلطان الروم وابن سلاطينها. ولد سنة ٨٧٢ اثنتين وسبعين وثمانمائة، واستولى على جميع ما كان تحت يد أبيه، واستفتح مصر والشام وانتزعهما من يد سلطان الجراكسة إذ ذاك وهو قانصوه الغوري، وقتله، وغزا إلى بلاد العجم، وحارب شاه إسماعيل الآتي ذكره وغلبه، وقتل رجاله. وكان صاحب الترجمة سلطاناً عظيماً شديد البطش عظيم الصولة سقاًكاً للدماء، طائش السيف. وكان قد أخبر والده بعض الكهان أنه يكون ذهاب ملكه على يد ولد له سيولد، فأمر القِيّمة على نسائه أن تقتل كل مولود ذكر. فَوُلِدَ صاحب الترجمة فأرادت قتله فأدركتها الشفقة عليه فتركته، وأظهرت أنه أنثى اسمها سَلِيمة. فمضت على ذلك أيام. ثم إن السلطان أراد أن يجمع بناته فجمعهن وفيهن صاحب الترجمة فوضع لهن حلوى، فما زال صاحب الترجمة يأخذ ما في أيدي أخواته، ويضربهن، والسلطان ينظر إلى ذلك. ثم مرّ زنبور فأخذه ومرسه بيده حتى مات، فقال السلطان هذا لا يكون إلّا ذكراً، فأصدقوه الخبر، فأدعن للقضاء. وكان زوال ملكه على يد صاحب الترجمة، فإنه قهره وأخذ الملك من يده، وسُمِّي عند أن تبين لوالده أنه ذكر سليماً. وله فتوحات عظيمة، و(مات) سنة ٩٢٦

ستّ وعشرين وتسعمائة. وجلسه على سرير السلطنة سنة (٩١٧). وتولّى بعده السلطنة ولده (سليمان بن سليم) ومولده سنة ٩٠٠ تسعمائة، وتسطن سنة (٩٢٩). وله الفتوحات العظيمة والجهادات المشهورة. وهو الذي أرسل الجنود إلى اليمن في أيام المطهر بن شرف الدين. و(مات) سنة ٩٧٤ أربع وسبعين وتسعمائة. وتولّى السلطنة بعده (سليم بن سليمان بن سليم) وكان مولده سنة ٩٢٩ تسع وعشرين وتسعمائة، وجلسه على التخت سنة (٩٧٤)، وموته سنة ٩٨٣ ثلاث وثمانين وتسعمائة. وقد ذكرت هؤلاء الثلاثة السلاطين هنا لكونهم جميعاً متفقين في حرف الاسم.

١٨٧

(سُلَيْمَانُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ)

ابن مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قُدَامَةَ الْقَاضِي تَقِيٍّ الدِّينِ^(١)

ولد في رجب سنة ٦٢٨ ثمان وعشرين وستمائة، وسمع من كريمة^(٢)، والحافظ الضياء، وقرأ في الفقه على جماعة. وتميز في الحديث، وجدّ واجتهد وشارك في سائر الفنون، وحدّث وهو شاب. ثم تكاثروا عليه بعد ذلك وحدّث بالكثير، وتخرّج به جماعة. وولي القضاء عشرين سنة، فاشتهر بالعدل وعدم المحاباة والتصميم على الحقّ. ولمّا وقعت محنة ابن تيمية، وألزم الحنابلة بالرجوع عن معتقدهم تلطف صاحب الترجمة، وما زال كذلك حتى سكنت الفتنة. ولم يزل على حاله الجميل حتى توفّي في ذي القعدة سنة (٧١٥) خمس عشرة وسبعمائة.

١٨٨

(السيد سُلَيْمَانُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ الْأَهْدَلِ الزَّيْدِيِّ الشَّافِعِيِّ^(٣))

أخذ عن جماعة من أعيان بلده منهم والده، ومُحَمَّدُ بْنُ عَلَاءِ الدِّينِ المَزْجَاجِي، وغيره. وبرع في العلوم العقلية والنقلية، وعكف على التدريس، فأخذ عنه الطلبة من أهل بلده وغيرهم، وصار محدّث الديار اليمنية غير مدافع، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وتفرّد بهذا الشأن، واجتمع لديه آخر أيامه منهم جماعة وافرة. وهو المفتي في

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١٤٦/٢؛ الأعلام: ١٢٤/٣؛ البداية والنهاية: ٧٧/١٤.

(٢) لعلها كريمة بنت عبد الوهاب بن علي، أم الفضل، القرشية، الزبيرية العالمة بالحديث والفقه، والمتوفاة سنة ٦٤١هـ/ ١٢٤٣م.

(٣) ترجمته في: نبلاء اليمن: ٧٤٢/١؛ الأعلام: ١٣٨/٣.

الجهات الزيدية، والمرجوع إليه في جميع المشكلات. ولما (مات) في يوم الجمعة خامس عشر شهر شوال سنة ١١٩٧ سيع وتسعين ومائة وألف قام مقامه ولده العلامة عبد الرحمن بن سليمان في وظيفة التدريس والإفتاء مع حداثة سنّه. وله شغلة كبيرة بالعلوم العقلية والنقلية، وميل إلى التعبد وأفعال الخير. وهو الآن حيّ، وفتاويه تصل إلينا، وهي فتاوى متقنة، ينقل في كل ما يرد عليه من السؤالات نصوص أئمة مذهبه من الشافعية. وقد كتب إليّ معاهدةً مشتملةً على نشر حسن يدلّ على تعلقه بالأدب. ووالد المترجم له السيد يحيى بن عمر هو مُسند الديار اليمينية، وله مجموع في الأسانيد نفيس، ومن بعده من المشتغلين بعلم الرواية عيالٌ عليه.

١٨٩

(سَلار التَّريِّ المنصُوري)

كان من مماليك الصّالح عليّ بن قلاون، فلما مات صار من خواصّ ابنه، ثم من خواص الأشراف. وناب في الملك عن الناصر، واستمر في ذلك فوق عشر سنين. وانتدب إلى الكرك لإحضار الناصر، فركن إليه، وسار معه، ولمّا عاد إلى السلطنة قدّمه على الكلّ، وغلب على الأمور، وصار الأمر بيده ويبد ببيرس المتقدم ذكره. وكان يقال إن إقطاعاته بلغت نحو أربعين طبلخانة. واشتهر بين العوام أن دخله في كل يوم مائة ألف درهم. ولما غلب على المملكة هو وبيرس، سار الناصر إلى الكرك مغاضباً، وعزل نفسه عن السلطنة فوقع الاتفاق على سلطنة سَلار، فامتنع وأصرّ، فتسلطن ببيرس، وبقي على حاله في النيابة. ثم بلغه أن حاشية ببيرس ألحت عليه في القبض على سَلار فتمارض. واتفق انحلال أمر ببيرس على الصفة التي تقدم ذكرها ورجوع الناصر إلى السلطنة، فسأله سَلار أن ينعم عليه بولاية الشوبك ففعل ذلك. ثم قبض الناصر على مماليكه، ثم أرسل له يطلبه، فأشاروا عليه بالفرار إلى الحجاز أو إلى التتر، فلم يفعل وقدم إلى الناصر، فقبض عليه في سلخ ربيع الأول سنة (٧١٥) ومنع منه الطعام حتى مات جوعاً. ووجد له ثلاثمائة ألف ألف دينار كما حكاه الجزري، واستبعد ذلك الذهبي، وقال: إن هذا المقدار يكون حمل خمسة آلاف بغل. وما سمع بذلك عن أحد من كبار السلاطين، ولا سيّما وهو خارج عن الجواهر والحلي والخيل والسلاح وغير ذلك. ومن عجب الدهر أنه دخل عليه في عام موته من غلاته ستمائة ألف أردب ومات جوعاً. وكان أعجوبة في الكرم فإنه أعطى واحداً ألف دينار وأربعة آلاف أردب، وأعطى لآخر أربعة آلاف أردب وألف رأس غنم. وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسية حتى كان لا يتحرك على ظهر فرسه إذا ركبه.

١٩٠

(سَيْفُ بن مُوسَى بن جَعْفَرِ الْبَحْرَانِيِّ الْمُسَكْتِيِّ)

وفد إلينا إلى صنعاء سنة (١٢٣٤) راجعاً من الحجّ، وله حرص على العلم، وشغف بالبحث عن المسائل. كان يصل إلَيَّ وقد كتب مسائل في قراطيس، ثم يسأل عنها فأجيبُ عليه، فيكتب الجوابات في تلك القراطيس. وهو أديب لبيب مُتَوَدِّد حسن الأخلاق فصيح اللسان، قرأ في بلاده في الآلات والفقه والحديث والتفسير والأصول والكلام وعلم الحكمة الإلهية، وذكر لنا أنه قد وُلِّي قضاء بعض البلاد الراجعة إلى مسكات، وهو مكان يقال له صحار بمهملات، وذكر لنا أنه لم يبق على مذهب الخارجية في بندر مسكات إلّا صاحب أمرها ومن يلوذ به، والباقون على مذهب الشافعية والحنفية. وفيها إمامية هو منهم، ولكن مع إنصافٍ وفهم. كتب إلَيَّ من شعره هذه الثلاثة الأبيات: [من الكامل]

يَا مَنْ أَتَى صَنْعَاءَ يَبْغِي مَفْخَرًا وَيَرُومُ مَجْدًا أَوْ غُلُوبَ الشَّانِ
فَلَيَاتِ نَادِي حَبْرَهَا وَعَمِيدَهَا قُطِبِ الْأَوَانِ مُحَمَّدَ الشُّوْكَانِي^(١)
حَبْرٌ تَدْفُقُ مِثْلَ بَحْرِ عِلْمِهِ هَذَا وَلَيْسَ لَهُ بِصَنْعَاءِ ثَانِ

وله أشعار كثيرة جيدة، وهذا المقطوع يدل على ما وراءه. وسافر من صنعاء في شهر شوال سنة (١٢٣٤).

(١) الْحَبْرُ: العالم الخبير. العميد: شريف القوم، الذي يُعتمد عليه في الأمور الشديدة.

حرف الشين المعجمة

(١٩١)

(شاه إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن إبراهيم
ابن علي بن موسى بن إسحاق الأردبيلي سلطان العجم)

لم أقف على تاريخ مولده ولا على تاريخ وفاته، ولكنه معارض لسلطان الروم السلطان سليم، وقد تقدم تاريخ موته. وكان سلف صاحب الترجمة مشايخ متصوفة يعتقدهم الملوك ويعظمهم الناس ويقفون عندهم في زواياهم. وقد كان تيمور يعتقد موسى بن إسحاق المذكور في نسب صاحب الترجمة، وكان شاه رخ الآتي ذكره يعتقد علي بن موسى المذكور. فلما جلس في الزاوية الجنيد المذكور كثرت أتباعه، فتوهم منه صاحب أذربيجان، فأخرجه هو وأتباعه، فخرجوا، فقتل سلطان شروان جنيداً ثم اجتمعوا بعد مدة على حيدر والد صاحب الترجمة، فألبس أصحابه التيجان الحمر فسماهم الناس قزل باش. فصار كأحد السلاطين، فقتل. ثم اجتمعوا بعد مدة على شاه إسماعيل صاحب الترجمة وكثرت أتباعه فغزا سلطان شروان فكان الغلب لصاحب الترجمة، وأسر جيشه سلطان شروان، فأمرهم أن يضعوه في قدر كبير ويأكلوه. ثم افتتح ممالك العجم جميعها. وكان يقتل من ظفر به، وما نهبه من الأموال قسمه بين أصحابه ولا يأخذ منه شيئاً. ومن جملة ما ملك تبريز وأذربيجان وبغداد وعراق العجم وعراق العرب وخراسان. وكاد أن يدعي الربوبية، وكان يسجد له عسكره، ويأتمرون بأمره. قال قطب الدين الحنفي في الأعلام أنه قتل زيادة على ألف ألف نفس، قال: بحيث لا يعهد في الجاهلية ولا في الإسلام ولا في الأمم السابقة من قبل من قتل النفوس ما قتله شاه إسماعيل. وقتل عدة من أعظم العلماء بحيث لم يبق من أهل العلم أحد في بلاد العجم، وأحرق جميع كتبهم ومصاحفهم. وكان شديد الرفض بخلاف آبائه. ومن جملة تعظيم أصحابه له أنه سقط مرة منديل من يده إلى البحر، وكان على جبل شاهق مشرف على ذلك البحر، فرمى نفسه خلف المنديل فوق ألف نفس تحطموا وتكسروا وغرقوا. وكانوا يعتقدون فيه الألوهية. ذكر ذلك القطب المذكور. ولم تنهزم له راية حتى حاربه السلطان سليم المتقدم ذكره، فهزمه ثم صالحه بعد ذلك.

١٩٢

(شاه رخ بن تيمورلنك)

صاحب هراة وسمرقند وبخارى وشيراز وما والاها من بلاد العجم وغيرها، بل ملك الشرق على الإطلاق. تولى الملك بعد ابن أخيه خليل بن أميران شاه بن تيمور المتقدم ذكره، وحُمدت سيرته. وكان يكتتب ملوك مصر ويكتبونه ويهاديهم ويهادونه. وكان ضخمًا وافر الحرمة نافذ الكلمة نحوًا من أبيه، مع عفة وعدل في الجملة، وميل إلى العلم وأهله. ووصلت منه كتب إلى سلطان مصر يستدعي «فتح الباري» ولم يكن قد فرغ منه مؤلفه، فجَهَّز له بعضه، وجَهَّز بقيته بعد ذلك. وكان متواضعًا محببًا إلى رعيته مكرمًا لأهل العلم قاضيًا لحوائجهم، لا يضع المال إلا في حقه، ضعيفًا في بدنه، يعتريه الفالج كثيرًا. يحب السماع بل يعرفه، ويضرب بالعود مع حظ من العبادة والأوراد، ومحافظة على الطهارة الكاملة. ويجلس مستقبل القبلة والمصحف بين يديه. واتفق أنه طلب من الأشرف برسباي المتقدم ذكره أن يأذن له في كسوة البيت لكونه نذر بذلك، فأبى الأشرف وخشّن له في الرد. وترددت الرسل بينهما مرارًا وبالحق في طلب ذلك، ولو تكون الكسوة التي يرسلها من داخل الكعبة، أو يرسلها إلى الأشرف وهو يرسل بها وفاء لنذره، وهو يمتنع محتجًا بأجوبة أجاب بها عليه جماعة من المفتيين. ثم إن المترجم له أرسل إلى برسباي جماعة زعم أنهم أشرف وعلى يدهم خلعة له فاشتد غضبه من ذلك، ثم جلس بالإسطنبول السلطاني واستدعاهم ثم أمر بالخلعة فمزقت وضربهم بحيث أشرف عليهم على الهلاك، ثم ألقوا منكسين في فسقية ماء بالإسطنبول، والخدم ممسكون بأرجلهم يغمسونهم بالماء حتى أشرفوا على الهلاك، والسلطان مع ذلك يسب مرسلهم جهارًا ويحط من قدره مع مزيد تغير لونه لشدة غضبه، ثم قال لهم وقد جيء بهم إلى بين يديه بعد ذلك: قولوا لشاه رخ: الكلام الكثير لا يصلح إلا من النساء، وكلام الرجال لا سيما الملوك إنما هو فعل، وها أنا قد أبدعت فيكم كسرًا لحرمة، فإن كان له مادة وقوة فليقدم. فلما بلغ ذلك إليه سكت عن مطلوبه مدة حياة الأشرف. ولما استقر الملك الظاهر بعد الأشرف أرسل إليه بهدايا وتحف وأظهر السرور بسلطنته وذكر أنها دقت لذلك البشائر بهراة وزينت أيامًا. فأكرم الظاهر قصاده وأنعم عليهم، ثم أرسل في سنة ٨٤٦ سِتَّ وأربعين وثمانمائة يستأذن في وفاء نذره، فأذن له حسمًا لمادة الشر ودفعًا للفتنة، فصعب ذلك على الأمراء والأعيان، فلم يلتفت السلطان إلى كلامهم، ووصل رسله بها في رمضان سنة (٨٤٨) في نحو مائة نفس منهم قاضي الملك، وهو مشهور بالعلم ببلادهم، وتلقاهم الأمراء والقضاة والمباشرون وأنزلوا وأكرموا، ثم صعدوا بالكسوة

وهدية، فأمر أن يأخذها ناظر الكسوة بالقاهرة وبيعها لتلبس من داخل البيت وانصرفوا. فلما وصلوا باب القلعة أخذهم الرجم من العامة والسب واللعن، وناهبواهم، وتآلم السلطان لذلك، وأمسك بعض المثيرين للفتنة وقطع أيدي جماعة منهم، وضرب جماعة، وبالغ في إكرامهم لجبر الخواطر. ومع ذلك تحرك صاحب الترجمة إلى البلاد الشامية، فلما وصل النواحي السلطانية (مات)، وذلك في سنة ٨٥١ إحدى وخمسين وثمانمائة. ويقال: إن الكسوة كانت لا تساوي ألف دينار.

١٩٣

(شاه شجاع بن مُحَمَّد بن مُظفَّر ملك شيراز وعراق العجم)

استقر في الملك بعد أن سجن أباه، وقرّر أخاه شاه مَحْمُود في بلاد أصفهان وقم وقاشان. وكان لصاحب الترجمة اشتغال بالعلم واشتهار بقوة الفهم ومحبة العلماء. وكان ينظم الشعر ويحب الأدباء ويجيز على المدائح، وقُصِدَ من سائر البلاد. ويقال: إنه كان يقرأ «الكشاف» وكتب منه نسخة بخطه الفائق. وكان يعرف الأصول والعربية، وله أشعار كثيرة بالفارسية. وطالت أيامه وكان حسن السيرة. ولما استولى تَيْمُور على بلاد العجم راسل ملوك عراق العجم وعراق العرب فبادر إلى مهادنته ومهاداته ليكفي شرّه، فلما حضره الموت أوصى بمملكته لولده زين العابدين. وأرسل إلى تَيْمُور يُوصيه عليه، فاستقر ولده مكانه. وكان صاحب الترجمة قد ابتلي بكثرة الأكل، فكان يأكل ولا يشبع حتى كان إذا توجه إلى جهة تسير البغال محملة بالقدور التي عليها الأطعمة، ولا يزال يأكل وهو يسير. ولم يكن يقدر على الصوم. وكان يكفر، وكان يبتهل إلى الله كثيراً أن لا يجمع بينه وبين تَيْمُور. فأجبت دعوته، (ومات) في سنة ٧٨٧ سبع وثمانين وسبعمائة قبل مجيء تَيْمُور إلى عراق العجم.

١٩٤

(السيد شرف الدين بن أحمد بن مُحَمَّد)

ابن الحُسَيْن بن عَبْدِ الْقَادِر بن النَّاصِر بن عبد الرب بن علي^(١)

ابن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين أمير كوكبان وبلادها. (ولد) في ربيع الآخر سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف، واستقر في الإمارة بعد عمّه عيسى بن مُحَمَّد بن الحُسَيْن، وهو الآن مُستمرّ على الإمارة، وفيه عدل ورفق برعيته، ولكنه

(١) ترجمته في: نيل الوطر: ١٠/٢؛ الأعلام: ١٦٠/٣.

يتعرض للكلام في المسائل العلمية إذا عرض ما يقتضي ذلك، فيأتي بما لا يناسب رفيع قدره. وقد كاتبني غير مرة، وذاكرني في مسائل، ونصحته، فأظهر القبول ولم يفعل. واتفق في سنة (١٢١٣) وهي السنة التي حرّرت فيها هذه التراجم أنه وصل منه كتاب يتضمن أنه قد صحّ لديه أن أول شهر شعبان يوم الاثنين، وأن أول رمضان يوم الأربعاء على كمال العدة، وأرسل به إلى خليفة العصر حفظه الله، فأرسل به الخليفة إليّ فأجبت أن ذلك ليس بسبب شرعي يجب الصوم عنده، لأن صاحب الترجمة لم يكن مفتياً حتى يكون قوله سبباً يجب له الصوم. ولم يذكر الشهود حتى ينظر في شأنهم ولا كتب الكتاب من بحضرته من العلماء حتى يجب علينا العمل بأقوالهم. فلما وصل ذلك إلى مولانا الإمام حفظه الله بنى عليه وترك الإشعار بدخول رمضان، ولم يُشعر بالصوم إلا ليلة الخميس. فلما بلغ ذلك صاحب الترجمة وقع عنده بموقع، وكتب إلى مولانا يعاتبه ويقول: إنها لم تُردّ شهادتهم على الشهر إلا هذه المرة، وإنه قد كثر التعنت في شأن الشهادات، فلم يلتفت مولانا لحفظه الله إلى ذلك. ومن الغرائب أنه انكشف رجوع بعض الشهود الذين استند إليهم. وقد اتفق بيني وبينه تنازع في رجل من رعيته طلبه إلى موقف الشرع رجل من أهل صنعاء فلم يحضر، فأرسلت له رسولاً ففرّ إلى كوكبان، فعاد الرسول بكتاب منه مضمونه أنها لم تجر العادة بالإرسال لرعيته. فأرسلت رسولين، وأمرتهما بالبقاء في بيت الرجل، فوصلا إلى بيته ففرّ إلى كوكبان، فبقيا في بيته، فعظم الأمر على صاحب الترجمة، وتوجّع من ذلك غاية التوجّع، ثم بعد ذلك توسّط بعض الناس على أن يحضر الرجل، ويسلم أجرة الرسولين، وكثيراً ما يجري بيني وبينه من هذا، وما كنت أودّ له التصميم في مثل هذه الأمور الشرعية، فإنه كثير المحاسن لولا هذه الخصلة التي كادت تغطي على محاسنه. وهو غير مدفوع عن بعض عرفانٍ وحفظٍ للأداب، ولكنه ليس ممن ينظر في المسائل، ويعارض في الدلائل. وهو محبوب عند رعيته، وذلك دليل عدله فيهم. ولم أعرفه لعدم معرفتي لمحلّه. ثم في صفر سنة (١٢٢٨) غزا مولانا الإمام المتوكل على الله بنفسه مع بعض جنده إلى بلاد كوكبان لأمرٍ اقتضى ذلك وكنت معه، واستولى على كوكبان وبلادها، وبقينا في حصن كوكبان نحو ثلاثة أشهر. وكنت قد نصحت الإمام بترك هذه الغزوة، وأنه لا سبب شرعي يقتضي ذلك، فصمّم ولم يقبل، ثم رجع صنعاء وأدخل معه صاحب الترجمة وجميع أعيان آل الإمام شرف الدين، ولم يبق إلا الأقل منهم في تلك الجهة. وجعل للبلاد الكوكبانية والياً، وجعل صورة الولاية لواحد من أهل كوكبان وهو (السيد حُسين بن عليّ بن مُحمّد بن عليّ)، ولم يكن له من الأمر شيء، إلا مُجرّد الصورة فقط. ثم استمرّ بقاء صاحب الترجمة وبعض الداخلين مع الإمام في صنعاء سنة كاملة وزيادة أيام يسيرة، وأذن الإمام لحفظه الله برجوعهم

بلادهم، وفوّض أمرها إلى صاحب الترجمة كما كانت قبل ذلك. وهو الآن مُستمرّ على ولايته. وعند الاجتماع به في كثير من الأوقات لا سيما بعد دخوله صنعاء في الحضرة الإمامية، وجدت فيه من الظرافة واللطافة وحسن المحاضرة وجميل المعاشرة وقوة الدين وكثرة العبادة ما يفوق الوصف. وما زلت أعول على مولانا الإمام حفظه الله بإرجاعه بلاده على ما كان عليه، وكثرت في ذلك حتى ألهمه الله إلى ذلك فلله الحمد. ثم في سنة (١٢٣٣) غزا البلاد الكوكبانية مولانا الإمام المهدي ابن الإمام المتوكل، ووقعت حروب طويلة بينه وبين سيدي شرف الدين صاحب كوكبان. ثم رجع الإمام بعد أن حاصر كوكبان ثمانية عشر يوماً وأمرني بالبقاء في شبام لتمام الصلح، فبقيت هنالك. ثم تمّ الصلح على يدي، ورجعت إلى صنعاء ومعني سيدي عبد الله بن شرف الدين، وسيدي أحمد بن عباس بن إبراهيم في أهبة لهما كبيرة، وجيش وخیل، وسكنت الفتنة بحمد الله.

(١٩٥)

(السيد شرف الدين بن إسماعيل بن مُحَمَّد)

ابن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن مُحَمَّد^(١)

ولد سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف، وهو أحد علماء العصر وفضلائه ونبلائه. له في كل علم نصيب وافر، ولا سيما علم الأصول، فهو المتفرد به غير مدافع. وقد صار الآن في نيف وسبعين سنة. وهو من العلماء العاملين والفضلاء المتورعين مع حسن أخلاق وتواضع وطيب محاضرة وكرم أنفاس. وقد خرج في آخر أيام الإمام المهدي العباس بن الحسين إلى بلاد أرحب مغاضباً لسبب اقتضى ذلك، وجرت حروب، ثم بقي هنالك إلى بعد موت الإمام المهدي، ودخل صنعاء في خلافة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله، واغتنم الفرصة، فرأى له الخليفة حفظه الله بذلك حقاً. وما زال معظماً له مكرماً لشأنه. وفي سنة (١٢١٣) تُوفي عمه العباس بن مُحَمَّد بن إسحاق وكان أمر آل إسحاق راجعاً إليه، فجعل مولانا الخليفة ذلك إلى صاحب الترجمة، فباشر ذلك مباشرة حسنة. وقد أخبرني أنه نقل من رسائلي التي يطلع عليها نحو ثلاث أو أربع، وذلك لشغفه بالعلم ومزيد رغبته فيه، وإلا فهو عافاه الله لا يحتاج إلى مثل ما يُحرّره مثلي، وهذا يُعدُّ من حسن أخلاقه وتواضعه ومحبته للفوائد العلمية. وله رسائل رصينة وإذا حرر بحثاً جاء بما يشفي ويكفي. وهو من بقايا الخير في هذا العصر لجمعه بين طول الباع في جميع العلوم مع علو السن

(١) ترجمته في: نيل الوتر: ١١/٢؛ الأعلام: ١٦١/٣؛ معجم المؤلفين: ٢٩٧/٤.

والشرف؛ بارك الله في أوقاته. ثم تُوفي رحمه الله في آخر شهر رجب سنة ١٢٢٣ ثلاثٍ وعشرين ومائتين وألف.

(١٩٦)

(الإمام المُتوَكِّل على الله شَرَف الدين

ابن شَمْس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى^(١))

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة جدّه. ولصاحب الترجمة اسمان أحدهما: شرف الدين وهو الذي اشتهر به، والآخر يَحْيَى ولم يشتهر به. ولد خامس عشر شهر رمضان سنة ٨٧٧ سبع وسبعين وثمانمائة بحصن حضور، وقرأ على جماعة من العلماء منهم عبد الله بن أحمد الشطبي في التذكرة والأزهار وشرحه وفي الخلاصة في علم الكلام، وكان ذلك في أيام صغره. ثم أعاد قراءة التذكرة على عبد الله بن يَحْيَى الناظري، ثم قرأ على والده شمس الدين «الطاهرية» وشرحها لابن هطيل، ثم الكافية وشرحها، والنصف الأول من المفصل. ثم رحل إلى صنعاء في سنة (٨٨٣) فتمّم قراءة المفصل على الفقيه عليّ بن صالح العلفي، ثم قرأ شرحه على الفقيه مُحَمَّد بن إبراهيم الظفاري، وقرأ عليه الرضي شرح الكافية، وقرأ عليه الشافية في الصرف وشرحها، وتلخيص المفتاح والمفتاح للسكاكي على السيد الهادي بن مُحَمَّد، وقرأ عليه الكشف، ومختصر المنتهى وشرحه للعضد. وقرأ في الحديث «شفاء الأوام وأصول الأحكام» وبعض جامع الأصول على الإمام مُحَمَّد بن عليّ الوشلي. وقرأ في كثير من الفنون، وبرع في العلوم العقلية والنقلية، واشتهر علمه، وظهرت نجابته، وأكبّ على نشر العلم. ثم دعا إلى نفسه في العشر الأولى من جمادى الأولى سنة (٩١٢) وكان بالظفير، فبايعه العلماء والأكابر، وتلقاها أهل جبال اليمن بالقبول. وكانت جهات تهامة واليمن الأسفل إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب، وما زالت بينه وبين الإمام مجاولات ومصاولات، ثم اتفق طائفة من الجراكسة إلى سواحل اليمن في سنة (٩٢١) فكتبوا السلطان عامر بن عبد الوهاب أن يعينهم بشيء من الميرة لكونهم خرجوا من الديار المصرية لمقاتلة الإفرنج الذين في البحر، يتخطفون مراكب المسلمين، فامتنع عامر، فدخلوا بلاده ومعهم البنادق. ولم يكن لأهل اليمن بها عهد إذ ذاك فبعث إليهم جيشاً كثيراً من أصحابه، وهم في قلة فوق التلاقي، فرمى الجراكسة بالبنادق. فلما سمع جيش عامر أصواتها ورأوا القتلى منهم فرّوا، فتبعهم الجراكسة يقتلون كيف شاؤوا. ثم قرّ منهم عامر وتبعوه من مكان إلى مكان حتى

(١) ترجمته في: الأعلام: ٨/ ١٥٠؛ معجم المؤلفين: ٢٩٧/٤.

وصل إلى قريب من صنعاء فقتلوه، ثم دخلوا صنعاء ففعلوا أفاعيل منكراً، ثم خرجوا قاصدين للإمام، فوقع الصلح على أنهم يبقون في صنعاء، والإمام يبقى في ثلا. واشتروطوا ملاقة الإمام، فأشير عليه بعدم ذلك لما جبل عليه الجراكسة من الغدر والمكر ففعل، فلما علموا ذلك عادوا إلى القتال فلم يظفروا بطائل. ثم في خلال ذلك بلغهم قتل سلطانهم قانصوه الغوري على يد ابن عثمان صاحب الروم فرجعوا، ولكن قد عبثوا باليمن وقتلوا النفوس وهتكوا الحرم ونهبوا الأموال. وبعد ذلك دانت صنعاء وبلادها وصعدة وما بينهما من المدن بطاعة الإمام. ثم إن الإمام غزا إلى بلاد بني طاهر، فافتتح التعكر وقاهرة تعز وحرار. ثم كان خروج سليمان باشا بجند من الأتراك ووصل إلى زبيد وتعز، ثم استفتح الإمام جازان وبلاد أبي عريش وسائر الجهات التهامية. ثم حصل بين الإمام وولده المطهر بعض مواحشة لأسباب مشروحة في سيرته. ووقع من المطهر بعض الحرب لوالده ولأخيه شمس الدين، واتفقت أمور يطول شرحها كانت من أعظم أسباب استيلاء الأتراك على كثير من جهات اليمن. واستقر الإمام بكوكان، ثم انتقل إلى الظفير، وامتحن بذهاب بصره فصر واحتسب، وأقام لا شغلة له بغير الطاعات حتى (توفاه الله) ليلة الأحد وقت صلاة العشاء الآخرة سابع شهر جمادى الآخرة سنة ٩٦٥ خمس وستين وتسعمائة، ودفن بحصن الظفير، ومشهده هنالك مشهور. وله مصنفات منها (كتاب الأثمار) اختصر فيه الأزهار، وجاء بعبارات موجزة نفيسة شاملة لما في الأزهار، وحذف ما فيه تكرار، وكان على خلاف الصواب. وله شعر جيد، فمنه القصيدة المسماة «بقصص الحق» التي مطلعها: [من البسيط]

لَكُمْ مِنَ الْحَبِّ صَافِيهِ وَوَافِيهِ وَمِنْ هَوَى الْقَلْبِ بَادِيهِ وَخَافِيهِ

ومن شعره القصيدة التي قالها عند فتحه لصعدة وزيارته لمشهد الإمام الهادي

وأولها: [من الكامل]

زُرْنَاكَ فِي زَرْدِ الْحَدِيدِ وَفِي الْقَنَا وَالْمَشْرِفِيَّةِ وَالْجِيَادِ الشُّزْبِ^(١)
وَجَحَافِلٍ مِثْلَ الْجِبَالِ تَلَاظَمَتْ أَمْوَاجُهُنَّ بِكُلِّ أَصِيدٍ أَغْلَبِ^(٢)
مِنْ كُلِّ أْبْلَجٍ مِنْ دُؤَابَةِ هَاشِمٍ وَبِكُلِّ أَرْوَعٍ مِنْ سُلَالَةِ يَعْرُبِ^(٣)
وَأَعَاجِمٍ تُرِكَ وَرُومٍ قَادَةٍ وَأَحَابِشٍ مِثْلِ الْأَسْوَدِ الْوُثْبِ

(١) الزَّرْدُ: حَلَقُ الْمِغْفَرِ وَالذَّرْعِ، أَوْ الدَّرْعِ نَفْسِهِ. الْقَنَا: الرِّمَاحُ. الْمَشْرِفِيَّةُ: السِّبُوفُ الْمَصْنُوعَةُ فِي الْمَشَارِفِ أَوْ الْمَجْلُوبَةِ مِنْهَا، وَقَدْ عُرِفَتْ بِجُودَتِهَا. الْجِيَادُ الشُّزْبُ: الْمُضْمَرَّةُ، أَوْ الْمَذَلَّةُ وَالْمَرْوُضَةُ.

(٢) الْجَحَافِلُ: الْجِيُوشُ الْكَثِيرَةُ الْعِدَدِ، الْوَاحِدُ: جَحْفَلٌ. الْأَصِيدُ: الْمَتَكَبِّرُ الْمَزْهَوُّ بِنَفْسِهِ، أَوْ كُلُّ ذِي حَوْلٍ وَطُولٍ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ. الْأَغْلَبُ: ذُو الْعُنُقِ الْغَلِيظِ، وَالْأَغْلَبُ: الْأَسَدُ.

(٣) الْأَبْلَجُ: الْوَاضِحُ الْجَبِينُ. دُؤَابَةُ الْقَوْمِ: شَرِيفُهُمْ وَالْمَقْدَمُ فِيهِمْ. الْأَرْوَعُ: الذِّكِيُّ الْفَوَادِ.

١٩٧

(شَعْبَانُ بْنُ سَلِيمٍ بْنِ عُثْمَانَ الرَّومِي) الأصل الصَّنْعَانِي المولد والمنشأ والوفاة^(١)

الشاعر المشهور والحكيم الماهر، وهو من أولاد من تخلف من الأتراك عن الرجوع إلى بلاد الروم بعد زوال دولتهم بدولة الأئمة الإمام القاسم وأولاده. وكان والده من أجناد عليّ ابن الإمام المؤيد بالله، ثم ولد ولده شعبان سنة ١٠٦٥ خمس وستين وألف، وكان له معرفة بالطب كاملة، وله المنظومة في خواص النباتات جاء فيها بفوائد جمّة، وله ديوان شعر فيه الجيد، فمن مقطعاته الفائقة قوله: [من البسيط]

يا أسرة الحب إن عزّ التخلّص من أسير العرام ودُفتم في الهوى الهونا^(٢)
قيلوا بنا عند من بعنا بحبهم قلوبنا فعساهم أن يُقيلونا^(٣)

وكان الفقيه الأديب أحمد بن حسين الرقيحي يذكر أنه يؤدّ أن يكون له هذا المقطوع بجميع شعره، وكان يعتاش بالتطبّب، ويمدح الأكابر بأدابه. ثم بعد ذلك عجز وأقعد، وكان يحتاج فيبيع بنات فكره بأبخس الأثمان من كلّ من يطلبه ذلك من السوق إذا راموا شيئاً من الشعر في محبوب لهم أو نحو ذلك. وما زال يكابد الفقر والفاقة حتى (مات) في شهر ربيع الآخر سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف، ومما أجاد فيه قوله في الحمامة: [من الوافر]

شَكُوتُ إلى الحمامة حين غَنَّتْ ضَنَى جَسَدِي وأشجاني وشوقي^(٤)
فَرَقْتُ لي وَقَالَتْ مِثْلَ هذا وَحَقَّكَ لَيْسَ يَدْخُلُ تَحْتَ طَوْقِي^(٥)

١٩٨

(شَعْبَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَلَاوُنَ الْمَلِكِ الْكَامِلِ بْنِ النَّاصِرِ بْنِ الْمَنْصُورِ)^(٦)

ولي السلطنة في ربيع الآخر سنة (٧٤٦) بعد أخيه الصّالح إسماعيل بعهد منه،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣٠٠/٤؛ هدية العارفين: ٤١٧/١؛ إيضاح المكنون: ٦٢١/٢؛ الأعلام: ١٦٤/٣؛ نبل اليمين: ٧٥٢/١.

(٢) الهون؛ الشدة، أو الخزي؛ قال تعالى: ﴿أَيْمِسْكُهُ عَلَى هُونٍ﴾ [النحل: ٥٩].

(٣) قال الرجل: نام في القائلة: في الظهيرة. أقال عن فلان: صفح وتجاوز، واستقال فلاناً: سأله أن يصفح عنه.

(٤) الضنى: المرض أو الهزال الشديد. (٥) الطوق: القُدرة، أو ما يحيط بعنق الحمامة خلقة.

(٦) ترجمته في: الأعلام: ١٦٤/٣؛ بدائع الزهور: ١٨٣/١، البداية والنهاية: ٢٢٩/١٤؛ الدرر الكامنة: ١٩١/٢؛ النجوم الزاهرة: ١١٦/١٠؛ شذرات الذهب: ١٥٠/٦.

وكان شقيقه. وامتنع جماعة من الأمراء من مبايعته ثم وافقوا وسلطنوه. فاتفق أنه لما ركب من باب القصر لعب به الفرس فنزل عنه ومشى خطوات حتى دخل الإيوان فتطير الناس من ذلك، وقالوا لا يقيم إلا قليلاً، فكان الأمر كذلك. واستعفى النائب من النيابة لما يعرف من طيش شعبان. وباشر السلطنة بمهابة فخافوه. ثم أقبل على اللهو والنساء، وصار يبالي في تحصيل الأموال وإنفاقها عليهن، واشتغل باللعب بالحمام. فقام عليه الأمراء واحتجوا بأن والده الناصر قال: من تسلطن من أولاده ولم يسلك الطريق المرضية فجزّوا برجله وملّكوا غيره، فخلعوه بعد سنة وأشهر، وقرّروا أخاه المظفر حاجي المتقدم، وذلك في أول يوم من جمادى الآخرة سنة ٧٤٧ سبغ وأربعين وسبعمائة، وأعدم بعد ذلك.

١٩٩

(شَيْخ المَحْمُودِي ثم الظَّاهِرِي الجَزَكْسِي)^(١)

ولد تقريباً سنة ٧٧٠ سبعين وسبعمائة فَعَرَضَ على الظاهر بَرْقُوق، وكان جميل الصورة فرام شراؤه من جالبه، فاشتط في الثمن، وكان ذلك قبل أن يلي بَرْقُوق السلطنة. ثم مات مالكة فاشترته الخواجه مَحْمُود بثمان يسير، فنسب إليه وقدمه لبرقوق، وهو يومئذ أتابك العسكر، فأعجبه واعتقه فنشأ ذكياً، فتعلم الفروسية من اللعب بالرمح والرمي بالنشاب والضرب بالسيف، والصراع وسباق الخيل وغير ذلك. ومهر في جميع ذلك مع جمال الصورة، وكمال القامة وحسن العشرة. وما زال يترقى حتى صار أمير عشرة وتأمّر على الحاج سنة (٨٠١) بعد موت بَرْقُوق، وناب في طرابلس. ولما حاصر تيمور حلب خرج مع العسكر فأُسِر، ثم خلص منه بحيلة عجيبة وهي أنه ألقى نفسه بين الدواب فستره الله ومشى إلى قرية من أعمال صفد، ودخل القاهرة وأعيد كما كان لنيابة طرابلس. ثم ولي نيابة الشام وجرت له خطوب وحروب، ثم تغلب على السلطنة وتم له ذلك واستمر سلطاناً خمس سنين وخمسة أشهر وثمانية أيام. وكان شهماً شجاعاً عالي الهمة كثير الرجوع إلى الحق محباً للعلماء مكرماً لهم يميل إلى العدل، ويحسن إلى أصحابه، ويصفح عن جرائمهم، يحب الهزل والمجون، ومحاسنه جمّة. وحدث بصحيح البخاري عن السراج البلقيني، وفتح حصوناً، ثم جهّز ولده إبراهيم المتقدم ذكره فظفر بابن قُرْمَان، وأحضره أسيراً. ولما أصابته عين الكمال مات ولده إبراهيم بالسبب الذي قدمنا ذكره، ثم (مات) هو بعده

(١) ترجمته في: بدائع الزهور: ٣/٢؛ شذرات الذهب: ٧/١٦٤، الضوء اللامع: ٣/٣٠٨؛
الأعلام: ٣/١٨٢.

بقليل وذلك في أول المحرم سنة ٨٢٤ أربع وعشرين وثمانمائة، قال العيني: لما مات كان في الخزانة ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار من الذهب، وجمع ابن ناهض سيرته في مجلد حافل قرظه له كل عالم وأديب. وكان يجلّ الشرع، ولا ينكر على من مضى من بين يديه طالباً للشرع، بل يعجبه ذلك، وينكر على أمرائه معارضة القضاة في أحكامهم، غير مائل إلى شيء من البدع. له قيام في الليل، وكان يعاب بالشح والحسد وكثرة المظالم التي أحدثها. واتفق في موته موعظة فيها أعظم عبرة، وهي أنه لما غُسل لم توجد منشفة ينشف بها فنشف بمنديل بعض من حضر غسله، ولم يوجد له منزر يستر عورته حتى أخذ له منزر صوف من فوق رأس بعض جواريه، ولم يوجد له طاسة يُصبّ عليه بها الماء مع كثرة ما خلفه من أنواع المال. وله مآثر كالجامع الذي بباب زويلة، قيل: إنه لم يعمر مثله في الإسلام بعد الجامع الأموي، وله مدارس وسبل ومكاتب وجسور.

حرف الصاد المهملة

(٢٠٠)

(صالح بن صديق النمازي

بالنون والزاي الخَرْجِي الأنصاري الشَّافعي^(١))

رحل إلى زبيد فأخذ عن جماعة من علمائها، ومن جملة مشايخه عبد الرحمن بن علي الديبع. ثم عاد إلى وطنه مدينة صبيا فلم يطب له المقام بها، فرحل إلى حضرة الإمام شرف الدين، ولازمه وحضر مجالسه، وشرح الأثمار شرحاً مفيداً، (ومات) بمدينة جبلة سنة ٩٧٥ خمس وسبعين وتسعمائة.

(٢٠١)

(السيد صالح بن عبد الله بن علي بن داود

ابن القاسم بن إبراهيم بن القاسم بن إبراهيم ابن الأمير

محمد ذي الشرفين المعروف بابن مغل^(٢))

ولد في رجب سنة ٩٦٠ ستين وتسعمائة في بلد حبور من جهة ظليمة، واتصل بالإمام الحسن بن علي بن داود المتقدم ذكره. ثم اتصل بعده بالإمام القاسم بن محمد وولده المؤيد بالله، وكان يكتب للأئمة في جميع ما ينوبهم. وله فصاحة ورجاحة وتعبّد وتأله، وله شعر فائق، فمنه القصيدة المشهورة التي أولها: [من البسيط]

ضَاعَ الوفاءُ وضاعَتْ بَعْدَهُ الهِمَمُ	والدينُ ضاعَ وضاعَ المجدُ والكَرَمُ
والجورُ في الناسٍ لا تَخْفَى مَعَالِمُهُ	والعدْلُ مِنْ دُونِهِ الأَسْتارُ والظُّلْمُ ^(٣)
وَكُلُّ مَنْ تابَعَ الشَّيْطَانَ مُحْتَرَمٌ	وَكُلُّ مَنْ عَبَدَ الرَّحْمَنَ مُهْتَضَمٌ ^(٤)

(١) في الأعلام: ولد سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ١٩٢/٣؛ معجم المؤلفين: ٧/٥؛ إيضاح المكنون: ١١١/١.

(٣) الجور: الظلم. (٤) مهتضم: مُتَّقَصُّ الحقوق.

وهي طويلة وفيها مواظ. واستمرَّ مُتَّصلاً بالأئمة قائماً بأعمالهم على أوفر حرمة حتى (مات) يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف بشهارة، وقُبِرَ عند قَبْرِ جَدِّه ذي الشرفين متصلاً بِقَبْرِه من جهة الشرق.

(٢٠٢)

صَالِحُ بْنُ عُمَرَ بْنِ رَسْلَانَ بْنِ نَصِيرٍ

ابن صالح علم الدين العسقلاني البلقيني الأصل^(١)

القاهري الشافعي. ولد في ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٧٩١ إحدى وتسعين وسبعمائة بالقاهرة، ونشأ بها في كنف والده سراج الدين فحفظ القرآن والعمدة وألفية النحو ومنهاج الأصول والتدريب لأبيه والمنهاج، وأخذ عن أبيه والزين العراقي والمجد البرماوي والبيجوري والعز بن جماعة والولي العراقي والحافظ ابن حَبَر وغير هؤلاء من مشايخ عصره في فنون عدة. ودرَّس وأفتى ووعظ حتى قال بعض أهل الأدب: [من الكامل]

وَعَظَّ الْأَنَامَ إِمَامُنَا الْحَبْرُ الَّذِي سَكَبَ الْعُلُومَ كَبْحَرٍ فَضْلٍ طَافِحٍ^(٢)
فَشَفَى الْقُلُوبَ بِعِلْمِهِ وَبَوَعَظِهِ وَالْوَعْظُ لَا يَشْفِي سِوَى مَنِ صَالِحٍ

ثم استقر بعد صرف شيخه الولي العراقي في قضاء الشافعية بالديار المصرية في سادس ذي الحجة سنة (٨٢٦) فأقام سنة وأكثر من شهر، ثم صُرف، وتكرَّر عَوْدُهُ ثم صَرَفُهُ حتى كانت مدة ولايته في جميع المدد ثلاث عشرة سنة ونصف سنة. وكان إماماً فقيهاً قوي الحافظة كثير التودُّد، بساماً طلق المحيا مهلباً، له جلالة ووقع في صدور الخاصة والعامة، يتحاشى اللحن في مخاطباته بحيث لا يضبط عليه في ذلك شاذة ولا فاذة؛ سريع الغضب والرجوع، سليم الصدر. وقد مدحه عدة من شعراء عصره، وطارت فتاويه في الآفاق، وأخذ عنه الفضلاء من كل ناحية طبقة بعد أخرى، حتى صار أكثر الفضلاء تلامذته. وصنَّف تفسيراً وشرحاً على البخاري ولم يكمله. وأفرد فتاوى أبيه والمهم من فتاويه، وأكمل تدريب أبيه، وله «القول المفيد في اشتراط الترتيب بين كلمتي التوحيد». وله نظم ونثر في الرتبة الوسطى. ومات يوم الأربعاء خامس رجب سنة ٨٦٨ ثمان وستين وثمانمائة.

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٣/ ٣١٢؛ الأعلام: ٣/ ١٩٤؛ معجم المؤلفين: ٩/ ٥؛ كشف

الظنون: ٣٤٥، ٤٤٤؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٢٥٥.

(٢) الحَبْرُ: العالم الحاذق الخبير. الطافح: الفائض الممتلئ.

(٢٠٣)

(صَالِحُ بن مُحَمَّد بن عبد الله العَنَسِيّ ثم الصَّنْعَانِي)

ولد تقريباً على رأس القرن الثاني عشر، وأخذ العلم عن جماعة من أهل العلم، واستفاد لا سيّما في علم الحديث ورجاله، فإنه قوي الفائدة فيه، جيد الإدراك له. وهو من صالحى الفتيان ونجباء شبّان الزمان، وله قراءة عليّ في الصحيحين، وسنن أبي داود، وفي بعض مؤلفاتي.

(٢٠٤)

(صَالِحُ بن مُحَمَّد بن قَلاؤُن) (١)

ولد سنة ٧٢٨ ثمانٍ وعشرين وسبعمائة، وولي السلطنة بعد خلع الناصر حسن في جمادى الآخرة سنة (٧٥٢)، ولكنه لا تصوّف له وإنما التصرف للأمراء. ثم خُلِعَ عن السلطنة في شهر شَوّال سنة (٧٥٥). وكان قوي الذكاء يعرف عدة صناعات. وحبس بعد خلعه بالقلعة عند أمّه إلى أن (مات) في صفر سنة ٧٦٢ (٢) اثنتين وستين وسبعمائة. ومن مآثره الحسنة الوقف الذي وقفه بالديار المصرية على كسوة الكعبة.

(٢٠٥)

**(صَالِح بن مَهْدِي بن عليّ بن عبد الله بن سُلَيْمان
ابن مُحَمَّد بن عبد الله بن سُلَيْمان بن أسعد بن مَنْصُور المَقْبَلِي
ثم الصَّنْعَانِي ثم المَكِّي) (٣)**

ولد في سنة ١٠٤٧ سبع وأربعين وألف في قرية المقبل من أعمال بلاد كوكبان، وأخذ العلم عن جماعة من أكابر علماء اليمن، منهم السيد العلامة مُحَمَّد بن إبراهيم بن المفضل؛ كان ينزل للقراءة عليه من مدينة ثلا إلى شبام كل يوم وبه تخرّج وانتفع. ثم دخل بعد ذلك صنعاء وجرت بينه وبين علمائها مناظرات أوجبت المنافرة لما فيه من الحدة والتصميم على ما تقتضيه الأدلة وعدم الالتفات إلى التقليد. ثم

(١) ترجمته في: الأعلام: ١٩٥/٣؛ بدائع الزهور: ١٩٤/١؛ النجوم الزاهرة: ٢٥٤/١٠؛ الدرر الكامنة: ٢٠٣/٢؛ البداية والنهاية: ٢٨٨/١٤.

(٢) في الأعلام: توفي سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ١٩٧/٣؛ نبلاء اليمن: ٧٨١/١؛ وفيه: ولد سنة ١٠٤٠هـ؛ معجم المؤلفين: ١٤/٥؛ إيضاح المكنون: ١١٨/٢.

ارتحل إلى مكة ووقعت له امتحانات هنالك واستقرَّ بها حتى (مات) في سنة ١١٠٨ ثمانٍ وإحدى عشرة مائة. كتبت مولده فيما علق بذهني من كتبه فإنه ذكر فيها ما يفيد ذلك، هو مِمَّنْ برع في جميع علوم الكتاب والسنة، وحقَّق الأصيلين والعربية والمعاني والبيان والحديث والتفسير، وفاق في جميع ذلك. وله مؤلفات مقبولة كلّها عند العلماء محبوبة إليهم متنافسون فيها ويحتجون بترجيحاته وهو حقيق بذلك. وفي عباراته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الأسماع، وتلتذ بها القلوب. ولكلامه وقع في الأذهان قلَّ أن يمعن في مطالعته من له فهم فيبقى على التقليد بعد ذلك. وإذا رأى كلاماً متهافتاً زَيْفَهُ ومزَّقه بعبارة عذبة حلوة. وقد أكثر الحطَّ على المعتزلة في بعض المسائل الكلامية، وعلى الأشعرية في بعض آخر، وعلى الصوفية في غالب مسائلهم، وعلى الفقهاء في كثير من تفرعاتهم، وعلى المحدثين في بعض غُلُوهم، ولا يبالي إذا تمسَّك بالدليل بمن يخالفه كائناً من كان. فمن مؤلفاته الفائقة حاشية (البحر الزخار) للإمام المهدي المسماة بالمنار، سلك فيها مسلك الإنصاف. ومع ذلك فهو بَشَرٌ يُخطئ ويصيب، ولكن قد قيَّد نفسه بالدليل لا بالقال والقليل، ومن كان كذلك فهو المجتهد الذي إذا أصاب كان له أجران وإن أخطأ كان له أجر. ومنها (العلم الشامخ) اعترض فيه على علماء الكلام والصوفية. ومنها في الأصول (نجاح الطالب على مختصر ابن الحاجب) جعله حاشية عليه ذكر فيها ما يختاره من المسائل الأصولية. ومنها في التفسير (الإتحاف لطلبة الكشاف) انتقد فيه على الزمخشري كثيراً من المباحث، وذكر ما هو الراجح لديه. ومنها (الأرواح النوافخ) و(الأبحاث المسددة) جمع فيه مباحث تفسيرية وحديثية وفقهية وأصولية. ولما وقفت عليه في أيام الطلب كتبت فيه آياتاً وأشرت فيها إلى سائر مؤلفاته وهي: [من الكامل]

لَلَّه دَرُّ الْمُقْبَلِي فَإِنَّهُ بَحْرٌ خَضَمَ دَانَ بِالْإِنْصَافِ^(١)
أَبْحَاثُهُ قَدْ سَدَّدَتْ سَهْمًا إِلَى نَحْرِ التَّعَصُّبِ مُرْهَفِ الْأَطْرَافِ^(٢)
وَمَنَارُهُ عِلْمُ النِّجَاحِ لِطَالِبٍ مُذْ رَوَّحَ الْأَرْوَاحَ بِالْإِتْحَافِ^(٣)

وقد كان ألزم نفسه السلوك مسلك الصحابة وعدم التعويل على تقليد أهل العلم في جميع الفنون. ولما سكن مكة وقف عالمها البرزنجي مُحَمَّد بن عبد الرسول المدني على (العلم الشامخ في الرد على الآباء والمشايخ) فكتب عليه اعتراضات، فردَّ عليه بمؤلف سماه (الأرواح النوافخ) فكان ذلك سبب الإنكار عليه من علماء مكة ونسبوه إلى الزندقة بسبب عدم التقليد والاعتراض على أسلافهم، ثم رفعوا الأمر إلى

(١) بحرٌ خَضَمَ: واسع. (٢) المرهف: الرقيق، الدقيق، الحادُّ.

(٣) رَوَّحَ الْأَرْوَاحَ: أراحها. الإتحاف: من أتحفه: أعطاه تُحَفَةً: طُرْفَةً.

سلطان الروم فأرسل بعض علماء حضرته لاختباره فلم يَر منه إلا الجميل وسلك مسلكه، وأخذ عنه بعض أهل داغستان، ونقلوا بعض مؤلفاته.

وقد وصل بعض العلماء من تلك الجهة إلى صنعاء، وكان له معرفة بأنواع من العلم فلقيته بمدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء فسألته عن سبب ارتحاله من دياره هل هو قضاء فريضة الحج، فقال لي بلسانٍ في غاية الفصاحة والطلاقة أنه لم يكن مستطيعاً وإنما خرج لطلب (البحر الزخار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى، لأن لديهم حاشية المنار للمقبلي. وقد ولع بمباحثها أعيان علماء جهاتهم داغستان، وهي خلف الروم بشهر حسبما أخبرني بذلك، قال: وفي حال مطالعتهم واشتغالهم بتلك الحاشية يلتبس عليهم بعض أبحاثها لكونها معلقة على الكتاب الذي هي حاشية له، وهو «البحر»، فتجرد المذكور لطلب نسخة «البحر»، ووصل إلى مكة فسأل عنه فلم يظفر بخبره عند أحد، فلقي هنالك السيد العلامة إبراهيم بن مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير فعرفه أن كتاب «البحر» موجود في صنعاء عند كثير من علمائها قال: فوصلت إلى هنا لذلك. ورأيت في اليوم الثاني وهو مُكَبٌّ في المدرسة على نسخة من «البحر» يُطالِعها مطالعة من له كمال رغبة، وقد سرَّ بذلك غاية السرور. وما رأيت مثله في حسن التعبير واستعمال خالص اللغة وتحاشي اللحن في مخاطبته وحسن النغمة عند الكلام، فإني أدركت لسماع كلامه من الطرب والنشاط ما علاني معه قشعريرة، ولكنه رحمه الله مات بعد وصوله إلى صنعاء بمدة يسيرة، ولم يكتب الله له الرجوع بالكتاب المطلوب إلى وطنه.

والمترجم له، مع اتساع دائرته في العلوم، ليس له التفات إلى اصطلاحات المحدثين في الحديث، ولكنه يعمل بما حصل له عنده ظنَّ صحته كما هو المعتبر عند أهل الأصول مع أنه لا ينقل الأحاديث إلا من كتبها المعتبرة، كالأُمّهات وما يلتحق بها. وإذا وجد الحديث قد خرج من طرق وإن كان فيها من الوهن ما لا ينتهض معه للاحتجاج ولا يبلغ به إلى رتبة الحسن لغيره عمل به. وكذلك يعمل بما كانت له علل خفيفة فينبغي للطالب أن يتثبت في مثل هذه المواطن. وقد ذكر في مؤلفاته من أشعاره ولكنها سافلة بخلاف نثره فإنه في الذروة. ومن أحسن شعره أبياته التي يقول فيها: [من مجزوء الكامل]

قَبَحَ إِلَهُ مُفَرَّقاً بَيْنَ الْقَرَابَةِ وَالصَّحَابَةِ
وقد أجاب عليه بعض جارودية^(١) اليمن بجواب، أقذع فيه وأوله: [من مجزوء

الكامل]

أَطْرَقَ كَرَأْيَا مُقْبَلِي فَلَأْنْتَ أَحَقُّرُ مِنْ دُبَابَةٍ

(١) الجارودية: فرقة من الشيعة الزيدية، تُنسب إلى أبي الجارود زياد بن المنذر الهمداني.

ثم هجاه بعض الجارودية فقال: [من مجزوء الرجز]

المُقبلي ناصبي أغمى الشقاء بصَّره

وبعده بيت أقذع فيه، وهكذا شأن غالب أهل اليمن مع علمائهم. ولعل ذلك لما يريده الله لهم من توفير الأجر الأخروي. وكان ينكر ما يدعيه الصوفية من الكشف فمرضت ابنته زينب في بيته من مكة، وكان ملاصقاً للحرم، فكانت تخبره وهي من وراء جدار بما فعل في الحرم. وكان يغلق عليها مراراً وتذكر أنها تشاهد كذا وكذا فيخرج إلى الحرم فيجد ما قالت حقاً. وذكر رحمه الله في بعض مؤلفاته أنه أخذ في مكة على الشيخ إبراهيم الكُردي المتقدم ذكره.

(٢٠٦)

(صديق بن رسام بن ناصر السَّوادي الصَّعدي)^(١)

قرأ على الشيخ لُطف الله بن مُحَمَّد الغياث في علم الآلة، وفاق فيه الأقران، وصار بعد شيخه المرجوع إليه في ذلك الفن، وأخذ عنه جماعة من النبلاء وتميزوا في حياته. ورحل بعد موت شيخه لُطف الله، وهو من مشاهير العلماء وأكابر النبلاء، وله خلف صالح فيهم العلماء والفضلاء والنبلاء. واتصل في آخر أيامه بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم فولَّاه القضاء في بلاد خولان الشام بمغارب صَعْدَة. ولم يزل على ذلك حتى توفَّاه الله. وله حواش على كتب النحو والصرف مفيدة منقولة في كتب أهل صَعْدَة. وكان موته في سنة ١٠٧٩ تسع وسبعين وألف.

(٢٠٧)

(صديق بن علي المزجَاجي الزَّبيدي الحَنفي)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، وقرأ في زبيد على الشيخ مُحَمَّد بن علاء الدين صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وغيرهما من الأمهات. وقرأ على السيد سُلَيْمان بن يَحْيَى المتقدم الأمهات كلها سماعاً مكرراً. وله قراءة في الآلات. وهو محقق في فقه الحنفية، وقد أجاز له شيخاه المذكوران إجازة عامة بجميع ما يجوز لهما روايته. وانتقل إلى المخا للتدريس هنالك، وبقي أياماً، ثم وصل إلى صنعاء في شهر ذي القعدة سنة (١٢٠٣)، ووصل إلي ولم أكن قد عرفته قبل ذلك ولا عرفني، وجرت بيني وبينه مذكرات في عدة فنون. ثم خطر ببالي أن أطلب منه

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٩/٥.

الإجازة فعند ذلك خاطر طلب مني هو الإجازة، فكان ذلك من المكاشفة، فأجرت له، وأجاز لي، وكان سنُّه إذ ذاك فوق خمسين سنة، وعمرى دون الثلاثين. ثم ما زال يتردد إليّ. وفي بعض المواقف بمحضر جماعة وقعت بيني وبينه مراجعة في مسائل، وأكثر الاعتراض على مسائل من فقه الحنفية، وأوردت الدليل. وما زال يتطلب المحامل لما تقوله الحنفية، فلما خلوت به قلت له: اصدقني هل ما تبديه في المراجعة تعتقده اعتقاداً جازماً، فإن مثلك في عملك بالسنة لا يُظنُّ به أنه يؤثر مذهبه الذي هو محض الرأي في بعض المسائل على ما يعلمه صحيحاً ثابتاً عن رسول الله ﷺ، فقال: لا أعتقد صحة ما يخالف الدليل، وإن قال به من قال، ولا أدين الله بما يقوله أبو حنيفة وأصحابه إذا خالف الحديث الصحيح، ولكن المرء يدافع عن مذهبه في الظاهر. ثم وفد إلى صنعاء مدة أخرى بعد سنة (١٢٠٩) ووصل إليّ، ورجع إلى وطنه، وبلغ بعد ذلك موته رحمه الله^(١). وكان ذكياً فطناً ساكناً متواضعاً جيد الفهم قوي الإدراك.

٢٠٨

(السيد صلاح بن أحمد بن مهدي المؤيدي)^(٢)

كان من عجائب الدهر وغرائبه، فإن مجموع عمره تسع وعشرون سنة، وقد فاز من كل فنّ بنصيب وافر، وصار له في الأدب قصائد طنانة، يعجز أهل الأعمار الطويلة عن اللحاق به فيها. وصنّف في هذا العمر القصير التصانيف المفيدة، والفوائد الفريدة العديدة، فمن مصنفاته (شرح شواهد النحو). واختصر شرح العباسي لشواهد التلخيص، وشرّح (الفصول) شرحاً حافلاً، وشرح (الهداية) ففرغ من الخطبة وقد اجتمع من الشرح مجلد. وله مع ذلك ديوان شعر كله غررٌ ودُررٌ، وفيه معانٍ مبتكرة فمنه: [من الكامل]

وَصَغِيرَةٌ حَاوَلَتْ فَضَّ خِتَامَهَا مِنْ بَعْدِ فَرْطٍ تَحْنُنٍ وَتَلَطُّفٍ
وَقَلْبُهَا نَحْوِي فَقَالَتْ عِنْدَ ذَا قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّكَ مُتْلَفِي^(٣)

وهذا تضمين يطرب له الجماد وترقّ لحسنه الصمُّ الصلاد، ومع هذه الفضائل التي نالها في هذا الأمد القريب، فهو مجاهد للأتراك محاصرٌ لصنعاء مع الحسن والحسين ابني الإمام القاسم؛ كان مطرحة في الجراف يشن الغارات على الأروام في

(١) قيل: إنه توفي سنة ١٢٠٩هـ / ١٧٩٥م (التقصار، الشجني).

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٥/ ٢١؛ الأعلام: ٣/ ٢٠٧.

(٣) قيل: إن هذين البيتين للسيد صلاح بن أحمد، عزّ الدين المؤيدي، وليس لصاحب الترجمة.

جميع الأيام، وافتتح مدينة أبي عريش، وغزا إلى جهات متعددة وكان منصوراً في جميع حروبه، وكان مجلسه معموراً بالعلماء والأدباء وأهل الفضائل. قال القاضي أحمد بن صالح في مطلع البدور: رأيت في بعض الأيام خارجاً إلى بعض المنتزهات بصعدة فسمعتُ الرَّهَجَ وحركة الخيل فوقفت لأنظر، فخرج في نحو خمسة وثلاثين فارساً إلى منتزه وهم يتراجعون في الطريق بالأدبيات، ومنهم من ينشد صاحبه الشعر ويستنشه، وكان هذا دأبه. وإذا سافر أول ما تضرب خيمة الكتب، وإذا ضربت دخل إليها ونشر الكتب، والخدم يصلحون الخيم الأخرى. ولا يزال ليله جميعه ينظر في العلم ويُحرّر ويُقرّر مع سلامة ذوقه. وكان مع هذه الجلالة يلاطف أصحابه وكتابه بالأدبيات والأشعار السَّحَرِيَّات، من ذلك أبيات كاتب بها السيد العلامة الحَسَن بن أحمد الجلال منها: [من البسيط]

أفدي الحبيبَ الذي قد زارني ومضى ولاحَ مَبْسِئُهُ كالبرقِ إذ ومَضَا^(١)
نَضَا عليَّ حُسَاماً مَنْ لَوَاحِظِهِ فَظَلْتُ أَلْثُمُ ذَاكَ اللَّحْظَ حِينَ نَضَا^(٢)
فأجابه السيد الحَسَن بأبيات منها: [من الكامل]

قد لَاحَ سَعْدُكَ فَاغْتَنَمَ حُسْنَ الرِّضَا مِنْ أَهْلِ وَدَّكَ وَاسْتَعِضَّ عَمَّا مَضَى
لَمَّا بَعَثْتَ لَهُمْ بِطَيْفِكَ زَائِراً تَحْتَ الدُّجَى وَلِفَضْلِهِمْ مُتَعَرِّضَا
بَعَثُوا إِلَيْكَ كِتَاباً مِنْ كُتُبِهِمْ هَزَمُوا بِهَا جَيْشَ اضْطِبَارِكَ فَأَنْقَضَى
وهي أبيات طويلة. وكذلك الأبيات الأولى. ومن شعر صاحب الترجمة الفائق قوله في التورية: [من السريع]

وَمَا يَسِ أَرْشَفَنِي رِيْقَهُ لَلَّهِ مِنْ غُصْنٍ وَرِيْقٍ وَرِيْقٍ^(٣)
نَقِي خَدِّ فَوْقَهُ حُمْرَةً فَصِرْتُ مَا بَيْنَ النَّقَا وَالْعَقِيْقِ^(٤)

(وتوفي) رحمه الله في سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف، وعلى هذا فيكون مولده سنة (١٠١٩). وكان موته بقلعة غمار من جبل رازح، وقُبر بالقبة التي فيها السيد أحمد بن لقمان، والسيد أحمد بن المهدي. ورثاه جماعة من شعراء عصره.

(١) وَمَضَى: لمع وبرق وأضاء.

(٢) نَضَا: سَلَّ، شَهَرَ.

(٣) مايس: مائس، من ماس فلان مَيْساً، وَمَيْسَاناً: تبختر واختال. غُصْنٌ وريق: ذو وَرَقٍ. رِيْقٌ: رُضَابٌ.

(٤) النَّقَا: الكتيب من الرمل، أو العظم ذو المَخِّ. العقيق: الوادي الذي شَقَّه السيل قديماً فأنهره، ومنه: عقيق المدينة. والعقيق: حجر كريم أحمر تُعمل منه الفصوص.

(السيد صلاح بن حسين بن يحيى بن عليّ الأخفش الصنعاني)^(١)

العالم المحقق الزاهد المشهور المتقشف المتعفف، أخذ العلم عن جماعة من علماء عصره منهم العبالي المشهور، والقاضي محمد بن إبراهيم السحولي، والقاضي عليّ بن يحيى البرطي. وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان وأصول الفقه، وكان يؤمّ الناس أول عمره بمسجد داود بصنعاء، ثم بالجامع الكبير بها. ثم عاد إلى مسجد داود لأمر اتفقت. وكان لا يأكل إلّا من عمل يده، يعمل القلانس ويبيعها ويأكل ما تحصّل له من ثمنها، ولا يقبل من أحد شيئاً كائناً من كان. وكان للناس فيه اعتقاد كبير، وهو ينفر من ذلك غاية النفور. وله في إنكار المنكر مقامات محمودة. وهو مقبول القول عظيم الحرمة مهذب الجناب، وله مع الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين الإمام وولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم من هذا القبيل أمور يطول شرحها. وكان لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يبالي بأحد مخالف للحق. وله شهرة عظيمة في الديار اليمنية ولا سيما صنعاء وما يتصل بها فإنه يضرب به المثل في الزهد إلى حال تحرير هذه الأحرف. وله منذ مات زيادة على سبعين سنة. وكان طلبة العلم في عصره يتنافسون في الأخذ عنه، وهو يمتحنهم بالأسئلة، فإذا رأى من أحد فطنة مال إليه وعظّمه ونوّه بذكره. وله مؤلف في النحو سمّاه (نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف) جمع فيه فوائد نفيسة، وشرحه شيخنا السيد العلامة عبد القادر بن أحمد بشرح حافل، وله رسالة في الصحابة سلك فيها مسلك التنزيه لهم على ما فيها من تطفيف لما يستحقونه. ومع ذلك اعترض عليها السيد العلامة عبد الله بن عليّ الوزير باعتراض سمّاه (إرسال الذؤابة بين جنبي مسألة الصحابة). وحاصل ما في هذا الاعتراض هدم ما بناه السيد صلاح من التنزيه للصحابة عن السبّ والثلث. فإنّا لله وإنا إليه راجعون. وكان بين هذين السيدين منافسة عظيمة ومناقضة ظاهرة وما زال الأقران هكذا ولكن إذا بلغت المنافسة إلى حدّ الحطّ على خير القرون فأبعدها الله. ولصاحب الترجمة نظم فائق، فمن ذلك القصيدة الطويلة التي ذكر فيها علوم الاجتهاد وما يرجحه في المقدار المعتمد منها، وتزييف قول من قال إنّ علم المنطق من جملة علوم الاجتهاد، ولعله يشير إلى السيد عبد الله الوزير المذكور، فإنه كان مشغولاً بهذا الفن، ومطلع القصيدة: [من الطويل]

بِتَحْمِيدِكَ اللَّهُمَّ فِي الْبَدءِ أَنْطَقُ وَإِنْ لَمْ يَقُمْ مِنِّي بِحَمْدِكَ مَنْطِقُ

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢٠٧/٣؛ نبلاء اليمن: ٧٨٩/١؛ معجم المؤلفين: ٢١/٥؛ هدية العارفين: ٤٢٧/٢؛ إيضاح المكنون: ٤٧٦/٢.

ولم يزل مستمراً على حاله الجميل في نشر العلم، وعمارة معالم العمل، وإشادة ربوع الزهد، حتى (توفاه) الله في سنة ١١٤٢ اثنتين وأربعين ومائة وألف في يوم الأربعاء سابع وعشرين من رجب من هذه السنة، وازدحم الناس على جنازته، وغلقت الأسواق، وأرّخ موته الأديب أحمد الرقيحي فقال: [من مجزوء الرجز]

قَضَى صَلَاحٌ نَحْبَهُ أَفْضَلُ مَنْ فِيهَا مَشَى^(١)
السَّيِّدَ الْحَبْرُ الَّذِي مَا مِثْلُهُ قَطُّ نَشَأَ^(٢)
لَا شَيْءَ أَنْ رَبَّاهُ قَدْ خَصَّه بِمَا يَشَأَ^(٣)
إِنْ تَأَنَسَّ الْحَوْرُ بِهِ فَكَمْ لَنَا قَدْ أَوْحَشَأَ^(٤)
فِي رَجَبٍ مِنْ عَامِهِ أَرَّخَ صَلَاحَ الْأَخْفَشَأَ
سنة ١١٤٢

٢١٠

(السيد صلاح بن جلال بن صلاح الدين) ابن مُحَمَّد بن الحَسَن بن المهدي ابن الأمير علي بن المُحسن ابن يَحْيَى بن يَحْيَى^(٥)

ولد بهجرة رغافة سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمائة^(٦). وهو صاحب تنمة شفاء الأمير الحُسَيْن، لأن الأمير الحُسَيْن رحمه الله شرع بتصنيف الجزء الآخر من كتاب البيوع إلى آخره. ثم شرع في تصنيف الجزء الأول فوصل إلى بعض كتاب النكاح وعاقه عن تمامه الأجل، فكمّله من كتاب النكاح إلى آخر كتاب الطلاق، دون كتاب الرضاع السيد العلامة صلاح ابن أمير المؤمنين إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن مُحَمَّد، ثم كمل هذا المترجم له كتاب الرضاع. و(مات) في سنة ٨٠٥ خمس وثمانمائة^(٧) وقد سلك هذان السيدان في تنمة كتاب الشفاء مسلك مصنفه الأمير الحُسَيْن رحمه الله في النقل والترجيح والتصحيح. ولولا قيامهما بتمامه لم يبلغ من الحظ ما بلغ من

(١) قضى نحبه: مات.

(٢) نَشَأَ: نَشَأَ: شَبَّ ونَمَا.

(٣) يَشَأَ: يَشَأَ: يُرِيد.

(٤) الحور: أي حور الجنة. أوحش فلاناً: أشعره بوحشة: وحدة وانفراد، أو خوف من الخلوة.

(٥) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢١/٥.

(٦) وفي رواية: سنة ٧٤٦هـ.

(٧) وفي رواية: سنة ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م.

اشتغال الناس به منذ زمان مصنفه إلى الآن كما هو شأن ما لم يكن كاملاً من الكتب، فإن الرغبة تقلّ فيه. وقد كنت أرجو أن أجعل على هذا الكتاب حاشية أُبين فيها ما لعله يحك في خاطر من مواضع منه فأعان الله وله الحمد والمنة على ذلك. وكتبت عليه حاشية تأتي في مقدار حجمه أو أقل سميتها (وَبُل الغمام على شفاء الأوام)، وكان الفراغ منها في رجب سنة (١٢١٣) وهو العام الذي شرعت فيه في تحرير هذه التراجم. وقد سلكت في تلك الحاشية مسلك الإنصاف كما هو دأب من كان فرضه الاجتهاد. ومن نظر فيها بعين الإنصاف مع كمال أهليته عرف مقدارها.

حرف الضاد المعجمة

(٢١١)

(ضِيَاءُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عُمَرَ)

القومي ابن قاضي القوم العقيقي القزويني الشافعي

أخذ عن أبيه والخلخال والبدر القشيري وغيرهم، وسمع الحديث لما حجّ وقدم القاهرة وحظي عند الأشرف شعبان، وولي مشيخة البيبرسية في سنة (٧٦٧) وتدرّس الشافعية بالسجونية. وولاه الأشرف مشيخة مدرسته، وسماه شيخ الشيوخ. وكان ماهراً في الفقه والأصول والمعاني والبيان ملازماً للتدرّس لا يملّ من ذلك. وكان من ذوي المروءات كثير الإحسان إلى الطلبة سليم الباطن. (مات) في ذي القعدة سنة ٧٨٠ ثمانين وسبعمائة وعمره خمس وخمسون سنة. وقد كتب إليه طاهر بن حسن بن حبيب هذين البيتين: [من الخفيف]

قُلْ لِرَبِّ الْعُلَا وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ مَمْ مُجِدّاً إِلَى سَبِيلِ السَّوَاءِ
إِنْ أَرَدْتَ الْخَلَاصَ مِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ لِيْ فَمَا تَهْتَدِي بِغَيْرِ الضِّيَاءِ
فأجابه صاحب الترجمة بقوله: [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ يَطْلُبُ الْهَدَايَةَ مَتِي خِلْتُ لَمَعَ السَّرَابِ بَرَكَةً مَاءِ
لَيْسَ عِنْدِي مِنَ الضِّيَاءِ شُعَاعٌ كَيْفَ تَبْغِي الْهُدَى مِنْ اسْمِ الضِّيَاءِ

(٢١٢)

(ضِيَاءُ الْعَجَمِي)

قدم إلى دمشق وقرّر في الخانكاه، وأقرأ في النحو، وكان يثني على مقدمة ابن الحاجب واستفاد منه جماعة. وكان حسن الأخلاق لكنه كان مغرمًا بمشاهدة الحسان من المردان لا ينفك عن هوى واحد يتهتك فيه ويخرج عن طور العقل مع العفة. وكان يمشي وفي يده حزمة من الرياحين فمن لقيه من المرد أدناها إلى أنفه فيشمها إياه، فإن التمس منه ذلك ذو لحية قلبها وضربه على أنفه. ثم علق بصبي من أبناء

الجند، وكان يخرج إلى سوق الخيل ليشاهده إذا ركب، فقال له الشيخ كمال الدين بن الزملكاني: لم عشقت هذا ولم تعشق أخاه وهو أحسن منه؟ قال: اعشقه أنت. فقال: إن أذنت لي، قال: أنت ما تحتاج إلى إذن. وقال شخص في مجلس ابن فضل: إلى متى أنت في عشقة بعد عشقة، فأشد ابن فضل الله: [من البسيط]

الحُبُّ أُولَىٰ بِذَاتِي فِي تَصْرِفِهِ مِنْ أَنْ يُغَادِرَنِي يَوْمًا بِلَا شَجَنِ^(١)
فصاح وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق قال: نطقت عن ضميري. وأنشده الشهاب محمود يوماً: [من الطويل]

يَقُولُونَ لَوْ دَبَّرْتَ بِالْعَقْلِ حُبَّهَا وَلَا خَيْرَ فِي حُبٍّ يُدَبَّرُ بِالْعَقْلِ
فصاح حتى سقط مغشياً عليه. واتفق أنه دخل مصر فرأى نصرانياً نازعه في أمر من الأمور، فضربه بعكاز في يده ضربة قضى منها في الحال، فتعصب عليه بعض الرؤساء إلى أن أمر السلطان بقتله فقتل رحمه الله وهو مظلوم لا محالة، لأن القائل بقتل المسلم بالكافر وهم الحنفية لا يوجبون القصاص في القتل بالمثل. وسائر العلماء لا يقولون إنه يُقتل مُسلم بكافر. وكان وجود صاحب الترجمة في القرن الثامن.

(١) الشَّجَنُ: الحُزْنُ.

حرف الطاء المهملة

٢١٣

(طُطِرَ الملك الظَّاهر)^(١)

كان في الابتداء من ممالك الظاهر بَرْقُوق، ثم ترقَّى في سلطنة المؤيد حتى صار أحد المقدمين. ثم جعله في مرض موته متكلماً على ابنه المظفر أحمد، وسافر به بعد موت أبيه، ثم استقر أتابكاً وأخذ في تمهيد الأمر لنفسه إلى أن خلع المظفر، واستقر عوضه في المملكة يوم الجمعة تاسع عشر شعبان سنة (٧٢٤). ثم برز في سابع عشر رمضان عائداً إلى القاهرة، فوصلها في رابع شوال، ثم مرض ولزم الفراش إلى مستهل ذي القعدة، وانتعش قليلاً، ثم أخذ يتزايد مرضه إلى ثاني ذي الحجة، فجمع القضاة والعلماء وعهد إلى ولده مُحَمَّد، ثم مات في رابع ذي الحجة من السنة المذكورة، وله نحو خمسين سنة. ودفن من يومه بالقرافة، فكانت مدته نيفاً وتسعين يوماً. وكان يحب العلماء ويعظمهم مع حسن الخلق والمكارم الزائدة والعطاء الواسع. وقد كان في آخر أيام المؤيد يحتاج إلى القليل فلا يجده لكثرة عطائه حتى إنه أراد مكافأة شخص قدم له مأكولاً فلم يجد شيئاً فسأل خواصه هل عندهم شيء يقرضونه، فكل واحد منهم يحلف أنه ليس عنده شيء إلا واحداً منهم. فلم يكن بين هذا وبين استيلائه على المملكة بأسرها وعلى جميع ما في الخزائن السلطانية التي جمعها المؤيد سوى أسبوع. قال المقرئ: كان يميل إلى تدوين، وفيه لين وإعطاء وكرم، مع طيش وخفة وشدة تعصب لمذهب الحنفية يريد أن لا يدع أحداً من الفقهاء غير الحنفية. وأتلف في مدته مع قصرها أموالاً عظيمة، وحمل الدولة كلفاً كبيراً، أتعب بها مَنْ بعده. وقال ابن خطيب الناصرية: إنه كان مائلاً إلى العدل وأهل العلم، يحبهم ويكرمهم ويتكلم في مسائل من الفقه على مذهب أبي حنيفة.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢٢٦/٣؛ بدائع الزهور: ١٣/٢.

(٢١٤)

(طَقْطَاي بن مَنكُوتمر

ابن سَابِرْخَان بن جَنَكِرْخَان المغلي ملك التتار)

كان واسع المملكة جداً، وعساكره تفوت الحصر حتى يقال: إنه جهّز جيشاً فأخرج من كل عشرة واحداً فبلغوا مائتي ألف، كذا قال ابن حجر في الدرر الكامنة. وهذا شيء لم يسمع في جيش ملك من الملوك. وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة ٧١٢ انتتية عشرة وسبعمئة. ولم يُسلم بل كان يحب المسلمين خصوصاً الفضلاء منهم ومن كل الملل، ويميل إلى الأطباء والسحرة. وأسلم ولده. ويقال: إن عرض مملكته ثمانية أشهر، وطولها سنة. قال بعضهم: وفيه عدل وميل إلى أهل الخير، وكان يحب الأطباء ومملكته واسعة جداً حتى يقال: ثمانمئة فرسخ في ستمئة فرسخ. وكان له ولد حسن الشكل، فأسلم وأحب القرآن وسماعه.

(٢١٥)

(طَهْمَاسَب ملك بلاد العجم)

طارت أخباره إلى اليمن في وسط المائة الثانية عشرة من الهجرة، وأخبر عنه الأغراب بقوة باهرة وسلطنة عظيمة. ومُحصّل ما بلغ عنه حسبما نقله من أدرك تلك الأيام من أهل هذه الأرض أنه كان خادماً في بعض مشاهد الأئمة التي هنالك، ثم بعد ذلك خرج إلى بعض الأمكنة، ودعا جماعة من الناس إلى اتباعه فاتبعوه. وما زال أمره يظهر حتى استولى على ملك تلك الديار، وعلى سائر ممالك العجم، وعلى ممالك العراق. ثم لما تقرّر ملكه لها غزا بجيوش لا تحصى إلى بلاد الهند وكان ملكها إذ ذاك يقال له (مُحمّد شاه) فتلقاه بجيوش عظيمة فوقع المصاف بين الجيشين، وتطاول أياماً وقتل في بعضها أمير أمراء ملك الهند، وكان من يليه في الرتبة من أمراء السلطان يطمع في أن يكون مكانه، فولّى السلطان رجلاً آخر فخامر عليه ذلك الأمير وانخزل بطائفة من جنوده إلى طهماسب فضعف بذلك السبب سلطان الهند. ثم سعى ذلك الأمير في الصلح بين الملكين فتواعدا للاجتماع إلى مكان عيّناه فسبق إليه سلطان الهند ثم وصل طهماسب فقعد ونظر إلى سلطان الهند وهو يشرب التنباك ولحيته محلوقة فأنكر عليه ذلك ووبخه. ثم تمّ الصلح على أن يدخل طهماسب بجيوشه إلى مدينة السلطان، وهي مدينة عظيمة تسمى «ني خور» ويكون أهلها في أمان، ويعود سلطان الهند معه مكرماً ويبقى في مملكته، فدخل تلك المدينة. ولما حضرت صلاة الجمعة خاف أهل الهند أن يُغيّر طهماسب رسومهم في الخطبة إلى رسوم العجم فلم

يفعل بل تركهم على حالهم ففرحوا بذلك . وكان جيشه منتشراً في جميع المدينة نازلين مع أهلها، فكان أوباش الهند إذا ظفروا بواحد من جيوش طهماسب قتلوه غيلة وأفنوا بهذا السبب جماعة كثيرة . فبلغ السلطان طهماسب ذلك فبحث عنه وتفقد أصحابه ففقد كثيراً منهم، فأمر جيوشه بقتل أهل المدينة، فما زالوا يقتلون من وجدوه في ثلاثة أيام حتى بلغ القتلى من الهند زيادة على مائة ألف . ثم أمرهم بعد اليوم الثالث برفع السيف، ونادى بالأمان وصادر أهل المدينة واستخرج ما معهم من الأموال وأخذ من خزائن سلطانهم ما أحب أخذه، ثم ارتحل وقد دوخ بلاد الهند وصار سلطانها المذكور نائباً له فيها، وعاد إلى بلاده . ثم عزم على الغزو إلى مصر والشام والروم وقد خافته الملوك وأيقنوا بأنه لا طاقة لهم به فكفى الله شره ودفع عن المسلمين ضره وسلط عليه جماعة من غلمانه تواطؤوا عليه فقتلوه وهو على فراشه . وكانت مدة ملكه تسع سنين . هذا حاصل ما علق بحفظي من أخبار من أخبرنا عن أخبار من أخبرهم في تلك الأيام من الغرباء الواصلين إلى هذه الديار . ثم وصل إلى صنعاء (السيد إبراهيم العجمي الحكيم) وكان أبوه من جملة الأطباء لطهماسب وذكر لنا من أخباره غرائب وعجائب، وأخبرنا أنه كان في ابتداء أمره سياسياً من سؤاس الجمال، وكان عظيم الخلقة قوي البدن، فاتفق أن ملك الهند غزا بلاد العجم وكان سلطانها إذ ذاك مشغلاً بالهيو والبطالة، فما زال سلطان الهند يفتحها إقليماً بعد إقليم، ومدينة بعد مدينة، حتى لم يبق إلا المدينة التي فيها سلطان العجم، وسلطان العجم مشغلاً بما هو فيه من البطالة . ثم التجأ سلطان العجم إلى بعض المشاهد المعتقد فيها في تلك المدينة خوفاً من صاحب الهند، فلما وقع منه ذلك قام صاحب الترجمة يدعو الناس إلى جهاد سلطان الهند ودفعه عن مدينة سلطان العجم التي قد أشرف على أخذها، فتبعه جماعة وخرجوا من المدينة وهو أمامهم، فهزموا جيوش سلطان الهند وتبعوهم وأخرجوا من قد كان منهم في مدائن العجم حتى أخرجوهم من بلاد العجم، ثم رجعوا إلى المدينة، فصار صاحب الترجمة المتكلم في مملكة العجم . وما زال أمره يقوى حتى خلع السلطان العجمي المذكور سابقاً، وبعد ذلك غزا بلاد الهند مكافئاً لهم بما فعلوا في بلاد العجم، ووقع منه في بلادهم من القتل والأسر والنهب ما لا يأتي عليه الحصر، ووصف لنا أنه لما كان من الهنود ما قدمنا من القتل لأصحابه غيلة، خرج في اليوم الثاني إلى سطح جامعها وهو مكان مرتفع وحوله فسحة كبيرة من جميع الجهات، وكان لابساً للحمرة وذلك علامة القتل، ثم صعد على سطح الجامع وجيوشه حول الجامع من جميع جهاته ينظرون إليه ويرتقبون ما يأمر به، فاستقر ساعة ثم أخذ سيفه وسله من غمده ووضعه مسلولاً، وصاح الجيش صيحة واحدة وشهروا سلاحهم وسعوا نحو المدينة يقتلون من وجدوه . ثم استمر ذلك من

أول اليوم إلى وقت العصر، فوصل سلطان الهند وكان قد آمنه وعلم أنه لا ذنب له فيما وقع من الهنود، ووصل وعليه كفن منشور وسيف مشهور واضح له على رقبتة، ثم رمى نفسه بين يدي صاحب الترجمة، وقال: أيها السلطان قد كان هلك غالب أهل المدينة، ووصل القتل إلى الأخيار ولم يقع ما وقع إلا من جماعة يسيرة من الأشرار. فلما سمع ذلك أخذ السيف الذي قد كان سلّه في أول اليوم فأغمده في غمده، فذهب جماعة كثيرة من الباقيين حوله يصيحون للجيش الذي صار يقتل أهل الهند فمن سمع الصائح رجع وترك القتل. ثم من جملة ما ذكره لنا السيد إبراهيم أن صاحب الترجمة صار لا يصبر بعد ذلك عن سفك الدماء، وصار يقتل من لا ذنب له من أصحابه ورعيته، فأجمع رأي ابن أخيه ونحو ثلاثمائة نفر من جنده على قتله وهو في الغزو، فدخلوا عليه وقد تساقط أكثرهم في الخيام من هيبته ثم قتلوه. وله أخبار طويلة.

حرف الظاء المعجمة

(٢١٦)

(ظافر بن مُحَمَّد بن صالح بن ثابت الأنصاريّ العدويّ)

من شعراء المائة الثامنة، له نظم جيد، رواه عنه الشيخ أبو حيان وغيره، وكان فقيراً خيراً، فمنه: [من الوافر]

تَمِيسُ فَتُخْجِلُ الْأَغْصَانَ تِيهًا وَتَزْرِي فِي التَّلْفُتِ بِالْغَزَالِ^(١)
وَتَحْسِبُ بِالْإِزَارِ لَقَدْ تَغَطَّتْ وَقَدْ أَبَدْتُ بِهِ كُلَّ الْجَمَالِ
سَلُوهَا لَمْ تُغْطِي الْبَدْرَ تِيهًا وَتَسْمَحُ لِلنَّوَظِرِ بِالْهَلَالِ
وَلَمْ تُصْلِي الْحِشَا بِالْعُتْبِ نَارًا وَفِي الْفَاطِهَا بَرْدُ الزُّلَالِ^(٢)

(٢١٧)

(ظاهر بن أحمد بن شرف الغصينيّ الفيثوميّ)^(٣)

ولد تقريباً على رأس القرن الثامن، وله فضيلة في النحو والفقه، مع فهم ونظم كثير في مجلدات. وياشر الأمر كأسلافه في تلك الناحية. ثم أعرض عنها لولده شرف الدين، وأقبل على العبادة والأوراد، وصحب الشيخ مُحَمَّد بن أحمد بن مُهَلِّهَل، فعادت بركته عليه، وحجَّ ودخل مصر، ومن شعره مُعْرَضاً بالعروض: [من البسيط]

تَوَاتَرَتْ لِكِمَالِ الدَّابِلِيَّاتِي تَحْكِي طَوِيلَ مَدِيدِ الدَّابِلِيَّاتِ^(٤)
وَقَدْ تَقَارَبَ حِقْفِي بِالسَّرِيعِ إِلَى خَفِيفِ مُنْسَرِحِ الْأَهْوَا الْمُضِلَّاتِ^(٥)
وله ديوان شعر مختصّ بالمدائح النبوية، (ومات) في بضع وسبعين وثمانمائة.

(١) تميس: تختال وتبختر وتتمايل.

(٢) تصلي: تحرق، تشعل.

(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٤٨/٥.

(٤) الداء: الداء: المرض.

(٥) الحِقْفُ: ما استطال واعوجَّ من الرمل. الأهوا: الأهواء: الميول والرغبات.

٢١٨

(ظَهيرةُ بنُ مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد بنِ مُحَمَّد
ابن حُسَيْن بن علي بن أحمد بن عَطِيَّة بن ظَهيرة
الْقُرشي المكي المالكي)

المعروف كسلفه بابن ظَهيرة. ولد في ذي الحِجَّة سنة ١٨٤١ إحدَى وأربعين وثمانمائة فحفظ القرآن والأربعين النووية، ومختصر ابن الحاجب الأصلي والفرعي، والرسالة لابن أبي زَيْد، وألفية الحديث والنحو، وعرض على ابن الهمام وآخرين. وتفقه بالقاضي عبد القادر، وعنه أخذ العربية. وأخذ الأصول والمنطق على ابن مرزوق وغيره. وكان ديناً كثير المحاسن بارعاً في الفقه والعربية. ولي قضاء المالكية بمكة بعد ابن أبي اليُمن في سنة (٨٦٨)، وباشره بعَقَّة ونزاهة. ثم انفصل عنه لضعف بصره. ولم يلبث أن مات ليلة الأحد ثامن ذي الحجة من تلك السنة.

حرف العين المهملة

(٢١٩)

(عَامِرُ بن عبد الوهَّاب بن دَاوُد بن طَاهِر)^(١)

ولد سنة ٨٦٦ سِتِّ وستين وثمانمائة بالمقرانة محل سلفه، ونشأ في كفالة أبيه، فحفظ القرآن، واشتغل قليلاً، ثم ملك اليمن بعد أبيه، ولُقِّب الملك الظافر. فاختلف عليه بنو عَامِر فقهرهم وأذعنوا، وملك اليمن الأسفل وتهامة ثم صنعاء وصعدة وغالب ما بينهما من الحصون. ولما خرج الجراكسة إلى اليمن غلبوه بالسبب الذي قدمته في ترجمة الإمام شرف الدين، واستولوا على جميع ذخائره، وهي شيء يفوق الحصر، وأخرجوه من مدائنه، وقتلوه قريب صنعاء في آخر شهر ربيع سنة ٩٢٣ ثلاثٍ وعشرين وتسعمائة. وقد شرح ما جرى له الديبع في (بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد) وفي (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون). وكان يحب العلماء ويكرمهم، ويحب الكتب حتى اهتم بتحصيل «فتح الباري» ولم يكن إذ ذاك باليمن. وكذلك كتاب «الخادم» للزركشي. ولم تزل الحرب قائمة بينه وبين جماعة من أئمة أهل البيت سلام الله عليهم فتارة له وتارة عليه. ومحبة الرياسة والتنافس فيها من أعظم مصائب الأديان، نسأل الله السلامة والعافية. وقد رثاه الديبع بقوله: [من الطويل]

أَخْلَاي ضَاعَ الدِّينُ مِنْ بَعْدِ عَامِرٍ وَبَعْدَ أَخِيهِ أَعْدَلَ النَّاسِ فِي النَّاسِ
فَمُذْ فَقِدَا وَاللَّهَ وَاللَّهَ إِنَّنَا مِنَ الْأَمَنِ وَالْإِنْسَانِ فِي غَايَةِ الْيَاسِ

(٢٢٠)

(السيد عَامِر بن عَلِي بن مُحَمَّد)

ابن عَلِيٍّ عَمَّ الإمام القاسم بن مُحَمَّد بن عَلِيٍّ^(٢)

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة الحسن بن القاسم، وهو المعروف بِعَامِر الشهيد.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢٥٣/٣.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢٥٢/٣.

ولد سنة ٩٦٥ خمس وستين وتسعمائة، وقرأ على القاضي عبد الرحمن الرحيمي، وقرأ العربية والكشاف على السيد عثمان بن عليّ ابن الإمام شرف الدين بشبام قبل دعوة الإمام القاسم، وسكن بأهله هنالك لطلب العلم. ولما دعا ابن أخيه الإمام القاسم ببلاد قارة كتب إليه فوصل، ثم توجه بجنود فافتتح من بلاد الأمراء آل شمس الدين كثيراً، وكانوا أعضاء الوزير حسن والكخيا سنان، فما زال كذلك من سنة (١٠٠٦) إلى سنة (١٠٠٨). ثم إن جماعة من أهل قاعة غدروا به وقد كان تزوج بامرأة منهم هنالك، وتفرق عنه أصحابه ولم يبق سواه، فسعوا إلى الأتراك وأخبروهم بتفرده، فأقبلوا إليه وأحاطوا به ثم أسروه، وأدخلوه شبام فطافوا به في كوكبان وشبام على جمل، وأمير كوكبان يومئذ السيد أحمد بن محمد بن شمس الدين. ثم إنه أرسل به إلى الأتراك مع جماعة إلى الكخيا سنان، وكان في بني صريم فأمر به أن يسلمه فسلمه جلدته وصبر، فلم يسمع له أنين ولا شكوى، بل كان يتلو سورة الإخلاص، وكان ذلك يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ١٠٠٨ ثمان وألف. ثم إن سناناً أُملى جلدته الشريف تبنياً وأرسل به على جمل إلى صنعاء إلى الوزير حسن فشهره على الدائر على ميمنة باب اليمن، ودُفن سائر جسده بجمومة من بني صريم، ثم نقل إلى خمر بأمر الإمام وقبره هنالك مشهور مزور. ثم احتال بعض الشيعة فأخذ الجلد ودفنه على خفية، وعليه ضريح هنالك وقبة على يمين الداخل باب اليمن. ورثاه القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري بأبيات منها: [من الطويل]

أَزَائِرُ هَذَا الْقَبْرِ إِنْ جِئْتَ زَائِرًا وَنَلْتَ بِهِ سَهْمًا مِنَ الْأَجْرِ قَامِرًا^(١)
وَأَدَيْتَ حَقَّ الْمُصْطَفَى وَوَصِيَّهِ وَأَهْلِيهِ لِمَا زُرْتَ فِي اللَّهِ عَامِرًا
سَلِيلَ الْكَرَامِ الشُّمِّ مِنْ آلِ أَحْمَدٍ وَمَنْ كَانَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ عَامِرًا

(٢٢١)

(الإمام المهدي لدين الله العباس)

ابن الإمام المنصور بالله الحسين ابن الإمام المتوكل^(٢)

القاسم بن الحسين ابن الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد. ولد في سنة ١١٣١ إحدى وثلاثين ومائة وألف، وقرأ قبل خلافته وبعدها، فممن قرأ عليه قبل خلافته السيد العلامة عبد الله بن لطف الباري الكبسي. ثم كان في

(١) القامر (هنا): الرابع؛ وهو في الأصل من قمر فلان فلاناً: غلبه في لعب القمار، أو فضله في مفارقة أو مباراة.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢٦٠/٣.

أيام والده الإمام المنصور بالله رئيساً عظيماً فخيماً. ولما مات والده في سنة (١١٦١) أجمع الناس على صاحب الترجمة فبايعوه واتفقت عليه الكلمة، وبايعه من كان خارجاً عن طاعة والده كعمه أحمد بن المتوكل. وكان إماماً فطناً ذكياً عادلاً قويّ التدبير عالي الهمة منقاداً إلى الخير، مائلاً إلى أهل العلم، محباً للعدل، منصفاً للمظلوم، سيوساً حازماً مُطلعاً على أحوال رعيته، باحثاً عن سيرة عُمّاله فيهم، لا تخفى عليه خافية من الأحوال؛ له عيون يوصلون إليه ذلك. وله هيبة شديدة في قلوب خواصّه لا يفعلون شيئاً إلا وهم يعلمون أنه سينقل إليه، وبهذا السبب اندفع كثير من المظالم. وكان يدفع عن الرعايا ما ينوبهم من البغاة الذين يخرجون في الصورة على الخليفة، وفي الحقيقة لإهلاك الرعية، فكان تارةً يتألفهم بالعطاء وتارةً يرسل طائفة من أجناده تحول بينهم وبين الرعية. وعظم سلطانه في اليمن، وبعد صيته، واشتهر ذكره، وقصده أهل العلم والأدب من الجهات البعيدة لمزيد إكرامه لمن كان له فضيلة لا سيّما غرباء الديار. وكان مشتغلاً بالعلم بعد دخوله في الخلافة شغلة كبيرة لا يرح إذا خلا ناظراً في كتاب من الكتب. وقرأ على جماعة من العلماء، وكان إذا حدث حادث من بغي باغ أو خروج خارج عن الطاعة أهّمه ذلك وأقلقه، ولا يزال في تدبير دفعه حتى يدفعه. وله صدقات وصلات وافرة جارية على كثيرين من الفقراء والضعفاء والقصاص والوافدين. وفيه محاسن جمّة، وله سنن حسنة ستّها. وبه اندفعت مفسد كثيرة كانت موجودة قبل خلافته. والحاصل أنه من أفراد الدهر، ومن محاسن اليمن بل الزمن. ولم يزل قاهراً لأضداده قامعاً لحساده وأنداده، حافظاً لأطراف مملكته بقوة صولة وشدة شكيمة، لا يطمع فيه طامع، ولا ينجع فيه خدع خادع، بل يتصرف بالأمر حسب اختياره ويتفرد بتدبير المهمات، وليس لوزرائه معه كلام بل يعملون ما يأمرهم به، ولا يستطيعون أن يلبسوا عليه شيئاً من أمر المملكة أو يخادعونه في قضية من القضايا. وكان له نقادة كلية في الرجال، وخبرة كاملة بأبناء دهره. وإذا التيس عليه حال شخص منهم امتحنه بما يليق به حتى يعرف حقيقة حاله. وله قدرة كاملة على هتلك ستر من يتظاهر بالزهد والعفاف والانقباض عن الدنيا في ظاهر الأمر لا في الواقع، فإنه يدخل عليه من مداخل دقيقة بجودة فطنته وقوة فكرته، فيتضح له أمره ويحيط به خبراً. وله من هذا القبيل عجائب وغرائب. وما زال على الحال الجميل حتى (توفاه الله تعالى) في شهر رجب سنة ١١٨٩ تسع وثمانين ومائة وألف. وأيامه كلّها غرر، ودولته صافية عن شوائب الكدر. وما قام عليه قائم إلا دمره، ولا خرج عليه خارج إلا قهره. وكان استقراره في جميع خلافته بصنعاء، و(مات) بها ودُفن بقبته التي أعدّها لنفسه رحمه الله ورضي عنه. وبُويع عند موته مولانا خليفة العصر ولده المنصور بالله ربّ العالمين عليّ بن العبّاس حفظه الله. وستأتي له ترجمة

مستقلة إن شاء الله تعالى. وكان وزيره الأكبر الفقيه أحمد بن عليّ النُّهْمِي ما زال قائماً بالمهم من أموره وأمر أكثر بلاده إليه من أول خلافته إلى قبيل موته بقليل. وكان هذا الوزير من محاسن الزمن، له محبة للخير وإقبال على الطاعة وميل إلى أهل العلم والصلاح ومواساة الضعفاء، مع صدق لهجة وحسن اعتقاد. وكان يغضب إذا قال له قائل إنه وزير أو عظمه أو وصفه بوصف له مدح فيه. ولم يأت بعده في مجموع خصاله مثله إلا الحسن بن عليّ حَسَّ المتقدم ذكره، فإنه سلك طريقته، وفاقه بكثرة البذل والعطاء، ولكن لم يكن إليه من الأعمال ما كان إلى هذا، فإن الذي إلى هذا من البلاد هو غالب البلاد اليمنية. ولصاحب الترجمة أولاد، هم سادات السادات، وكل واحد منهم لا يخلو عن فضيلة، ويجمعهم جميعاً حسن الفروسية وجودة الخلق والتمسك بنصيب من العرفان، وأكبرهم عبد الله، تُوفي في حياة والده. وبعده مولانا الإمام خليفة العصر المنصور بالله عليّ، وستأتي ترجمته. وبعده مُحَمَّد، وهو من أكابر آل الإمام، وله نصيب من الكمالات وافر. وبعده القَاسِم، وهو من فحول السادات وأعيان القادات، وله مشاركة في العلم جيدة. وبعده يُوسُف، وهو حَسَن الأخلاق كريم الأعراق. وبعده أحمد، وهو أوسعهم علماً وأقواهم فهماً، له اطلاع كلي على علم التاريخ والأدب ومعرفة بفنون من العلم ومشاركة كلية في أنواع منه، وله شعر، وفيه رغبة إلى المباحثة. وهو كريم مطلق قليل النظير في مجموعته. وبعده إسماعيل، وهو قليل النظير في حسن أخلاقه وتواضعه وسلامته فطرته وعفافه. وهؤلاء هم الكبار من أولاد صاحب الترجمة، وهم كثيرون، وجميعهم كما قال القائل: [من البسيط]

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي^(١)

٢٢٢

(السيد العباس بن مُحَمَّد المَغْرِبِي التُّونِسِي)

قدم إلى صنعاء في سنة (١٢٠٠)، وله معرفة بعلم الحروف والأوفاق، رأينا منه في ذلك عجائب وغرائب، وأخذنا عنه في علم الأوفاق لقصد التجريب لا لاعتقاد شيء من ذلك. وكان إذا احتاج إلى دراهم أخذ بياضاً وقطعه قطعاً على صور الضربة المتعامل بها ثم يجعلها في وعاء ويتلو عليها فتقلب دراهم. وكنت في الابتداء أظن ذلك حيلة وشعوذة، فأخذت ذلك الوعاء وفتشته فلم أقف على الحقيقة، فسألته أن يصدقني فقال: إن تلك الدراهم يجيء بها خادم من الجن يضعها في ذلك الوعاء بقدر ما جعله من قطع البياض ويكون ذلك قرضاً حتى يتمكن من القضاء فيقضي. وكان

(١) السَّارِي: السَّائِر بالليل.

يضع خاتم أحد الحاضرين في إناء ويجعل فيه ماء ويرتب فيسمع الحاضرون في ذلك الإناء صوتاً مفزعاً ويرتفع ذلك الخاتم فيقع في حجر صاحبه، فظننت أنه يضع في الإناء تحت الخاتم شيئاً من المعادن يكون له قوة يدفع بها الخاتم فتركته حتى وضع الإناء ووضع فيه الخاتم فقامت فأخذته فلم أجد فيه شيئاً. ثم أمرني أن آخذ إناءً آخر وأضع فيه ماء بيدي وأضع الخاتم من دون أن يمس هو شيئاً من ذلك، ففعلتُ، وتلا، فسمعنا ذلك الصوت، وارتفع الخاتم، ووقع في حجر صاحبه. وله من هذا الجنس عجائب وغرائب. واتصل بخليفة العصر حفظه الله وكساه كسوة عظيمة، وأعطاه عطاءً واسعاً. وكان يكثر التردد إليّ وأنا إذ ذاك مشغول بطلب العلم. ثم عزم صحبة الحجّاج، فوصل إلى مكة، وإذا جماعة من حجّاج الغرب يسألون عنه حجّاج اليمن. ومن جملة من سألوا رفقته الذين حجّ معهم من أهل اليمن فسألوهم عن حاله فأخبروهم أن أباه من أكابر تجار الغرب، وأنه مات وخلف دنيا عريضة. وكذلك وصف لنا من رافقه من حجّاج اليمن في الطريق من مروءته وإحسانه إليهم في الطريق وشكره لأهل اليمن عند أصحابه وغيرهم ما يدلّ على أنه من أهل المروءات. ومن جملة ما وصفوه أنهم وصلوا إلى البحر فعدم الماء في السفينة وهم بقرب جزيرة فيها ماء عذب، ولكن فيها جماعة من اللصوص قد حالوا بين أهل السفينة وبين الماء. واشتدت حاجتهم إلى الماء ولم يقدر أحد على الخروج، فاشتمل هذا السيد على سيفه وخرج، وأخرج معه قرب الماء، فلما رآه اللصوص هربوا. وكان طويلاً ضخماً حسن الأخلاق أبيض اللون شديد القوة ويحفظ منظومة في فقه المالكية، وله معرفة بمسائل من أصول الدين. وكان يُصمّم على ما يعرفه، فإذا ظهر له الحق مال إليه. وكنت مرة أنا وشخص عندي كان يحضر عند اجتماعي بالسيد فأخذنا من تحرير أوفاق قد حفظناها منه ولم يكن حاضراً، فلما فرغنا من تحرير بعضها وضعناه في النار حتى التهب ثم جعلناه في الطاقة فلم نشعر إلّا بطائر قد انقض على تلك الورق التي تلتهب فأخذها وذهب، فعجبنا من ذلك غاية العجب. ولم نقف للمترجم له على خبر بعد ارتحاله. وقد كان يحكي لنا من أحوال أهل الغرب حكايات عجيبة. وكانت مدة الاجتماع به نحو ثلاثة أشهر أو أكثر.

(٢٢٣)

(عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي ثم القاهري)^(١)

قال السخاوي: هو أول من سُمّي بعبد الباسط. ولد سنة ٧٨٤ أربع وثمانين

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٢٤/٤؛ الأعلام: ٢٧٠/٣.

وسبعمائه، ونشأ في خدمة كاتب سرّها مُحَمَّد بن مُوسَى بن مُحَمَّد الشَّهاب مَحْمُود، واختصَّ به. ثم اتصل بالمؤيد شيخ حُسين، كان نائباً بدمشق، ولازمه حتى قدم معه إلى الديار المصرية، فلما تسلطن المؤيد أعطاه نظر الخزانة والكتابة بها، وسلك مسلك عظماء الدولة في الحشم والخدم والمماليك من سائر الأجناس والندماء. وربما ركب بالسرّج الذهب، والسلطان زائد الإقبال عليه والتقريب له. وتكرّر نزوله غير مرة، فتزايدت وجاهته بذلك كله وزاد تعاظمه حتى صار لا يسلم على أحد إلا نادراً، فمقتته العامة وأسمعوه المكروه كقولهم: يا باسط خذ عبدك، فشكاهم إلى المؤيد، فتوعدّهم بكلّ سوء فأخذوا في قولهم يا جبال يا رمال يا الله يا لطيف، فلما طال ذلك عليه التفت إليهم بالسلام وخفض الجناح فسكتوا عنه وأحبوه. ولا يزال يترقّى إلى أن أثرى جدّاً، وأنشأ القيسارية المعروفة بالبأسطية، وعمر الأملاك الجليلة. ثم صار في دولة السلطان طُطر ناظر الجيش عوضاً عن الكمال بن البارزي في سابع ذي القعدة سنة (٨٢٤)، فلما استقرّ السلطان الأشرف بالغ في التقرب إليه بالتقادم والتحف، وفتح له أبواباً في جميع الأموال، فزاد اختصاصه به وصار هو المُعوّل عليه. وأضاف إليه الوزارة والأستاذ دارية^(١) فسدّهما بنفسه وبعض خدمه إلى أن مات الأشرف، واستقر ابنه العزيز، وكان من أعظم القائمين في سلطنته. ثم صارت السلطنة إلى السلطان جقمق، فخلع عليه باستمراره في نظر الجيش، ثم قبض عليه وحبسه وطلب منه ألف ألف دينار، فتلطف به الكمال بن البارزي وغيره من أعيان الدولة حتى صارت إلى ثلاثمائة ألف دينار. ثم أطلق وأمر بالتوجه إلى الحجاز، فسافر بعد أن خلع عليه وعلى عياله وحواشيه في ثامن شهر ربيع الآخر سنة (٨٤٣)، فأقام بمكة سنة، ثم رجع مع الركب الشامي إلى دمشق امتثالاً لما أمر به، فأقام بها سنين، وزار منها بيت المقدس، وأرسل بهدية من هناك إلى السلطان. ثم قدم القاهرة فكان يوماً مشهوراً، وخلع عليه وعلى أولاده، ثم أرسل بتقدمة هائلة، وعاد إلى دمشق بعد أن أنعم عليه السلطان بإمرة عشرين بها. ثم بعد سنين عاد إلى القاهرة مستوطناً لها. ثم حجّ وعاد فأقام قليلاً، و(مات) يوم الثلاثاء رابع شوال سنة ٨٥٤ أربع وخمسين وثمانمائة. وكان رئيساً محتشماً سائساً كريماً واسع العطاء ممدوحاً محباً للعلماء مفضلاً عليهم. وكان الحافظ ابن حجر من جملة من اتصل به، هو الذي ذكره في فتح الباري لما ذكر كسوة

(١) الأستاذدار (الأستاذدار): كلمة فارسية مركبة من «أستاذ» أي: أخذ، و«دار» أي مُمسك، ومعنى هذا التركيب: متولي الأخذ وقبض المال (صبح الأعشى: ٥/٤٥٧). وقال السبكي: «هو من يتكلم في إقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم. عليه ألا يطعمه حراماً، ولا يبيع أستاذه رخيصاً، وأن يرفق بأهل القرى، ويؤدي أمانة الله تعالى التي علّقها في رقبتة، حيث دخل في هذه الوظيفة للفلاحين وغيرهم من رعية الأمير». (معيد النعم ومبيد النقم: ٣٠).

الكعبة حيث قال: ولم يزل الملوك يتداولون كسوتها إلى أن وقف عليها الصالح إسماعيل بن الناصر في سنة (٧٤٣) قرية من ضواحي القاهرة يقال لها بيسوس، كان اشترى الثلثين منها من وكيل بيت المال ثم وقفها على هذه الجهة قال: ولم تزل تُكسَى من هذا الوقف إلى سلطنة المؤيد شيخ، فكساها من عنده سنة لضعف وقفها، ثم فوّض أمرها إلى بعض أمائه، وهو القاضي زين الدين عبد الباسط بسط الله في رزقه وعمره، فبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف حسناتها جزاء الله على ذلك أفضل المجازاة^(١). انتهى. ومن غرائب ما اتفق لصاحب الترجمة أن جَوَّهَر القيقباي رام أن يخدم عنده فما وافق، ثم ترقّى حتى صار صاحب الترجمة خاضعاً له ماشياً في أغراضه راضياً وكارهاً. وكذلك أحضرت أم العزيز إلى صاحب الترجمة ليشتريها قبل وصولها إلى الأشرف فامتنع فصار إلى الأشرف، وحظيت عنده فصار المترجم له يمشي في خدمتها، وسار معها إلى مكة يخدمها، وربما مشى، وهذا شأن هذه الدنيا.

(٢٢٤)

(عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله ابن مُثَنَّى بن أحمد بن مُحَمَّد بن عيسى بن يُوسُف ابن عبد المجيد اليماني المخزومي تاج الدين)^(٢)

ولد في رجب سنة ٦٨٥^(٣) خمس وثمانين وستمائة بمكة، ودخل اليمن فأقام بها مدة. ثم قدم مصر بعد السبعمئة بيسير، فأقام بها مدة، وقدم الشام في زمن الأقرم فرتّب له راتباً واشتغل الناس عليه في العروض والمقامات. ثم رجع إلى اليمن في سنة (٧١٦) وولاه المؤيد الرسولي الوزارة فاستمر فيها إلى أن (مات) المؤيد. وولاه ابنه الظافر فقرّبه وعظّمه، ثم صادره المجاهد، واجتاح أمواله، ففرّ منه إلى مكة. ودخل الديار المصرية في سنة (٧٣٠) فدرّس بالمشهد النفيسي، ثم استوطن بيت المقدس. وما زال يتردّد بين حلب ودمشق ومصر وطرابلس حتى (مات) في سنة ٧٤٤ أربع وأربعين وسبعمئة^(٤). وكان له قدرة على النظم والنثر، وكان يحطّ على القاضي

(١) قال السخاوي: «له من المآثر بأقطار الأرض ما يفوق الوصف، من ذلك مدارس في كل من المساجد الثلاثة (بمكة والمدينة والقدس)، وفي دمشق وغزة. (الضوء اللامع: ٢٤/٤ - ٢٦).

(٢) ترجمته في: فوات الوفيات: ١/٢٤٥؛ شذرات الذهب: ٦/١٣٨؛ الدرر الكامنة: ٢/٣١٥؛ كشف الظنون: ٣١٠؛ الأعلام: ٣/٢٧٢؛ هدية العارفين: ٢/٤٩٥؛ معجم المؤلفين: ٥/٧٣.

(٣) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م.

(٤) وفي رواية: سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م.

الفاضل^(١)، ويرجح عليه ابن الأثير^(٢). وعمل تاريخاً لليمن وتاريخاً للنحاة. واختصر تاريخ ابن خَلْكَان في جزء، وذيل عليه إلى زمانه. وضبط ألفاظ الشفاء ليعاض في جزء. وله (مطرب السمع في حديث أم زرع) وغير ذلك. وله اشتغال كبير بالفقه والأصول وفنون الأدب. وله اختصار الصحاح. وحكي عن بعض معاصريه أنه قال: لا يعتمد عليه في الرواية، ومن شعره: [من الوافر]

تَجَنَّبُ أَنْ تَذُمَّ بِكَ اللَّيَالِي وَحَاوَلَ أَنْ يَذُمَّ لَكَ الزَّمَانُ
وَلَا تَحْفَلُ إِذَا كُمِّلْتَ ذَاتاً أَصَبْتَ الْعِزَّ أَمْ حَصَلَ الْهَوَانُ

٢٢٥

(عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن الحسن ابن عليّ البَهْكَليّ الضَّمَدِيّ ثم الصَّبْيَائِيّ)^(٣)

ولد سنة ١١٨٠^(٤) ثمانين ومائة وألف تقريباً بصيباً، ونشأ بها وقرأ على والده وغيره من أهل صيبا. ثم رحل إلى صنعاء سنة (١٢٠٢) فأخذ عن أكابر علمائها كشيخنا السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، والسيد العلامة عليّ بن عبد الله الجلال، والسيد العلامة عبد الله بن مُحَمَّد الأمير، وشيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وشيخنا السيد العلامة عبد الله بن الحسن بن عليّ بن الحُسَيْن بن عليّ بن المُتَوَكِّل، والعلامة عليّ بن هادي عرهب وغير هؤلاء. وأخذ عني في فنون متعددة، واختص بي اختصاصاً كاملاً، وسألني مسائل كثيرة فأحببت عليه بأجوبة مطوّلة ومختصرة. وعاد إلى وطنه وقد برع في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير والحديث في أقرب مدّة لحسن فهمه وجودة تصويره وكمال إدراكه وقوة ذهنه. ثم ما زال بعد رجوعه إلى وطنه يكتبني بالأشعار الرائقة فأجيب عليه

(١) هو عبدالرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان (بفلسطين)، وتوفي في القاهرة سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م. وكان من وزراء السلطان صلاح الدين ومقربيه، ولم يخدم بعده أحداً. (الأعلام: ٣/٣٤٦).

(٢) هو أبو الفتح، نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، الجزري، ضياء الدين: وزير، من العلماء الكتاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين، وولي الوزارة للملك الأفضل ابنه، بدمشق. توفي سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م. (الأعلام: ٣١/٨).

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٣/٢٩٨؛ نيل الوطر: ٢/٣٣؛ معجم المؤلفين: ١١٧/٥؛ إيضاح المكنون: ٢/٦٦٧.

(٤) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ١١٨٢هـ / ١٧٦٨م، وتوفي سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م.

بمضمون ما يكتبه إليّ. وهو مع ذلك يتأسّف على مفارقتي وأتأسّف على مفارقتة لما بيني وبينه من المودة الصادقة والمحبة الزائدة التي تفوق الوصف. بل قد لا يتفق مثلها بين الأخوين الشقيقين. وقد جرت بيني وبينه من المطارحات الأدبية نظماً ونثراً ما لا يتسع له إلا مجلد. وفيه فصاحة ورجاحة مع حسن تودّد ولطافة طبع وكرم أخلاق وملاحة محاضرة واستحضار لرائق الأشعار وفائق الأخبار، لا يمل جليسه لما جبل عليه من موافقة كل جليس وجلب خاطره بما يلائمه والوقوف على الحدّ الذي يريده. ولهذا أحبته القلوب وانجذبت إليه الخواطر ورغب إليه كل أحد، فعاشر أهل صنعاء وعرف طباعهم واختلاف أوضاعهم وصار أخبر بهم من أحدهم، لا يخفى عليه من أحوالهم دقيق ولا جليل. ثم ارتحل إلى صنعاء رحلة ثانية، وكنت إذ ذاك مشغولاً بالتدريس والتأليف والإفتاء، ولكنه قد جفاني جماعة من الذين لا يعرفون الحقائق لصدور اجتهادات متي مخالفة لما ألفوه وعرفوه، وهذا دأبهم سلفاً عن خلف، لا يزالون يعادون من بلغ رتبة الاجتهاد وخالف ما دُبُّوا عليه ودرجوا من مذاهب الآباء والأجداد. فوصل صاحب الترجمة في سنة (١٢٠٩) والمواحشة بيني وبين المذكورين زائدة ولهيب نار الاختلاف صادعة، فقرأ عليّ في مختصر المنتهى وشرحه لعصّد الدين، وحاشيته للسعد، وقرأ عليّ في الخرازية وشرحها في العروض. وما زال يُعادي أعدائي ويوادد أودائي، ويقوم في غيبتني مقام الأخ الحميم، ويتوجّع من أحوال أبناء الزمن وما جُبِل عليه طلبة العلم في قطر اليمن. ثم وصل إلى صنعاء مرةً ثالثة في شهر رمضان سنة (١٢١١)، وكنت إذ ذاك قد امتحنت بقبول القضاء الأكبر بعد الإلزام به من مولانا خليفة العصر حفظه الله، فاستقر المترجم له في صنعاء نحو نصف سنة يتصل بي في كلّ وقت، ويحضر في مواقف التدريس ومجالس المنادمة والتأنيس، ويطارحني بأدبياته، ويواصلني بفقره الفائقة وأبياته حتى ولّاه مولانا الإمام حفظه الله قضاء بيت الفقيه ابن عجيل بعد موت القاضي العلامة عبد الفتاح بن أحمد العواجي، وهو الآن قاض هنالك. وقد باشره مباشرة حسنة بعفة ونزاهة وحرمة كاملة، وصدع بالحقّ بحسب الحال ومقدار ما تبلغ إليه الطاقة. وقد أجزته بكل ما يجوز لي روايته، وهو مشارك لي في السماع من أكابر شيوخه. وله قدرة على النظم والنثر، ومملكة كاملة في جميع العلوم عقلاً ونقلاً ولا يقلد أحداً بل يجتهد برأيه. وهو حقيق بذلك. ولما وقف على أبيات لي من الحماسة رُضت القريحة بها مرغباً في الرتبة الوسطى إذا أعجزت الغاية وهي: [من الطويل]

إذا أعوزَ المرءُ الصُّعود إلى التي إليها تنأهى كلُّ أروع أصيد^(١)

(١) الأروع: الذكيّ الفؤاد. الأصيد: المُتَكَبِّر المَزْهُو بنفسه، أو كلُّ ذي حَوْلٍ وطَوْلٍ من ذوي السلطان.

فَمِنْ دُونِ تَحْلِيْقِ النُّسُورِ مَنَازِلُ تَرُوحُ بِهَا رُقْشُ الْبَزَاةِ وَتَعْتَدِي^(١)
وَدَغُ عَنَّا أَذْنَى مَسْرَحِ الْعَزِّ إِنَّهُ مَطَارُ بُغَاثِ الطَّيْرِ عِنْدَ التَّبَلْدِ^(٢)
فَهُمُ الْفَتَى كُلُّ الْفَتَى غَيْرُ وَاقِفٍ عَلَى الدُّونِ إِنْ الدُّونَ غَيْرُ مُحَمَّدٍ
وَفِي الْغَايَةِ الْوُسْطَى تَعْلُلُ مُعْرَمٍ عَلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى مَقَامَ التَّفَرُّدِ
أَيَا مَنْزِلًا مِنْ دُونِ مَضْرِبِ السَّهَى وَيَا مَقْعَدًا مِنْ دُونِهِ كُلُّ مَقْعَدٍ^(٣)
أَرَى دُونَ مَرْقَى شَأْوِكَ الْمَوْتَ وَاقْفًا لِكُلِّ الَّذِي يَهْوَى لِقَاكَ بِمَرْصَدٍ^(٤)

فقال هذه الأبيات التي هي السحر الحلال وقد غاب عني أولها: [من الطويل]

فَتَى لَا وَحَقَّ اللَّهُ لَوْلَا قِيَامِهِ بَبَابِ الْعُلَا وَالْمَعْدُ لَمْ يَتَّجِدْ
وَأَبْلَجَ مَا مِنْ آلِهِ وَقَبِيلِهِ عَلَى قَلَّةِ السَّادَاتِ مَنْ لَمْ يُسَوِّدْ^(٥)
أَخُوهِمَّةٍ مَا حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةٍ أَخُوهَا وَلَا الْعَالِي يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ^(٦)
وَذُو سَلَفٍ مَا فِيهِمْ مِنْ مُذَمَّمٍ لَتَيْمٍ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَيْمَنَ إِنْ تَضَدَّمْ بِهِ الْفَقْرَ يَنْقَلِبُ غَنِيًّا وَإِنْ تَضَدَّمْ بِهِ النَّحْسَ تَسْعَدُ

ووقف على أبيات لي من ذلك الطراز الأول نظمها لقصد امتحان الفكر، وهي:

[من الطويل]

وَلِي سَلَفٌ فَوْقَ الْمَجْرَةِ خَيَّمُوا سُرَادِقِهِمْ مِنْ دُونِهِ كُلُّ كَوَكَبٍ^(٧)

(١) الرُقْشَةُ: لون فيه نقوش، أو اختلاط الألوان، من كدرة وسواد ونحوهما، وقد رَقَشَ رَقْشًا، وَرُقْشَةً: كان به رُقْشَةٌ، فهو أَرْقَشُ، وهي رَقْشَاءُ، والجمع: رُقْشٌ. البَزَاة: جمع بازٍ: جنس من الصقور الصغيرة أو المتوسطة الحجم.

(٢) الْبُغَاثُ: طائر أبغث اللون (فيه بقع سود وبيض)، أصغر من الرخم، بطيء الطيران.

(٣) السَّهَى: كوكب صغير خفي الضوء، في بنات نعش الكبرى، أو الصغرى.

(٤) الْمَرْقَى: الرُّقْيُ، أو موضعه، والجمع: مَرَاقٍ، والمرقاة: وسيلة الرُّقْيِ أو آله، أو موضعه. المرصد: طريق الرصد والإرتقاب، أو موضعه.

(٥) الْأَبْلَجُ: الواضح الجبين. يُسَوِّدُ: يُرَأْسُ.

(٦) حاجب بن زرارة: سيد بني دارم من تميم في الجاهلية، واشتهر بوفادته على كسرى الأول أنوشروان في شأن مراعي بني تميم على ضفاف الفرات. ويروى أنه أدرك الإسلام، وأسلم. (الأعلام: ١٥٣/٢؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ١٧٤/١).

يزيد بن مزيد: أمير شيباني، من القادة الشجعان، كان والياً بأرمينية وأذربيجان، وانتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني زعيم الخوارج في عصره. توفي سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م، واشتهر بشجاعته وكرمه. (الأعلام: ١٨٨/٨).

(٧) الْمَجْرَةُ: مجموعة كبيرة من النجوم، تركزت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض في السماء. السُّرَادِقُ: الفسطاط، ونحوه.

رَقُوا فِي مَرَاقِي الْعِزِّ شَأْوَاً مُمْنَعاً
فَمَا مِنْهُمْ فِي قَوْمِهِ غَيْرَ سَيِّدٍ
وَمَا بِي عَنْ أَوْسَاطِهِمْ مَنْ تَخَلَّفَ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ يَلْبَسُهَا الْفَتَى
وَإِنِّي أَمْرُؤُ أَمَا تُجَارِي فَخَالِصُ
وَلَسْتُ بِلَبَّاسٍ لِثَوْبٍ مُزَوَّرٍ
وَإِنَّ فَتًى يَغْشَى الدُّنْيَا وَيَبِئْثُهُ
فَمَا الْمَرْءُ إِلَّا مَنْ يَنْوُوهُ بِنَفْسِهِ
وَلَا خَيْرَ فِي خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ دُونَهُ
فَقَالَ عَافَاهُ ذُو الْجَلَالِ : [مَنْ الطَّوِيلُ]

فَدَيْتُكَ يَا مَنْ أَلْبَسَ الدَّهْرَ أَدْرَعاً
نَمَّاكَ الْأَوَّلَى خُطَّتْ أَسِنَّةُ ذَبْلِهِمْ
خُطُوبٌ إِذَا جُرَّدَ السَّلَاحُ أَعْمَدَتْ
إِذَا النِّقْعُ غَطَّى آيَةَ الشَّمْسِ أَطْلَعَتْ
بَنَظْمٍ يَرُوعُ الْجَيْشَ عَنْ كُلِّ مَطْلَبٍ^(٥)
سُطُوراً بِمُحَمَّرٍ النَّجِيعِ الْمُثْرَبِ^(٦)
حِفَاطِهِمْ أَكْرَمَ بِهِمْ خَيْرَ مِقْنَبٍ^(٧)
أَسِنَّتُهُمْ شُهْباً عَلَى كُلِّ أَشْهَبٍ^(٨)

وكان الأولى بالمقام ما دار بيني وبينه من الأشعار الرقيقة والمكاتبات التي دخلت إلى معاهد اللطافة من كل طريقة، ولكن العذر أنه لم يحضر حال تحرير الترجمة غير هذا. وأما الرسائل والمسائل التي أجبت بها على سؤالاته فهي كثيرة

(١) الشأو: الأمد، أو الغاية. مُمْنَعٌ: محمي. ذادوا: دفعوا وطردهوا. المشطب: السيف فيه شطب، وهي خطوط تترأى في متنه.

(٢) احتبى الرجل: جلس على أليتيه وضَمَّ فخديه وساقيه إلى بطنه وذراعيه ليستند، واحتبى بالثوب: أداره على ساقيه وظهره وهو جالس على نحو ما سبق ليستند.

(٣) النجار: الأصل والحسب.

(٤) ناء الرجل: نهض بحمله. المُنْطَب: المشدود بالطنب، وهو الحبل.

(٥) يروع: يخيف.

(٦) نماء: عَذَاكَ وَرَبَّاكَ وَتَعَهَّدَكَ. الذَّبْلُ: الرماح الدقيقة، الواحد: ذابل. النجيع: دم الجوف خاصة. المَثْرَب: الممزوج بالتراب.

(٧) السَّلاهب: الخيل الطويلة الماضية في عدوها، الواحد: سَلْهَب. المِقْنَب: جماعة من الخيل والفرسان دون المائة تجتمع للغارة.

(٨) النَّقْعُ: غُبار المعارك. الشَّهْب: الدراري من الكواكب، لشدة لمعانها.

جداً، موجودٌ أكثرها في مجموع رسائلي^(١)، وإذ قد تعرضنا لذكر بعض مناقب هذا الفاضل فلنذكر ههنا بعض قرابته الذين بلغتنا أخبارهم بأخصر عبارة وأوجز إشارة. فمنهم والده العلامة المحقق:

(أحمدُ بن الحسن قاضي صيبا)

هو من أكابر العلماء الجامعين بين علم العربية والأصول والحديث والتفسير والفقه. وله رسائل ومسائل وأشعار أنيقة. وقد وصل إلى صنعاء وأنا في أوائل أيام الطلب واجتمعت به في موقفين، فرأيتُه من أحسن الناس مذاكرةً وأملحهم محاضرةً مع ظرافة ولطافة وجودة تعبير ودقة ذهن وقوة فهم. وقد دارت بيني وبينه مكاتبة متضمنة لمشاعرة ومذاكرة. ولم يحضر لي الآن منها شيء. ولعلّه قد قارب الستين من عمره حال تحرير هذه الأحرف. ومنهم أخوه عمّ صاحب الترجمة:

(عبد الرَّحْمَن بن الحسن البهكلي)

قاضي الأشراف بأبي عريش وسائر جهاته، وهو من أكابر العلماء. له يد طولى في علوم الاجتهاد، وعنده من التحقيق والتدقيق ما يقصر عن البلوغ إليه كثير من علماء العصر. وقد كتب إليّ بمسائل تعرض في جهاته، وأجبت عنها بأجوبة لعلها لديه. وهو الآن حي^(٢) طَوَّلَ اللَّهُ مدته، وهو أكبر من أخيه أحمد المذكور قبله. ومنهم أخو صاحب الترجمة:

(إسماعيل بن أحمد)

وصل إلى صنعاء لعلّ ذلك في سنة (١٢١٥)، وبقي بها نحو عامين. وقد كان شرع يقرأ على الشيوخ في العلوم الدينية، ثم بدا له الاشتغال بعلم الفلسفة فلم يظفر منها بطائل سوى تضييع الوقت، وبطلان السعي، وذهاب هجرته سُدى. ومنهم أخو صاحب الترجمة:

(الحسن بن أحمد)

وهو أصغر من الذي قبله، وصل إلى صنعاء سنة (١٢١٨) طالباً للعلم بجداً وجهدٍ وعقلٍ وسكونٍ وجودة تصور وقوة إدراك. وهو الآن يأخذ عن أعيان مشايخ

(١) ومن مصنفات صاحب الترجمة: «تيسير اليسرى بشرح المجتبى من السنن الكبرى» للنسائي - سبعة مجلدات، و«الثقات بمعرفة طبقات رجال الأمهات»، و«الأفاويق بتراجم البخاري والتعليق»، و«نفع العود بذكر دولة الشريف حمود»، وغيرها.

(٢) قيل: توفي سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م.

صنعاء في علوم الاجتهاد، وله قراءة عليّ في شرحي للمنتقى وغيره^(١). ومن قرابة صاحب الترجمة ابن عمّه:

(أحمد بن محمد البهكلي)

هو من العلماء المحققين، وهو الآن عند صاحب الترجمة. ولعل عمره ما بين الثلاثين والأربعين، وقد كتب إليّ بأبيات منها: [من السريع]

الْبَدْرُ يَا بَدْرَ الْعُلُومِ الَّذِي سَنَاؤُهُ الْبَاهِرُ بِالنُّورِ لَاخٌ^(٢)
لَا يَعْتَرِيهِ النِّقْصُ إِنْ ذَمَّهُ مِنَ الْوَرَى النَّاقِصِ وَالْاِفْتِضَاخُ^(٣)
فَاكْبَتْ أَعَادِيكَ وَلَا تَخْتَشِي فَسَوْفَ يَأْتِيكَ الْمَنَى بِالنَّجَاحِ^(٤)
وَأَنْضَ لَهُمْ عَضْبَ مَقَالٍ عَدَا يُقَدِّدُ الْأَعْنَاقَ قَدْ الصَّفَاحُ^(٥)
وَأَرْخَ عِنَانَ الطَّرْفِ إِنْ خَلَّتْهُ فِي حَلْبَةِ الْأَبْحَاثِ يَرُوي الصَّحَاخُ^(٦)
وَصُلَّ عَلَيْهِمْ صَوْلَةُ الْيَثِ فِي بِرَازِهِ مُعْتَقِلًا لِلرَّمَاخِ^(٧)

ولما مات والدي تغشاه الله برحمته ورضوانه كتب إليّ عافاه الله بقصيدة رثاه بها مطلعها: [من الخفيف]

هَكَذَا الدَّهْرُ شَأْنُهُ لَا يُبَالِي قَدَرَمَانَا بِأَسْهُمٍ وَنَصَالِ

(ومات) سنة ١٢٢٧. ومن قرابة صاحب الترجمة خاله القاضي العلامة المحقق:

(علي بن حسن العواجي عافاه الله)

هو فائق في جميع صفات الكمال، جامع بين العلم والعمل والرياسة والكياسة، قائم بأعمال الدنيا والآخرة أتم قيام، وهو حال تحرير هذه الأحرف حاكم ببندر اللحية. وكنت رأيته قبل عزمه إلى هنالك عند وصوله إلى حضرة الخلافة ولم أجتمع به لكوني تلك الأيام إلى الصغر أقرب، وهو جميل الصورة تام الخلقة بهي الشكل حسن الهيئة، يستدل من رآه بذاته على جميل صفاته وجميل سماته وكمال طرافته.

(١) قيل: توفي سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م، في شهر جمادى الأولى.

(٢) الباهر: الغالب، أو الغامر؛ يقال: بهر القمر النجوم: غمرها بضوئه، وبهرت الشمس الأرض: عمها نورها وضوؤها. لاح: بدا وظهر.

(٣) يعتريه: يُصيبه.

(٤) كَبَتْ أَعَادِيهِ: غَاضَهُمْ وَأَذَلَّهُمْ وَأَخْزَاهُمْ.

(٥) نَضَا السِّيفُ وَنَحَوَهُ: سَلَّهُ، وَشَهَرَهُ. الْعَضْبُ: الْقَاطِعُ. يُقَدِّدُ: يُسَقِّقُ. الصَّفَاحُ: السِّیُوفُ.

(٦) حَلْبَةُ الْأَبْحَاثِ: مِيدَانُهَا. الصَّحَاخُ: كَتَبَ الْحَدِيثَ الصَّحِيحَةَ.

(٧) صَالٌ: سَطَا وَقَهَرَ وَغَلَبَ. اعْتَقَلَ الرَّمْحَ: جَعَلَهُ بَيْنَ رِكَابِهِ وَسَاقِهِ.

ولعله الآن قد قارب الستين من عمره . وولده العلامة عزّ الكمال :

(مُحمَّد بن عليّ بن الحَسَن العَوَاجي)

هو ممَّن ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم، وأخذ عنِّي في النحو والفقه، وأجرت له إجازةً عامَّةً في جميع ما يجوز لي روايته . وهو الآن ساكن عند والده في بندر اللحية، ولعله قد قارب الثلاثين . ومات هذا ووالده قبله بعد وقوع الاضطراب في تهامة، وقيام الشريف حمُود بها . وكلُّ واحدٍ من هؤلاء كان يستحق أن يفرد بترجمة مستقلة، ولكن لم يكن لدي من أخبارهم إلَّا أشياء يسيرة . وفي سنة (١٢٤٣) وصلت الجنود الرومية إلى تهامة، وأسروا الشريف أحمد بن حمُود القائم مقام أبيه، وقتلوا عالم الأشراف وقائد جنودهم الشريف حسن بن خالد الحازمي وأدخلوا جماعة من الأشراف إلى الروم منهم أحمد بن حمُود، ونكَلُوا بجماعة من المُتولِّين لأُمورهم من القضاة وغيرهم . وأمُتُحَن صاحب الترجمة وحُيس ثم أُطلق وهو الآن خائف يترقب ما نزل بغيره، دفع الله عنه كلَّ مكروه . وقد تشفَّعت له عند الباشا الواصل بالجنود الرومية، وهو الباشا خليل فلم يُصَبَّ بعد ذلك بما أصيب به غيره، والمرجو من الله عزَّ وجلَّ أن يصرف عنه كلَّ شرٍّ، فإنَّه من أكابر العلماء العاملين، ومن عباد الله الصالحين . ثم بعد هذا أجرى الصلح بين سيدي المولى وبين الروم على إرجاع البلاد التي اغتصبها الشريف إلى الإمام فعرفتُ الإمام حفظه الله أن يُقرَّره لقضاء بيت الفقيه كما كان، فقرَّره على ذلك، وعاد كما كان ولله الحمد .

(٢٢٦)

(عبد الرَّحْمَن بن أحمد)

ابن عبد الغفَّار القاضي عَضُد الدين الأيحي) (١)

ولد بأيج من نواحي شيراز بعد السبعمئة، وأخذ عن مشايخ عصره، ولازم زين الدين تلميذ البيضاوي . كان إماماً في المعقول قائماً بالأصول والمعاني والبيان والعربية، مشاركاً في سائر الفنون . وله شرح مختصر «المنتهى» (٢) . وقد انتفع الناس به من بعده، وسار في الأقطار، واعتمده العلماء الكبار . وهو من أحسن شروح المختصر، من تدبَّره عرف طول باع مؤلفه، فإنَّه يأتي بالشرح على نمط سياق

(١) ترجمته في: طبقات الشافعية: ١٠٨/٦؛ الدرر الكامنة: ٣٢٣/٢؛ شذرات الذهب: ١٧٤/٦؛

معجم المؤلفين: ١١٩/٥؛ بغية الوعاة: ٢٩٦؛ كشف الظنون: ٣٧، ٦١٦، ١٨٩٤؛ إيضاح

المكنون: ٢٦٥/١؛ هدية العارفين: ٥٢٧/١؛ الأعلام: ٢٩٥/٣.

(٢) أي: «منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل».

المشروح ويوضح ما فيه خفاء، ويصلح ما عليه مناقشة من دون تصريح بالاعتراض كما يفعله غيره من الشُّراح. وَقُلْ أَنْ يَفُوتَهُ شَيْءٌ مِمَّا يَنْبَغِي ذِكْرَهُ مَعَ اخْتِصَارٍ فِي الْعِبَارَةِ يَقُومُ مَقَامَ التَّطْوِيلِ، بَلْ يَفُوقُ. وَلَهُ (المواقف) فِي الْكَلَامِ وَمَقْدَمَاتِهِ، وَهُوَ كِتَابٌ يَقْصُرُ عَنْهُ الْوَصْفُ، لَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ مِنْ رَامِ تَحْقِيقِ الْفَنِّ. وَلَهُ السُّؤَالُ الْمَشْهُورُ الَّذِي حَرَّرَهُ إِلَى الْمُحَقِّقِ الْجَارِبْرَدِيِّ فِي كَلَامِ صَاحِبِ «الْكَشَافِ» عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، وَأَجَابَهُ بِجَوَابٍ فِيهِ بَعْضُ خَشُونَةٍ، فَاعْتَرَضَهُ صَاحِبُ التَّرْجُمَةِ بِاعْتِرَاضَاتٍ، وَتَلَاعَبَ بِهِ وَبِكَلَامِهِ وَهُوَ شَيْخُهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْصَفْهُ فِي الْجَوَابِ حَتَّى يَسْتَحِقَّ التَّأْدِبَ مَعَهُ. وَقَدْ أَجَابَ عَنْ اعْتِرَاضَاتِ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ ابْنَ الْجَارِبْرَدِيِّ، وَأَوْدَعَ ذَلِكَ مَوْلاً مُسْتَقِلاً. وَقَدْ وَلِيَ قَضَاءَ الْمَالِكِيَّةِ فِي أَيَّامِ أَبِي سَعِيدٍ. وَكَانَ كَثِيرَ الْأَفْضَالِ عَلَى الطَّلَبَةِ، كَرِيمَ النَّفْسِ. وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَبْهَرِيِّ مَنَازَعَاتٌ وَمَاجِرِيَّاتٌ. وَلَهُ تَلَامِذَةٌ نَبَلَاءُ مِنْهُمْ: السَّعْدُ التَّفْتَازَانِيُّ صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْمَشْهُورَةِ، سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمِنْهُمْ شَمْسُ الدِّينِ الْكَرْمَانِيُّ وَغَيْرُهُمَا. وَجَرَتْ لَهُ مَحَنَةٌ مَعَ صَاحِبِ كَرْمَانَ^(١)، فَحَبَسَهُ بِالْقَلْعَةِ، (وَمَاتَ) مَسْجُوناً فِي سَنَةِ ٧٥٦ سِتٍّ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

(٢٢٧)

(عبد الرحمن بن أحمد الجامي)^(٢)

وُلِدَ بِجَامِ^(٣) مِنْ قِصَبَاتِ خُرَاسَانَ، وَاشْتَغَلَ بِالْعُلُومِ أَكْمَلَ اشْتَغَالٍ حَتَّى بَرَعَ فِي جَمِيعِ الْمَعَارِفِ. ثُمَّ صَحِبَ مَشَايِخَ الصُّوفِيَّةِ فَنَالَ مِنْ ذَلِكَ حِظّاً وَافِراً. وَكَانَ لَهُ شَهْرَةٌ بِالْعِلْمِ فِي خُرَاسَانَ وَغَيْرِهَا مِنَ الدِّيَارِ حَتَّى إِنَّهُ اسْتَدْعَاهُ سُلْطَانُ الرُّومِ بَايَزِيدُ خَانَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ بِجَوَائِزٍ سَنِيَّةٍ، فَسَافَرَ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ إِلَى جِهَاتِ الرُّومِ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَمْدَانَ قَالَ لِلَّذِي أَرْسَلَهُ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ: إِنِّي قَدْ امْتَثَلْتُ أَمْرَ السُّلْطَانِ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى هُنَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَتَشَبَّثُ بِذِيْلِ الْإِعْتِذَارِ لِأَنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ لَمَّا أَسْمَعُ فِيهَا مِنْ مَرَضِ الطَّاعُونِ. وَكَانَ غَرَضُ السُّلْطَانِ فِي اسْتَدْعَائِهِ أَنَّهُ خَطَرُ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ الْإِخْتِلَافَ مَا بَيْنَ الصُّوفِيَّةِ وَعُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَالْحُكَمَاءِ فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ حُكْماً بَيْنَ هَذِهِ الطَّوَائِفِ فَمَا تَمَّ. وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ مِنْهَا شَرَحَ الْكَافِيَةَ الْمَشْهُورَةَ بِالْجَامِيِّ، وَشَرَعَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ. وَلَهُ كِتَابٌ (شَوَاهِدُ النُّبُوَّةِ)

(١) كَرْمَانَ: نَاحِيَةٌ كَانَتْ كَبِيرَةً مَعْمُورَةً، ذَاتُ بِلَادٍ وَقُرَى وَمَدَنٍ وَاسِعَةٍ بَيْنَ فَارَسٍ وَمَكْرَانَ وَسَجِسْتَانَ وَخُرَاسَانَ. (معجم البلدان: ٤/٤٥٤).

(٢) تَرْجُمَتُهُ فِي: شَذَرَاتُ الذَّهَبِ: ٧/٣٦٠؛ هَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ: ١/٥٣٤؛ كَشَفُ الظُّنُونِ: ٧١، ٣١٠، ١٩٧٢؛ إِضْوَاحُ الْمَكْنُونِ: ١/١٤٣؛ مَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: ٥/١٢٢؛ الْأَعْلَامُ: ٣/٢٩٦.

(٣) فِي الْأَعْلَامِ، وَمَعْجَمُ الْمُؤَلِّفِينَ: سَنَةُ ٨١٧هـ/ ١٤١٤م.

بالفارسية (ونفحات الأنس) بالفارسية أيضاً. وله مصنفات غير ذلك، ونظم بالفارسية يتنافس في حفظه أهل تلك اللسان. (وتوفي) بهراة سنة (٨٩٨) ثمان وتسعين وثمانمائة.

(٢٢٨)

عبد الرَّحْمَن بن أحمد

ابن رَجَب البَغْدَادِي ثم الدَّمَشْقِي الحَنْبَلِي الحَافِظ^(١)

سمع خلقاً منهم القَلَانِسِي، وابن العطار، وغيرهما. وصنف التصانيف المفيدة منها: شرح البخاري، بلغ فيه إلى كتاب الجنائز. وله شرح على التَّرْمِذِي، وذيل على كتاب (طبقات الحنابلة) وغير ذلك. ومات في شهر رجب سنة ٧٩٥ خمس وتسعين وسبعمائة^(٢).

(٢٢٩)

عبد الرَّحْمَن بن أَبِي بَكْر بن مُحَمَّد بن أَبِي بَكْر

ابن عُمَر بن خَلِيل بن نَصْر بن الخضر بن الهمام الجلال الأسيوطي
الأصل الطولوي الشافعي^(٣)

الإمام الكبير صاحب التصانيف. ولد في أول ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩ تسع وأربعين وثمانمائة. ونشأ يتيماً فحفظ القرآن والعمدة والمنهاج الفرعي وبعض الأصولي وألفية النحو، وأخذ عن الشمس مُحَمَّد بن مُوسَى الحنفي في النحو، وعلى العلم البلقيني، والشرف المناوي، والشمسي، والكفياجي في فنون عديدة، وجماعة كثيرة كالبقاعي. وسمع الحديث من جماعة، وسافر إلى الفيوم ودمياط والمحلة وغيرها، وأجاز له أكابر علماء عصره من سائر الأمصار، وبرز في جميع الفنون، وفاق الأقران، واشتهر ذكره وبعد صيته وصنف التصانيف المفيدة كالجامعين في الحديث و(الدرُّ

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٦/٣٣٩؛ الأعلام: ٣/٢٩٥؛ معجم المؤلفين: ٥/١١٨؛ الدرر الكامنة: ٢/٣٢١؛ كشف الظنون: ٥٩، ١٣٥٩، ١٥٥٤، إيضاح المكنون: ١/٧٣؛ هدية العارفين: ١/٢٧.

(٢) وفي الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م.

(٣) ترجمته في: شذرات الذهب: ٨/٥١؛ الكواكب السائرة: ١/٢٢٦؛ هدية العارفين: ١/٥٣٤؛ كشف الظنون: ٥/١٤، ١٦٢، ٢٣٧؛ ٣٦٠، وصفحات كثيرة؛ إيضاح المكنون: ١/١٩١، ٤٢١؛ معجم المؤلفين: ٥/١٢٩؛ الأعلام: ٣/٣٠١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/٨٩٨.

(المنثور) في التفسير و(الإنقان في علوم القرآن). وتصانيفه في كل فن من الفنون مقبولة قد سارت في الأقطار مسير النهار، ولكنه لم يسلم من حاسدٍ لفضله وجاحدٍ لمناقبه. فإنَّ السَّخاوي في «الضوء اللامع» وهو من أقرانه ترجمه ترجمةً مظلمةً غالبها ثَلَبٌ^(١) فظيع، وسَبٌّ شنيع^(٢)، وانتقاص، وعَمَطٌ^(٣) لمناقبه تَصْرِيحاً وتلويحاً، ولا جرم فذلك ذأبه في جميع الفضلاء من أقرانه. وقد تنافس هو وصاحب الترجمة منافسةً أوجبت تأليف صاحب الترجمة لرسالة سماها (الكاوي لدماغ السَّخاوي) فليعرف المُطَّلِع على ترجمة هذا الفاضل في الضوء اللامع أنها صدرت من خصم له غير مقبول عليه (فمن جملة ما قاله في ترجمته): إنه لم يمعن الطلب في كل الفنون بل قال بعد أن عدَّد شيوخه أنه حين كان يتردد عليه كثيراً^(٤) من مصنفاته كالأخصال الموجبة للضلال، والأسماء النبوية، والصلاة على النبي ﷺ، وموت الأنبياء، وما لا يحصره. قال: بل أخذ من كتب المحمودية وغيرها كثيراً من التصانيف المتقدمة التي لا عهد لكثير من العصريين بها في فنون فغَيَّرَ فيها سيراً وقَدَّمَ وأخَّرَ، ونسبها إلى نفسه. وهوَّلَ في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئاً مما لا يوفي ببعضه. وأول ما أبرز جزء له في تحريم المنطق جرَّده من مصنف لابن تيمية، واستعان في أكثره فقام عليه الفضلاء قال: كذا درَّس جمعاً من العوام بجامع ابن طولون، بل صار يملئ على بعضهم ممن لا يحسن شيئاً ثم قال: كل هذا مع أنه لم يصل ولا كاد. ولهذا قيل إنه تَزَبَّبَ قبل أن يكون حصرماً. وأطلق لسانه وقلمه في شيوخه فَمَنُ فوقهم، بحيث قال عن القاضي العَصْدُ أنه لا يكون طعنه في نعل ابن الصَّلاح. وعُزِّرَ على ذلك من بعض نواب الحنابلة بحضرة قاضيه ونقص السيد والرضي في النحو بما لم يبد فيه مستنداً مقبولاً بحيث أنه أظهر لبعض الغرباء الرجوع عن ذلك، فإنه لما اجتمعا قال له: قلت السيد الجرجاني، قال: إنَّ الحرف لا معنى له في نفسه ولا في غيره. وهذا كلام السيد ناطق بتكذيبك فيما نسبته إليه فأوجدنا مستنداً فيما ترعَّمته، فقال: إني لم أر له كلاماً ولكني لما كنتُ بمكة تجاذبت مع بعض الفضلاء الكلام في المسألة فنقل لي ما حكَّيته وقلدته فيه فقال: هذا عجيب ممَّن يتصدى للتصنيف يقلد في مثل هذا مع هذا الأستاذ. انتهى. وقال: من قرأ الرضي ونحوه لم يترقَّ إلى درجة أن يُسمَّى مشاركاً في النحو، ولا زال يسترسل حتى قال: إنه رزق التبحر في سبعة علوم: التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع. قال: والذي أعتقده أن الذي وصلت إليه من

(١) ثَلَبَ فلاناً ثَلَباً: عابه وتَنَقَّصه. الفظيع: الشَّدِيدُ الشَّانعة.

(٢) السَّبُّ: الشُّنْمُ: الشَّنِيعُ: الشَّدِيدُ القُبْحُ.

(٣) العَمَطُ: الاستصغار والاحتقار والإنكار.

(٤) كذا في الأصل، وفي الكلام نقصٌ أخلَّ بمعناه.

الفقه والنقول التي اطلعت عليها مما لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلاً عما دونهم. قال: ودون هذه السبعة أصول الفقه والجدل والصرف ودونهما الإنشاء والترسل والفرائض، ودونها القراءات ولم أخذها عن شيخ، ودونها الطب. وأما الحساب فأعسر شيء عليّ وأبعده عن ذهني. وإذا نظرت في مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله قال: وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله إلى أن قال: ولو شئت أن أكتب في كل مسألة تصنيفاً بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والمقارنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك. وقال: إن العلماء الموجودين يرتبون له من الأسئلة ألوفاً فيكتب عليها أجوبة على طريقة الاجتهاد. قال السخاوي بعد أن نقل هذا الكلام عن صاحب الترجمة في وصف نفسه: ما أحسن قول بعض الأستاذين في الحساب ما اعترف به عن نفسه مما يؤهم به أنه منصف. أول دليل على بلادته وبعد فهمه لتصريح أئمة الفن بأنه فن ذكاء ونحو ذلك، وكذا قول بعضهم دعواه الاجتهاد ليست خطأ ونحو هذا. وقد اجتمع به بعض الفضلاء ورام التكلم معه في مسألة فقال: إن بضاعتي في علم النحو مزجاة. وقول آخر له: أعلمني عن آلات الاجتهاد ما بقي أحد يعرفها، فقال له: نعم ما بقي من له مشاركة فيها على وجه الاجتماع في واحد بل مفرقاً، فقال له: فاذكرهم لي ونحن نجتمعهم لك ونتكلم معهم، فإن اعترف كل واحد لك بعلمه وتميزك فيه أمكن أن نوافقك في دعواك. فسكت ولم يبد شيئاً. وذكر أن تصانيفه زادت على ثلاثمائة كتاب، رأيت منها ما هو في ورقة. وأما ما هو دون كرّاسة فكثير. وسمي منها شرح الشاطبية. وألفية في القراءات. مع اعترافه بأنه لا شيخ له فيها. ومنها ما اختلسه من تصانيف شيخنا يعني ابن حجر، منها (كتاب النقول في أسباب النزول)، و(عين الإصابة في معرفة الصحابة)، و(النكت البديعات على الموضوعات)، و(المدرج إلى المدرج)، و(تذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي)، و(تحفة النابه بتلخيص المتشابه)، و(ما رواه الواعون في أخبار الطاعون)، و(الأساس في مناقب بني العباس)، و(جزء في أسماء المدلسين)، و(كشف النقاب عن الألقاب)، و(نشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير)، قال: فكل هذه مصنفات شيخنا، وليته إذ اختلسها لم يمسحها، ولو نسّخها على وجهها لكان أنفع. ومنها ما هو لغيره، وهو الكثير، هذا إن كانت المسخيات موجودة كلّها، وإلا فهو كثير المجازفة. جاءني مرة فزعم أنه قرأ مسند الشافعي على القميصي في يوم، فلم يلبث أن جاء القميصي وأخبرني متبرعاً بما تضمن كذبه حيث أخبر أنه بقي منه جانب. قال السخاوي، وقال: إنه عمل (النفحة المكية والتحفة المكية) في كراسة وهو بمكة على نمط (عنوان الشرف) لابن المقري في يوم واحد، وأنه عمل ألفية في الحديث فائقة على (ألفية العراقي) إلى غير ذلك

مما يطول شرحه، ثم قال: كل ذلك مع كثرة ما يقع له من التحريف والتصحيف، وما ينشأ عن عدم فهم المراد لكونه لم يزاحم الفضلاء في دروسهم، ولا جلس معهم في شأنهم وتعريسهم، بل استند بأخذه من بطون الدفاتر والكتب، واعتمد ما لا يرتضيه مَنْ لِلِإِتْقَانِ صحب. وقد قام الناس عليه كافة لما ادعى الاجتهاد، ثم قال: وبالجملة فهو سريع الكتابة لم أزل أعرفه بالهوس ومزيد الترفع حتى على أمه بحيث كانت تزيد في التشكي منه. ولا يزال أمره في تزايد من ذلك فالله يلهمه رشده. ونقل عنه أنه قال: تركت الإفتاء والإقراء، وأقبلت على الله. وزعم أنه رأى مناماً يقتضي ذم النبي ﷺ له، وأمر خليفته الصديق بحبسه سنة ليراجع الإقراء والإفتاء، وأنه استغفر الله بعد ذلك، وأقبل على الإفتاء بحيث لو جيء إليه بفتيا وهو مشرف على الغرق لأخذها ليكتب عليها. قال: ومن ذلك أنه توسل عند الإمام البرهان الكركي في تعيينه لحجة كانت تحت نظره فأجابه وزاد من عنده ضعف الأصل فما قال له: جُزيت خيراً، ولا أبدى كلمة تُؤذن بشكره. قال: ومن هوسه أنه قال لبعض تلامذته: إذا صار إلينا القضاء قررنا لك كذا وكذا بل تصير أنت الكل. هذا حاصل ما ذكره السخاوي في كتابه «الضوء اللامع» في ترجمة الجلال السيوطي، وختمها بقوله: إنه ألف مؤلفاً سَمَّاه «الكاوي في الرد على السخاوي».

(وأقول): لا يخفى على المنصف ما في هذا المنقول من التحامل على هذا الإمام فإنه ما اعترف به من صعوبة علم الحساب عليه لا يدل على ما ذكره من عدم الذكاء فإن هذا الفن لا يفتح فيه على ذكي إلا نادراً، كما نشاهده الآن في أهل عصرنا. وكذلك سكوته عند قول القائل له نجمع لك أهل كل فن من فنون الاجتهاد فإن هذا كلام خارج عن الإنصاف لأن ربّ الفنون الكثيرة لا يبلغ تحقيق كل واحد منها ما يبلغه من هو مشتغل به على انفراده، وهذا معلوم لكل أحد. وكذا قوله: إنه مسخ كذا وأخذ كذا ليس بعيب، فإن هذا ما زال دأب المصنفين يأتي الآخر فيأخذ من كتب من قبله فيختصر أو يوضح أو يعترض أو نحو ذلك من الأغراض التي هي الباعثة على التصنيف. ومن ذاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فيه من قبله فلا يأخذ من كلامه. وقوله: إنه رأى بعضها في ورقة لا يخالف ما حكاه صاحب الترجمة من ذكر عدد مصنفاته فإنه لم يقل إنها زادت على ثلاثمائة مجلد بل قال إنها زادت على ثلاثمائة كتاب، وهذا الاسم يصدق على الورقة وما فوقها. وقوله: إنه كذبه القميصي بتصريحه أنه بقي من المسند بقية ليس بتكذيب، فربما كانت تلك البقية يسيرة، والحكم للأغلب، لا سيّما والسهو والنسيان من العوارض البشرية. فيمكن أنه حصل أحدهما للشيخ أو تلميذه. وقوله: إنه كثير التصحيف والتحريف مجرد دعوى عاطلة عن البرهان، فهذه مؤلفاته على ظهر البسيطة محرّرة أحسن تحرير، ومتقنة أبلغ إتقان.

وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول الأقران في بعضهم بعضاً مع ظهور أدنى منافسة، فكيف بمثل المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض. فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول. والسخاوي رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع، لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه كما يعرف ذلك من طالع كتابه (الضوء اللامع) فإنه لا يقيم لهم وزناً، بل لا يسلم غالبهم من الخط منه عليه. وإنما يعظم شيوخه وتلامذته ومن لم يعرفه ممن مات في أول القرن التاسع قبل موته، أو مَنْ كان من غير مصره أو يرجو خيره أو يخاف شره. وما أحسن ما ذكره في كتابه «الضوء اللامع» في ترجمة (عبد الباسط بن يحيى شرف الدين) فإنه قال: وربما صرح بالإنكار على الفقهاء فيما يسلكونه من تنقيص بعضهم لبعض. وقد حكى أنه بينما هو عند الدوادار وبين يديه فقيه، وإذا بأخر ظهر من الدوار فاستقبله ذلك الجالس بالتنقيص عند صاحب المجلس، واستمر كذلك حتى وصل إليهم، فقام إليه ثم انصرف فاستدبره القادم حتى اكتفى، ثم توجه، قال: فسألني الدوادار: من الصادق منهما؟ فقلت: أنتم أخبر، فقال: إنهما كاذبان فاسقان ونحو ذلك. انتهى. وأما ما نقله من أقوال مَنْ ذكره من العلماء مما يؤذن بالخط على صاحب الترجمة فسبب ذلك دعواه الاجتهاد كما صرح به. وما زال هذا دأب الناس مع من بلغ إلى تلك الرتبة، ولكن قد عرفناك في ترجمة ابن تيمية أنها جرت عادة الله سبحانه كما يدل عليه الاستقراء برفع شأن من عودي لسبب علمه وتصريحه بالحق وانتشار محاسنه بعد موته، وارتفاع ذكره، وارتفاع الناس بعلمه. وهكذا كان أمر صاحب الترجمة فإن مؤلفاته انتشرت في الأقطار وسارت بها الركبان إلى الأنجاد والأغوار، ورفع الله له من الذكر الحسن والثناء الجميل ما لم يكن لأحد من معاصريه والعاقبة للمتقين. ولم يذكر السخاوي تاريخ وفاة المترجم له لأنه عاش بعد موته، فإن السخاوي (مات) في سنة (٩٠٢) كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى تجاوز الله عنهما جميعاً وعنّا بفضلهم وكرمهم. وكان (موت) صاحب الترجمة بعد أذان الفجر المسفر صباحه عن يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة ٩١١ إحدى عشرة وتسعمائة.

(٢٣٠)

(عبد الرحمن بن الحسن الأكوع)

شيخ الفروع ومحققها، قرأها بمدينة دمار على أكابر شيوخها، كالعلامة الحسن بن أحمد الشيباني وأقرانه، ثم ارتحل إلى صنعاء، ودرس في شرح الأزهاري، وبيان ابن مظفر في جامعها. ورغب إليه الطلبة، واجتمعوا إليه، فكان يحضر درسه جماعة نحو الثلاثين والأربعين. ثم ما زال الناس يأخذون عنه أياماً طويلة. وكان أخوه (علي بن حسن الأكوع)

وزير الإمام المهدي العباس بن الحسين، ثم وزيراً لولده مولانا خليفة العصر المنصور بالله في أوائل خلافته المباركة، ثم نكبه ونكب جميع قرابته، وكان من جملتهم صاحب الترجمة، وصودروا جميعاً على تسليم أموال أخذت منهم، وكان ذلك في سنة (١١٩٣). ثم أفرج عنهم وتعقب ذلك أنه ضعف بصر المترجم له ثم ترك التدريس حتى مات. وكان ملازماً للطاعات محافظاً على الجماعات أيام ذهاب بصره. وكان قبل ذلك رافه العيش متأنقاً في مطعمه ومشربه وملبسه لا شغلة له بطلب الرزق، ولا التفات منه إلى ذلك، قد كفاه أخواه مؤنة الطلب، وأحدهما (عليّ) المتقدم ذكره، والآخر (عبد الله بن الحسن). وكان متعلقاً بالأعمال الجليلة من أعمال الدولة حتى ولي بئدر المخا، ومات في أيام الإمام المهدي. وقرأت على صاحب الترجمة أوائل شفاء الأمير الحسين. (ومات) في شهر ذي الحجة سنة ١٢٠٦ ست ومائتين وألف.

(٢٣١)

عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر ابن علي بن يوسف بن أحمد بن عمر الشيباني الزبيدي الشافعي المعروف بابن الديع^(١)

وهو لقب لجده الأعلى علي بن يوسف، ومعناه بلغة النوبية الأبيض. ولد في عصر يوم الخميس رابع المحرم سنة ٨٦٦ ست وستين وثمانمائة بزييد. ونشأ بها فحفظ القرآن وتلاه للسمع على خاله أبي النجا، والشاطبية والزيد للبارزي، وبعض البهجة. واشتغل في علم الحساب والجبر والمقابلة والهندسة والفرائض والفقه والعربية على خاله المشار إليه، وعلى إبراهيم بن جعمان، وفي الحديث والتفسير على الزين أحمد الشرجي. وحجّ مراراً أولها في سنة (٨٨٣)، وقرأ بمكة على السخاوي، ثم برع لا سيما في فن الحديث. واشتهر ذكره وبعد صيته وصنف التصانيف منها (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) اختصره اختصاراً حسناً وتداوله الطلبة وانتفعوا به. وفي التاريخ (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون) و(بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد). وكان السلطان عامر بن عبد الوهاب قد عظمه وولاه تداريس. وله أشعار في مسائل علمية وضوابط وتحصيلات، وله شهرة في اليمن طائلة إلى الآن^(٢).

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٢٥٥/٨؛ الكواكب السائرة: ١٥٨/٢؛ كشف الظنون: ١٧،

٢٥٠، ١٧٨٠؛ إيضاح المكنون: ٣٣٢/١؛ معجم المؤلفين: ١٥٩/٥؛ الأعلام: ٣١٨/٣.

(٢) قيل: توفي يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رجب سنة ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م. (الأعلام:

٣١٨/٣).

٢٣٢

(السيد عبد الرَّحْمَن بن قَاسِم المداني)

قرأ علم الفقه بمدينة دمار، ثم رحل إلى صنعاء، وأخذ في غيره، فشارك مشاركة ركيكة لغلبة علم الفقه عليه، ثم درّس في علم الفقه بصنعاء، وأخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة، وأخذت عنه في شرح الأزهار في أوائل أيام طلبي. وكان زاهداً ورعاً متقللاً من الدنيا عفيفاً حسن الأخلاق جميل المحاضرة واعياً في الفوائد العلمية بحيث أنه صار عاجزاً لا يمشي إلا مُتَوَكِّئاً على العصا. وكان إذا لقيني قام واعتمد على عصاته ثم باحثني بمباحث فقهية دقيقة. وكنت إذ ذاك قد أمنت في طلب علم الفقه على غيره. وكان يحب المجون من دون مجاوزة للحد مع ظرافة زائدة وتواضع كامل. (مات) في شهر ذي القعدة سنة ١٢١١ إحدى عشرة ومائتين وألف، وأظنه قد قارب التسعين رحمه الله.

٢٣٣

(عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن
الحَسَن بن مُحَمَّد بن جَابِر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن
مُحَمَّد بن عبد الرَّحِيم ولي الدين)^(١)

الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بابن خلدون. ولد في أول رمضان سنة ٧٣٢ اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتونس، وحفظ القرآن والشاطبيتين ومختصر ابن الحاجب الفرعي والتسهيل في النحو، وتفقه بجماعة من أهل بلده وسمع الحديث هنالك، وقرأ في كثير من الفنون، ومهر في جميع ذلك لا سيما الأدب وفن الكتابة. ثم توجه في سنة (٧٥٣) إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها. ثم امُتُّحَ واعْتُقِلَ نحو عامين، ثم ولي كتابة السّر وكذا النظر في المظالم. ثم دخل الأندلس فقدم غرناطة في أوائل ربيع الأول سنة (٧٦٤) وتلقاه سلطانها ابن الأحمر عند قدومه ونظمه في أهل مجلسه، وكان رسوله إلى عظيم الفرنج بإشبيلية، فقام بالأمر الذي ندب إليه. ثم توجه في سنة (٧٦٦) إلى بجاية ففوّض إليه صاحبها تدبير مملكته مدة، ثم استأذن في الحج فأذن له فقدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة (٧٨٤) فحجَّ ثم عاد إلى

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٤/ ١٤٥؛ الأعلام: ٣/ ٣٣٠؛ شذرات الذهب: ٧/ ٧٦؛ كشف الظنون: ٢٧٨، ٨٣٥؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٢٢٨؛ هدية العارفين: ١/ ٢٥٩؛ معجم المؤلفين: ١٨٩/ ٥؛ وغيرها.

مصر، فتلقيها أهلها وأكرموا وأكثروا من ملازمته والتودّد إليه، وتصدّر للإقراء في الجامع الأزهر مدةً، ثم قرّره الظاهر برقوق في قضاء المالكية بالديار المصرية في جمادى الآخرة سنة (٧٨٦) وفتك بكثير من الموقعين، وصار يُعزّر بالصفع، ويُسمّيه الزجّ، فإذا غضب على إنسان قال: زجوه، فيصفع حتى تحمرّ رقبته. وعُزل ثم أُعيد، وتكرّر له ذلك حتى (مات) قاضياً فجأةً في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة ٨٠٨ ثمانٍ وثمانمائة، ودُفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر. ودخل مع العسكر في أيام انفصاله عن القضاء لقتال تيمور فقدر اجتماعه به وخادعه وخلص منه بعد أن أكرمه وزوّده. قال بعض من ترجمه: إنه كان في بعض ولاياته يكثر من سماع المطربات، ومعاشرة الأحداث. وقال آخر: كان فصيحاً مفوّهاً جميل الصورة حسن العشرة إذا كان معزولاً، فأماً إذا وُلّي، فلا يعاشر، بل ينبغي أن لا يرى. وقال ابن الخطيب: إنه رجل فاضل جمّ الفضائل رفيع القدر أصيل المجد وقور المجلس عالي الهمة قويّ الجأش متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا شديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط حسن العشرة. وأثنى عليه المقرئزي. وكان الحافظ أبو الحسن الهيثمي يبالغ في الغضب منه، قال الحافظ ابن حجر: فلما سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنه بلغه أنه قال في الحسين السبط رضي الله عنه: أنه قتل بسيف جدّه، ثم أردف ذلك بلعن ابن خلدون وسبّه وهو يبكي، قال ابن حجر: لم توجد هذه الكلمة في التاريخ الموجود الآن. وكأنه كان ذكرها في النسخة التي رجع عنها قال: والعجب أن صاحبنا المقرئزي كان يُفِرط في تعظيم ابن خلدون لكونه كان يجزم بصحة نسب بني عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر، ويخالف غيره في ذلك، ويدفع ما نقل عن الأئمة من الطعن في نسبهم، ويقول: إنما كتبوا ذلك المحض مراعاة للخليفة العباسي. وكان المقرئزي ينتمي إلى الفاطميين كما سبق، فأحب ابن خلدون لكونه أثبت نسبهم وجهل مراد بن خلدون، فإنه كان لانحرافه عن العلوية يثبت نسبة العبيديين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدتهم، وكون بعضهم نسب إلى الزندقة وادعاء الإلهية كالحاكم، فكأنه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطعن، هكذا حكاه السخاوي عن ابن حجر، والله أعلم بالحقيقة. وإذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب الترجمة فهو ممن أضله الله على علم. وقد صتّف تاريخاً كبيراً في سبعة مجلدات ضخمة أبان فيها عن فصاحة وبراعة. وكان لا يتزيا بزّي القضاة بل هو مُستمرٌّ على زّي بلاده، وله نظم حسن فمنه: [من الكامل]

أَسْرَفُنْ فِي هَجْرِي وَفِي تَغْذِيبِي وَأَطْلُنْ مَوْقِفَ عَبْرَتِي وَنَحِيبِي^(١)

(١) أسرفن: جاوزن الحدّ.

وَأَبَيْنَ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقَفَّةً سَاعَةً لِدَوَاعٍ مَشْعُوفِ الْفُؤَادِ كَثِيبٍ^(١)
وترجمه ابن عمار أحد من أخذ عنه فقال: الأستاذ المنوه بلسانه سيف
المحاضرة كان يسلك في إقرائه للأصول مسلك الأقدمين كالغزالي^(٢)، والفخر
الرازي^(٣) مع الإنكار على الطريقة المتأخرة التي أحدثها طلبة العجم ومن تبعهم من
التوغل في المشاحة اللفظية والتسلسل في الحدية والرسمية اللتين أثارهما العضد
وأتباعه في الحواشي عليه وينهى الناقل غضون إقرائه عن شيء من هذه الكتب مستنداً
إلى أن طريقة الأقدمين من العرب والعجم وكتبهم في هذا الفن على خلاف ذلك،
وأن اختصار الكتب في كل فن والتقييد بالألفاظ على طريقة العضد وغيره من محدثات
المتأخرين والعلم وراء ذلك كله. قال: وله من المؤلفات غير الإنشاءات النثرية
والشعرية التي هي كالسحر، التاريخ العظيم المترجم بالعبر في تاريخ الملوك والأمم
والبربر. حوت مقدمته جميع العلوم.

٢٣٤

عبد الرحمن بن محمد

ابن نهشل الحيمي الحافظ الكبير العلامة الشهير

كان من العلماء الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وله اشتغال بالتدريس في
الأمهات ونشرها، وبمثل العضد وحواشيه، والمطول وحواشيه، والرضي في النحو
وسائر الكتب المفيدة. وقد أخذ عنه الناس واشتهر، ومن جملة تلامذته العلامة
الحسن بن أحمد الجلال، وجماعة أكابر، ومنهم القاضي أحمد بن سعد الدين
المسوري، والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال. ولكنه ما سلم من الامتحان من
أهل عصره لسبب اشتغاله بالأمهات علماً وعملاً وتدريساً، وليس ذلك ببدع، فهذا
شأن هذه الديار من قديم الأعصار. ومن مشايخه السيد الحسن بن شمس الدين
ويحيى بن أحمد الصابوني، والحافظ بن علان. وبالجمل فصاحب الترجمة من أكابر

(١) البين: البعد والفراق. المشغوف: الذي شغفه الحب: وصل إلى شغاف قلبه.

(٢) هو الإمام، زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد
الغزالي الطوسي الشافعي: فيلسوف، متصوف، فقيه، مؤلف. توفي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١٢م.
من آثاره: «تهافت الفلاسفة»، و«إحياء علوم الدين»، و«المنقذ من الضلال»، وغيرها. (وفيات
الأعيان: ٢١٨/٤؛ شذرات الذهب: ١١/٤).

(٣) هو أبو عبد الله، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، البكري، الرازي:
إمام مفسر، متبحر في علوم الأوائل. توفي سنة ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م. من آثاره: «مفاتيح الغيب»،
«مناقب الإمام الشافعي»، و«شرح أسماء الله الحسنى»، وغيرها. (الأعلام: ٣١٣/٦).

العلماء المتبحرين في جمع العلوم . وما زال مُكَبِّاً على ذلك حتى (توفاه) الله تعالى
سابع وعشرين ربيع الأول سنة ١٠٦٨ ثمانٍ وستين وألف بصنعاء، ودُفن بجربة
الروض .

٢٣٥

(عبد الرَّحْمَن بن يَحْيَى الأنسي ثم الصَّنْعاني)^(١)

ولد في شهر ذي القعدة سنة ١١٦٨ ثمانٍ وستين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء،
فأخذ في علم العربية وغيره عن جماعة كالسيد إسماعيل بن إسماعيل بن ناصر الدين،
والسيد العلامة عبد الله بن مُحَمَّد الأمير وغيرهما . وأخذ في الفقه على شيخنا العلامة
أحمد بن مُحَمَّد الحرازي، وفي الحديث على المحدث العلامة لطف الباري بن أحمد
الورد . وأكَبَّ على المطالعة واستفاد بصافي ذهنه الوقاد ووافي فكره النقاد علوماً
جمّة، ولا سيّما في العلوم الأدبية، فهو فيها أحد أعيان العصر المجيدين . وولّاه
خليفة العصر حفظه الله القضاء في بعض البلاد اليمنية، ثم نقله إلى بلاد حجة، وولّاه
قضاء تلك الجهات وما والاها، وباشره مباشرة حسنة بعفة وصيانة وحرمة ومهابة
وصرامة بحيث صار أمره فيها أنفذ من أمر العمال . وقد يغزو بعض المبطلين أو
المخالفين للشرع بجماعة معه ويقدم إقداماً يدلّ على شجاعة ويسلك مسالك يقوده
إليها حسن التدبير . فبمجموع هذه الأوصاف صار لا يسد غيره مسده ولا يقوم مقامه
سواه مع أن هذه الولاية هي دون جليل قدره؛ ولكن مثل تلك الجهات مع شرارة
أهلها وتعجرفهم وقوة صولتهم لا ينفذ الأحكام الشرعية فيهم إلّا مثله . ومع هذا فهو
عاكف على مطالعة العلوم على اختلاف أنواعها مستغرق غالب ساعاته في ذلك، كثير
المذاكرة والمباحثة في المسائل الدقيقة مغرم بنظم الأشعار الفائقة الجارية على نمط
العرب المحبرة بخالص اللغة وغريبها . وله من النشر البليغ ما يفوق الوصف . وقد
اجتمعت به فرأيت من حسن محاضراته وطيب منادمته وقوة ذهنه وسرعة فهمه ما يقصر
عنه الوصف . وقد كتب إليّ رسالة مشتملة على عشرة أسئلة أجبت عليها برسالة
سميتها (طيب النشر في جواب المسائل العشر) وهي موجودة في مجموع رسائلي،
وكتب إليّ هذه القصيدة الطنانة بعد أن قدم بين يديها هذا النشر الفائق، ولفظه: من
عبد الرَّحْمَن بن يَحْيَى غفر الله لهما، إلى المولى المنسوب إلى كل علم نسبة مؤثرة
في العين عن ملكة قوية البناء، على عناية وعنا، الموضوع بأول الأولى من طبقات أهله

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣/٣٤١؛ نيل الوطر: ٢/٤٣؛ هدية العارفين: ١/٥٥٧؛ معجم
المؤلفين: ١٩٨/٥.

لا تقتضيه المعاجيم، بل بأحقية التقديم المسلمة إليه من كل عظيم. الموصوف به على أفعال التفضيل وصيغ التكثير التامة، وتأنيث المبالغة ذي العلامة من الأعلام والعلام والعلامة: [من الكامل]

عَلاَمَةُ الْعِلْمَاءِ وَالْبَحْرِ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ بَحْرِ سَاحِلٌ
من لا تضرب اليوم آباط المطي^(١) إلّا إلى مثله. ولا يخط في بياض النهار كسواد ظله. والقاضي المقرون بمعية اللام لوجود مقتضيها وانتفاء مانعها. المسدّد بالملك في مطالع قضاياه ومقاطعها: [من البسيط]

قَاضٍ إِذَا اشْتَبَهَ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأْيٍ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّبَنِ
بحر الإسلام، حسنة الأيام، أكرم من شرب ماء الغمام. مُدَّتْ مُدَّتُهُ، وَعُدَّتْ عُدَّتُهُ، وَحُرْسَتْ مَهْجَتُهُ، وَحَسُنَتْ نَهْجَتُهُ، وَأَوْنَسَتْ بَهْجَتُهُ. (أما بعد) فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ عَلَى تَمَامِ مَا أَوْلَاهُ، وَحَسَنِ بَلَاهُ. عَلَى أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَبْدًا شُكُورًا. وَكَانَ الْإِنْسَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا. وَأَنْهَى إِلَى حَضْرَةِ عِلْمِكَ الْمُنُورَةِ. وَرَوْضَةِ أَدَبِكَ الْمُنُورَةِ. كَمَدِي بِمَفَارِقَتِهَا، وَشَوْقِي لِمَشَاهِدَتِهَا وَكُلْفِي بِفَائِدَتِهَا، وَحَاجَتِي لِعَائِدَتِهَا. وَإِنِّي لَا أَذْكَرُ مِنْكَ ذَلِكَ الْمَجْلِسَ الْقَصِيرَ، وَالِلْقَاءَ بِالْمُلْتَقَى مِنْ جَنَاحِ طَائِرٍ يَطِيرُ، إِلَّا وَقَفْتُ بِهِ مِنْ عِلْمِكَ عَلَى شَاطِئِ بَحْرِ لَجِيٍّ، فَاغْتَرَفْتُ غُرْفَةَ بَيْدِي، لَمْ يَنْقَعْ صَدَايَ^(٢) وَلَمْ يَبْلُغْ ثَلْجِي، إِلَّا أَنْشَدْتُ بَرْنَةَ الْمُتَشَجِّجِي: [من البسيط]

يَا هَلْ إِلَى سَرْحَةِ الْوَادِي مَوْوَبَةٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ بَذِي وَجَدَ بِهَا نَاشِي^(٣)
أَلَمْ إِلِمَامَةً لَمْ تَجْتَنِي ثَمَرًا وَلَا تَفِيًّا ظَلًّا غَيْرَ أَكْبَاشٍ^(٤)
ولولا تَرَوْحِي بِأَمْلِي أَنْ أَمْلَا لَزَامَكَ، وَالْمَثُولَ أَمَامَكَ، مَثُولًا أَصِيبَ بِهِ مِنْ عِلْمِكَ خَيْرًا، وَيَزْجُرُ لِي بِيَمْنٍ طَيْرًا، وَيَقِينِي أَنْ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِيزَ، وَلَا نَائِلَهُ مِنْ سَائِلِهِ فِي حَرَزِ حَرِيزٍ. لَقَدْ ذَهَبَتْ نَفْسِي حَسْرَاتٍ. وَضَاقَتْ بِي فَسِيحَاتِ الْبَسِيطَاتِ:
[من البسيط]

أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضِيقَ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ^(٥)

(١) تُضْرَبُ آبَاطُ الْمَطِيِّ إِلَيْهِ: يُرْخَلُ إِلَيْهِ.

(٢) الصَّدَى: الْعَطَشُ.

(٣) مَوْوَبَةٌ: عَائِدَةٌ. نَاشِي: نَاشِئٌ.

(٤) أَلَمْ: نَزَلَ، حَلَّ.

(٥) الْبَيْتُ لِفَخْرِ الْكِتَابِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الطُّغْرَائِيِّ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٥١٤ هـ. (وفيات الأعيان: ٢/

هذا وقد تكلف الفكر الجامد بمصر البليات . والذهن الخامد بصرصر النكبات ، عمل هذه القصيدة ، بشيء من مدائحك العديدة . على أنني لم أحلّ بها عاطلاً ، ولم أرفع بها خاملاً . وصفات ضوء الشمس تذهب باطلاً . لأن الوصف ما رفع احتمالاً أو قلل اشتراكاً أو كشف معنى . والشمس عن كل في غنى . وما لها في أي غنا . ووصفك أيها السيد الجليل ، من ذلك القبيل ، في ذلك السبيل . على أنني لو بصرت أمري لما سيرت إليك شعري ، فقد قال حسان بن ثابت^(١) : [من البسيط]

وَإِنَّمَا الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمَقًا^(٢)

ولكن غلبت المقة على مقتضى عدم الثقة . وشجعتني قوله أيضاً :

وَإِنْ أَصْدَقَ بَيْتٍ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيْتٌ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا^(٣)

فقلت : وما ضر شعراً مقابلاً بالتصديق الصريح ، أن لا يكون ذا معنى في لفظ فصيح . وبعد فأمامه منك عين الرضا ، ذات الكلال عن العيب والإغضا ، والسلام ختام : [من الوافر]

أَلَا قَامَتْ تُنَازِعُنِي رِدَائِي غَدَاةً نَفَضْتُ أَحْلَاسَ الثَّوَاءِ^(٤)

مُهْنَفُهُفَةً كَخُوطِ الْبَانِ تَهْفُو إِلَيَّ بَعْنَقِ خَاذِلَةِ الظُّبَاءِ^(٥)

يَلُوحُ الْقِرْطُ مِنْهُ عَلَى هَوَاءٍ يَرُوقُكَ ذَاهِبًا فِيهِ وَجَائِي^(٦)

وَحَابِسَةٍ لَذِي نَظَرٍ طُمُوحٍ عَلَيْهِ بَلَا أَمَامٍ وَلَا وَرَاءٍ

وَقَدْ أَرَخَى مَدَامِعَهَا ارْتِحَالِي وَكَانَتْ لَيْسَ تَدْرِي بِالْبِكَاءِ

وَقَالَتْ لَوْ أَقَمْتَ لَكَانَ مَاذَا حَنَائِيكَ التَّفَرُّقُ وَالتَّنَائِي^(٧)

(١) هو أبو الوليد ، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، واختص بالرسول ﷺ ومدحه .

توفي سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م . (الشعر والشعراء : ١/ ٢٢٣ ؛ الأغاني : ٤/ ١٣٧) .

(٢) اللَّبُّ ، والكيس : العقل ؛ وفي خزنة الأدب : «وإنما الشعر عقل المرء يعرضه على البرية» .

(٣) البيت في العمدة في محاسن الشعر : ١/ ١١٤ .

(٤) الأحلاس : جمع الجلس : ما يُبسط في البيت من حصير ونحوه ، أو كل ما ولي ظهر الدابة تحت الرحل والقتب والسرج . الثواء : الإقامة .

(٥) مهْنَفُهُفَةٌ : دقيقة الخصر ضامرة البطن . الخُوطُ : الغصن الناعم . تهفو : تُسرع وتخفّ ، أو تسقط ، أو تحنّ وتشتاق . خذلت الطيبة : تخلفت عن القطيع ، أو أقامت على ولدها ، فهي خاذل ، وخذول .

(٦) يروقك : يعجبك . جائي : قادم ، آت .

(٧) حنائيك : حناناً بعد حنان .

وَعَيْشِكَ لَوْ تَرَكْتَ وَمَا تَشَائِي
وَلَكِنَّ الزَّمَانَ لَهُ صُرُوفٌ
وَقَبْلِي مَا نَبَتْ أَرْضٌ بِحُرٍّ
فَعَنِّي لَسْتُ بِالرَّجُلِ الْمُرَوِّ
وَعَزَمِي قَدْ عَلِمْتَ إِذَا اسْتَطَارَتْ
فَكَمْ أَغْرَى إِلَى وَادِي هُبُوطِي
وَرَاعَ الْعُضْمَ فِي نَيْقٍ صُعُودِي
عَلَى وَجَنَاءٍ تَخْتَرُقُ الْمَوَامِي
يُعَارِضُهَا اللَّصُوصُ لِيُدْرِكُوهَا
فَقَادَتْهَا الْأَدْلَةُ لِأَقْتِبَالِي
وَمَا انْتَشَعَتْ غَيَابَتَهَا وَفِيهَا
وَكُنْتُ عَلَى مُعَسَّكَرِهَا وَحُكْمِي
بِوَضَّاحِ ضَمَانِ الْمَالِ عَافٍ
وَسَلُّ عَنِّي الْعِدَاةَ فَعِنْدَهُمْ مِنْ
وَمَا أَنَا بِالْبَخِيلِ بِنَائِيَاتِ الْ
وَلَا كَلُّ عَلَى الْإِخْوَانِ عَيٍّ

لَمَّا بَعُدْتُ سَمَاوُكَ مِنْ سَمَائِي
وَقَدْ تَعْدُو عَلَى الْقَوْمِ الْبَرَاءِ^(١)
فَفَارَقَهَا بِحُبٍّ أَوْ قِلَاءِ^(٢)
وَلَا طَوَّعَ الْحَسَانَ مِنَ النِّسَاءِ^(٣)
بِهِ نِيَّةٌ تَغْلُغِلُ ذَا مَضَاءِ^(٤)
ذُنَابًا بِالتَّضَوُّورِ وَالْعِوَاءِ^(٥)
وَهَاجَ الرُّبْدَ فِي خَبْتٍ نِجَائِي^(٦)
وَتَجْتَازُ الْمِيَاءَ عَلَى الظَّمَاءِ^(٧)
وَمَنْ يَغْلُقُ بِرَاكِبَةِ الْهَوَاءِ
وَسَاقَتْهَا لِثَانِيَةِ انْثِنَائِي
مِنْ الْإِبْطَاءِ مَنْ أَبْلَى بِلَائِي^(٨)
لَهُمْ أَمَا عَلِمْتُ عَلَى سَوَائِي
جَنَائِيَا الْعَمْدِ شَدَاخِ الدَّمَاءِ^(٩)
مُمَارَسَتِي مُصَدِّقَةَ ادِّعَائِي
حُقُوقٍ عَلَى الْإِضَافَةِ وَالْثَرَاءِ
وَلَا شَاكِي الصَّدِيقِ مِنَ الْجَفَاءِ^(١٠)

(١) الصرُوف: الحوادث.

(٢) نبت به الأرض: لم توافقه، فلم يستقرَّ عليها. القِلَاءُ: البُعْضُ.

(٣) عَنِّي: دعني، اتركني.

(٤) النية: المكان الذي ينوي المسافر إليه. المَضَاءُ: التَّفَاذُّ.

(٥) التَّضَوُّورُ: التَّلَوِّي والصياح من جوع ونحوه.

(٦) العُضْمُ: تيوس الجبل. النيق: قمة الجبل. الخبت: الوادي، أو المنخفض من الأرض. النجاء: النجاة.

(٧) الوجناء: الناقة القوية السريعة. الموامي: جمع المومة: الفلاة الواسعة البعيدة. الظَّمَاءُ: العطش.

(٨) الغيبة: غيابة من الأرض: منخفض منها، وغيابة الشجر: عروقه، والغيابة: كل ما غَيَّبَ شيئاً. أبلى في الأمر: اجتهد فيه وبالغ.

(٩) العافي: طالب المعروف. شَدَاخِ الدماء: من شَدَخَ دم فلان: أبطله وأهدره.

(١٠) الكَلُّ: من يكون عبثاً على غيره. العَيُّ: العاجز عن التعبير، أو الجاهل بالأمور، العاجز عن أدائها. الجفاء: الغلظة والقسوة، أو البعد والهجر.

وَلَا بِمُفَحِّمٍ إِنْ نَاغَمْتَنِي
وَقَدْ جَرَّبْتُ هَذَا الدَّهْرَ حَتَّى
وَلَمْ أَعْدَمْ عَلَى الْخُطْبِ اضْطِبَارِي
وَلَا اسْتَوْحَشْتُ مِنْ شَيْءٍ أَمَامِي
وَلَوْ لَا عَالَمُ الْمِصْرِ الَّذِي سِرُّ
لَنِعْمَ مُحَمَّدٌ رَجُلًا وَحَقُّ
هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي جَاشَتْ بِعِلْمِ
فَطَبَقَتْ الْبِلَادَ وَعَادَ مِنْهَا
تَعَالَى اللَّهُ مُعْطِيهِ امْتِنَانًا
لَقَدْ آتَاهُ عِلْمًا مِنْ لَدُنْهِ
وَلَكِنْ صَدْرُهُ الْمَشْرُوحُ أَضْحَى
وَحِينَ لَقِيْتَهُ بِأَدْيٍ بَدَاءِ
لَقِيْتُ بِهِ الْأُئِمَّةَ فِي فَنُونِ
فَفِي عِلْمِ الْكَلَامِ أَبَا عَلِيٍّ
وَفِي التَّصْرِيفِ عُثْمَانَ بْنَ جُنَيٍّ

بَنَاتُ الشَّعْرِ مِنْهُ بِالْحُدَاءِ^(١)
مَرَنْتُ عَلَى الْمَرَاضِي وَالْمَسَائِي^(٢)
وَلَمْ أَفْقِدْ عَلَى الْهَوْلِ اجْتِرَائِي^(٣)
وَلَمْ أَحْزَنْ عَلَى شَيْءٍ وَرَائِي
تُ عَنْهُ لَمَّا حَنَنْتُ إِلَيْهِ نَائِي
لَهُ وَعَلَيْهِ طَيِّبَةُ الثَّنَاءِ
غَوَارِبَ مَوْجِهِ ذَاتِ ارْتِمَاءِ^(٤)
إِلَيْهِ الْفَضْلُ عَنْ عُذْرِ مَلَاءِ
وَلَيْسَ اللَّهُ مَحْظُورَ الْعَطَاءِ^(٥)
يُضِيقُ بَوْسَعِهِ ذَاتَ الْقَضَاءِ
كَمَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثَّرَاءِ
بِوَقْتِ مِثْلِ إِبْهَامِ الْقَطَاءِ^(٦)
بِفِرْدِ الشَّخْصِ مُتَّحِدِ الرَّوَاءِ
وَفِي عِلْمِ اللُّغَاتِ أَبَا الْعَلَاءِ^(٧)
وَفِي النُّحُو الْمَبْرَدِ وَالْكِسَائِي^(٨)

(١) الْمُفَحِّمُ: الْمُغْلَبُ. الحداء: الغناء للإبل.

(٢) مَرَنْتُ: تَمَرَّسْتُ، وَخَبِرْتُ. المراضى والمساى: ما يُرضى وما يسيء.

(٣) الخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب. الاجترأ: الشجاعة.

(٤) جاشت: ارتفعت. غوارب الموج: أعاليه.

(٥) امتناناً: تفضلاً وإحساناً. المحظور: الممنوع.

(٦) القطاء: القطا: جمع القطة: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، ويتخذ أفحوصه في الأرض. والإبهام: من أبهم الشيء: خفي وأشكل.

(٧) أبو علي: يريد أبو علي الجبائي المعتزلي المشهور، صاحب الفرقة الجبائية. أبو العلاء: يريد أبو عمرو بن العلاء.

(٨) عثمان بن جني: هو أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي: من أئمة النحو والأدب. توفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م. (الأعلام: ٢٠٤/٤).

المبرد: هو أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد: إمام العربية ببغداد في زمنه. توفي سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م. (الأعلام: ١٤٤/٧).

الكسائي: هو أبو الحسن، علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، الكوفي، الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة. توفي سنة ١٨٩هـ / ٨٠٥م. (الأعلام: ٢٨٣/٤).

وَجَارِ اللَّهِ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَابْنُ كَثِيرٍ الشَّيْخِ الْمَعَالِي
 وَزَيْنُ الدِّينِ فِي التَّحْدِيثِ حِفْظاً وَيَحْيَى فِي الرِّجَالِ بِنَقْدِ قَوْلٍ
 وَفِي التَّارِيخِ وَالْأَخْبَارِ جَمًّا وَفِي الْفَقْهِ ابْنُ رَشِيدٍ مَنْ تَحَلَّتْ
 وَعِنْدَ قَضَائِهِ وَلَدَى فَتَاوَا فَلَوْ لَا زَمَّتُهُ مِنْ بَعْدِ أَوْ كَا
 إِذَا لَغَدَوْتَ رَأْسًا فِي عُلُومِ أَنْيَادِي قَائِلًا قَوْلًا سَدِيدًا
 بِأَنَّكَ صَاحِبُ السَّهْمِ الْمُعْلَا وَأَنَّكَ عَالِمُ الْقَطْرِ الْمُسَمَّى
 وَأَنْ مُجَدِّدُ الْمَائَةِ الَّتِي نَحْنُ وَأَنَّكَ لَا تَرَى لَكَ مِنْ مَثِيلِ
 وَأَنْ شَرِيعَةَ الدِّينِ اسْتَنَارَتْ أَصَابَ بِكَ الْخَلِيفَةُ فَرَضَ عَيْنِ
 فَلَوْ لَمْ تَقْضِ بَيْنَ النَّاسِ طَوْعًا

وَابْرَازِ النِّكَاتِ مِنَ الْخَفَاءِ^(١) مِنْ التَّفْسِيرِ خَافِقَةُ اللَّوَاءِ^(٢)
 لِإِسْنَادٍ وَمَتْنٍ ذَا وَكَاءٍ^(٣) جَرَى فِيهِ بِصَفْوٍ أَوْ جَفَاءِ
 عَهَا الذَّهْبِيَّ فَهَّاقِ الْإِنَاءِ^(٤) نَهَايْتُهُ بِحُسْنِ الْإِبْتِنَاءِ^(٥)
 هَ عَنْ تَبْرِيزِهِ كَشَفُ الْغَطَاءِ نَ حَظِي مِنْهُ تَكَرَّارُ الْلِقَاءِ
 يَكُونُ بِهَدْيِهِ فِيهَا اهْتِدَائِي يَصْدُقُ بَيْنَ مُسْتَمْعِي النَّدَاءِ
 وَبَيْنَ سِهَامِ إِرْثِ الْأَنْبِيَاءِ وَمُجْتَهِدِ الزَّمَانِ بِلَا مِرَاءِ^(٦)
 نَ فِيهَا لَهْوٌ أَنْتَ بِلَا امْتِرَاءِ^(٧) وَلَمْ تَرَمْثَلْ نَفْسَكَ فِي الْمِرَائِي
 بِمَا سُمِّيَتْ فِيهَا لِلْقَضَاءِ عَلَيَّكَ مُضِيْقًا وَقْتَ الْأَدَاءِ
 أَثَمْتَ بِمَا جَنَحْتَ إِلَى الْإِبَاءِ^(٨)

- (١) جَارِ اللَّهِ: هو أَبُو الْقَاسِمِ، جَارِ اللَّهِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْخَوَارِزْمِيِّ الزَّمَخْشَرِيِّ: مِنْ أَثَمَةِ الْعِلْمِ بِالْدِّينِ وَالتَّفْسِيرِ وَاللُّغَةِ وَالْأَدَبِ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٥٣٨هـ / ١١٤٤م. (الأعلام: ١٧٨/٧).
- (٢) ابْنُ كَثِيرٍ: هو أَبُو الْفَدَاءِ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ كَثِيرِ الْقُرَشِيِّ، الْبَصْرِيُّ، الدَّمَشَقِيُّ: حَافِظٌ، مُؤَرِّخٌ، فَقِيهٌ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م. (الأعلام: ٣٢٠/١).
- (٣) الْوَكَاءُ: الْخِيَطُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ الصُّرَّةُ أَوْ الْكَيْسُ، وَغَيْرُهُمَا.
- (٤) الذَّهْبِيُّ: هو أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، شَمْسُ الدِّينِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ قَايِمَازِ الذَّهْبِيِّ: حَافِظٌ، مُؤَرِّخٌ، عَلَّامَةٌ، مُحَقِّقٌ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م. (الأعلام: ٣٢٦/٥).
- (٥) ابْنُ رَشِيدٍ: هو أَبُو الْوَلِيدِ، مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ رَشِيدِ الْأَنْدَلُسِيِّ: فِيلَسُوفٌ، مِنْ أَهْلِ قُرْطُبَةٍ. تُوُفِيَ سَنَةَ ٥٩٥هـ / ١١٩٨م. (الأعلام: ٣١٨/٥).
- (٦) الْمِرَاءُ: الْجَدَلُ؛ يُقَالُ: مَارَاهُ مِرَاءً، وَمُماراةٌ: نَازَرُهُ وَجَادَلَهُ.
- (٧) الْاِمْتِرَاءُ: الشُّكُّ؛ يُقَالُ: اِمْتَرَى فِي الشَّيْءِ: شَكَّ فِيهِ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧].
- (٨) أَثَمْتُ: أَذْنَبْتُ. جَنَحْتُ: مِلْتُ. الْإِبَاءُ: الْاِمْتِنَاعُ.

جُزِيَتْ عن اليتيم وأُمِّه والضـ أخذت لهم بِحَقِّهم فباتوا
وَطَائِفَةٌ على قاضٍ ومُفْتٍ وساعة ما أَتَتْكَ فَكُنْتُ مِنْهَا
وهذا ربح عِلْمِكَ فَاسْتَفِدْ خَيْـ ولا بَرِحْتُ سَوَارِي الْعَيْثِ صَنَعَا
فإنَّ تَهْلِكَ فَلَا شَامِتٌ عَلَيْهَا ولا حَمَلْتُ عُقَيْبَ الطُّهْرِ أَثْنَى
فأجبت عن هذا النظم والنثر بقولي:

من جمع أشتات الفضائل والفواضل، وبلغ في مجده إلى مكان يقصر عنه المتطاوُل. نور حدقة أوانه، وإنسان عين زمانه. من ضرب النجم سراقده دون مكانه. وخفي سنان السماك عند سنا سنانه. قريع أوانه، فريع خلّانه وأخذانه. من أشاد بأبياته المشيدات شرعة الآداب، وأحيا ببلاغته البليغة أرواح أموات رسوم الكتاب. فهو الفرد الكامل ذاتاً، والكلُّ المستحقُّ لنسبة جميع الفضائل إليه أنعائاً^(٤): [من السريع]

لَيْسَ على اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
(وبعد) فإنه وصل إلى الحقير ذلك العقد الجوهري الذي هو بكل الأمداح الصراح الفصاح الصباح حريّ. وأقول: سبحان المانح الفاتح. فلقد تلهت وولّمت ودلّمت بما خبر به كل غاد ورائح. لعمرِكَ ما كنت أحسب أنه بقي من يسمو إلى هذه الطبقة التي هي فوق الطباق. ولا كان يمرُّ بفكري أنه قد نشأ لهذه الصناعة من رقي فيها إلى هذه الغاية التي لا تطاق. والحمد لله الذي زَيَّنَ العصر بمثلِكَ وحفظ شرعة الآداب بوافر علمك وفضلِكَ ونبلك. وليعلم الأخ أيده الله أن جواد قريحتي القريحة لا يجري بهذا الميدان. وسنان فكرتي السقيمة العقيمة لا تغني عند تطاعن الفرسان بالمران. فإني على مرور الأعصار لم أتلّس بشعار الأشعار. ولا رضتُ ذهني الكليل بالطراد في هذا المضمار: [من الطويل]

وما الشعرُ هذا مِنْ شِعَارِي وَإِنَّمَا أَجْرُبُ فِكْرِي كَيْفَ يَجْرِي نَجِيْبُهُ

(١) مُعَمَّاهَا: ما خفي وأشكل منها.

(٢) سَوَارِي الْغَيْثِ: سَحْبُهُ الْمَسَائِيَّةُ.

(٣) شَامُ الْبَرَقِ: نَظَرُ إِلَيْهِ يَرْقُبُهُ لِيَعْرِفَ أَيْنَ يَكُونُ مَطَرُهُ.

(٤) الْبَيْتُ لِأَبِي نَوَاسٍ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ: ٤٥٤.

فلم يكن لي من ذلك إلّا نظم الفقيه في الأحكام. أو ما يجري مجرى الكلام عند اقتضاء المقام. وكنت قد عزمت أن أتطفل على مكارم أخلاقك بطلب بسط العذر عن الجواب، فراراً مما قاله ابن الخازن في نظم آداب الآداب، وهرباً من عارضة صحيفة العقل على أنظار أرباب الألباب، وحذراً من الوقوع فيما قاله أخو الأعراب^(١): [من الرجز]

الشَّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَمُهُ إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعَرِّبَهُ فَيُعْجِمُهُ زَلْتُ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ

غير أنه لاح للخاطر الفاتر، وقوة النظر القاصر، أن مكاتبات الأحباب ومراجعات خلص الأصحاب مقيدة بقيود، ومحدودة برسوم وحدود. منها التسامح واطراح التكلفات. وغضّ طرف الانتقاد عند عروض الكبوات. كما جرت به المألوفات من جَواري العادات. وثانيهما إسبال ذيول الستور، على ما أبرزته إلى قالب العثور أيدي القصور. وثالثها أنَّ المقصد الأهمّ، والمطلب الأعظم، ليس إلّا ما ذكره أرباب البيان، من نكتة التلذذ بإرخاء عَنان اللسان، في مخاطبات الخَلان. فلما ارتسمت في الذهن هذه التصورات، انتقل بعد شرح هذه الماهية إلى مقاصد التصديقات. فأنّج له الترتيب الرضى بأن يُقال مُجيب غير مُصيب، لا مُصيب غير مُجيب. فعطل من ساعات أشغاله ساعة، أزجى فيها إلى سوحك هذه البضاعة. بفكرٍ عَلم الله كَليل، وذهنٍ شَهد الله عَليل. على أنهما فيما عهدت سيف صَقيّل. ولا ريب فإنّ لطيف الكدر إذا انطبع في المرأة تشوّش النظر. فكيف بمن يطرق قلبه في اليوم القصير، من رياح الأرواح وقتام الأشباح أعاصير، فدون الدون من تلك الأمور، تنصدع له الصخور، وتغور منه البحور: [من الرجز]

لَوْ لَا بَسَ الصَّخْرَ الْأَصَمَّ بَعْضُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي فَضَّ أَصْلَادَ الصَّفَا^(٢)

فدونك أيها الحبيب، مراجعة من لم يحظ من قربك بنصيب. وشرب من صاب بينك بأقداح، وغصّ لفراقك بالماء القراح: [من الوافر]

دَعِيَ لَوْمِي عَلَى فَرْطِ الْهَوَاءِ وَذَاوِي إِنْ قَدِرْتُ عَلَى الدَّوَاءِ
وَكُونِي عَنْ سُلُوءِي فِي سُلُوءٍ إِذَا أُنْوَى الْحَبِيبُ عَلَى النَّوَاءِ^(٣)

(١) القائل هو الحطيئة، جرول بن أوس العبسي، الشاعر المخضرم، المتوفى سنة ٤٥هـ/ ٦٦٥م. والرجز في الأغاني: ٢/ ١٦٥، والعمدة: ١/ ١١٦.

(٢) قَضَ الشيء: دَقَّه وكسره. الأصْلَاد: جمع الصَلْد: الصُّلب الأملس الشديد. الصفا: جمع الصفاة: الحجر العريض الأملس.

(٣) السُّلُوء: نسيان الحبيب، مع طيب النفس بفراقه. النواء: النوى: البُعد والهجر.

أَبَانُوا يَوْمَ بَانُوا عَنْ فُؤَادِي عُرَى صَبْرِي فَبَانُوا بِالْعَرَاءِ^(١)
فَلَا حَمَلَتْ هَوَادِجُهَا الْهُوَادِي وَلَا سَمِعَتْ تَرَا جِيعَ الْحُدَاءِ^(٢)
تَخَبُّ بِكُلِّ عَامِرَةٍ وَقْفَرٍ وَتَخْتَرِقُ الْمَوَامِي لِلتَّنَائِي^(٣)
فَأَنْحِي حَاذِرًا يَوْمًا عَلَيْهَا وَضَرَجَ قَادِمِيهَا بِالذَّمَاءِ^(٤)
وَنَاشَتْهَا السَّبَاعُ وَمَزَقَتْهَا أَلْ قَشَاعُمُ بَيْنَ أَدْلَاجِ الْفَضَاءِ^(٥)
وَيَا حَادِي الْمَطْيِ لَا رِثَاءَ وَشَرُّ النَّاسِ مَسْلُوبُ الرِّثَاءِ^(٦)
حَدُوتَ فَكُمُ عُقُولُ طَائِشَاتٍ وَأَرْوَاحُ تَرْوُحُ إِلَى الْفَنَاءِ
فَلَا رَفَعَتْ يَدَاكَ إِلَيْكَ سَوَاطٍ وَلَا نَقَلْتِكَ مُسْرِعَةَ الْخَطَاءِ
تُرَوُّعُنِي بِبَيْنٍ بَعْدَ بَيْنٍ طَوِيلٍ فِي قَصِيرٍ مِنْ لِقَاءِ
أَمَّا بِسَوَى الْفِرَاقِ لَقِيتَ قَلْبِي لَتَعْلَمَ فِي الْحَوَادِثِ مَا عَنَائِي
فَإِنِّي إِنْ أَلَمَ الْخَطْبُ يَوْمًا وَضَاقَ بِحَمَلِهِ وَجْهُ الثَّرَاءِ
وَطَاشَتْ عِنْدَهُ أَحْلَامُ قَوْمٍ وَحَادَ الْآخَرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ^(٧)
أَقُومُ بِهِ إِذَا قَعَدُوا لِدِيهِ وَأَدْفَعُهُ إِذَا أَعْيَا سِوَائِي
وَمَا الْمَرْءُ الْمَكْمَلُ غَيْرُ حُرٍّ لَهُ عِنْدَ الْعَنَاءِ كُلِّ الْغَنَاءِ^(٨)
تَسَاوَى عِنْدَهُ خَيْرٌ وَشَرٌّ يَرَى طَعْمَ الْمَنِيَةِ كَالْمَنَاءِ
يَحُورُ السَّبَقُ فِي أَمْنٍ وَخَوْفٍ وَيَكْرُمُ عِنْدَ فَقْرٍ أَوْ غِنَاءِ
تَرَاهُ وَهُوَ ذُو طُمُرَيْنِ يَمْشِي بِهَمَّتِهِ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ^(٩)
تُقَدِّمُهُ فَضَائِلُهُ إِذَا مَا تَفَاخَرَ بِالْمَلَا كُلِّ الْمَلَاءِ

(١) أَبَانُوا: أظهروا. بانوا: ابتعدوا ورحلوا.

(٢) الهوداج: جمع الهودج: أداة ذات قبة تُوضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء. الهوادي: النوق المتقدّمات في السير. الحداء: غناء للإبل، تُحَثُّ على السير به.

(٣) تَخَبُّ: تعدو مسرعة؛ ومنه: خَبَّ الفرس: نقل أيا منه وأياسره جميعاً في العدو. العامرة: المأهولة. القفر: الخالية من الناس. الموامي: جمع المومة: الفلاة الواسعة البعيدة.

(٤) ضَرَجَ: لَطَخَ.

(٥) ناشتها: تناولتها وأخذتها. القشاعم: النُسور المُسَيَّنة.

(٦) حادي المطي: سائقها.

(٧) طاشَتْ: خَفَّتْ.

(٨) العنّاء: التعب. العنّاء: الكفاية.

(٩) الطمر: الثوب الخلق البالي. الهام: جمع الهامة: الرأس، استعارها للسماء.

أَلَا إِنَّ الْفَتَى رَبُّ الْمَعَالِي
وَمَنْ حَازَ الْفَضَائِلَ غَيْرَ وَإِنْ
فَمَا الشَّرْفُ الرَّفِيعُ بِحَسَنِ ثَوْبٍ
وَلَا يُنْفُوذُ قَوْلٌ فِي الْبَرَايَا
فِرَاسُ الْمَجْدِ عِنْدَ الْحَرِّ عِلْمٌ
إِذَا مَا الْمَرْءُ قَامَ بِكُلِّ فَنٍّ
وَصَارَ لَهُ بِمَذْرَجِهِ ضِعُودٌ
وَقَامَ لِدَفْعِ مُعْضَلَةٍ وَحَلٍّ
فَذَاكَ الْفَرْدُ فِي مَالٍ الْمَعَالِي
فَتَى يَهْتَزُّ عِطْفُ الدَّهْرِ شَوْقًا
إِذَا مَا جَالَ فِي بَحْثِ ذِكَاةٍ
وَإِنْ مَارَاهُ ذُو لَدَدٍ أَتَاهُ
تَقَاصِرَ عَنْ مَدَاهِ كُلِّ حَبْرٍ
فِيَا مَنْ صَارَ فِي سِلْكِ الْمَعَالِي
وَضَمَّخَ مَسْمَعَ الْأَيَّامِ طَيْبًا
وَقَامَ بِفَتْرَةِ الْأَدَابِ يَدْعُو
بَلَّغْتَ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى مَكَانٍ
قَعْدَتَ مِنَ الْبَلَاغَةِ فِي مَحَلٍّ
وُضِعَتْ مِنَ الْقَرِيضِ بَنَاتُ فِكْرِ

إِذَا حَقَّقْتُ لَا رَبَّ الثَّرَاءِ^(١)
فَذَاكَ هُوَ الْفَتَى كُلَّ الْفَتَاءِ^(٢)
وَلَا دَارَ مُشَيِّدَةِ الْبِنَاءِ^(٣)
فَإِنْ نُفُوذُهُ أَصْلُ الْبَلَاءِ
يَجُودُ بِهِ عَلَى غَادٍ وَجَائِي^(٤)
قِيَامًا فِي السُّمُورِ إِلَى السَّمَاءِ^(٥)
إِلَى عَيْنِ الْحَقِيقَةِ وَالْجَلَاءِ^(٦)
لِمُشْكَلَةٍ وَرَفْعٍ لِلْخَفَاءِ^(٧)
كَمَا الْفَرْدُ ابْنُ يَحْيَى فِي الْمَلَاءِ
إِلَيْهِ لِأَنَّهُ رَبُّ الْعَالَاءِ
تَنْحَى عَنْهُ أَرْبَابُ الذِّكَاءِ
بِمَا يَثْنِيهِ عَنْ قَرْطِ الْمِرَاءِ^(٨)
لَمَا يَلْقَاهُ مِنْ بُعْدِ الْمَدَاءِ^(٩)
هُوَ الدَّرُّ النَّفِيسُ لِكُلِّ رَاءٍ
بِمَا قَدْ طَابَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ^(١٠)
وَفِي يُمْنَاهِ خَافِقَةُ الْلَوَاءِ^(١١)
تَمَكَّنَ فِي السُّمُورِ وَفِي السَّنَاءِ
بِهِ الصَّابِي يَعُودُ إِلَى الصَّبَاءِ^(١٢)
دَفَعَتْ بِهَا الْوَرَى نَحْوَ الْوَرَاءِ

(١) الرَّبُّ (هنا): السَّيِّدُ.

(٣) مُشَيِّدَةٌ: مُرْتَفَعَةٌ.

(٥) السُّمُورُ: الْعُلُومُ وَالْإِرْتِفَاعُ.

(٧) الْمُعْضَلَةُ: الْمَشْكَلَةُ الصَّعْبَةُ.

(٨) رَاهُ: رَأَى. اللَّدَّةُ: الْخُصُومَةُ الشَّدِيدَةُ. يَثْنِيهِ: يَمِيلُهُ. الْمِرَاءُ: الْجَدَلُ.

(٩) مَدَاهُ: شَأُوهُ أَوْ غَايَتُهُ. الْحَبْرُ: الْعَالَمُ الْحَاقِقُ الْخَبِيرُ. الْمَدَاءُ: الْمَدَى.

(١٠) ضَمَّخَ: صَبَّغَ، لَطَّخَ.

(١١) الْفَتْرَةُ: الْمُدَّةُ مِنَ الزَّمَنِ؛ وَالْمَعْنَى هُنَا مِنَ الْفَتُورِ، بِمَعْنَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ وَالْكَسَلِ. الْخَافِقَةُ: الْمَتَحَرِّكَةُ الْمُضْطَّرِبَةُ.

(١٢) الصَّابِي: الْمَائِلُ إِلَى الصَّبَا؛ وَلَعَلَّهُ أَرَادَ التَّوْرِيَةَ بِأَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ الْأَدِيبِ الْمَشْهُورِ.

وَجِيهَ الدِّينِ دُمْتَ لِكُلِّ فَنٍّ تَبْهَرَجَ فِيهِ أَهْلُ الْإِدْعَاءِ^(١)
تَذَوُّدُ الشَّائِنِينَ لَهُ بِجَهْلٍ فيصفو العلمُ عن شَوْبِ الْقَذَاءِ^(٢)
عُلُومُكَ زَانَهَا سَمْتُ بَهْيٍّ وحسنُ السَّمْتِ من حُلِّ البَهَاءِ^(٣)
أَتَانِي يَابْنَ يَحْيَى مِنْكَ نَظْمٌ تعالى عن نظامِ أَبِي الْعَلَاءِ^(٤)
عَلَى نَمَطِ الْأَعَارِبِ فِي لُغَاتٍ وفي حُسْنِ الرُّوْيِ وفي الرِّوَاءِ^(٥)
تَحَدَّى مَنْ تَعَاوَرَهُ هَمُومٌ يعودُ بها الجَلِيُّ إلى الخَفَاءِ^(٦)
يُعَانِي مِنْ خُصُومٍ أَوْ خِصَامٍ خُطوباً في الصُّبْحِ وفي المَسَاءِ
فَحِيناً فِي صُورِخٍ أَوْ عَوِيلٍ وحيناً في شِكَاٍ أَوْ بَكَاءِ
وإن يصفو له وَقْتُ تَرَاهُ يوقِّعُ في رِقَاعِ الْإِدْعَاءِ
وَيَمْضِي اللَّيْلَ فِي نَشْرِ وَطِيٍّ لِأَسْجَالِ قَدِيمَاتِ الْبِنَاءِ^(٧)
وَقَفْنَا يَابْنَ وَدِّي فِي شَفِيرٍ ومن زَارَ الشَّفِيرَ عَلَى شَفَاءِ^(٨)
بِذَا قَدْ جَاءَنَا نَصٌّ صَرِيحٌ فما ذاكُ السَّبِيلُ إِلَى النَّجَاءِ
فَإِنْ قَلَّتِ النُّصُوصُ بِعَكْسِ هَذَا أَتْنَا بِالْأَجُورِ وبِالرَّجَاءِ
كَمَا فِي أَجْرِ مَنْ يَقْضِي بِحَقٍّ ويعملُ بِاجْتِهَادٍ فِي الْقَضَاءِ
وَيَعْدِلُ فِي حُكُومَتِهِ بِرَفْقٍ وَيَلْتَفُ الْمَكَارَةَ بِالرِّضَاءِ
وَيَلْبِسُ بِالْقَنُوعِ رِذَاءَ عَزٍّ يُطَرِّزُهُ بِوَشْيِ الْإِتْقَاءِ
وَيَدْرُعُ التَّصَبُّرَ إِنْ دَهَاهُ من الْخَصْمَيْنِ لَافِحَةَ الْبَلَاءِ^(٩)

- (١) تَبْهَرَجَ: تَزَيَّفَ، وَبَهَرَجَ الشَّيْءُ: رَيَّفَهُ؛ وَالبَّهْرَجُ: الباطل.
(٢) تَذَوُّدٌ: تدفع وتطرد. الشَّائِنُونَ: العائِبُونَ. الشَّوْبُ: المَزْجُ والخَلْطُ. القَذَاءُ: القَذَى: جمع القذاة: ما يسقط في العين أو الشراب من تراب أو عيدان أو نحو ذلك.
(٣) السَّمْتُ: الهيئة. الحُلُّ: الأثواب. البَهَاءُ: النور والإشراق.
(٤) أبو العلاء: هو أبو العلاء المعري، الشاعر المشهور، المتوفى سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م.
(٥) الرُّوْيُ: الحرف الذي بُنِيَ عليه القصيدة، فيقال: قصيدة لامية أو ميمية، ونحو ذلك. الرِّوَاءُ: المنظر الحسن.
(٦) الجَلِيُّ: الواضح البَيِّنُ.
(٧) لعله أراد بالأسجال: السَّجَلَات، أي الكُتُب: جمع السَّجَلِ.
(٨) الشَّفِيرُ: حرف الوادي.
(٩) يَدْرُعُ التَّصَبُّرَ: يَتَّخِذُهُ دِرْعاً: يلبسه. لَافِحَةٌ: مُحْرِقَةٌ، من لفحته النار، أو السَّمُومُ: أصابت وجهه وأحرقتة.

فذاك كما يقول وأين هذا هُوَ الْعَنْقَاءُ بَيْنَ أُولَى النِّهَاءِ^(١)
 قُصَارَى مَا تَرَاهُ بِغَيْرِ شَكٍّ مِرَاءٌ أَوْ فُضُولٌ مِنْ مُرَائِي^(٢)
 وَمَنْ لَمْ يَعْقِلِ الْبَرْهَانَ يَوْمًا فَأَنْتَى يَنْتَحِيهِ فِي الْقَضَاءِ
 إِذَا لَمْ يَفْطِنِ التَّرَكِيبَ قَاضٍ فَقُلْ لِي كَيْفَ يَفْطِنُ بِالْخَطَاءِ
 وَمَنْ خَفِثَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حِينًا فَكَيْفَ تَرَاهُ يَظْفِرُ بِالسَّهَاءِ^(٣)
 وَمَنْ أَعْيَاهُ نَوْرٌ مِنْ نَهَارٍ فَكَيْفَ يَرُومُ إِدْرَاكَ الْبِهَاءِ
 وَهَذِي نَفْثَةٌ مِنْ صَدْرِ حَرٍّ أَطَالَ ذُيُولَهَا صِدْقُ الْإِخَاءِ^(٤)
 وَأَنْزَرُ مَا يَبُوحُ بِهَا شَجِيٌّ إِلَى أَحْبَابِهِ بِثُ الشَّجَاءِ^(٥)
 وَأَعْظَمُ مُسْتَفَادٍ مِنْ عَهَادٍ تَوَاصَلْنَا بِأَصْنَافِ الدَّعَاءِ
 وَدُمُ يَابِنَ الْأَكَارِمِ فِي نَعِيمٍ عَظِيمٍ فِي الصِّفَاتِ وَفِي الصِّفَاءِ

وقد طال شوط القلم ولكن أحببت أن لا أخلي ترجمة هذا الفاضل من ذكر مثل هذه العقيلة التي زفها من بنات فكره فإنها من أعظم الأدلة على أن هذه الأعصار غير خالية عن قائم بحفظ شرعة الآداب. وأما ذكر قصيدتي عقبها فليس إلا للتصريح ببعض ما يستحقه المترجم له من الممادح التي اشتملت عليها. وكتب إلي قصيدة فريدة مطلعها: [من الطويل]

وَأُولُهُ سَيَطُتْ بِقَلْبِي مِنَ الْهَوَى فَقُلْ بِالْهَوَى بِالْأَوْلِيَةِ بَادِي
 وَأَجِبْتَ عَلَيْهِ بِقَصِيدَةٍ مُطْلَعَهَا: [من الوافر]

وُفُودٌ حَبِيبٍ أَمْ وَرُودٌ عَهَادٍ وَصَوْتُ بَشِيرٍ أَمْ تَرْتُمُ شَادٍ^(٦)

ثم سمح الزمان باجتماعي به في صنعاء وغيرها، وكثر اتصالنا. وكتب إلي من نظمه الفائق ونثره الرائق الكثير الطيب، وهو موجود في مجموع ما دار بيني وبين أهل الأدب، وموجود في ديوان شعره الذي قد صار من جملة كتبي. وهو الآن طالت أيامه قائم بالقضاء في حجة وبلادها، ويفد إلى صنعاء لقصد زيارة أفرابه وأحبابه. وله شعر

(١) العنقاء: الطائر المُنَوَّه الذي ذكره العرب في بعض أساطيرهم. النهاء: النهى: العقل.

(٢) المراء: الجدل والمناظرة. المرائي: المُجَادِل والمُنَاطِر.

(٣) السَّهَاء: السُّهَى: كوكب خفي الضوء في بنات نعش الكبرى أو الصغرى.

(٤) النَّفْثَةُ: يقال: هذه نَفْثَةٌ مَصْدُورٌ: ما يُخَفَّفُ به عن صدره، وَيُرَوِّحُ به عن نفسه. وهي من: نَفَثَ الشيء من فيه: رَمَى به، أو من نَفَثَ، إِذَا نَفَخَ.

(٥) أَنْزَرُ: أَيْسَرُ، أَقْلُ. الشَّجِيٌّ: الحزين.

(٦) الْعَهَادُ: مطر أول السنة. البشير: الذي يأتي بالأخبار السَّارَّة. تَرْتُمُ الشَّادِي: غناؤه وتطريبه.

كثير جميعه غُرِّرَ. وبالجملة فهو غريبُ الأسلوب، غزيرُ الشُّبوب، مُطَرَّدُ الأنبوب^(١).

٢٣٦

(عبد الرَّحِيم بن الحَسَن بن علي بن عُمر بن علي بن
إبراهيم الأَرَمَوِي الإسْنَوِي نزيل القاهرة الشيخ جمال
الدين أبو مُحَمَّد)^(٢)

ولد في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة ٧٠٤ أربع وسبعمئة، وقدم القاهرة سنة (٧٢١)، وحفظ التنبيه، وسمع الحديث من الدبوسي، والصابوني، وغيرهما. وحدث بالقليل، وأخذ العلم عن الجلال القزويني، والقونوي، وغيرهما. وأخذ العربية عن أبي حيّان، ثم لازم بعد ذلك التدريس والتصنيف، فصنف التصانيف المفيدة منها (المهمات)، و(التنقيح فيما يرد على الصحيح)، و(الهداية إلى أوهام الكفاية)، و(زوائد الأصول)، و(تلخيص الرافعي الكبير). وله (الأشباه والنظائر)، ولم يبيضه. وله (البدور الطوالع في الفروق والجوامع)، وشرح المنهاج للنووي، ولم يكمل، وشرح المنهاج للبيضاوي، وغير ذلك. وكان فقيهاً ماهراً ومعلماً ناصحاً ومفيداً صالحاً مع البرِّ والدين والتودّد والتواضع. وكان يُقَرَّب الضعيف المستهان به من طلبته، ويحرص على إيصال الفائدة إلى البليد. وربما ذكر عنده المبتدئ الفائدة المطروقة فيصغي كأنه لم يسمعها جبراً لخاطره. وله مثابة على إيصال البرِّ والخير إلى كلِّ محتاج مع فصاحة عبارة وحلاوة محاضرة ومروءة بالغة. وقد ولي وكالة بيت المال والحسبة، ودرّس بمدارس، ثم عزل نفسه عن الحسبة لكلام وقع بينه وبين الوزير في سنة (٧٦٢)، ثم عزل نفسه من الوكالة في سنة (٧٦٦). وانتفع به جمع جمٌّ. وقد أفرد له العراقي ترجمة ذكر فيها يسيراً من مناقبه وفضائله ونظمه، وبالع في الثناء عليه. وكان هو يُحِبُّه ويُعَظِّمُهُ، وذكره في طبقات الشافعية في أثناء ترجمة ابن سيّد الناس، ووصفه بأنه حافظ عصره. وذكره في موضع آخر من المهمات. قال ابن حبيب: إمام بحر علمه عُجَاج، وماء فضله ثجاج، ولسان قلمه عن المشكلات فَرَّاج. كان بحراً في الفروع والأصول، محققاً لما يقول من النقول. تخرج به الفضلاء، وانتفع به العلماء. وذكر أن فراغه من تصنيف جواهر البحرين سنة (٧٣٥)، ومن

(١) توفي صاحب الترجمة سنة ١٢٥٠هـ.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٣/٣٤٤؛ بغية الوعاة: ٣٠٤؛ الدرر الكامنة: ٢/٣٥٤؛ شذرات الذهب: ٦/٢٢٤؛ النجوم الزاهرة: ١١/١٢٤؛ كشف الظنون: ١٨، ١٥٣، ١٨٧٤، ١٩٥٧؛ هدية العارفين: ١/٥٦١؛ إيضاح المكنون: ١/٣٨؛ معجم المؤلفين: ٥/٢٠٣.

المهمات سنة (٧٦٠). قال القاضي تقي الدين الأسدي أنه شرع في التصنيف بعد الثلاثين. وشرح المنهاج مهذب منقح، وهو أنفع شروحه مع كثرتها. وكانت (وفاته) ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة ٧٧٢ اثنتين وسبعين وسبعمائة.

(٢٣٧)

(عبد الرّحيم بن الحُسَيْن بن عبد الرّحيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن الزّين أبو الفضل الكردي الأصل الشافعي المعروف بالعراقي)^(١)

الحافظ الكبير، ولد في حادي وعشرين جمادى الأولى سنة ٧٢٥ خمس وعشرين وسبعمائة بمصر بعد أن تحول والده إليها. وسمع من القاضي سنجر، والقاضي تقي الدين الأحبائي المالكي، وسمع من آخرين. وحفظ الحاوي، والإمام لابن دقيق العيد. وكان ربما حفظ في اليوم أربعمئة سطر. ولزم الشيوخ في الدراية فقرأ القراءات السبع، ونظر في الفقه وأصوله على جماعة كابن عدلان والإسنوي. وفي أثناء ذلك أقبل على علم الحديث، فأخذ عن جماعة منهم العلاء التركماني وبه انتفع. ورحل إلى بيت المقدس ومكة والشام، فأخذ عن شيوخ هذه الجهات. وحَبَّبَ الله إليه هذا الشأن فأكبَّ عليه من سنة (٧٥٢) حتى غلب عليه، وتوغل فيه وصار لا يعرف إلا به، وتفرّد مع وجود شيوخه. وقال العزُّ بن جماعة وهو من شيوخه: كل من يدعي الحديث بالديار المصرية سواء فهو مدفوع. وتصدّى للتصنيف والتدريس، ومن جملة مصنفاته تخريج أحاديث الأحياء، والألفية في علم الحديث وشرحها. ونظم منظومة في السيرة النبوية، وأخرى في غريب القرآن ونظم الاقتراح لابن دقيق العيد، وشرح الترمذي لابن سيّد الناس، فكتب منه تسعة مجلدات، ولم يكمل، وشرع فيه من أوائل كتاب الصلاة من حيث بلغ الحافظ ابن سيّد الناس، لأنه قد كان شرع في شرح الترمذي، فكتب مجلداً بلغ فيه إلى أوائل كتاب الصلاة. ووقفت عليه بخطه رحمه الله. ووقفت على المجلد الأول من شرح صاحب الترجمة، وهو إلى أواخر كتاب الصلاة. وهذا المجلد الذي وقفت عليه هو بخط الحافظ ابن حَجَر، وفيه بخط مصنفه، وهو شرح حافل ممتع، فيه فوائد لا توجد في غيره، ولا سيما في الكلام على أحاديث الترمذي وجميع ما يشير إليه في الباب، وفي نقل المذاهب على نمط

(١) ترجمته في: الأعلام: ٣/ ٣٤٤؛ الضوء اللامع: ٤/ ١٧١؛ شذرات الذهب: ٧/ ٥٥؛ كشف الظنون: ٢٤، ٢١٨، ١٩٦١، ٢٠١٨؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٩٦؛ هدية العارفين: ١/ ٥٦٢؛ معجم المؤلفين: ٥/ ٢٠٤.

غريب وأسلوب عجيب. ومن مصنفاته (الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعيتين في مكان واحد)، وتكملة شرح المذهب للنووي. واستدرك على المهمات للإنسوي، ونظم المنهاج للبيضاوي، وغير ذلك. وولي تدريس الحديث بدار الحديث الكاملية والظاهرية وجامع ابن طولون. وحجّ مراراً وجاور وأملى هنالك، وولي قضاء المدينة النبوية وخطبتها وإمامتها في ثاني عشر جمادى الأولى سنة (٧٨٨)، ثم صُرف بعد مضي ثلاث سنين وخمسة أشهر، وعاد إلى القاهرة فشرع في الإملاء من سنة (٧٩٥) فأملى أربعمئة مجلس وستة عشر مجلساً. وكان مُنَوِّر الشيعة جميل الصورة كثير الوقار نزر الكلام طارحاً للتكلف ضيق العيش شديد التوقي في الطهارة لا يعتمد إلّا على نفسه أو على رفيقه الهيثمي. وكان كثير الحياء منجماً عن الناس حسن النادرة والفكاهة. قال تلميذه الحافظ ابن حجر: وقد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل، بل صار كالمألوف، ويتطوع بصيام ثلاثة أيام في كلّ شهر. وقد رُزق السعادة في ولده الولي، فإنه كان إماماً كما تقدم في ترجمته، وفي رفيقه الهيثمي، فإنه كان حافظاً كبيراً. ورزق أيضاً السعادة في تلامذته، فإنّ منهم الحافظ ابن حجر وطبقته، وكان عالماً بالنحو واللغة والغريب والقراءات والفقه وأصوله، غير أنه غلب عليه الحديث، فاشتهر به، وانفرد بمعرفته. وقد ترجمه جماعة من معاصريه ومن تلامذته، ومن بعدهم، وأثنوا عليه جميعاً، وبالغوا في تعظيمه. ورثاه ابن الجزري فقال: [من الخفيف]

رَحْمَةُ اللَّهِ لِلْعِرَاقِيِّ تَتَرَى حَافِظُ الْأَرْضِ حَبْرَهَا بِاتِّفَاقٍ^(١)
إِنَّنِي مُفَسِّمٌ أَلْيَّةَ صِدْقٍ لَمْ يَكُنْ فِي الْبِلَادِ مِثْلُ الْعِرَاقِيِّ^(٢)

(مات) عقيب خروجه من الحمام في ليلة الأربعاء ثامن شعبان سنة ٨٠٦ ست وثمانمئة بالقاهرة، ودُفن بها. وله شعر، فمنه: [من الوافر]

إِذَا قَرَأَ الْحَدِيثَ عَلَيَّ شَخْصٌ وَأَمَلْ مِيتَتِي لِيَرُوحَ بَعْدِي
فَمَاذَا مِنْهُ إِنْصَافٌ لِأَنِّي أَرِيدُ بَقَاءَهُ وَيُرِيدُ بُعْدِي

وأملى في صفر سنة موته مجلساً لمّا توقّف النيل، ووقع الغلاء المفرط، وختمه بقصيدة أولها: [من الطويل]

أَقُولُ لِمَنْ يَشْكُو تَوَقُّفَ نَيْلِنَا سَلِ اللَّهُ يُمِدِّدُهُ بِفَضْلٍ وَتَأْيِيدٍ
وختمها بقوله:

وَأَنْتَ فَغَفَّارُ الذُّنُوبِ وَسَاتِرُ الْـ عُيُوبِ وَكَشَّافُ الْكُرُوبِ إِذَا نُودِيَ

(١) تَتَرَى: مُتَوَاتِرَةً: مُتَّبَعَةً. الْحَبْرُ: الْعَالِمُ الْحَادِثُ الْخَبِيرُ.

(٢) الْأَلْيَّةُ: الْيَمِينُ، الْقَسَمُ.

وصلى بالناس صلاة الاستسقاء، وخطب خطبة بليغة فرأوا البركة بعد ذلك، وجاء النيل عالياً.

(٢٣٨)

(عبد الرّازق بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد
ابن أحمد بن عُمَر بن أبي المعالي مُحَمَّد بن محمود بن
أحمد بن مُحَمَّد)^(١)

ابن أبي المعالي المُفضّل بن عبّاس بن عبد الله بن مَعْن بن زَائِدَة الشَّيباني المعروف بابن القرطبي المروزي الأصل البغدادي . ولد في المحرم سنة ٦٤٢ اثنتين وأربعين وستمائة، وأسر في كائنة بغداد، فاتصل بالتصير الطوسي، فخدمه واشتغل عليه، وسمع من مُحي الدين بن الجزري، وبأشر كتب خزانة مراغة، وهي على ما نقل أربعمئة ألف مُصنّف، واطلع على نفائس الكتب، فعمل تاريخاً حافلاً جداً، ثم اختصره في آخر سمّاه (مجمع الآداب ومعجم الأسماء والألقاب) في خمسة مجلدات . وله (درر الأصداف في نَحْو الأوصاف)، و(الدرر الناصعة في شعراء المائة السابعة). وعُني بالحديث، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه المليح كثيراً . وقال : إن شيوخه يبلغون خمسمائة . وكان له نظم حسن وخط بديع جداً، ونظر في علوم الأوائل . وكان مع حسن خطه يكتب في اليوم أربع كرايس . قال الصفدي : أخبرني من رآه ينام ويضع ظهره إلى الأرض ويكتب ويداه إلى جهة السقف . وقال الذهبي : كانت له يد بيضاء في النظم وترصيع التراجم، وله ذهن سليم وقلم سريع وخط بديع وبصر بالمنطق والحكمة، ويقال : إنه كان يتناول المُسكر ثم تاب وصلاح حاله . وكان روضة معارف وبحر أخبار، وقد ذكر في بعض تواليفه أنه طالع تواريخ الإسلام ثم سردها (تاريخ خوارزم)، (تاريخ أصبهان)، (تاريخ قزوين)، (تاريخ الري)، (تاريخ مراغة)، (تاريخ البصرة)، (تاريخ الكوفة)، (تاريخ واسط)، (تاريخ سامرا)، (تاريخ تكريت)، (تاريخ الموصل)، (تاريخ ميفارقين)، (تاريخ صقلية)، (تاريخ اليمن). وسرد شيئاً كثيراً، ومات في ثالث المحرم سنة ٧٢٢ اثنتين وعشرين وسبعمائة .

(١) ترجمته في : معجم المؤلفين : ٥ / ٢١٥ ؛ وفيه : «عبدالرزاق»؛ البداية والنهاية : ١٤ / ١١٠ ؛ النجوم الزاهرة : ٩ / ٢٦٠ ؛ الدرر الكامنة : ٢ / ٣٦٤ ؛ شذرات الذهب : ٦ / ٦٠ ؛ كشف الظنون : ٥٧٣ ، ٦٩٣ ؛ هدية العارفين : ١ / ٥٦٦ ؛ الأعلام : ٣ / ٣٤٩ .

٢٣٩

(عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير)^(١)

شرحه شرحاً بسيطاً وشرحاً مختصراً، وشرح الشهاب، وشرح آداب القضاء، وطبقات الصوفية، وغير ذلك. توفي سنة ١٠٢٩^(٢) تسع وعشرين وألف، أو في التي بعدها، ولم أقف له على ترجمة مبسطة.

٢٤٠

(عبد العزيز بن أحمد التّعمان الضمدي)^(٣)

أحد العلماء الموجودين في القرن الحادي عشر. له مؤلفات مشهورة، منها حاشية على شرح الخبيصي على الكافية، ومنها شرح المعيار للإمام المهدي، ومنها تخريج أحاديث الشفاء للأمير الحسين. وتولى القضاء بمواضع من الديار اليمنية كزبيد والمخا، ولم أقف على تعيين مولده ولا وفاته، ولكنه موجود في القرن الحادي عشر كما قدمنا. ويروى أن والد المترجم له مُحَمَّد لا أحمد.

٢٤١

(عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر الطائي الحلّي، صفّي الدين)^(٤)

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٧ سبع وسبعين وستمائة، وتعالى الأدب فمهر في فنون الشعر كلّها، وفي علم المعاني والبيان والعربية. وتعالى التجارة فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها في التجارة، ثم يرجع إلى بلاده. وفي غضون ذلك يمدح الملوك والأعيان. وانقطع مدة إلى ملوك ماردين وله في مدائحهم الغرر. وامتنح الناصر مُحَمَّد بن قلاوون، والمؤيد. وكان يُتهم بالرفض، قال ابن حجر: وفي

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٥/٢٢٠؛ هدية العارفين: ١/٥١٠؛ كشف الظنون: ١٩٣، ٤٠٨، ١٥٢٢؛ إيضاح المكنون: ١/١٩، ٥٧؛ خلاصة الأثر: ٢/٤١٢.

(٢) في معجم المؤلفين: سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م.

(٣) ترجمته في معجم المؤلفين: ٥/٢٤٣.

(٤) ترجمته في: فوات الوفيات: ١/٣٣٥؛ الدرر الكامنة: ٢/٣٦٩؛ الأعلام: ٤/١٧؛ معجم المؤلفين: ٥/٢٧٤؛ صفّي الدين الحلّي، محمد حور: (دراسة كاملة)؛ تاريخ آداب اللغة، زيدان: ٢/١٣٥؛ صفّي الدين الحلّي، ياسين الأيوبي: (دراسة كاملة)؛ كشف الظنون: ٢٣٣، ٧٣٦.

شعره ما يشعر به، وكان مع ذلك يتنصل بلسانه. وهو في أشعاره موجود فإن فيها ما يناقض ذلك. وأول ما دخل القاهرة سنة بضع وعشرين فمدح علاء الدين بن الأثير فأقبل عليه، وأوصله إلى السلطان، واجتمع بآبن سيد الناس، وأبي حيّان، وفضلاء ذلك العصر، فاعترفوا بفضائله. وكان الصدر شمس الدين عبد اللطيف يعتقد أنه ما نظم الشعر أحد مثله، وهذا لا يسلمه من له معرفة بالأدب بالنسبة إلى أهل عصره فضلاً عن غيرهم. وديوان شعره مشهور يشتمل على فنون كثيرة، وله البديعية المشهورة، وجعل لها شرحاً وذكر فيه أنه استمد من مائة وأربعين كتاباً. ومن محاسن شعره وفيه الاستخدام في كلا البيتين: [من الطويل]

إِذَا لَمْ أُبْرِقْ بِالْحَيَا وَجْهَ عَفَّتِي فَلَا أَشْبَهْتَهُ رَاحَتِي فِي التَّكْرُمِ
وَلَا كُنْتُ مِمَّنْ يَكْسُرُ الْجَفْنَ فِي الْوَعَى إِذَا أَنَا لَمْ أَغْضُضْهُ عَنْ فِعْلٍ مَحْرَمِ
مات سنة ٧٥٢ اثنتين وخمسين وسبعمائة^(١).

(٢٤٢)

عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن سَعْد الله بن جُمَاعَة بن صَخْر الكِنَانِي الشَافِعِي^(٢)

ولد في تاسع عشر المحرم سنة ٦٩٤ أربع وتسعين وستمائة، وأحضر على عُمَر بن القَوَّاس، وأبي الفضل بن عَسَاكِر، وأجاز له جماعة، كالدمياطي وطبقته. وبلغ عدد شيوخه ألفاً وثلاثمائة نفس. وتفقه على والده وأخذ عن علاء الدين الباجي، وأبي حيان. ودرّس في سنة (٧٥٤) إلى أن مات. وكان حسن الأخلاق كثير الفضائل، قال الذهبي: سمع وكتب الطباق، وعُني بهذا الشأن، وولي القضاء بالديار المصرية سنة (٧٢٨)، وبأشره بعفة. ولم يزل على ذلك إلى أن عَزَلَ نفسه في سنة (٧٥٤) واستأذن في الحج، فأذن له، ولم يزل به أمراء الدولة إلى أن عاد إلى القضاء. ثم كان بعض عظماء الدولة يعانده في الأمور الشرعية، فعَزَلَ نفسه في سنة (٧٦٦)، وحمل في كمّه ختمه شريفة، فتوسل بها إلى السلطان فأعفاه. واستمر يُدرّس في مواضع، ثم حجَّ وجاور. وله مصنفات. قال ابن رافع: جمع شيئاً على المذهب، وعمل المناسك الكبرى والصغرى، وخرّج أحاديث الرافعي، وتكلم على مواضع من المنهاج، وقال

(١) وفي رواية: ٧٥٠هـ.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣٧٨/٢؛ شذرات الذهب: ٢٠٨/٦؛ كشف الظنون: ١٠١٣، ١٨٢٩؛ إيضاح المكنون: ٦٣٧/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٥٧/٥؛ الأعلام: ٢٦/٤.

الإسنوي في الطبقات: نشأ في العلم، ودرّس وأفتى وصنّف تصانيف حسناً، وخطب بالجامع الجديد، وسار سيرة حسنة في القضاء، وكان حسن المحاضرة سريع الخط سليم الصدر، محباً لأهل العلم، شديد التصميم في الأمور التي تصل إليه. وكانت فيه عجلة في الجواب، ولم يكن فيه حذق. وغالب أموره بحسب من يتوسط بخير أو شر، قال ابن حجر: ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان غير ماهر في الفقه، وكان يتمنى الموت بأحد الحرمين معزولاً عن القضاء، فنال ما تمنى، فإنه حجّ وجاور (فمات) بمكة في سنة ٧٦٧ سبع وستين وسبعمائة، ودفن بالحجون، وقد وقع الإلحاح عليه في أن يعود إلى القضاء حتى وصل إليه الأمراء وقضاة المذاهب وراودوه بكل ممكن، فصمّم على الامتناع، وحلف أيماناً مغلظة أنه لا يعود فلله درّه.

٢٤٣

(عبد القادر بن أحمد الفاكهي ثم المكي العالم المشهور)^(١)

له تصانيف منها شرح منهج القاضي زكريا، وشرح قصيدة الصّفيّ الحلي، وكتاب في زيارة النبي ﷺ، وكتاب في فضائل شيخه ابن حجر الهيثمي. ومات سنة ٩٨٩ تسع وثمانين وتسعمائة^(٢).

٢٤٤

(السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن النّاصر بن

عبد الرّبّ بن عليّ بن شمس الدين)^(٣)

ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى. قد تقدم تمام نسبه في ترجمة الإمام المهدي أحمد بن يحيى، وهو شيخنا الإمام المحدث الحافظ المسند المجتهد المطلق. ولد كما نقلته من خطه في شهر ذي القعدة سنة ١١٣٥ خمس وثلاثين ومائة وألف، ونشأ بكوكان، فقرأ على من به من العلماء. ثم ارتحل إلى صنعاء فأخذ عن أكابر علمائها كالسيد العلامة مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير، والسيد العلامة هاشم بن يحيى وغيرهم. ثم ارتحل إلى مدينة دمار، وهي إذ ذاك

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٨٣/٥؛ كشف الظنون: ١٨٤٥؛ هدية العارفين: ٥٩٨/١؛ الأعلام: ٣٦/٤.

(٢) في هدية العارفين، والأعلام: توفي سنة ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م.

(٣) ترجمته في: نيل الوطر: ٤٤/٢؛ إيضاح المكنون: ٢٠١/٢؛ معجم المؤلفين: ٢٨٢/٥؛ الأعلام: ٣٧/٤.

مشحونة بعلماء الفقه والفرائض، فأخذ عن شيوخها في الفقه والفرائض، ثم تردد في جميع مدائن اليمن، وأخذ عن كل من لقيه من العلماء. ثم ارتحل إلى مكة والمدينة فأخذ عن علماء الحرمين. وشيوخه قد اشتمل عليهم مجلد حافل ذكر فيه من أخذ عنه ومن أجاز له، والأسانيد التي تلقاها عن شيوخه. وبقي مهاجراً في الحرمين نحو عامين. ثم عاد إلى كوكبان وصنعاء، ثم استوطن كوكبان واستقر هنالك ينشر العلم ويفيد الطالبين. ومن جملة من أخذ عنه أمير كوكبان إذ ذاك السيد العلامة أحمد بن محمد بن الحسين، وجماعة كثيرة، منهم السيد العلامة علي بن محمد بن علي، ومنهم ولده السيد العلامة إبراهيم بن عبد القادر المتقدم ذكره. وكان يفد إلى صنعاء في الأمور المهمة، كوفوده عند موت الإمام المهدي رحمه الله لمبايعة ولده مولانا خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله. وكان في مدة إقامته هنالك قد طار صيته في جميع الأقطار اليمنية، وأقر له بالتفرد في جميع أنواع العلم كل أحد بعد موت شيخه السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير. وإني أذكر وأنا في المكتب مع الصبيان أني سألت والدي رحمه الله عن أعلم من بالديار اليمنية إذ ذاك فقال: فلان، يعني صاحب الترجمة. وأخبرني العالم الفاضل عبد الرحمن بن الحسن الريمي أنه حضر في بعض المواقف بصنعاء، وقد كان اجتمع فيه أكابر علماء صنعاء، وسماهم لي، وكل واحد له شهرة كبيرة بالعلم والتفنن فيه قال: ومن جملة الحاضرين صاحب الترجمة وهو أصغرهم سناً، وكان ذلك في إحدى قدماته إلى صنعاء قال: فرأيتهم يتواضعون له ويخضعون لعلمه ويستفيدون منه ويعترفون بارتفاع درجته عليهم، وهذا الاجتماع بينه وبين قدوم شيخنا إلى صنعاء واستقراره فيها سنون كثيرة، فإنه قدم هذا القدوم الآخر الذي استقر فيه، ولم يبق من أولئك الأعيان الذين كانوا في ذلك الموقف أحد. ثم لما أراد الله إحياء علوم الحديث بل وسائر العلوم بصنعاء جرت بينه وبين أمير كوكبان السيد إبراهيم بن محمد بن الحسين مئادة، فأظهر أنه يريد الخروج من كوكبان إلى وادي ظهر للتنزه به أيام الخريف فأذن له السيد إبراهيم، فخرج واستقر أياماً بوادي ظهر، وما زال يرسل لأهله ولكتبه ولجميع ما يحتاج إليه، ثم كتب إلى الوزير الخطير الحسن بن علي حنش المتقدم ذكره بأنه يريد الانتقال إلى صنعاء، فرفع القضية إلى خليفة العصر حفظه الله، فأذن بذلك، وأنزله بدار الفرج من بير العرب، فسكن فيها. ووفد إليه أكابر علماء صنعاء وأخذ عنه جماعة من أعيانهم كشيخنا العلامة القاسم بن يحيى الخولاني، والسيد العلامة علي بن عبد الله الجلال، والسيد العلامة عبد الله بن محمد الأمير، وجماعة كثيرة. ومنهم العلامة الحسن بن علي حنش. وأخذت عنه في علوم عدة، فقرأت عليه في صحيح مسلم من أوله إلى آخره بلا فوت مع بعض شرحه للنووي، وبعض صحيح البخاري مع بعض من شرحه فتح الباري، وبعض (جامع

(الأصول) لابن الأثير، وسنن الترمذي من أولها إلى آخرها بلا فوت، وبعض سنن ابن ماجه، وبعض الموطأ، وبعض المنتقى لابن تيمية، وبعض شفاء القاضي عياض، وسمعت منه كثيراً من الأحاديث المسلسلة كالحديث المسلسل بيوم العيد، والمسلسل بالمصافحة، والمسلسل بالمشابكة، وغير ذلك. وقرأت عليه في علم الاصطلاح بعض (منظومة الزين العراقي) وشرحه، وفي الفقه بعض (ضوء النهار) وبعض (البحر الزخار) مع حواشيهما، وفي علم أصول الدين بعض المواقف العضدية وشرحها للشريف، وبعض القلائد وشرحها، وفي أصول الفقه بعض جمع الجوامع وشرحه للمحلي، وفي اللغة بعض (الصحيح) وبعض (القاموس) ومؤلفه الذي سمّاه (فلك القاموس)، وفي العروض (الجزازية) وشرحها جميعاً. وسمعت منه في غير هذه الكتب مما لم استحضره حال تحرير هذه الترجمة. وكانت القراءات جميعها يجري فيها من المباحث الجارية على نمط الاجتهاد في الإصدار والإيراد ما تشدّ إليه الرحال. وربما انجرّ البحث إلى تحرير رسائل مطولة، ووقع من هذا كثير. وكنت أحرّر ما يظهر لي في بعض المسائل، وأعرضه عليه فإن وافق ما لديه من اجتهاده في تلك المسألة قرّطه تارة بالنظم الفائق وتارة بالنثر الرائق. وإن لم يوافق كتب عليه، ثم أكتب على ما كتبه. ثم كذلك فإن بعض المسائل التي وقعت فيها المباحثة حال القراءة اجتمع ما حرّرت وحرّره فيها إلى سبع رسائل. وكان رحمه الله متبحراً في جميع المعارف العلمية على اختلاف أنواعها يعرف كل فنٍّ منها معرفة يظن من باحثه فيه أنه لا يحسن سواه. والحاصل أنه من عجائب الزمن ومحاسن اليمن، يرجع إليه أهل كل فنٍّ في فهم الذي لا يحسنون سواه فيفيدهم، ثم ينفرد عن الناس بفنون لا يعرفون أسماءها فضلاً عن زيادة على ذلك. وله في الأدب يدٌ طولى، فإنه ينظم القصيدة الفائقة في لحظة مختطفة بحيث لا يصدق بذلك إلا من له به مزيد اختبار. ومع هذا ففيه من لطف الطبع وحسن المحاضرة وجميل المذاكرة والبشاش ومزيد التواضع وكمال التودد وملاحة النادرة ما لا يمكن الإحاطة بوصفه. ومجالسته هي نزهة الأذهان والعقول لما لديه من الأخبار التي تشنف الأسماع والأشعار المهدبة للطباع والحكايات عن الأقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالمشاهدة ولم يكن الأمر كذلك، فإنه لم يعرف غير اليمن والحرمين. ولكنه كان باهر الذكاء قويّ التصور، كثير البحث عن الحقائق، فاستفاد ذلك في أيام مجاورته في الحرمين لوفود أهل الأقطار البعيدة إلى هنالك. وكنت أظن عند ابتداء اتصالي به أنه قد عرف بلاد مصر لكثرة حكاياته عن أهلها وعن عجائب وغرائب موجودة فيها في عصره لا فيما تقدم، فإنه لا يستنكر ذلك لأنه قد صنّف الناس في أخبارها مصنّفات يستفيد بها من أكبّ على مطالعتها ما يقرب من المشاهد كالخطوط والآثار للمقريزي، وحسن

المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي، إنما الشأن فيما يحكيه صاحب الترجمة على ما جرت في عصره، فإنّ ذلك هو الأمر العجيب الدال على اختصاصه بما لا يقوم به غيره^(١):

لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

وله في حسن التعليم صناعة لا يقدر عليها غيره، فإنه يجذب إلى محبته، وإلى العمل بالأدلة مَنْ طبعه أَكثَفُ من الصخر، وإذا جالسه منحرفُ الأخلاق أو مَنْ له في المسائل الدينية بعض شِقَاقٍ جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار، ويجمع بين الضبّ والنون، فلا يفارقه إلّا وهو عنه راضٍ. ولقد كنت أرى منه من هذا الجنس ما يزداد منه تعجبي، ولذا تَمَّ حُبُّره بأحوال النَّاسِ وبما يليق بكل واحد منهم وما يناسبه وما لا يناسبه. وله في علم الطب مشاركة قوية، وله في كل الصناعات العملية كائنة ما كانت أتمَّ اختبار. وكان الناس يقصدونه على اختلاف طبقاتهم فأهل العلم يقصدونه ليستفيدوا من علمه، والأدباء ليأخذوا من أدبه ويعرضوا عليه أشعارهم، والمحاييج يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا ويواسيهم بما يمكنه، وكرمه كلمة إجماع. والمرضى يلوذون به لمداداتهم، وغرباء الديار من أهل العلم ينزلهم في منزله، ويفضل عليهم بجميع ما يحتاجونه، ويسعى في قضاء أغراضهم ونيل مطالبهم. وهو مقبول الشفاعة وافر الحرمة عظيم الجاه. (وبالجملة) فلم تَرِ عَيْنِي مثله في كمالاته، ولم آخذ عن أحد يساويه في مجموع علومه، ولم يكن بالديار اليمنية في آخر مدته له نظير. وكان لما جُبل عليه من حسن الأخلاق لا يُبدي من علومه عند المناظرة ما ينقطع به من يناظره لا سيما إذا كان من يناظره من المقصرين. كل ذلك محبة منه لجبر الخواطر وائتلاف القلوب. وربما يتأثر عن ذلك لبعض من لم يحط به خبراً أنه ليس كما يقول الناس في التفرد بالعلم. وقد سمعت هذا من كثير من الذين لم يبلغوا في العلم مبالغ الكمال، ولو عرفوه كما عرفه أهل الكمال الممارسون له لعلموا بأن الحامل له على التسامح في مناظرتهم ما جُبل عليه من سجاحة^(٢) الخلق. وكان رحمه الله لا يتعرّض لتنقيص أحد كائناً من كان، بل يذكر من كل أحد ما اشتمل عليه من المحاسن، ويُغضي عن مساويه، وهو أعرف بها من غيره. ويبالغ في وصف مَنْ له اشتغال بالعلم، وينشر من محاسنه ما لا يسمح به غيره، بعبارات تعشقها القلوب، وترتشفها الأسماع، وتقبل عليها الطباع. وهو رحمه الله من جملة من رغبني في

(١) البيت لأبي نواس، الحسن بن هانئ، الشاعر العباسي المتوفى سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م. والبيت في ديوانه: ٤٥٤؛ وزهر الآداب، للحصري: ١٤٣/٤.

(٢) السَّجَاحَةُ: السهولة والرفق؛ يقال: «ملكْتُ فأسجَحُ»، أي: أحسن العفو وتكرّم، ويقال: «إذا سألت فاسجَح»، أي: سهّل ألفاظك وارفق.

تأليف شرح على «المنتقى» فشرعتُ فيه في حياته وعرضت عليه كراريس من أوله فقال: إذا كمل على هذه الكيفية كان في نحو عشرين مجلداً. وأهل العصر لا يرغبون فيما بلغ من التطويل إلى دون هذا المقدار. ثم أرشدني إلى الاختصار ففعلت فكمل بحمد الله، وبيّضته في أربعة مجلدات، ولم يكمل إلا بعد موته بنحو ثلاث سنين. وقد أجازني إجازة عامة كتبها إليّ بعد أن مكّني من كتاب أسانيده، فنقلت منه ما أريد نقله، ولم يكن له كثرة اشتغال بالتأليف، ولو أراد ذلك لكان له في كل فنّ ما لا يقدر عليه غيره. وله رسائل حافلة، ومباحث مطولة هي مجموعة في مجلد، والكثير منها لم يكن فيه، فإنه كان مقصوداً بالمشكلات في كل فنّ من جميع الأقطار اليمنية، ولكنه لم يحرص على جمع ذلك كلية الحرص. ومن مؤلفاته شرح (نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف) للسيد العلامة صلاح بن الحسين الأخفش المتقدم ذكره. وهو شرح نفيس مفيد في مجلد لطيف. وله (فلك القاموس) في كراريس، وله حواش على (ضوء النهار) في نسخته، لو جمعت لكانت حاشية مستقلة. وقد كان ولده العلامة إبراهيم شرع في جمعها وضم إليها أنظاراً له. ولم أقف على شيء منها، ولعلّه لم يتيسر له تمامها. وبينني وبينه رحمه الله مطارحات أدبية، فمنها قصيدة كتبها إليه وهي: [من السريع]

مِنْ دُونِهَا يَا عَمْرُو وَخَزُ الرِّمَاحِ	وَعِنْدَهَا فاعلم صليل الصفاح ^(١)
لَا يَسْمَعُ السَّامِعُ فِي حَيِّهَا	غَيْرَ جَلَادٍ مُفْزَعٍ أَوْ كِفَاحٍ ^(٢)
فَسِرْ إِلَيْهَا سَيْرَ مُتَهَوِّرٍ	مُسْتَبْدِلٍ فِيهَا الْحَيَا بِالْوَقَاحِ ^(٣)
مُشْمَرّاً قَدْ ضُمَّ لَا يَنْثَنِي	عَنْ حَبِّهَا الْعَاذِلِ أَوْ لِإِلَاحٍ ^(٤)
فَمَا يَهَابُ الْعَتَبَ مَنْ فَازَ مَنْ	غَايَةِ أَمْنِيَّتِهِ بِالنَّجَاحِ ^(٥)
سَعَى فَلَمَّا ظَفِرَتْ بِالْمَنَى	يَمِيئُهُ أَلْقَى الْعَصَا وَاسْتَرَاحَ ^(٦)
قَدْ أَتَعَبَ السَّيْرُ رِحَالِي وَقَدْ	أَن لَهَا بَعْدَ الْوَجَى أَنْ تُرَاحَ ^(٧)

(١) وَخَزُ الرِّمَاحِ: طَعْنُهَا. صليل الصفاح: صوت تضارب السيوف.

(٢) الْجَلَاد: المضاربة بالسيوف خاصة؛ يقال: جالده بالسيوف مجالدةً، وجلاداً: ضاربه به. الكِفَاح: التضارب وجهاً لوجه؛ يقال: كافحه كفاحاً: لقيه مواجهةً، وكافح القوم أعداءهم: استقبلوهم بوجوههم ليس دونها تُرْسٌ ولا غيره.

(٣) الْحَيَا: الحياء، والوقاح: ضده، أي صلابة الوجه، والجرأة على القبائح ونحوها.

(٤) لَا يَنْثَنِي: لَا يَكْفُ أَوْ يَرْجِعُ أَوْ يَمِيلُ. الْعَاذِل: واللاحِي: اللاتِم.

(٥) الْعَتَبُ: يقال: عتب عليه عَثْباً، وعتاباً، وتعتاباً، وَمَعْتَباً، ومعتبةً: لأمه، وخاطبه مخاطبة الإدلال طالباً حُسن مراجعته، ومذكراً إياه بما كرهه منه.

(٦) أَلْقَى الْعَصَا: استقرَّ في مكانه، وترك الأسفار.

(٧) الْوَجَى: يقال: وَجَى وَجَى: رَقَّتْ قدمه أو حافره أو خُفُّه من كثرة المشي.

فَقَدْ أَقَامَتْنِي عَدَاهُ الرَّدَى بَرُبْعِ طَوْدِ الْعِلْمِ بَحْرِ السَّمَاحِ^(١)
 مَنْ هَزَزَ لِلْعَالِيَا قَنَاءَةً وَمَنْ حَمَى جِمَاهَا فَهِيَ لَا تُسْتَبَاحُ
 مَنْ شَادَ لِّلْسِنَةَ أَعْلَامِهَا مَنْ كَافَحَ الْبِدْعَةَ كُلَّ الْكِفَاحِ^(٢)
 مُجَدِّدًا مُجْتَهِدًا جَاهِدًا لِلدِّينِ فِي عِلْمِ الْهُدَى وَالصَّلَاحِ
 يَا عَالَمَ السِّنَّةِ فِي دَهْرِنَا وَقُطِبَ أَرْبَابِ النَّهْيِ وَالْفَلَاحِ^(٣)
 مَا بَالُ مَنْ أَنْصَفَ فِي عَضْرِنَا وَمَالَ نَحْوَ الْمُسْنَدَاتِ الصَّحَاحِ^(٤)
 وَاطْرَحَ التَّقْلِيدَ مِنْ حَالِقِ مَقْطَعًا رِبْقَتَهُ وَالْوِشَاحِ^(٥)
 يُرْمَى بِدَاءِ النَّصَبِ فِي قَوْمِهِ وَمَا عَلَى الرَّامِي لَهُ مِنْ جُنَاحِ^(٦)
 يُمَزَّقُونَ الْعِرْضَ مِنْهُ إِذَا جَاءَ بِمَرِّ الْحَقِّ فِيهِمْ وَرَاحُ
 يَلْقَى لَدَيْهِمْ مَنْ صُنُوفِ الْأَذَى كُلَّ قَبِيحٍ فِي الْمَسَا وَالصَّبَاحِ
 ابْنُ قَزْنَدٍ الْبَهْتِ مِنْهُمْ عَدَا مُنْقَدِحًا فِي الْقَلْبِ أَيَّ انْقِدَاحِ

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : [من السريع]

دَعَّ قَوْلٌ وَاشِ فَعَدُولٌ فَالَاحُ فَلَيْسَ فِيمَا نَمَّقُوهُ فَالَاحُ^(٧)
 وَفَارَقَ الرُّوْضَ وَمَارَاقَ مِنْ طَيْبِ عَيْشٍ فَاقَ إِنْ لَاحَ لَاحُ^(٨)
 نَفْسِي فِدَا أَحْمَدٍ وَالْآلِ مَنْ فِي حُبِّهِمْ نَيْلُ التَّجَا وَالتَّجَاحِ
 مَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ وَعَوْرٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ وَمَهَبَّ الرِّيَّاحِ^(٩)
 عَامِلُهُمْ رُكْنِي عَلَى أَتْنِي أَدْعُو لِكُلِّ مِنْهُمْ بِالصَّلَاحِ
 وَأَنْصَحُ الْجَاهِلَ مِنْهُمْ وَهُمْ كُلُّهُمْ أَفْضَلُ مَنْ جَا وَرَاحُ^(١٠)

(١) عَدَاها: تجاوزها. الرَّدَى: الهلاك أو الموت. الطود: الجبل العظيم. السماع: الجود والكرم.

(٢) شاد: رفع البناء. البدعة: الأمر المستحدث، وهي نوعان: بدعة حسنة: توافق الشرع، وبدعة سيئة: تخالف الشرع وتخرج عنه.

(٣) الْقُطْبُ: المحور: نقطة الارتكاز. النَّهْيُ: العقل.

(٤) المسندات الصحاح: كتب الحديث الصحيحة.

(٥) الحالق: المكان المرتفع المُنِيف. الرِّبْقَةُ: حَبْلٌ ذُو عُرَى يُرْبِطُ بِهِ.

(٦) النَّصْبُ: الحيلة والخداع. الْجُنَاح: الإثم أو الجُرم.

(٧) نَمَّقُوهُ: زَيَّنُوهُ وَزَخَرَفُوهُ.

(٨) رَاقَ الشَّيْءُ فَلَانًا: أَعْجَبَهُ. لَاحَ: بَدَأَ وَظَهَرَ.

(٩) النَّجْدُ: المرتفع من الأرض، والغور: المنخفض منها.

(١٠) جَا: جَاءَ.

أَحَبُّ مِنْ أَهْلِي هُمْ دَائِمًا
فَحُبُّهُمْ أَفْضَلُ مَا أُرْتَجِي
وَكُلُّ قَوْلٍ لَهُمْ أَرْضِي
تَغْسًا لِمَنْ عَادَاهُمْ يَدَّعِي
وَيَقْضُرُ الْحَقُّ عَلَى خُمْسَةٍ
وَكُلُّ مَنْ عَاَصَرَهُ مِنْهُمْ
كَأَنَّهُمْ لَيْسُوا بَنِي الْمُصْطَفَى
تَقْلِيدُهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا أَنَّهُ
وَأَوْجَبُوا الْمَشْيَ مَعَ النَّصِّ إِنْ
فَمَنْ أَبَى هَذَا فَدَعُهُ وَلَا
عَلَيْكَ بِالْأَلِّ تَمَسَّكَ بِهِمْ
يَا عَالِمَ السَّنَةِ فِي عَصْرِنَا
دُمْتَ تَجْلِي كُلِّ مُسْتَشْكَلٍ
يَهْدِي بَعْلَمَ كَلِّمَا أَنْشَدْتُ

وَلَوْ لِقَانِي عَاذِلِي بِالْكَفَاخِ
مِنْ فِعْلٍ خَيْرٍ وَاجِبٍ أَوْ مُبَاخِ
يَرُوِيهِ فِي الْبَحْرِ إِمَامُ الْفَلَاحِ
تَشْيُوعًا وَهُوَ عَدُوُّ بَرَاخِ
وَقَوْلُ بَاقِيهِمْ لَدَيْهِ نُبَاخِ
يُوذُّ لَوْ قَطَعَهُ بِالْصَّفَاخِ^(١)
لَدَيْهِ تَبًّا لِبَغِيضٍ وَقَاخِ^(٢)
لِعَالِمٍ بِالنَّصِّ لَا يُسْتَبَاخِ
لَمْ يَكُ لِلْعَالِمِ يَدُّ سَجَاخِ^(٣)
تَلْقَاهُ يَوْمًا غُدُوَّةً أَوْ رَوَاخِ
وَإِنْ تَلَقَّاكَ الْعِدَى بِالْسَّلَاخِ
وَمَنْ بِهِ يَمْتَازُ مِنْهَا الصَّحَاخِ
بُنُورُ فَهْمٍ مِنْهُ نَوْرُ الصَّبَاخِ
دَعْ قَوْلَ وَاشْ فَعْدُولٍ فَالَاخِ

وبيني وبينه مكاتبات أدبية من نظم ونثر، ولم يحضر حال تحرير هذا إلا هذه . وقد كان رحمه الله يميل إلي كل الميل، ويؤثري أبلغ تأثير، وما سألته القراءة عليه في كتاب فأبى قط، بل كان يبتديني تارات، ويقول: تقرأ في كذا . وكان يبذل لي كتبه، ويؤثري بها على نفسه . وما زال ناشراً للعلوم قائماً بتفهم منشورها والمنظوم حتى (توفاه الله) تعالى في يوم الاثنين خامس ربيع الأول سنة ١٢٠٧ سبيع ومائتين وألف، وتأسف الناس على فقده، ورثاه الشعراء بمراثٍ حسانٍ هي مجموعة في كرايس، وأنا من جملة من رثاه بقصيدة مطلعها: [من الطويل]

تَهْدَمُ مَنْ رُبِعِ الْمَعَارِفِ جَانِبُهُ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ الْعِلْمِ طَالِبُهُ

(١) الصَّفَاخُ: السيف.

(٢) تَبَّ فُلَانٌ تَبًّا، وَتَبَّأً، وَتَبَّيًّا: هلك وخسر، ويقال في الدعاء: تَبَّأْ لَهُ، وَتَبَّتْ يَدُهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

(٣) سَجَاخ: فِيهَا لَيْنٌ وَرِفْقٌ.

٢٤٥

(عَبْدُ الْقَادِرِ بن أحمد بن عَلِيّ بن عبد المؤمن النّزيليّ)

الخطيب بجامع صنعاء في أيام الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين،
وبعض أيام ولده المنصور بالله، هو من البلغاء في النظم والنثر، فمن شعره ما كتبه
إلى السيد العلامة عبد الله بن عليّ الوزير: [من الرمل]

عَدَّ عَنْ ذِكْرِ الْجَمَى وَالْكُثْبِ وَأَدْرُ ذِكْرَ بَدِيعِ الشَّنْبِ^(١)
وَارَوْ عَنْ مَكْحُولِ طَرْفٍ مِنْهُ قَدْ أَرَشَقَ الْقَلْبَ نِبَالَ الْوَصْبِ^(٢)
وَأَدْرِ كَاسَ طَلَاءٍ مِنْ ذِكْرِهِ مَازِجاً مِنْ رَيْقِهِ بِالضَّرْبِ^(٣)
لَا تُغَالِطَنِي بِغَزْلَانِ النَّقَا فَعَزَّالُ الْحُسْنِ أَقْصَى أَرْبِي^(٤)
أَنَا أَذْرَى أَيْنَ قَلْبِي مُوْتَقٍ وَيَمْنُ هَامٍ وَمِنْ أَيْنَ سُبِي^(٥)
لَا أَسْمِي مَنْ سَبَانِي حُسْنُهُ إِنَّمَا التَّمْوِيهِ فِيهِ مَذْهَبِي^(٦)

وهي أبيات طويلة. وله شعر كثير منسجم إلى الغاية. وكان له معرفة بمواقع
الخطب على حسب الحوادث، ويجودها ببلاغته. وكان جليساً للإمام المتوكل على
الله، وفيه خفة روح وظرافة. وخلف دنيا واسعة، عاش فيها من بعده. والموجود
الآن أولاد ولده، وهم في غنية بما خلفه جدهم من الأموال. و(مات) في شعبان سنة
١١٥٤ أربع وخمسين ومائة وألف.

٢٤٦

(عَبْدُ الْقَادِرِ بن عليّ البدري الثلاثي^(٧))

العلامة المجتهد المتبحر في جميع العلوم. ولد سنة ١٠٧٠ سبعين وألف،

- (١) الكُثْبُ: تلال الرمل، الواحد: كَثِيب. الشَّنْبُ: جمال الثغر وصفاء الأسنان. قال ذو الرمة
(جمهرة أشعار العرب: ٢/٣٩٠):
(٢) أَرَشَقَ الْقَلْبَ: رماه. الْوَصْبُ: التعب.
(٣) الطَّلَا: الخمر. الضَّرْبُ: العسل الأبيض الغليظ.
(٤) الأَرَبُ: الحاجة والبغية والمطلب.
(٥) مُوْتَقٍ: مُقَيَّدٌ. سُبِي: أُسِرَ.
(٦) التَّمْوِيهِ: الزخرفة، والطلاء؛ ويقال: مَوَّهَ الحديث: زخرفه، ومزجه من الحق والباطل؛ ومَوَّهَ
عليه الخير: أخبره بخلاف ما سأله عنه.
(٧) ترجمته في: هدية العارفين: ١/٥٩٩؛ معجم المؤلفين: ٥/٢٩٤.

وأخذ العلم عن جماعة من أكابر العلماء كالعلامة المقبلي المتقدم ذكره. وله مسائل ورسائل يسلك فيها مسالك المجتهدين ويحررها تحريراً متقناً، ويمشي مع الدليل، ولا يعبأ بما يخالفه من القول والقياس. وكان قاضياً لمدينة ثلا، وامتنح في أوائل دولة الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم لسبب مُفْتَرَى. وكان قصيراً جداً فحمله بعض العامة، وكان يترقّص به ويقول:

مَتَى يَاطْلَعَةُ الْبَدْرِ تُوَاصِلُ مُغْرَمَكَ

فعاقبه الله سبحانه وقُتِلَ شَرّاً قَتَلَهُ. وسيأتي له ذكر في ترجمة السيد عبد الله الوزير. و(مات) سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف رحمه الله^(١). وولده يوسف من أكابر العلماء وأفاضل العباد. وحفيد صاحب الترجمة أحمد بن يوسف بن عبد القادر هو حال تحرير هذه الأحرف قاضي ثلا، وهو من خيرة قضاة العصر، وله عرفان تام.

٢٤٧

(عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُحِيرْسِيِّ الزَّيْدِيِّ الْحِمِّيِّ الْيَمَانِيِّ صاحب الحاشية على شرح الأزهار)^(٢)

وهي حاشية نفيسة، وفيها أبحاث تدلّ على أن صاحب الترجمة له عرفان بغير الفقه، وتطلّع إلى النظر في المسائل لا كغيره من الجامدين على علم الفروع. أخذ العلم عن جماعة منهم السيد مُحَمَّدُ بْنُ عَزِّ الدِّينِ الْمُفْتِي. وكان من المجاهدين للأروام يقود العساكر من الحيمة، ويُقَدِّمُ غاية الإقدام. وكان بين والده وبين صاحب كوكبان حروب كبيرة، واستشهد في أحدها. ويقال إنه كان له هيكل لا يصيبه شيء، وهو معه فكان يُمارس الحروب غير مبالٍ بما يقع من الخصوم، فاحتالوا عليه في أخذه فأصيب، ثم صار هذا الهيكل إلى ولده صاحب الترجمة، وبسببه سلم مكانه في الحمى من الحريق بعد أن أحرق جميع الأمكنة. وقيل: إنه كان له صاحب من مؤمني الجن يُصَلِّي معه ويجالسه، وكان قوالاً بالحق كثير الصدقة وإطعام الطعام. (ومات) في رجب سنة ١٠٧٧ سبع وسبعين وألف، وكان له أخ من نوادر الزمان في قوة الذكاء وسرعة الحفظ والتمكن من معرفة مذهبه. ثم قرأ فقه الحنفية وتولّى القضاء للأروام بصنعاء. وكان يقضي بمذهبهم، ويفتيهم بلسانهم، ويفتي أهل فارس باللغة الفارسية، والعرب باللغة العربية، مع تبخّر في علم المعقول، وشيخه في فقه مذهب السيد المفتي الزيدي. ثم إنه اختلط بأخرة لدقة فكره واشتعال ذهنه. وكان يذكر أنه المهدي

(١) من آثاره: «بديع الجمال المعلم في حصر ما لا يعلم».

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٩٤/٥.

المنتظر، وتارة يقول: هو الدابة التي تُكَلِّم الناس. وله أشعار فائقة. ثم دخل مكة، وتوفي بها في أفراد الخمسين بعد الألف.

(٢٤٨)

(عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّبْرِيِّ الْمَكِّيِّ الشَّافِعِيِّ)^(١)

ولد سنة ٩٧٢ اثنتين وسبعين وتسعمائة^(٢)، وبرع في جميع الفنون وفاق، وله مصنفات منها (شرح الدررديّة المسمى بالآيات المقصورة على الأبيات المقصورة)^(٣)، و(حسن السريرة في حسن السيرة). . وله بديعية وشرحها وسمّاها (عليّ الحجة بتأخير أبي بكر بن حجة)، وله (نشآت السلافة بمنشآت الخلافة)، وشرح قطعة من ديوان المتنبي. وله عدة رسائل. وكان شريف مكة حسن بن أبي نمي يكرمه إكراماً عظيماً، ولهذا كان أكثر مصنفاته باسمه. ومن لطيف ما وقع له أنه لما صنف «شرح الدرديّة» المتقدم ذكره باسم الشريف المذكور، ووصل به إليه، وكان ذكر له أنه أنشأ بيتين فيهما تاريخ تمام تأليفه على لسان الكتاب وهما: [من مجزوء الرجز]

أَرْخَنِي مُؤَلَّفِي بِبَيْتِ شِعْرِ مَا ذَهَبَ
أَحْمَدُ جُودَ مَا جَدِ أَجَازَنِي أَلْفُ ذَهَبَ

فتبسّم الشريف ووضع الكتاب في حجره، ووضع يده على رأسه وقال: على الرأس والعين، واللّه إن ذلك نزر يسير في مقابلته، وإنّي أحمد الله الذي أوجد مثلك في زمني. واتفقت له محنة كانت سبب موته، وذلك أنه استناب ولده يخطب للعيد، وكانت أول خطبة حصلت له فتهياً لذلك، فمنعه بعض أمراء الأروام الواردين إلى مكة ذلك العام، ورغب في أن يكون الخطيب حنفياً. فعظم ذلك على صاحب الترجمة جداً، وفاضت نفسه في الحال كمدّاً، وذلك في سنة ١٠٣٢ اثنتين وثلاثين وألف. وكان موته والخطيب على المنبر، وقُدِّم للصلاة عليه بعد تلك الخطبة.

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/٦٠٠؛ إيضاح المكنون: ١/٧، ٦٨، ٢٢/٢، ٩٧؛ معجم المؤلفين: ٣٠٣/٥.

(٢) في معجم المؤلفين: سنة ٩٧٦هـ.

(٣) في معجم المؤلفين: «الرايات المنصورة على الأبيات المقصورة». ومن آثاره أيضاً: «كشف النقاب عن أنساب الأربعة الأقطاب»، و«أساطين الشعائر الإسلامية»، و«كشف الحافي من كتاب الكافي في علمي العروض والقوافي».

٢٤٩

(السيد عبد الكريم بن أحمد بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن
المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القَاسِم)

مولده سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وأخذ العلم عن والده، وعن شيخنا السيد العلامة علي بن إبراهيم بن عامر. وقرأ على شيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، وتميز في أنواع من العلم. وله نظم لم يحضرني منه الآن شيء. وفيه سكون وحسن سمت ووقار وعفة ونزاهة وديانة وبشاش وكرم أنفاس وعلو همة وشهامة نفس ورياسة وكياسة وانجماع، لا سيما عن بني الدنيا، وتودّد إلى أصحابه ومعارفه. وهو الآن حيّ. ثم (مات) رحمه الله في (دن وصاب) انهدم عليه المنزل الذي كان فيه في أحد شهري جمادى سنة ١٢٢٥ خمس وعشرين ومائتين وألف.

٢٥٠

(عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري الملقب
كريم الدين الكبير أبو الفضائل)^(١)

وكيل السلطان ومُدبّر الدولة الناصرية. أسلم كهلاً أيام بيبرس الجاشنكير، وكان كاتبه، فلما هرب بيبرس، ودخل الناصر القاهرة تطلّبه إلى أن ظفر به، وصادره على مائة ألف دينار فالتزم بها. ولم يزل جماعة من الأمراء يتلطفون للسلطان إلى أن سمح بجملة من ذلك، وقرّره في نظر الخاصة، فهو أول من باشرها. وتقدّم بعد ذلك عند الناصر حتى صارت الخزائن كلّها في يده، وإذا طلب الناصر شيئاً يرسل إليه قاصداً من عنده يستدعي منه ما يريد فيُجهّز له ذلك من بيته. وعظم جداً وصار يركب في عدة مماليك نحو السبعين، والأمراء يركبون في خدمته. وبلغ من عظم قدره أنه مرض مرة فلما عُوفي دخل إلى مصر فزُيّنت له، وكان عدد الشمع ألفاً وسبعمئة شمعة. وركب حرّاقة فلاقاه التجار ونشروا عليه الذهب والفضة. وعمر الجوامع، وفعل المحاسن، وكان السلطان إذا أراد أن يحدث شيئاً على أحد، فحضر كريم الدين تركه. وقال القاضي علاء الدين: هذه المكارم ما يفعلها كريم الدين إلا لمن يخافه، فأسرّها في نفسه، وراح إليه يوماً على غفلة فأضافه بما حضر إليه، ثم أرسل كريم الدين من أحضر إليه أنواعاً من المأكّل والملابس ودفع إليه كيساً فيه خمسة آلاف درهم وتوقيع بزيادة في رواتبه من الدراهم والغلة والملبوس وغير ذلك، وخرج من عنده. فلما

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥٧/٤؛ الدرر الكامنة: ٤٠١/١، فوات الوفيات: ٤/٢.

خرج علاء الدين يُودعه قال له: يا مولانا واللّه ما أفعل هذا تكلفاً، وأنا واللّه لا أرجوك ولا أخاف. وكان يتصدّق بصدقات طائلة، ويجتمع لذلك الفقراء حتى مات مرة من الزحمة على تلك الصدقة ثلاثة أنفس. ومن رياسته أنه كان إذا قال: نعم، استمرت، وإذا قال: لا، استمرت. وكان يُوفي ديون من في الحبس، ويُطلق من فيها دائماً. وكان مع جوده عادلاً وقوراً جزل الرأي، بعيد الغور، يحب العلماء والفضلاء، ويحسن إليهم كثيراً. قال الذهبي: وكان لا يتكلف في ملبس ولا زي. ولما انحرف عنه السلطان أوقع الحوطة على دوره وموجوده وذلك في رابع عشر ربيع الآخر سنة (٧٢٣) ثم أمر بلزوم بيته بالقرافة. ثم نقل إلى الشوبك، ثم إلى القدس، ثم أعيد إلى القاهرة سنة (٧٢٤). ثم سُفر إلى أسوان، فأصبح مشنوقاً. ويقال: إنه لما أُريد قتله توضّأ وصلى ركعتين، ثم قال: هاتوا عشنا سعداء ومتنا شهداء. وكان العوام يقولون ما أحسن الناصر إلى أحد ما أحسن إلى كريم الدين أسعده في الدنيا والآخرة. ولما أمر السلطان بنقل موجوده إلى القلعة على بغال، فكان أولها باب بيته، وآخرها باب القلعة. وحُمِل على الأقفاص مائة وثمانون قفصاً ثلاثة أيام في كلّ يوم ثلاث دفعات أو دفعتين، سوى ما كان ينقل مع الخدام من الأشياء الفاخرة التي لا يؤمن عليها مع غيرهم. ووجد له من النقد خاصة ثمانون ألف قنطار. وكان عدد الصناديق التي فيها أصناف العطر من العود والعنبر والمسك واحداً وأربعين صندوقاً.

٢٥١

(عَبْدُ اللَّطِيف)

ابن عبد العزيز بن أمين الدين ابن فرشتا الحنفي^(١)

وفرشتا هو الملك. له تصانيف منها: «شرح المشارق» للصاغاني، و«شرح المنار»، والوقاية، و«شرح المصابيح». وكان من علماء الروم الموجودين في أيام السلطان مراد، وكان معلماً للأمير مُحَمَّد بن آيدين، ومدرساً بمدرسة تيرة؛ وتلك المدرسة مضافة إليه إلى الآن. وهو ماهر في جميع العلوم خصوصاً الشرعية. ومن جملة تصانيفه (شرح مجمع البحرين) وهو كثير الفوائد معتمد في بلاد الروم. وله رسالة لطيفة في علم التصوف، وله حظٌ عظيم في المعارف الصوفية. قال صاحب الشقائق النعمانية إنه كان موجوداً في سنة (٧٩١)، وكان له أخ مائل إلى الخوارج أصحاب فضل الله رئيس الفرقة الخارجية.

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٣٢٩/٤؛ شذرات الذهب: ٣٤٢/٧؛ كشف الظنون: ٢٣١، ٣٧٥، ٨٥٣؛ هدية العارفين: ٦١٧/١؛ معجم المؤلفين: ١١/٦؛ الأعلام: ٥٩/٤.

٢٥٢

(عَبْدُ اللَّهِ بن أحمد بن إِسْحَاق بن إبراهيم بن المَهْدِي
أحمد بن الحسن ابن الإمام القَاسِم بن مُحَمَّد)

هو أحد العلماء المبرزين بصنعاء، أخذ عن والده وعن غيره، وأتقن النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان، ودرّس في هذه العلوم بجامع صنعاء، وأخذ عنه جماعة من شيوخنا. وقرأ الكتب الحديثية، وعمل بما فيها. ومن شيوخه القاضي العلامة أحمد بن مُحَمَّد قَاطِن، قرأ عليه في سُنن التِّرْمِذِي. وكان قوالاً بالحق، صادق اللهجة، وبينه وبين الوزير أحمد بن عليّ النهمي اتصال ومخاللة. وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي العباس بن الحسين رحمه الله، وله شعر رائق ومنه: [من البسيط]

ماذا يُفيدك ندبُ الأربعِ الدُّرُسِ وشرحِ سَالِفِ عَيْشٍ بالعَذِيبِ نُسِي^(١)
فَشَنَفَ السَّمْعَ مِنْ ذِكْرَى مُعْتَقَةٍ جَلَوْتَهَا كَشْمُوسٍ فِي دُجَى الْعَلَسِ^(٢)

و(والد المترجم له) من أكابر العلماء المرجوع إليهم بصنعاء، أخذ العلم عن السيد العلامة هاشم بن يحيى الشامي، والسيد العلامة عبد الله بن عليّ الوزير، وغيرهما. وبرع في جميع الفنون. وله أنظار محققة متقنة على الكتب التي كان يُدرّس الطلبة فيها، كشرح الغاية في الأصول، وشرح العمدة في الحديث. وله رسائل ومسائل. وهو كان حقيقاً بترجمة مستقلة، ولكنني اكتفيت بذكره ههنا. و(مات) سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف، و(مات) ولده المذكور في شهر شوال سنة ١١٩١ إحدى وتسعين ومائة وألف.

٢٥٣

(عَبْدُ اللَّهِ بن أحمد بن تَمَام بن حَسَّان الحَنْبَلِي^(٣))

ولد سنة ٦٥١ إحدى وخمسين وستمائة، وقيل غير ذلك. وسمع من جماعة، وقرأ النحو على ابن مالك، وعلى ولده بدر الدين، ولازمه وصحبه. وكان صالحاً خيراً، مليح المذاكرة حسن النظم. وصحب الشَّهاب مَحْمُود واختصَّ به، حتى كان الشَّهاب يقول لخازن داره: مهما طلب منك أعطه بغير مشورة. ولم يكن له ثياب ولا

(١) النَّدْبُ: تَعْدَادُ محاسن الميت، والبكاء عليه. الدُّرُسُ: جمع الدَّارِس: المَمْحُوءُ، الزائل.

(٢) شَنَفَ السَّمْعَ: مَنَعَهُ. مُعْتَقَةٌ: خَمْرٌ مُعْتَقَةٌ: قديمة. جَلَوْتَهَا: كَشَفْتُهَا وأَظْهَرْتُهَا. الْعَلَسُ: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٦٨/٤؛ الدرر الكامنة: ٢/٢٤١.

قماش ولا شيء في بيته البتة. وكان جيّد النظم، كتب إليه الشهاب قصيدة مطلعها:
[من البسيط]

هَلْ عِنْدَ مَنْ عِنْدَهُمْ بُرْتِي وَإِسْقَامِي عِلْمٌ بَأَنَّ نَوَاهِمَ أَضْلُ آلَامِي^(١)

فأجابه بقصيدة مطلعها: [من البسيط]

يَا سَاكِنِي مِصْرَ فَيَكُنْ سَاكِنُ الشَّامِ يُكَابِدُ الشَّوْقَ مِنْ عَامٍ إِلَى عَامٍ^(٢)

ومن شعره: [من الوافر]

مَعَانٍ كُنْتُ أَشْهَدُهَا عَيَانًا وَإِنْ لَمْ تَشْهَدْ الْمَعْنَى الْعُيُونُ

وَأَلْفَاظٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا فَفِيهَا مِنْ مَحَاسِنِهَا فُتُونُ

وهو القائل: [من الوافر]

يُخَالُ الْخَدُّ مِنْ مَاءٍ وَجَمْرٍ وَفِيهِ الْخَالُ نَشْوَانٌ يَجُولُ

وَكَمْ لَمْ الْعَذُولُ عَلَيْهِ جَهْلًا وَآخِرَ مَا جَرَى عَشِقُ الْعَذُولُ

وكان ظريفاً حسن المحاضرة والصحبة، سمع من الكبار، وخرّج له البرزالي جزءاً، وأثنى عليه الشهاب محمّود وعظمه، و(مات) في ثالث ربيع الآخر سنة ٧١٨ ثمانى عشرة وسبعمائة.

٢٥٤

(مولانا الإمام المهدي عبد الله بن أحمد المْتُوَكِّل ابن عليّ المَنْصُور)^(٣)

ولد في سنة ١٢٠٨ ثمانٍ ومائتين وألف، ونشأ بحجر الخلافة في أيام جدّه، ثم في أيام أبيه، وفي كل حين يزداد كمالاً مع عقل تامّ وأخلاق شريفة، وخصال محمودّة وفراصة بديعة ورماية فائقة ورصانة بالغة. وهو أكبر أولاد أبيه، ولي أعمالاً منها: ريمة ثم ولاية عمران. ثم لما تُوفي والده ليلة الأربعاء لعله سابع شهر شوال سنة ١٢٣١ إحدى وثلاثين ومائتين وألف، وقعت المبايعة مني له بعد طلوع الفجر من يوم الأربعاء المذكور، ثم أخذت له البيعة من جميع أمراء صنعاء وحكامها، وجميع آل الإمام، وجميع الرؤساء والأعيان. وبايعه بعد ذلك جميع أهل القطر اليمني واستبشروا بدولته، واغتبطوا بها، والله يجعل فيه الخير والبركة للمسلمين^(٤).

(١) نَوَاهِمُ: بُعْدُهُمْ.

(٢) يُكَابِدُ: يُقَاسِي.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٦٩/٤.

(٤) في الأعلام: توفي المهدي سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٦م.

٢٥٥

(السيد عَبْدَ اللَّهِ بن أحمد بن مُحَمَّد بن حُسَيْن)

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه شرف الدين . ولد تقريباً سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف أو قبلها بقليل ، وله عرفان تامٌ ونظم رائع وكرم فائض ورياسة كاملة وأخلاق شريفة ولطافة تامة . اجتمعتُ به في كوكبان لما وصل إليها مولانا الإمام المتوكل على الله ، ثم كثر اجتماعي به في صنعاء مع سكونه فيها عند رجوعنا من كوكبان . هو كثير النظم منسجم الشعر سريع البادرة قويّ العارضة حسن الشكل . ثم رجع إلى كوكبان في سنة (١٢٢٩) مع أخيه المتقدم ذكره ، وهو القائم بغالب أمور دولته ، وبينه وبين أخي يحيى بن عليّ مطارحات أدبية مشتملة على أحسن أسلوب وأبلغ نظم وأبرع معنى .

٢٥٦

(عبد الله بن أسعد بن عليّ بن سليمان بن فلاح اليافعيّ الشافعيّ اليمينيّ ثم المكيّ عفيف الدين أبو السعادات)^(١)

ولد قبل السبعمئة بستين أو ثلاث ، وأخذ باليمن عن جماعة من العلماء ، ونشأ على خيرٍ وصلاح ، وحجّ سنة (٧١٢) ، وحفظ الحاوي والجمل ، ثم جاور بمكة في سنة (٧١٨) ، وتزوج بها ، ولازم مشايخ العلم كالفقيه نجم الدين الطبري ، والرضي الطبري . ثم فارق ذلك وتجرّد عشر سنين يتردّد فيها بين الحرمين . ورحل إلى القدس سنة (٧٣٤) ، ودخل دمشق ومصر ، ثم رجع إلى الحجاز ، وجاور بالمدينة ، ثم رجع إلى مكة ، ولم يفته الحجّ في جميع هذه المدة . وأثنى عليه الإسني في الطبقات ، وقال : كان كثير التصانيف ، وله قصيدة تشتمل على عشرين علماً أو أزيد . وكان كثير الإحسان إلى الطلبة . انتهى . ولعله صاحب التاريخ الذي اعتمد فيه على تاريخ ابن خلكان ، وتاريخ الذهبي ، وقد ترجم فيه جماعة من الشافعية والأشعرية ، وفيه من التعصبات للأشعري أشياء منكّرة ، ووصف فيه نفسه بوصائف ضخمة . قال ابن رافع : اشتهر ذكره وبعد صيته وصنّف في التصوف ، وفي أصول الدين ، وكان يتعصب للأشعري ، وله كلام في ذم ابن تيمية ، ولذلك غمزه بعض من يتعصّب لابن تيمية من الحنابلة وغيرهم . انتهى . وهو من جملة المعظمين لابن عربي ، وله في ذلك مبالغة .

(١) ترجمته في : شذرات الذهب : ٢١٠/٦ ، الدرر الكامنة : ٢٤٧/٢ ، الأعلام : ٧٢/٤ ؛ النجوم الزاهرة : ٩٣/١١ ؛ كشف الظنون : ٦٨ ، ٩٠ ، ١٩٥٢ ، ١٩٩٠ ؛ هدية العارفين : ٤٦٥/١ ؛ إيضاح المكنون : ١٤٥/١ ، ٦/٢ ، ١١٠ ؛ معجم المؤلفين : ٣٤/٦ .

(مات) في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٧٦٨ ثمانٍ وستين وسبعمائة^(١).

٢٥٧

(عبد الله بن إسماعيل بن حسن بن هادي التهمي)

لعله ولد بعد سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء. وكان والده والياً عليها فقراً على جماعة من مشايخها وبرع في النحو والصرف، وشارك مشاركة قوية في المنطق والمعاني والبيان والأصول ودون ذلك في الفقه والحديث والتفسير، ودرّس وانتفع به الطلبة. وهو أحد شيوخه في أوائل طلبه للعلم، قرأت عليه شرح السيد المفتي على كافية ابن الحاجب من أوله إلى آخره بلا فوت، وفي شرح الخبيصي عليها من أوله إلى آخره بلا فوت، وما عليه من الحواشي، وقواعد الإعراب وشرحها للأزهري وما عليه من الحواشي من أوله إلى آخره، وإيساغوجي للأبهري في المنطق، وشرحه للقاضي زكرياً جميعاً، والكافل في الأصول وشرحه لابن لقمان جميعاً، وشفاء الأمير الحسين في الحديث من أوله إلى آخره. وله عناية تامة بتخريج الطلبة والمواظبة على التدريس وتوسيع الأخذ وجلب الفوائد إليهم بكلّ ممكن، ولا يملّ حتى يملّ الطالب. وكان يؤثّرني على الطلبة، وإذا انقطعت القراءة يوماً أو يومين لعذرٍ تأسّف على ذلك. ولما اختلف بعض أسبوع لعذرٍ كتب إليّ هذه الأبيات: [من السريع]

مَوْلَايَ عَزَّ الدِّينَ يَا مَنْ حَوَى	أَفْضَلَ مَا فِي النَّفْلِ وَالسَّمْعِ
وَمَنْ غَدَا مِنْ بَيْنِ أَقْرَانِهِ	بِلاَ نَظِيرٍ قَطُّ فِي الْجَمْعِ
عُذْرًا قَدْ تُكَ النَّفْسُ مِنْ زَلَّةٍ	[أَوْجَبَهَا السَّيِّئُ] مِنْ طَبْعِي
مُنِعْتُ لَا مَنْ عِلَّةٍ فَأَعْفُ عَنْ	تَرْكِيْبٍ مَزَجَ جَاءَ فِي الْمَنْعِ
فَرُبَّ نَقْصٍ رَاقٍ مِنْ بَعْدِهِ	ثُمَّ وَخَفُضَ زَيْنَ بِالرَّفْعِ

فأجبت به بأبيات وجهت فيها بكثير من القواعد المنطقية كما وجه هو بقواعد نحوية ولكنها قد غابت عني أبيات الجواب. وله أشعار رائقة. وفيه كرم أنفاس، وبسبب ذلك أتلّف ما ورثه من والده، وهو شيء واسع. وصار الآن مُملقاً لطف الله به. ولما

(١) من آثاره الكثيرة: «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان»، و«روض الرياحين في حكايات الصالحين» ويسمى: «نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب الحواضر»، و«مرهم العلل المعضلة في أصول الدين»، و«الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز»، و«نشر المحاسن الغالية في فضل مشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية»، و«الدُّرُّ النظيم في خواص القرآن العظيم»، و«أسنى المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر»، وغيرها.

فرغت من القراءة عليه، ولم يبق عنده ما يوجب البقاء، وقرأت على من له خبرة بما لم يكن لديه من العلوم، لم تطب نفسه بذلك في الباطن لا في الظاهر. ثم لما مضت أيام طويلة وقعدت لنشر العلم في الجامع المقدس بصنعاء، وكنت إذ ذاك مقصوداً بالفتاوى الكبيرة والمسائل المشككة وجمعت الرسالة التي حكيها في ترجمة السيد العلامة الحسين بن يحيى الديلمي كان شيخنا هذا أحد المجيبين، وهو الذي أشرت إليه إجمالاً هنالك عفا الله عنه. وحال تحرير هذه الأحرف قد فتر عزمه عن التدريس، ولم يبق للطلبة رغوب إليه، وصار معظم اشتغاله بما لا بد منه من أمر المعاش مع ركة حاله لاطفه الله. ولم أزل راعياً لحقه معظماً لشأنه معرضاً عما بدر منه مما سلف. وأبلغ الطاقة في جلب الخير إليه بحسب الإمكان، وهو يكثر التردد إليّ تارة لخصومات تعرض له، وتارة لأمر تخصه. و(مات) رحمه الله في شهر صفر سنة ١٢٢٨ ثمان وعشرين ومائتين وألف.

(٢٥٨)

(السيد عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين)

ابن علي ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد

ولد سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف، وقرأ على مشايخ عصره كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وشيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي المتقدم ذكره، وشيخنا العلامة إسماعيل بن الحسن بن المهدي المتقدم أيضاً. وترافقنا في قراءة «الكشاف» عليه أنا وصاحب الترجمة. وله قراءة على غير هؤلاء. وشرع في قراءة الحديث على شيخنا السيد العلامة علي بن إبراهيم الآتي ذكره. وله يد قوية في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان ومشاركة في التفسير والفقه والحديث والأصول، وكان يدرس الطلبة في جامع صنعاء في العلوم الآلية ولهم إليه رغوب كامل. وهو من أكابر آل الإمام، وفيه تواضع زائد، وحسن أخلاق فائق وبشاش كامل. وقد أخذت عنه في أوائل أيام الطلب «شرح الجامي» من أوله إلى آخره. واتفق أنه مات أبو أمه السيد العلامة يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن محمد، ثم مات بعد ذلك ولده السيد العارف القاسم بن يحيى بن محمد. وكان له تركة واسعة جداً، وأوصى إلى صاحب الترجمة، وأمرني خليفة العصر مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله أن أعين من يقسم هذه التركة من نواب الشرع، فعينت بعض مشايخي الأعلام، وجرت أمور أوجبت تكدر صاحب الترجمة. ثم ظهرت له الحقيقة فزال عنه ذلك، وطابت نفسه، وكتب إليّ كتاباً يدعو لي فيه دعاء مقبولاً، ويذكر أنه كان في أمر مريج حتى وقع التفريغ عنه بما فعلته، وتعقب ذلك بلا فصل (موته)

رحمه الله في رابع شهر ذي القعدة سنة ١٢١٠ عشر ومائتين وألف، وكان سيداً سرياً وشريفاً جليلاً، فيه مناقب جمّة، وله فضائل كثيرة، رحمه الله وإيائي.

٢٥٩

(عبد الله بن الحسن اليماني الصّعديّ الزيّدي)^(١)

الملقب الدوّاري باسم أحد أجداده، وهو دوار بن أحمد والمعروف بسلطان العلماء. ولد سنة ٧١٥ خمس عشرة وسبعمائة، وقرأ على علماء عصره وتبحّر في غالب العلوم، وصنّف التصانيف الحافلة. منها في الأصول (شرح جوهرة الرصاص) وهو أحسن شروحها. وقد ترك الناس شروحها بعد هذا الشرح. وله في الفروع (الديباج النضير) وهو كتاب حافل ممتع، وله مصنّفات أخرى. وكان الطلبة للفنون العلمية يرحلون إليه ويتنافسون في الأخذ عنه وليس لأحد من علماء عصره ما له من تلامذة وقبول الكلمة وارتفاع الذكر وعظم الجاه بحيث كان يتوقف الناس عن مبايعة الأئمة حتى يحضر كما اتفق عند دعوة الإمام المهدي أحمد بن يحيى المتقدم ذكره، ومعارضة المنصور بالله عليّ بن صلاح، فإنّ أمراء الدولة أرسلوا له من صنعاء إلى صعدة، وتوقف الأمر حتى حضر، وبعد حضوره وقع ما هو مشهور في السّير. ومع هذا فهو زاهد متقلل من الدنيا حتى قيل إنه كان يستنق من غلات أموال حقيرة تركها له والده. وكان يُحمل إليه غلات أوقاف يصرفها في طلبه العلم، وما زال ناشراً للعلوم مُكبّاً على التصانيف، حتى توفاه الله في صبح يوم الأحد سادس شهر صفر سنة ٨٠٠ ثمانمائة.

٢٦٠

(عبد الله بن شرف الدين المهلّ)

ولد تقريباً سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف أو قبلها بقليل، وسكن هو وأهله مدينة ذي جبلة. وله معرفة تامة بفقه الشافعية، وفهم صحيح في غير الفقه، وزهد تام وتأله بالغ. قرأ عليّ عند وفودي إلى مدينة جبلة مع مولانا الإمام المتوكّل على الله في «مشكاة المصابيح»، وسمع في غيرها من كتب الحديث من جملة من كان يلازمي في ذلك المحل، وهو من مكثري الأذكار والعبادة والزهد والقنوع بما تيسر من المعيشة.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٧٨/٤؛ معجم المؤلفين: ٤٤/٦.

٢٦١

(السيد عبد الله ابن الإمام شرف الدين)
ابن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى^(١)

قد تقدم تمام نسبه في ترجمة الإمام المهدي . هو من العلماء المحققين في عدة فنون ، وله مصنفات منها شرح قصيدة والده المسماة (القصص الحق) ، ذكر فيه فوائد جلية . ومنها كتاب اعترض به على القاموس وسماه (كسر الناموس) ، واعترض عليه في هذه التسمية بأنها ليست لغوية بل عرفية ، وبعض «شرح معيار النجري» ، وكتب تراجم لفضلاء الزيدية . ومنها شرح مقدمة «الأثمار» لوالده . وله في الأدب يد طولى . وشعره فائق منسجم جزل اللفظ رائق المعنى فمنه : [من المنسرح]

نَاصِيَةُ الْخَيْرِ فِي يَدِ الْأَدَبِ	وَسِرُّهُ فِي قَرَائِحِ الْعَرَبِ
فَاعَكْفُ عَلَى التَّحْوِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْآ	دَابِ تَطْفَرُ بِأَرْفَعِ الرُّتَبِ
وَتَعْرِفِ الْقَصْدَ فِي الْكِتَابِ وَفِي	السُّنَّةِ مِنْ وَحْيِ خَيْرِ كُلِّ نَبِي
بِقَدْرِ عَقْلِ الْفَتَى تَأْذِبُهُ	وَصُورَةُ الْعَقْلِ صُورَةُ الْأَدَبِ

ومنه : [من الطويل]

صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلَمَى وَمَا كَادَ أَنْ يَصْحُو	وَبَانَ لَهُ فِي عَذَلٍ عَاذِلِهِ النُّصْحُ
وَلَا غَرَوْ فِي أَنْ يَسْتَبِينَ رَشَادَهُ	وَقَدْ بَانَ فِي دَيْجُورٍ عَارِضِهِ الصُّبْحُ ^(٢)
شُمُوسُ نَهَارٍ قَدْ تَجَلَّتْ لِنَاضِرِي	وَأَضَحَّتْ لِلَّيْلِ الْغَيِّ فِي خَلْدِي تَمْحُو ^(٣)
إِذَا كَانَ رَأْسُ الْمَالِ مِنْ عُمْرِي أَنْقَضَى	ضِيَاعاً فَأَتَى بَعْدَهُ يَحْصُلُ الرُّبْحُ
شَبَابٌ تَقْضَى فِي سُبَاتٍ وَغِرَّةٍ	وَشَيْخُوخَةٌ جَاءَتْ عَلَى أَثَرِهِ تَنْحُو ^(٤)

ومنه : [من الطويل]

سَقَتْنِي رُضَابَ الشَّغْرِ مِنْ دُرٍّ مَبْسَمٍ	بِرَقَّتِهِ وَاللَّهُ قَدْ مَلَكَتْ رِقِّي ^(٥)
وَنَحْنُ بِرَوْضٍ قَدْ جَرَى الْمَاءُ تَحْتَهُ	فَسَاقِيَةٌ تَجْرِي وَجَارِيَةٌ تَسْقِي ^(٦)

(١) ترجمته في : إيضاح المكنون : ٣٥٢/٢ ؛ هدية العارفين : ٤٧٢/١ ؛ معجم المؤلفين : ٦٣/٦ ؛ الأعلام : ٩٢/٤ .

(٢) الديجور : الظلمة . (٣) الغي : الضلال .

(٤) الغرّة : الغفلة .

(٥) الرّضاب : الرّيق المرشوف . الرّق : العبودية .

(٦) ساقية تجري : أي غدير الماء . جارية تسقي : المرأة التي يذكرها .

وبينه وبين ولده محمد الآتية ترجمته إن شاء الله مطارحات أدبية، و(توفي) في شهر ربيع الآخر سنة ٩٩٣ ثلاث وتسعين وتسعمائة، وقبر بمدينة ثلاث^(١).

(٢٦٢)

(السيد عبد الله)

ابن صلاح العادل الصنعاني الشاعر المشهور^(٢)

كان متصلاً بالوزير الكبير علي بن أحمد راجح، وله فيه غرر المدائح. وكذلك مدح أخاه الوزير محسن بن أحمد راجح، وهما وزيران للإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم بن الحسين. وبعدهما اتصل بوزير الإمام المهدي العباس بن الحسين الفقيه أحمد بن علي النهمي، وشعره جيد، والرديء منه قليل، فمنه هذه القصيدة تخلص فيها إلى مدح محسن راجح: [من الطويل]

أما وابتسام الطلع عن شنبٍ دُرِّي	بأخضر رَوْضٍ حَفَّه أزرَقُ النَّهْرِ ^(٣)
وَيَا قَوْتُ وَرَدٍ فِي غُصُونِ زُمُرْدٍ	بِلَوْلُؤِ دَمْعٍ كَلَّلَتْهُ يَدُ الْقَطْرِ ^(٤)
وَرَفُصُ غُصُونٍ كُلَّمَا هَبَّتِ الصَّبَا	كَغَيْدٍ تَثْنَتْ فِي غَلَائِلِهَا الْخُضْرِ ^(٥)
وَتَغْرِيدُ شُخْرُورٍ بِالْحَانِ مَعْبَدٍ	أَذَابَ فُؤَادِي شَجْوُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي ^(٦)
وَوَمُضٌ لِبَرْقٍ زَادَ فِي نَارِ لَوْعَتِي	كَإِيْمَاءٍ مَحْبُوبٍ بِسَقَطٍ مِنَ التَّبْرِ ^(٧)

وله وقد وصل إليه من بعض السادة ذرة لا ينتفع بها: [من البسيط]

يَا حَبَّذَا ذُرَّةً وَاقَتْ وَقَدْ عُدِمَتْ	مِنْ لُبِّهَا فَأَعْتَارَهَا الطَّيْشُ وَالْخَيْلَا ^(٨)
فَكُلَّمَا سَنَحَتْ رِيحٌ لَهَا رَقَصَتْ	وَشَبَّبتْ فِيكَ أَمَّا فِي سِوَاكَ فَلَا ^(٩)

(١) وفي رواية أخرى: ولد صاحب الترجمة سنة ٩١٣هـ / ١٥٠٨م، وتوفي سنة ٩٧٣هـ / ١٥٦٦م.

(٢) ترجمته في الأعلام: ٩٣/٤.

(٣) الشنب: جمال الثغر ورقة الأسنان ولمعانها.

(٤) القطر: المطر.

(٥) الصبا: ريح ناعمة تهب من الشرق. الغيد: الآنسات الجميلات الناعمات، المتمايلات،

الواحدة: غيداء. الغلائل: جمع الغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت الدثار.

(٦) معبد: هو أبو عباد المدني، معبد بن وهب: نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. وتوفي سنة

١٢٦هـ / ٧٤٣م. (الأعلام: ٧/٢٦٤).

(٧) اللوعة: حرقه الحب والشوق. التبر: الذهب.

(٨) الخيلا: الخيلاء: الكبر والعجب بالنفس.

(٩) سَنَحَتْ: عَرَضَتْ. شَبَّبتْ: تَغَزَّلَتْ.

دَنُوتٌ مِنْهَا فَنَادَى مَلِكٌ وَقَرَّتْهَا هِيَ الْمَنَازِلُ فَاخْلَعْ دُونَهَا الْكِتَابَ^(١)
فَقُلْتُ مَهْلًا أَعَادَ اللَّهُ مَنَزِلَنَا مِنْ رُؤْيَا الْجَنِّ فِي سَاحَاتِهِ نَزَلَا
فَاسْتَرْجَعْتُ ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ بَاكِئَةٌ أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا لَاقَيْتُ مَا قَتَلَا^(٢)
سَأَلْتُهَا عَنْ تَغْيِيرِ لَوْنِهَا فَتَلَّتْ (وَمَنْ نُعَمِّرُهُ) ثُمَّ اسْتَرْجَعْتُ خَجَلًا^(٣)
فَقُلْتُ كَمْ حَقِّبَ عَمَّرَتْ فِي حَقِّبٍ قَالَتْ أَصْنَحُ وَدَعِ التَّفْصِيلَ وَالْجُمْلَا^(٤)
سَكَنْتُ دَهْرًا بَدَارَ كَانَ سَاكِئُهَا دَارًا وَدَارَيْتُ أَهْلَ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلَا^(٥)

وكان صاحب الترجمة ماثلاً إلى أكابر العلماء، آخذاً من فوائدهم، فرجع له العلم بالأدلة في صلاته وغيرها، فكانت العامة تنسبه إلى النصب، كما جرت بذلك عاداتهم فيمن سلك ذلك المسلك. فلم يصبر لذلك، وضاق به ذرعاً، وتوجه إلى مكة، وعزم على المهاجرة، فعاد إلى صنعاء بعد نحو سنة، ف قيل له في ذلك، فقال: إنه بُزِيَ في مكَّة بالرفض، فكان ذلك سبب رجوعه. ولم أقف على تاريخ وفاته، ولعله في أيام الإمام المَهدي العباس بن الحسين. ثم وقفت عليها بعد هذا فكانت في ربيع الأول سنة ١١٦٥ خمس وستين ومائة وألف.

٢٦٣

(عَبْدُ اللَّهِ بن عبد الرَّحْمَنِ بن عَقِيل بن عَبْدِ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الحَلْبِيِّ نزيل القاهرة)^(٦)

وُلد سنة سبعمائة^(٧)، وقدم القاهرة فلازم الاشتغال إلى أن مهر، ولازم أبا حيَّان، فقال في حقِّه: ما تحت أديم السماء أنحى من ابن عقيل. ولازم القونوي

(١) الْكِلُّ: جمع كِلَّة: سِتْرٌ رقيقٌ مُثَقَّبٌ، يُتَوَقَّى به من البعوض وغيره، أو قبة من قماشٍ تُوضع فوق الهودج.

(٢) استرجعت: قالت: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون. وعجز البيت من قول المتنبي:
أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا وَالْبَيْتُ جَارَ عَلَى ضُعْفِي وَمَا عَدَلَا
(ديوانه: ١٢٨/١).

(٣) «وَمَنْ نُعَمِّرُهُ»: يريد قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨].

(٤) الْحَقِّبُ: جمع الْحَقْبَةِ: المدة من الزمن لا وقت لها، أو السَّنة.

(٥) دارا: أحد ملوك الفرس.

(٦) ترجمته في: الأعلام: ٩٦/٤؛ الدرر الكامنة: ٢٦٦/٢؛ بغية الوعاة: ٣٨٤؛ شذرات الذهب:

٢١٤/٦؛ النجوم الزاهرة: ١٠٠/١١؛ معجم المؤلفين: ٧٠/٦؛ هدية العارفين: ٤٦٧/١؛

كشف الظنون: ١٥٢، ٢٠٣؛ إيضاح المكنون: ٣٤٢/١، ١٥٥/٢.

(٧) في معجم المؤلفين: سنة ٦٩٨هـ، وفي الأعلام: سنة ٦٩٤هـ.

والقزويني وجماعة من أكابر علماء عصره. وناب في الحكم عن عزّ الدين بن جماعة، ثم تولّى القضاء مكان ابن جماعة، ثم عُزل، وعاد ابن جماعة. وكان قويّ النفس ينتبه على أرباب الدولة وهم يخضعون له ويعظمونه. وكان إماماً في العربية والمعاني والبيان مشاركاً في الفقه والأصول عارفاً بالقراءات السبع، وله تصانيف منها: «شرح التسهيل» ومنها «شرح الألفية»، وقطعة في التفسير، وكان جواداً مهيباً لا يتردّد إلى أحد من أرباب الدولة. ومن كرمه أنه فرّق على الفقراء والطلبة في ولايته للقضاء نحو ستين ألف درهم، مع أنّ مدة ولايته للقضاء ثمانون يوماً فقط. وكان يُدرّس بمدارس كثيرة حتى (مات) في ثالث وعشرين شهر ربيع الأول سنة ٧٦٩ تسع وستين وسبعمائة.

٢٦٤

(السيد عَبْدُ اللَّهِ بن عَلِيّ بن عَبْدِ اللَّهِ الْجَلال)

ولد تقريباً على رأس القرن الثاني عشر، أو أول القرن الثالث عشر، وقرأ على والده وغيره في الآلات وغيرها. وهو حادّ الذهن، جيّد الفهم، حسن الإدراك، قويّ التّصوُّر. وله شعر بديع جدّاً لا يلحقه فيه غيره. وقد كتب إليّ منه بقصائد طنّانة وله قراءة عليّ الآن في المَطوّل، وحضور في سماع كثير من كتب الحديث وشروحها، وهو في سنّ الشباب، جمّل الله به العصر^(١).

٢٦٥

(السيد عَبْدُ اللَّهِ بن عَلِيّ بن أحمد بن مُحَمَّد بن عَبْدِإِلَهِ بن أحمد بن إبراهيم مؤلف الهداية)^(٢)

ابن مُحَمَّد بن عَبْدُ اللَّهِ بن الهادي بن إبراهيم بن إبراهيم بن عَلِيّ بن المُرْتَضَى بن المُفَضَّل بن المَنْصُور بن مُحَمَّد بن العَفِيف بن مُفَضَّل بن الحَجَّاج بن عَلِيّ بن يَحْيَى بن الْقَاسِم ابن الإمام الدَّعْيِي يُوْسُف ابن الإمام المنصور يَحْيَى بن الناصر أحمد بن الهادي يَحْيَى بن الحسين بن الْقَاسِم بن إبراهيم بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم بن الْحَسَن بن الْحَسَن بن عَلِيّ بن أَبِي طَالِب سلام الله عليهم، المعروف بالوزير، الصَّنْعَانِي الدار والنشأة، العالم المشهور والشاعر المجيد. ولد سنة ١٠٧٤ أربع وسبعين وألف في

(١) قيل: توفي في ربيع الآخر سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٨٦/٦؛ هدية العارفين: ٤٨٢/١؛ إيضاح المكنون: ٥٨/١؛

٨٠/٧؛ الأعلام: ١٠٧/٤.

شعبانها، وقرأ على جماعة من علماء عصره، من أكبرهم: القاضي العلامة علي بن يحيى البُرطبي، والقاضي حسين بن محمد المغربي، والقاضي محمد بن إبراهيم السحولي، وغيرهم. وبرع في العلوم الآلية والتفسير. وكان الإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين يقرأ عليه في «الكشاف» بحضور أعيان علماء صنعاء، واتفق وصول القاضي العلامة عبد القادر بن علي البدري من ثلاً إلى حضرة المتوكل وهم حال القراءة في بحث (إنما الصدقات للفقراء) فباحثه القاضي عبد القادر ثم انجرت المباحثة إلى ما ذكره علماء البيان في بحث إنما، ثم غاصا في مباحث دقيقة بحيث لم يفهم أكثر الحاضرين ما هما فيه. وطال ذلك واستدل بعض الحاضرين بتهلل وجه القاضي عبد القادر حال تلك المباحثة وعدم ظهور مثل ذلك على صاحب الترجمة أن الحق بيد القاضي. ولم يكن ثم سبيل للحاضرين إلى معرفة من معه الحق بسوى ذلك. وكان صاحب الترجمة في آخر مدته قد ترك التدريس ومال إلى السكون والدعة. وله في الأدب يدٌ طولى، وشعره مجموع في ديوان كبير، ومنه ما هو في غاية القوة، كقوله من أبيات كتبها إلى السيد الحسين بن علي بن المتوكل: [من الرمل]

رُفِّها بِكُراً على الشَّرْطِ عُقَّاراً وتخيَّرَ حَبَبَ الكاسِ نِثَّاراً^(١)

وله أبيات أخرى روضية جيدة مطلعها: [من الكامل]

هَذَا الْعَدِيرُ وَحَوْلُهُ زَهْرُ الرُّبَى يُمْلِي الْهَزَارُ عَلَيْهِ سَجْعاً مُطَرَّباً^(٢)

وله قصيدة طويلة بديعة مطلعها: [من البسيط]

لِي فِيكُمْ يَا ذَوِي أُمِّ الْقُرَى ذِمٌّ بِالْقُرْبِ حَاشَاكُمْ أَنْ يُقْطَعَ الرَّحْمُ

ومن محاسن شعره القصيدة التي على طريق أهل الطريقة ومطلعها: [من الكامل]

حَضْرَةُ الْحَقِّ فِي الْمَقَامِ النَّفِيسِ أَذْهَلْتَنِي عَنْ صَاحِبِي وَجَلِيسِي

وكان إذا لم يتكلف ملاحظات النكات البديعية في شعره جاء على أحسن أسلوب، فإن تكلف ذلك صار من الضعف بمكان، وإن ظن من لا يعرف محاسن الشعر إلا بالنكات البديعية المتكلفة خلاف ما ذكرناه، فهو غير مصيب، فإن غالب أشعار المتأخرين إنما صارت بمكان من السماجة لتكلفهم لذلك، كقصيدة صاحب

(١) رُفِّها زَفَافاً، وَزَفَّةٌ: نقلها من بيت أبويها إلى بيت زوجها، واستعاره من العروس إلى القصيدة. البكر من النساء: العذراء، والبكر من القصائد: التي لم يُنظم مثلها من قبل، أو لم يُقل مثلها في ممدوح من قبل. العُقَّار: الخمر التي تعقر شاربها لِشِدَّتِها. حَبَبُ الكَأْسِ: الفقاع التي تعلق الشراب فيه. النثار: فُتات الذهب أو الفضة.

(٢) أَمْلَى عليه: لَقَّنَهُ. الهزار: نوعٌ من الطيور جميل الصوت والهيئة.

الترجمة التي سمّاها «أهرام مصر»، والتزم فيها التورية في كل بيت ومطلعها: [من الطويل]

أَنَادُمُ مِنْ دَمْعِ الْعُيُونِ حَوَارِيَا فَلَا غَرَوَ إِنْ نَادَمْتُ مِنْهَا سِوَايَا^(١)

ولصاحب الترجمة مصنفات منها (طبق الحلوى)، وهو تاريخ جعله على السنين، وذكر فيه حوادث، ومنها (أقراط الذهب في المفارقة بين الروضة وبئر العزب)، ومنها رسالة أجاب بها على رسالة للسيد صلاح الأخص المتقدم ذكره في شأن الصحابة، وسمّى المترجم له رسالته (إرسال الذؤابة بين جنبي مسألة الصحابة). وما أجود قوله مادحاً لِمُتَوَكِّلِ الْقَاسِمِ بنِ الْحُسَيْنِ بهذين البيتين: [من السريع]

الْمَجْدُ قَدْ آلَى عَلَى نَفْسِهِ أَلِيَّةٌ لَيْسَ أَرَاهَا بِمَيِّنٍ^(٢)

لَا صَافَحْتُ رَاحَتَهُ رَاحَةً غَيْرَ يَمِينِ الْقَاسِمِ بنِ الْحُسَيْنِ

وكانت وفاته سنة ١١٤٧ سبعم وأربعين ومائة وألف في شوالها^(٣).

٢٦٦

(السيد عبدالله بن عيسى بن محمد بن الحسين الكوكباني)^(٤)

وُلد بعد سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف تقريباً^(٥)، وأخذ العلم عن والده وعن شيخنا العلامة عبد القادر بن أحمد، وعن السيد العلامة علي بن محمد بن علي الكوكباني، وعن السيد العلامة الحسين بن عبدالله الكبسي، والفقيه يحيى بن صالح الشُّهاري، والفقيه يحيى بن أحمد بن زيد الشامي، والفقيه حسين بن يحيى القاعي، وشيخنا السيد العلامة علي بن إبراهيم بن عامر، وبرع في الآلات والحديث والأدب. وهو الآن من أعيان علماء كوكبان، وبينني وبينه مراجعات، وله جواب على رسالتي التي أجبت بها على سؤال والده، وسمّيتها (حلّ الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأذيات)، وسمّى جوابه (إرسال المقال إلى حلّ الإشكال)، وأجبت عن جوابه برسالة سمّيتها (تفويق النبال إلى إرسال المقال). والجميع موجود بمجموع رسائلي. ووقعت بيني وبينه مباحثة في شروط صلاة الجمعة اشتملت على رسائل. وله كتاب ترجم فيه

(١) نادم فلاناً: شرب معه.

(٢) آلى: أفسم، حلف. الألية: اليمين، القسم.

(٣) وفي رواية: توفي سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣٢م.

(٤) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٩٩/٦؛ هدية العارفين: ٤٨٨/١؛ إيضاح المكنون: ٥٨/١؛ الأعلام: ١١٢/٤.

(٥) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦٢م.

لشعراء عصره، وهو في غاية النفاسة، رأيته في مجلد سَمَاء (الحدائق المطلة من زهور أبناء العصر شقائق). وله مؤلف آخر سَمَاء (اللواحق بالحدائق)، ومختصر في ترجمة جدّه السيد مُحَمَّد بن الحُسَيْن. وآخر في ترجمة والده السيد العلامة عيسى بن مُحَمَّد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وله (خَلع العَذَار في رِيحان العَذَار)، ورسالة في تحريم الزكاة على بني هَاشِم، وديوان من نظمه ونثره. ولم يكن لديّ من شعره ما أذكره هنا. وهو ساكنٌ عاقلٌ رصينُ الكلام جيد الفهم حسن الإدراك، كما يُفهم ذلك من تحريراته. ولم أكن قد عرفته، وأرسل إليّ بطلب الإرسال إليه بشيءٍ من شرحي «للمنتقى» فأرسلت إليه بالمجلد الأول، وهو حال تحرير هذه الأحرف لديه. وله شعر لم يكن لديّ الآن شيء منه. ثم (توفي) في شهر شَوّال سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف بعد أن صار منفرداً بفنون العلم في كوكبان، ولم يخلف بعده مثله ولا من يقاربه.

(٢٦٧)

(السيد عَبْدَ اللَّهِ بن لُطْف الباري الكُبْسي ثم الصَّنْعاني)

ولد في سنة ١١١٣ ثلاث عشرة ومائة وألف^(١) وهو أحد علماء صنعاء المبرزين في علم القراءات والآلات والحديث والتفسير. وكان يُقرئ في جميع هذه العلوم، وله تلامذة صاروا علماء نبلاء. ومن جملة من قرأ عليه الإمام المهدي العباس بن الحُسَيْن قبل مصير الخلافة إليه. وكان زاهداً متقللاً من الدنيا، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وله في ذلك مقامات جليّة. وكان مقبول الكلمة عند الإمام المهدي لا تُردُّ له شفاعة كائنة ما كانت لمزيد ورعه وعدم طمعه في شيء من الدنيا. وكذلك سائر أرباب الدولة كانوا يُجلُّونه ويهابونه. وكان يعمل بالأدلة ويرشد الناس إليها وينفرهم عن التقليد. وله في النهي عن المنكر عناية عظيمة. أخبرني بعض الثقات أنه مشى معه في بعض شوارع صنعاء فرأى رجلاً جندياً وقد أراد الفاحشة من امرأة، أو صار يفعل الفاحشة بها، ففرق صاحب الترجمة بينهما، فسبّه ذلك الجندي سباً فظيعاً، فمرّ ولم يلتفت إلى ذلك، فقال له الذي كان معه: لو تدعني أعرف هذا الجندي حتى ترفع أمره إلى الدولة ليعاقبه فقال: الذي وجب علينا من إنكار المنكر قد فعلناه لله، ولا أريد أن أفعل شيئاً لنفسي، دعه يسبني كيف شاء. وكان لا يسمع بمنكر إلا أتعب نفسه في القيام على صاحبه حتى يزيله. وإذا أصيب رجل بمظلمة فرأى إليه فيقوم معه قومة صادقة حتى ينتصف له، فرحمه الله وكافاه بالحسنى، فلقد كان من محاسن الدهر،

(١) في نفحات العنبر: وُلِد سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٩م.

وما زال كذلك حتى (توفاه) الله في سنة ١١٧٣ ثلاث وسبعين ومائة وألف، وله أولاد أمجاد منهم العلامة مُحَرِّز بن عبد الله، من العلماء العاملين الوَرَعين المُتَجَمِّعين عن بني الدنيا المُنْقَطِعِينَ إلى الله، وستأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله. وعلي بن عبد الله، ولُطْف الباري بن عَبْدِ اللَّهِ، هما من الجامعين بين العلم والعمل بالدليل والاشتغال بخاصة النفس، ولم يسلموا مع ذلك من مَحَنِ الزمن اللواتي هُنَّ شَأْن أرباب الفضائل.

(٢٦٨)

(عَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي الْقَاسِمِ بن مِفْتَاح شارح الأزهار)^(١)

الشرح الذي عليه اعتماد الطلبة إلى الآن. كان مُحَقِّقاً للفقهِ. ولعله قرأ على الإمام المهدي مصنف الأزهار. وكان مشهوراً بالصلاح، وميل الناس إلى شرحه، وعكوفهم عليه، مع أنه لم يشتمل على ما اشتمل عليه سائر الشروح من الفوائد. دليل على نيته وصلاح مقصده، وهو مختصر من الشرح الكبير للإمام المهدي المُسَمَّى «بالغيث». وتوفي رحمه الله يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر سنة ٨٧٧ سبع وسبعين وثمانمائة وقبره يمانى صنعاء، وكان عليه مشهد، وقد تهذم. ورثاه مُحَمَّد بن علي الزحيف بأبيات منها: [من الطويل]

سَقَى جَدَثاً أَضْحَى بِصَنْعَاءَ ثَاوِيَاً مِّنَ الدَّلْوِ وَالْجَوْزَاءِ غَادٍ وَرَائِحُ^(٢)

ورثاه يَحْيَى بن مُحَمَّد بن صَالِح حَشَّ بقصيدة مطلعها: [من البسيط]

أَمَّا عَلِيكَ فَقَلْبِي دَائِمُ الْفَزَعِ وَكَيْفَ أَسْلُو وَوَجَدِي غَيْرُ مُنْقَطِعِ^(٣)

(٢٦٩)

(عبد الله بن مُحْسِنِ الْحَيْمِيِّ ثم الصَّنْعَانِي)^(٤)

ولقد تقريباً سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف بصنعاء، ونشأ بها وتلا بعض القراءات على بعض شيوخ القرآن ثم قرأ في الفقه على شيخنا أحمد بن غَامِر الحدائي قبل قراءتي عليه، ورافقني في قراءة النحو على شيخنا عبد الله بن إِسْمَاعِيل النهمي،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٠٤/٦؛ الأعلام: ١١٤/٤.

(٢) الْجَدْتُ: الْقَبْرُ. الثَاوِي: المقيم. الدلو، والجوزاء: من أبراج السماء. غادٍ ورَائِحٌ: مُصْبِحٌ ومُمْسٍ.

(٣) السُّلُو: النسيان مع طيب نفس بالفراق.

(٤) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٠٦/٦؛ نيل الوطر: ٩٥/٢.

وقرأ عليّ في الأصول في شرح غاية السؤل، وسمع منّي جميع تيسير الديع، واستفاد في عدة فنون، ودرّس في كثير منها، ونقل كثيراً من رسائلي، وما زال ملازماً لي في كثير من الأوقات، وبينني وبينه صداقة خالصة ومحبة صحيحة. ولم يسلم من التعصبات عليه من جماعة من الجهّال حتى جرت له بسبب ذلك مِحَنٌ، وهو صابر محتسب وهذا شأن هذه الديار وأهلها. والعالم المنصف في غربة لا يزال يكابد شدائد، ويجاهد واحداً بعد واحد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وإنما يُوقَى الصابرون أجراً بغير حساب. وصاحب الترجمة الآن حيٌّ نفع الله به.

(٢٧٠)

(عبدالله بن مُحَمَّد بن أحمد بن جَار الله مُشحم الصعدي ثم الصنعاني)

ولقد تقريباً بعد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء فأخذ العلم عن جماعة من علمائها كشيخنا العلامة القاسم بن يحيى الخولاني وغيره، وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول، وشارك فيما عدا ذلك، ودرّس الطلبة بجامع صنعاء في هذه الفنون. وهو كثير الصمت، منجم عن الناس، قليل المخالطة لهم، لا يتردد إلى بني الدنيا، ولا يشتغل بما لا يعنيه، ولا يتظاهر بالعلم، ولا يكاد ينطق إلا جواباً، فضلاً عن أن يُماري أو يُبدي ما لديه من العلم. وبالجملته فهو قليل النظير عديم المثل، وهو حيٌّ الآن نفع الله به. (توفي) رحمه الله في يوم الأربعاء لعلة رابع وعشرون شهر شوال سنة ١٢٢٣ ثلاثٍ وعشرين ومائتين وألف.

(٢٧١)

(السيد عبدالله بن مُحَمَّد بن إِسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني)^(١)

سيأتي تمام نسبه في ترجمة أبيه. ولد سنة ١١٦٠ ستين ومائة وألف، وقرأ على والده، وعلى السيد العلامة قاسم بن مُحَمَّد الكبسي، وعلى السيد العلامة مُحسن بن إِسماعيل الشامي، وعلى العلامة لطف الباري بن أحمد الورْد خطيب صنعاء، وعلى السيد العلامة إِسماعيل بن هادي المُفتي، وعلى شيخنا العلامة السيد عبد القادر بن أحمد، وشيخنا العلامة عليّ بن هادي عرهب، وعلى غير هؤلاء. وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير. وهو أحد علماء العصر المفيدین العاملين بالأدلة الراغبين عن التقليد مع قوة ذهن وجودة فهم ووفارة ذكاء

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١١٠/٦؛ نيل الوتر: ٩٧/٢.

وحسن تعبير وخبرة لمسالك الاستدلال ومحبة للفقراء وعناية في إيصال الخير إليهم بكل ممكن، ومتانة دين واشتغال بالعبادة ودراية كاملة بمؤلفات والده ورسائله وأشعاره. وهو الذي جمع شعره في مجلد. وبلغني أنه نظم (بلوغ المرام)، وأنه الآن يشرحه. وله جوابات في مشكلات وفتاوى. وقد تخرّج به جماعة منهم العلامة عبد الحميد بن أحمد قَاطِن. ولا شغلة له بغير العلم والإكباب على كتب الحديث وتحرير مسائله وتقرير دلائله. وله نظم كنظم العلماء، منه قصيدة أجاب بها على السيد العلامة إسماعيل بن أحمد الكبسي المتقدم ذكره، ومطلعها: [من الكامل]

لَلَّهِ دَرْكُ أَيَّهَا الْبَدْرُ الَّذِي يَهْدِي إِلَى نَهْجِ الصَّوَابِ الظَّاهِرِ
أَبْرَزَتْ مِنْ تِيَارِ عِلْمِكَ دُرَّةٌ فِي سِلْكِ تَبْرِ قَعْرِ بَحْرِ زَاخِرِ
وهو الآن حيٌّ ينتفع به الناس، ولعله قد جاوز خمسين عاماً من عمره عافاه الله^(١).

(٢٧٢)

(عبد الله بن مُحَمَّد بن أَبِي الْقَاسِم بن عَلِيّ بن ثَامِر بن
فَضْل بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم الرِّزْدِي
العَبْسِيّ العَكِّي المعروف بالنَّجْرِي)^(٢)

ولد في أحد الربيعين سنة ٨٢٥ خمس وعشرين وثمانمائة، ونشأ بمدينة حوث، وقرأ على والده في النحو والأصول والفقه، وعلى أخيه عليّ بن مُحَمَّد، ثم حجّ سنة (٨٣٨) وارتحل إلى الديار المصرية فوصلها في ربيع الأول من التي تليها، فبحث فيها في النحو والصرف على ابن قديد، وأبي القاسم النُّويري، وفي المعاني والبيان على الشمني، وفي المنطق على التقيّ الحِصْنِي، وفي علم الوقت على العزّ عبد العزيز الميقاتي. وحضر في الهندسة قليلاً عند أبي الفضل المغربي بل كان يطالع ومهما أشكل يراجع فيه، فطالع شرح الشريف الجرجاني على الجعمني، والتبصرة لجابر بن أفلح، وقرأ في الفقه على الأمين الأقصراني، والعضد الصيرامي. وتقدم في غالب هذه الفنون كما قال البقاعي المتقدم ذكره قال: واشتهر فضله وبعد صيته، وكتب عنه في سنة (٨٥٣) قوله: [من الطويل]

(١) توفي يوم السبت، التاسع والعشرين من شهر صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٢هـ / ١٨٢٨م).

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٦/١٣٧؛ إيضاح المكنون: ٢/٧٢٢؛ هدية العارفين: ١/٤٦٩؛ الأعلام: ٤/١٢٧؛ الضوء اللامع: ٥/٦٢.

بِشَاطِئِ حَوْثٍ مِنْ دِيَارِ بَنِي حَرْبٍ لِقَلْبِي أَشْجَانٌ مُعَذِّبَةٌ قَلْبِي
فَهَلْ لِي إِلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ عَوْدَةٌ فَيَفْرُجُ مِنْ غَمِّي وَيُكْشِفُ مِنْ كَرْبِي

وتستّر مدة بقاءه هنالك فلم ينتسب زيدياً بل انتسب حنفياً، ولهذا ترجمه البقاعي، والسخاوي، فقال الحنفي: ثم عاد إلى اليمن، وصنّف مصنّفات منها (المعيار في المناسبات بين القواعد الفقهية) جعله على نمط قواعد ابن عبد السلام، وهو كتاب نفيس مفيد، ومنها شرح آيات الأحكام اختصره من الثمرات، ومنها شرح مقدمة البحر للإمام المهدي. وله مصنّفات في غير ذلك. ومن جملة ما كتبه وهو بمصر إلى والده: [من الوافر]

فِرَاقُكَ غَصَّتِي وَلِقَاكَ رُوحِي وَقُرْبُكَ لِي شِفَاءٌ مِنْ قُرُوحِي^(١)
وَمَا إِنْ أَذْكَرُ الْأَوْطَانِ إِلَّا يَضِيقُ لِي مِنَ الْأَوْطَانِ سُوحِي^(٢)
فَعَفُوكَ وَالِدِي عَنِّي وَإِلَّا فَتُوحِي يَا عَيُونُ عَلَيَّ نُوحِي

وهؤلاء المشايخ من المصريين المذكورين في الترجمة هم أكابر شيوخ مصر في ذلك الزمن كما يفيد ذلك من ترجم لهم. ولعل بقاءه في مصر خمس سنين كما يدل عليه ما سلف، ويمكن أن يكون أكثر من ذلك. وخرج من مصر بمغني اللبيب، وهو أول من وصل به إلى اليمن. وحكي عنه أنه ألف شرح مقدمة البحر في سفره قافلاً من مصر، وتوفي سنة ٨٧٧ سبيع وسبعين وثمانمائة، وأرخ موته الضمدي في الوافي سنة ٨٧٤ أربع وسبعين وثمانمائة.

(٢٧٣)

(عبد الله بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني)

ولد تقريباً سنة ١١٩٠ تسعين ومائة وألف أو بعدها بقليل، وقرأ على جماعة من المشايخ، واستفاد لا سيما في العلوم الآلية. وهو حسن الإدراك جيد الفهم قوي التصور، وله قراءة عليّ في المعاني والبيان والتفسير وفي صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود، وفي بعض مؤلفاتي، وله في الصلاح والعبادة والعمل بالأدلة مسلك حسن. وله في حسن الخلق والتودّد وحفظ اللسان ما لا يقدر عليه إلا مَنْ هو مثله^(٣).

(١) الغُصّة: ما يعترض في الحلق من طعام أو شراب. القُرُوحُ: الجُروح.

(٢) السُّوحُ: جمع الساحة: المكان الواسع، أو الفضاء يكون بين الدور.

(٣) توفي سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م.

(٢٧٤)

(السيد عبدالله ابن الإمام المظهر بن محمد بن سليمان الحمزي^(١))

كان من الأذكياء النبلاء العلماء، وله مصنغات، منها (الياقوت المنظم) الذي شرح به قصيدة والده، وهو كتاب حافل نفيس فيه فوائد بديعة، ومنها كتاب (رياحين الأنفاس المهتزة في بساين الأكياس، في براهين رسول الله ﷺ إلى كافة الناس) وهو كتاب نفيس. استخلفه والده في مدينة دمار بعد فتحها، ثم فسد ما بينه وبين أهل المدينة فأخرجوه، فدخل صنعاء فأخذوا عليه من دروعه وآلة ملكه شيئاً كثيراً. ولما فتح عامر بن عبد الوهاب صنعاء سيّره معه إلى تعز، وتوفي هنالك^(٢). وله شعر، فمنه قصيدة مطلعها: [من الكامل]

أَوْ مَا النَّسِيمُ يُبْلَغْنَ إِذَا سَرَى طَرْساً إِلَى صَنْعَاءٍ مِنْ أُمِّ الْقُرَى
 وَلَهُ قَصِيدَةٌ أُخْرَى مُطْلِعُهَا: [من البسيط]

حَيِّ الْعَدَاةَ وَأَقْرِ الْحَيِّ وَالْحَرَمَا عَنِّي السَّلَامَ سَلَاماً زَادَهُ حُرْمَا

(٢٧٥)

(عبد الله بن المهلا بن سعيد)

(ابن علي الشرفي اليماني المعروف بالمهلا)

ولد في شهر صفر سنة ٩٥٠ خمسين وتسعمائة بالشرف الأعلى، وأخذ عن جماعة منهم والده المهلا، والفقيه عبد الله الراغب، والسيد هادي الوشلي، والقاضي علي بن عطف الله، والسيد أحمد بن المنتصر، والفقيه عبد الرحمن النزيلي. وبرع في جميع العلوم وفاق الأقران، ورحل إليه طلبه العلم من الآفاق. ومن جملة تلامذته الإمام القاسم بن محمد. واتفق أن الباشا جعفر امتحن العلماء بحديث اختلقه ونمق ألفاظه وأملاه عليهم، فابتدر الحاضرون لكتابته فلم يتحرك صاحب الترجمة لشيء من ذلك، فسأل الباشا لم لا يكتب، فقال: يا مولانا قد أفدتهم والجماعة قد كتبوا، ونحن حفظنا. فقال: هذا والله هو العالم، ثم أخبرهم أن الحديث هو الذي وضعه، وإنما أراد امتحانهم. (توفي) سنة ١٠٢٨ ثمان وعشرين وألف، وليس هذا هو مؤلف (المواهب القدسية شرح البوسية) فذاك متأخر، وقد تقدمت ترجمته، واسمه الحسين بن ناصر.

(١) ترجمته في: الأعلام: ١٣٩/٤؛ معجم المؤلفين: ١٥٣/٦؛ هدية العارفين: ٤٧٠/١.

(٢) في الأعلام: توفي نحو سنة ٨٩٥هـ/ نحو ١٤٩٠م؛ وفي معجم المؤلفين: سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م.

٢٧٦

عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام^(١)

ولد في ذي القعدة سنة ٧٠٨ ثمان وسبعمائة، ولزم الشَّهاب عبد اللطيف وسمع من أبي حيَّان ولم يلازمه، وحضر دَرَسَ الشيخ تاج الدين التَّبريزي، وقرأ على الفاكهاني، وكان شافعيًّا، ثم تحنبل، وأتقن العربية ففاق الأقران، ولم يبق له نظير فيها، وصنَّف (مغنى اللبيب)، وهو كتاب لم يؤلف في بابيه مثله، واشتهر في حياته. وله تعليق على (ألفية ابن مالك)، و(عمدة الطالب في تحقيق تعريف ابن الحاجب) مجلدان، و(رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة) أربعة مجلدات، و(التحصيل والتفصيل لكتاب التذيل والتكميل) عدة مجلدات، و(شرح الشواهد الكبرى)، و(الصغرى)، و(قواعد الإعراب)، و(شذور الذهب) وشرحه، و(قطر الندى) وشرحه، و(الكواكب الدرية شرح اللوحة البدرية) لأبي حيَّان، وشرح (بانت سعاد)، و(شرح البردة)، و(التذكرة) في خمسة عشر مجلداً، و(شرح التسهيل) ولم يبيضه. وكان كثير المخالفة لأبي حيَّان شديد الانحراف عنه. ولعلَّ ذلك - والله أعلم - لكون أبي حيَّان كان المنفرد بعده هو صاحب الترجمة. وكثيراً ما ينافس الرجل من كان قبله في رتبته التي صار إليها إظهاراً لفضل نفسه بالاقتدار على مزاحمته لمن كان قبله، أو بالتمكن من البلوغ إلى ما لم يبلغ إليه، وإلاً فأبو حيَّان هو من التمكن من هذا الفن بمكان، ولم يكن للمتأخرين مثله، ومثل صاحب الترجمة. وهكذا نافس أبو حيَّان الرُّمخسري فأكثر من الاعتراض عليه في النحو والنهر الماد لكون الرُّمخسري ممن تفرَّد بهذا الشأن، وإن لم يكن عصره متَّصلاً بعصره. وهذه دقيقة ينبغي لمن أراد إخلاص العمل أن يتنبه لها فإنها كثيرة الوقوع بعيدة الإخلاص. وقد تصدرَّ صاحب الترجمة للتدريس، وانتفع به الناس، وتفرَّد بهذا الفن، وأحاط بدقائقه وحقائقه وصار له من الملكة فيه ما لم يكن لغيره. واشتهر صيته في الأقطار، وطارَت مصنفاته في غالب الديار، حتى قال ابن خلدون: ما زلنا نحن بالغرب نسمع أنه قد ظهر بمصر عالم يقال له ابن هشام أنحى من سيَّوِيه. و(مات) في ليلة الجمعة خامس ذي القعدة سنة ٧٦١ إحدى وستين وسبعمائة. وله نظم، فمنه: [من الطويل]

وَمَنْ يَصْطَبِرْ لِلْعِلْمِ يَظْفَرْ بِنَيْلِهِ وَمَنْ يَخْطُبِ الْحَسَنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى الْبَدَلِ

(١) ترجمته في: الأعلام: ١٤٧/٤؛ الدرر الكامنة: ٣٠٨/٢؛ معجم المؤلفين: ١٦٣/٦؛ النجوم الزاهرة: ٧٦١/١٠؛ شذرات الذهب: ١٩١/٦؛ بغية الوعاة: ٢٩٣؛ كشف الظنون: ١٢٤، ١٧٥٢؛ إيضاح المكنون: ٢٤٣/٢؛ هدية العارفين: ٤٦٥/١.

وَمَنْ لَمْ يُذَلِّ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَا يَسِيرًا يَعِشْ دَهْرًا طَوِيلًا أَخَا ذُلٍّ
ورثاه ابن نباتة فقال: [من الطويل]
سَقَى ابْنَ هِشَامٍ فِي الثَّرَى نَوْءَ رَحْمَةٍ تَجَرُّ عَلَى مَشْوَاهُ ذَيْلَ غَمَامٍ
سَأُرْوِي لَهُ مِنْ سِيرَةِ الْمَدْحِ مُسْنَدًا فَمَا زِلْتُ أُرْوِي سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ

٢٧٧

(عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ)

ابن مُحَمَّد الزَّيْلَعِي الحَنْفِي جَمَالُ الدِّينِ^(١)

اشتغل كثيراً، وأخذ عن أصحاب النحيب، وعن القاضي علاء الدين التُّرْكَمَانِي، وعن جماعة. ولأزم مطالعة كتب الحديث إلى أن خَرَجَ أحاديث الهداية، وأحاديث الكَشَاف. وكان يترافق هو وَزَيْنُ الدِّينِ الْعِرَاقِي فِي مطالعة الكتب الحديثية، فالعراقي لتخريج الإحياء، والزَّيْلَعِي لتخريج أحاديث الكتابين المذكورين، وكان كُلُّ مِنْهُمَا يُعِينُ الْآخَرَ. ولابن حَجَرٍ تخريج لأحاديث الكَشَاف، فلعله استمدَّ من تخريج صاحب الترجمة. ومات بالقاهرة في المحرم سنة ٧٦٢ اثنتين وستين وسبعمائة.

٢٧٨

(عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعِصَامِيِّ الشَّافِعِيِّ)

الْمَكِّي^(٢) صاحب التاريخ المشهور

المُسَمَّى (سمط النجوم الغوالي في أبناء الأوائل والتوالي) وهو مجلدان ضخمان، الأول إلى أيام مُعَاوِيَةَ، والثاني إلى آخر القرن الثاني عشر. وبسط فيه تراجم بعض الخلفاء والملوك والأمراء، واختصر تراجم آخرين، ولم أَقِفْ لَهُ عَلَى ترجمة^(٣).

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٦٥/٦؛ الدرر الكامنة: ٣١٠/٢؛ كشف الظنون: ١٤٨١؛ الأعلام: ١٤٧/٤.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ١٥٧/٤؛ معجم المؤلفين: ١٨٢/٦؛ إيضاح المكنون: ٢٨/٢؛ هدية العارفين: ٦٢٨/١.

(٣) في معجم المؤلفين، والأعلام: ولد سنة ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م، وتوفي سنة: ١١١١هـ/ ١٦٩٩م.

٢٧٩

(عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الْعَصَامِيِّ)^(١)

جد المذكور قبله . ولد سنة ٩٧٨ ثمانٍ وسبعين وتسعمائة بمكة ، ونشأ بها ، وأخذ عن مشايخها ، وبرع في العلوم ، وصنّف مصنفات ، منها : (شرح الشذور) ، و(شرح القطر) ، و(شرح الشمائل) ، و(شرح الألفية) ، وغير ذلك . قال حفيده المتقدم قبله : إنها بلغت مصنفاته ستين مُصنَّفًا ، (ومات) سنة ١٠٣٧ سيع وثلاثين وألف .

٢٨٠

(عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ خَلْفِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ شَرَفِ الدِّمِيَّاطِيِّ شَرَفِ الدِّينِ)^(٢)

ولد في آخر سنة ٦١٣ ثلاث عشرة وستمائة ، ونشأ بدمياط ، وكان يُعرف بابن المَاجِد . وكان جميل الصورة جدًّا حتى كان أهل دميّاط إذا بالغوا في وصف العروس قالوا : كأنها ابن المَاجِد . وتشاغل أولاً بالفقه ، ثم طلب الحديث بعد أن دخل العشرين وجاوزها ، فسمع بالإسكندرية في سنة (٦٣٢) من أصحاب السلفي ، وبالقاهرة منهم ومن وغيرهم . ولزم المُنْذِرِيّ ، وحجّ في سنة (٦٤٣) فسمع بالحرمين ، ودخل الشام سنة (٦٤٥) ، ثم دخل الجزيرة والعراق ، وكتب الكثير ، وبالجموع معجم شيوخه في أربعة مجلدات ، وبلغ عددهم ألف شيخ ومائتي شيخ وخمسين شيخًا . وأملّى في حياة مشايخه ، وكتب عن جماعة من رفقاءه . قال المزيّ : ما رأيت أحفظ منه . وقال الذهبي : كان مليح الهيئة حسن الخلق بسامًا فصيحًا لغويًا مُقرئًا جيد العبارة كبير النفس صحيح الكتب مفيدًا جدًّا في المذاكرة . وقال ابن سيّد الناس : سمعته يقول : دخلت على جماعة يقرأون الحديث فمن ذكر عبد الله بن سلام فشددوا لاهمه ، فقلت : سَلَامٌ عليكم سَلَامٌ عليكم . وصنّف كتابًا في الصلاة الوسطى ، وآخر في الخيل ، وقبائل الخزرج ، وقبائل الأوس ، و(العقد الثمن) ، فيمن اسمه عبد المؤمن) ، و(المسانية والسيرة النبوية) وغير ذلك . وكان له نظم متوسط . وروى

(١) ترجمته في : معجم المؤلفين : ١٨١/٦ ، وفيه : عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العصامي ، الإسفراييني ، المشهور بمُلاّ عصام . وله ترجمة أيضاً في : إيضاح المكنون : ١٥٣/١ ؛ كشف الظنون : ٤٠٤ ؛ هدية العارفين : ٦٢٨/١ ؛ الأعلام : ١٥٧/٤ .

(٢) ترجمته في : الدرر الكامنة : ٤١٧/٢ ؛ النجوم الزاهرة : ٧٠٥/٨ ؛ فوات الوفيات : ١٢/٢ ؛ شذرات الذهب : ١٢/٦ ؛ كشف الظنون : ١٠١٣ ، ١٤٩٥ ؛ إيضاح المكنون : ٤٢٥/٢ ؛ هدية العارفين : ٦٣١/١ ؛ معجم المؤلفين : ١٩٧/٦ ؛ الأعلام : ١٦٩/٤ .

عنه جماعة ماتوا قبله بدهرٍ. وطال عمره، وتفرّد بأشياء، وحمل عن الصنعاني عشرين كتاباً من تصانيفه في اللغة والحديث، وأزكى في علم النسب على المتقدمين. ووصفه أبو حيّان بحافظ المشرق والمغرب. قال الذهبي: كان موسعاً عليه في الرزق، وله حُرمة وجلالة. مات في خامس ذي القعدة سنة ٧٠٥ خمس وسبعمئة.

(٢٨١)

(عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مَسْعُودِ الْبَغْدَادِيِّ الْحَنْبَلِيِّ أَبُو الْفَضَائِلِ صَفِيِّ الدِّينِ)^(١)

ولد سنة ٦٥٨ ثمان وخمسين وستمئة، وتفقه على جماعة، وعُني بالحديث، فسمع من عبد الصّمد وآخرين، ورحل إلى دمشق، فسمع من ابن عساكر، وخرّج نفسه عن نحو ثلاثمئة شيخ، وحدث وتخرّج بالفضلاء، وأثنوا عليه. وكان علامة في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة، وأجاز له في بغداد جماعة، وكذلك من دمشق. وكان زاهداً خيراً ذا مروءة وفتوة وتواضع ومحاسن كثيرة، طارحاً للتكلف على طريق السلف، محبباً للخمول. وكان شيخ العراق على الإطلاق. وله مصنفات منها: (شرح المحرر)، ومختصر في الفرائض، و(إدراك العناية في اختصار الهداية) و(تحقيق الأمل في الأصول والجدل)، و(تحرير المقرر في تقرير المحرر)، و(العدة شرح العمدة). وله نظم رائق ومحاسن، ولم يتزوج، وأخذ عنه جماعة. (ومات) في صفر سنة ٧٣٩ تسع وثلاثين وسبعمئة.

(٢٨٢)

(عَبْدُ الْهَادِي بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَلَاحَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحَسَنِ الثَّلَاثِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْحَسُوسَةِ)

بمهملات الزيدي. قال القاضي أحمد بن سعد الدين أنه كان يحفظ مجموعات القاسم، والهادي وغيرهما من الأئمة، ويمليها عن ظهر قلبه بما يبهر العقول، مع سائر علوم أهل الكلام. وكان يحفظ أحوال الناس، ولقي الفضلاء، وقرأ عليهم، فمن جملة شيوخه: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَيْمِيِّ شيخ الإمام القاسم، وعيسى زَعْفَان،

(١) ترجمته في: الأعلام: ١٧٠/٤؛ شذرات الذهب: ١٢١/٦؛ الدرر الكامنة: ٤١٨/٢؛ معجم المؤلفين: ١٩٧/٦؛ كشف الظنون: ٨٤٤، ٨٧٤؛ هدية العارفين: ٦٣١/١؛ إيضاح المكنون: ٤٦٣/٢.

وعليّ بن الحاج. قال: ويحمل القاضي عبد الهادي من جليل الكلام ودقيقه ما لا يشبهه فيه أحد حتى قال الإمام القاسم أنه يظن أنه أوسع علماً من أبي الهذيل، لأنه أطلع على ما حصله أبو الهذيل وغيره. وكان مُطَّلِعاً على قواعد البهشية لا يشدّ عنه منها شيء، ولا يخفى عليه شيء من أحوال أهل العلم الكلامي. وقد كان ينال منه المقصرون ويقولون إنه يميل إلى مذهب المعتزلة في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، فتألم لما بلغه ذلك، وأملى من فضائل ما بهرهم مما لم يعرفوه. وولي القضاء بصنعاء فباشره مباشرة حسنة، وله في حسن السياسة أحاديث. وانتقل من صنعاء إلى ثلا في أوائل مرضه، ثم توفي بها ليلة الجمعة الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٠٤٨ ثمان وأربعين وألف.

٢٨٣

(السيد عبد الوهاب بن حسين بن يحيى الديلمي)

المتقدم ذكر والده في حرف الحاء. ولد تقريباً على رأس سنة ١٢٠٠ مائتين وألف، وقرأ على والده في الفقه والآلات، وعلى غيره ممن يجد عنده علماً في جهته، وهي مدينة دمار. ثم فهم أنواعاً من العلوم الدقيقة بذهنه الفائق وفهمه الذي يقلّ وجود نظيره وحفظه الحسن، فصار يذاكر في كلّ علم من العلوم، ويفهمه أحسن فهم. ولمّا وصلت إلى دمار مع مولانا الإمام المتوكل على الله في سنة (١٢٢٥) لازمني المذكور ليلاً ونهاراً لمحلّ الصداقة بيني وبين والده، ولكوني نزلت في بيتهم، فسمع عليّ أوائل كتب لا أحصي عددها، ولا أذكر أسماءها الآن لكثرتها، واستفاد بالمذاكرة والمباحثة شيئاً كثيراً، وصار في مدينة دمار مع حدث سنّه مرجعاً في العلوم حتى علم الطبّ فإنّ له اليد الطولى فيه. وما زال يفيد الطلبة هنالك مع قلة الراغبين في علوم الاجتهاد بدمار. وفي سنة (١٢٢٦) في الرحلة الثانية للجهاد مع مولانا الإمام المتوكل على الله، لازمني ملازمةً كاملةً ليلاً ونهاراً. وبالجملة فهو من أفراد المشغلين بالعلوم في هذا الوقت، زاده الله علماً وتوفيقاً. وله إليّ أشعار جيدة، لعلّها موجودة في مجموع الأشعار عندي.

٢٨٤

(السيد عبد الوهاب بن محمد شاكر)

ابن عبد الوهاب بن حسين بن العباس بن جعفر

الحسيني من قبل الأم الحسيني من قبل الأب، الموصلي مولداً وبلداً ومنشأً.

ولد شهر جمادى الأولى سنة ١١٨٤ أربع وثمانين ومائة وألف، وقدم علينا إلى صنعاء في سنة (١٢٣٤)، وكثر اتصاله بي، وهو جامع بين علم الأديان والأبدان، جيد الفهم فصيح اللسان حسن العبارة حسن الإشارة، قد عرف كثيراً من البلاد كمصر والشام والعراق والحرمين، ودخل إلى الروم دفعات، واتصل بعلماء البلاد وأعيانها وملوكها، وأخبرنا عن هذه البلاد وأهلها بأحسن الأخبار، مع صدق لهجة وتحرر للصدق. وكتب إليّ من شعره بنظم فائق رائع.

ومن جملة ما خبرنا به من خبر عجيب ونبا غريب، وهو أنه وُجدَ في جبل قيسون من جبال الشام رجلٌ من الجنّ يقال له قاضي الجنّ واسمه شمهورش، وأنه أدرك الإمام مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري وأخذ عنه، فأخبرنا صاحب الترجمة قال: أخبرنا السيد إسماعيل بن عبد الله الأيدين جكلي نسبة إلى قرية بالروم قال: أخبرنا أحمد بن مُحَمَّد المنيني نزيل دمشق الشام قال: أخبرنا عبد الغني بن إسماعيل النابلسي عن القاضي شمهورش قاضي الجنّ بصحيح البخاري عن البخاري. ومما أخبرنا به صاحب الترجمة أن اعتماد حنفية هذا الزمان في جميع ديار الروم والشام ومصر وغيرها في الفقه على مؤلفين أحدهما مؤلف الملاحسرو الرومي المسمى «الدرر والغرر» متناً وشرحاً، والمؤلف الآخر لِمُحَمَّد أفندي مفتي دمشق المُسمّى (الدرّ المختار) واستشهد في خطبة الكتاب بقول القائل: [من السريع]

تَرَى الْفَتَى يُنَكِّرُ فَضْلَ الْفَتَى فِي وَقْتِهِ حَتَّى إِذَا مَا ذَهَبُ
يَحْمِلُهُ الْجِرْصُ عَلَى نُكْتَةٍ يَكْتُبُهَا عَنْهُ بِمَاءِ الذَّهَبِ^(١)

وأخبرنا أن مُحَمَّد أفندي هذا من أهل القرن الحادي عشر. وقد طلب صاحب الترجمة بعض مؤلفاتي فأعطيته (الدرر) وشرحها (الدراري). وقد كتب إليّ من نظمه شعراً فائقاً قد ذكرته في مجموعي، فليرجع إليه. وقد تلقيت منه الذّكرَ على الطريقة النقشبندية.

٢٨٥

(عَبْدُ الْهَادِي بن مُحَمَّد السُّودِيّ)

ثم الصَّنْعَانِي الصُّوفِي الشَّاعِر المشهور)

ولد في نيف وسبعين وثمانمائة، ونشأ بصنعاء وقرأ بها الفقه وغيره. ثم لحقته

(١) النُّكْتَةُ: المسألة العلمية الدقيقة يُتَوَصَّلُ إليها بِدَقَّةٍ وإِلَامٍ فِكْرٍ، أو الفكرة اللطيفة المؤثرة في النَّفْس.

جذبة فخرج هائماً من صنعاء، وسكن مدينة تعز. وذكر الإمام شرف الدين أنه إنما حصل له الهيام بسبب أكله للقات. وله شعر حسن فمنه: [من المديد]

كَيْفَ حَارُوا فِيكَ وَاجِباً يَا مُنَى سَمْعِي وَبَا بَصْرِي
أَنْتَ لَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ غَيْرَ أَعْمَى الْفِكْرِ وَالنَّظَرِ
خَيْرَةٌ عَمَّتْ وَأَيُّ فَتَى زَامَ عَرْفَانَا وَلَمْ يَحْرِ
ومنه: [من المديد]

لَا وَقَدْ مِنْكَ مُعْتَدِلٌ عَنْ غَرَامِي فِيكَ لَمْ أَمِلِ
لَيْسَ لِي عَطْفٌ عَلَى أَحَدٍ لَا وَلَا مَيْلٌ إِلَى بَدَلِ
بِكَ يَا سُؤْلِي ظَفَرْتُ فَلَمْ أَلْتَفِتْ لِلدَّارِ وَالطَّلَلِ
ومنه: [من المديد]

عَاذَلِي فِي الْحُبِّ أَوْ خَطَرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ^(١)
أَنَا فِي وَادٍ أَظَلُّكَ مَا قِلْتُ فِي الْأَفْيَاءِ مِنْ شَجَرِهِ^(٢)
لَا تُطِلْ فِيهِ الْمَلَامَ إِلَى أَنْ تَذُوقَ الْحُلُومَ مِنْ ثَمَرِهِ^(٣)
يَا حُلُولَ الشَّعْبِ مِنْ إِضْمٍ أَنْشِقُونِي النَّشْرَ مِنْ زَهْرِهِ^(٤)

وفي هذا الشعر من شعر أبي نواس. وكان صاحب الترجمة في أيام الإمام شرف الدين، (ومات) سنة ٩٣٢ اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

(٢٨٦)

(عَبْدُ الْوَاسِعِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيِّ الْأُمَوِيِّ الْعَلْفِيِّ)^(٥)

ينتهي نسبه إلى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمِيَّةَ. ولد سنة

(١) السَّمَرُ: حديث الليل. وهو من قول أبي نواس:

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ مِنْ عُفْرَةٍ لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ
(ديوانه: ٤٢٧).

(٢) قِلْتُ: نمت في القائلة: وقت اشتداد الحر من النهار. الأفياء: الظلال.

(٣) في شعر أبي نواس:

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
(٤) الحُلُول: المقيمون. الشَّعْبُ: الانفراج بين جبلين، أو مجرى الماء تحت الأرض. إضم: موضع. النَّشْرُ: الرائحة الطيبة.

(٥) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٦/٢١٥؛ إيضاح المكنون: ٧١٣/٢.

١٠٢٦ سٔ وعشرين وألف أو في التي بعدها ببلاد حيدان، بسبب أخواله بني محدف فخذ من حيدان، ثم انتقل هو ووالدته إلى هجرتهم بني علفة في بلاد الكلبيين فبقي بها مدة. ثم ارتحل إلى صنعاء وهو في سنّ الطلب فأخذ عن جماعة من شيوخها كالفقيه الفاضل مُحَمَّد بن أحمد الحَرَبِيّ في النحو، وعلى التهامي في الصرف، وعلى عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الحَيَمِي في أنواع من العلم، وعلى السيد مُحَمَّد بن عَزَّ الدين المُفْتِي، والسيد الحَسَن بن أحمد الجَلَّال، والقاضي صلاح الذنوبي، والقاضي أحمد بن سَعِيد الهَبَل. وبرع في علوم كالنحو والصرف والأصول والفقه والفرائض. ومن جملة مشايخه الإمام المُتَوَكَّل على الله إِسْمَاعِيل بن القاسم، والقاضي الحُسَيْن بن عليّ الشُّوكَانِي، والقاضي أحمد بن سَعْد الدين. وأخذ عنه جماعة كالسيد مُحَمَّد بن الحُسَيْن الكُبْسِي، وولده أحمد، والسيد الحُسَيْن بن أحمد زبارة، وعليّ بن مُحَمَّد الشطبي. وكان الإمام المُتَوَكَّل على الله يقول: من أراد النحو فليقرأ على القاضي عبد الواسع. وله تفسير لطيف على سورة الإخلاص، وله مجموع في خطب السنة، ومختصر سمّاه (الوعظ النافع فيما أنشأه القاضي عبد الواسع). ولم يزل مقيماً على التدريس حتى (مات) في ثاني عشر شهر جمادى الآخرة سنة ١١٠٨ ثمانٍ ومائة وألف، وقبره في الغراس بجوار الإمام المهدي أحمد بن الحَسَن. ولهذا القاضي ذُرِّيَّة صالحة مباركة فيهم رؤساء وفضلاء وكملاء، فمنهم في تاريخ تحرير هذه الأحرف مُحَمَّد بن عليّ بن أحمد بن عبد الواسع أحد رؤساء الدولة وأعيانها، وهو كثير الخير كثير العدل قويّ العقل محمود السيرة طيب السريرة، ومنهم أخوه الحَسَن بن عليّ، وهو تلو أخيه مُحَمَّد في محاسنه مع صدق لهجة وحسن خلق وشهامة نفس وكمال مروءة، ومنهم يَحْيَى بن مُحَمَّد بن عليّ، وهو الآن في عنفوان الشباب وله أشعار فائقة تشتمل على معانٍ رائقة.

(٢٨٧)

(عبد الوهَّاب بن عليّ)

ابن عبد الكافي بن عليّ بن تمام السُّبُكِّي تاج الدين^(١)

ولد سنة ٧٢٧ سبع وعشرين وسبعمائة، وأجاز له جماعة كابن سيد الناس وطبقته. ثم قدم دمشق سنة (٧٣٩) فسمع بها من زينب بنت الكمال، والمزّي،

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤/١٨٤؛ الدرر الكامنة: ٢/٤٢٥؛ النجوم الزاهرة: ١١/١٠٨؛ شذرات الذهب: ٦/٢٢١؛ كشف الظنون: ١٠٠، ١٥٠، ١٨٥٩؛ إيضاح المكنون: ١/٢٨١؛ هدية العارفين: ١/٦٣٩؛ معجم المؤلفين: ٦/٢٢٥.

والذهبي، وأمّعن في طلب الحديث، وكتب الأجزاء والطباق حتى مَهَرَ وهو شاب، مع ملازمته الاشتغال بالفقه والأصول والعربية. وصنّف تصانيف منها: شرح مختصر ابن الحاجب، وشرح منهاج البيضاوي. وعمل الفوائد المشتملة على الأشباه والنظائر، والطبقات الكبرى، والوسطى، والصغرى. ورزق السعادة في تصانيفه فانتشرت في حياته. وكان ذا بلاغة وطلاقة جيد البديهة طلق اللسان حسن النظم والنثر، ودرّس في غالب مدارس دمشق، وناب عن أبيه في الحكم، ثم اشتغل به باختيار أبيه. وولي خطابة الجامع، وانتهت إليه رئاسة القضاء والمناصب بالشام، وحصل له بسبب القضاء محنة بعد محنة، وهو مع ذلك في غاية الثبات. وعُزِل مرات، وكشفوا عليه في بعضها، وحكم بعض القضاة بحبسه، واجتهدوا في طلب غيره من عثراته فلم يجدوا، قال ابن كثير: جرى عليه من المحن والشدائد ما لم يَجْرِ على قاضٍ قبله، وحصل له من المناصب والرياسة ما لم يحصل لأحد قبله، وانتهت إليه الرياسة بالشام، وأبان في أيام محنته عن شجاعة وقوة مناظرة حتى أفحم خصومه مع كثرتهم. ولما عاد إلى وظائفه صَفَح عن القائمين عليه، وكان كريماً مُهاباً. (ومات) في سابع ذي الحجة سنة ٧٧١ إحدى وسبعين وسبعمائة.

(٢٨٨)

(السيد عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن عبد الله السيد نُور الدين أبو حامد)

الحُسَيْنِي الأيجي الشَّافِعِي. وُلِدَ يوم السبت خامس وعشرين ذي القعدة سنة ٨٤٢ اثنتين وأربعين وثمانمائة بشيراز، وتحوّل إلى مكة وقرأ على جماعة كالمحبّ الطبري، وأبي الفتح المراغي. وحفظ القرآن وبعض الحاوي، وفي الصرف النخبة لجده، وفي النحو الكافية وشيئاً من الطوالع وغير ذلك. وأخذ عن الصفيّ جدّه لأمّه في علوم عدة، وعلى النور أبي الفتوح، وأجاز له كثير من أمصار مختلفة. وقدم القاهرة ودخل الشام وزار القدس والخليل، وأخذ في هذه الأمكنة عن جماعة كالبقاعي، والسَّخَاوي، وتصدّر في أيج للإفتاء والإقراء والتحديث، وكتب على المنهاج والتيسير للبارزي، وعلى القونوي، وجمع كتاباً طويلاً سمّاه (مجمع البحار) جعله أولاً مختصراً للروضة، ثم بسط الكلام واستوفى كلام الشافعية مع ذكر الأدلة والعلل. ترجمه السخاوي، وذكر أنه فارقه في سنة أربع وتسعين، يعني وثمانمائة، فلعله عاش إلى القرن التاسع، والله أعلم.

٢٨٩

(السيد عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّدٍ الهاشمي الحُسَيْنِي الملقب العبري)

بكسر المهملة وسكون الموحدة. ذكره الذهبي في المشتبه فقال: عالم كبير في وقتنا، وتصانيفه سائرة. وقال الإسنوي في طبقات الشافعية: كان أولاً حنفياً ثم صار شافعيّاً، وكان يُقرئ المذهبين. ووصفه بعض أهل بلاده فقال: كان قاضي القضاة عضد السلاطين مشهوراً في الآفاق مشاراً إليه في جميع الفنون، ملاذاً للضعفاء كثير التواضع والإنصاف. ومال في آخر عمره إلى الاشتغال بالعلوم الدينية، وله من المصنفات عدة، منها شروح مصنفات القاضي البيضاوي: المنهاج، والمطالع، والغاية، والمصباح، وشرح المصابيح، وسكن سلطانية، ثم تبريز، وولي قضاءها. وعبارته فصيحة قريبة من الأفهام. وكانت (وفاته) بتبريز في شهر رجب سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة في العام الذي حصل فيه الغلاء المفرط بخراسان والعراق وفارس وأذربيجان وديار بكر حتى جاوز الوصف، وأكل الأب ابنه والابن أباه، وبيعت لحوم الآدميين في الأسواق جهراً، ودام ذلك ستة أشهر، كذا في الدرر لابن حَجَر حاكياً عن بعض فضلاء العجم.

٢٩٠

(عُثمان بن عليّ بن عُمَر بن إِسماعيل بن إبراهيم ابن يُوسُف بن يَعْقُوب بن عَلِيّ بن عَبْدِ اللَّهِ الطائي الحلبي) (١)

فخر الدين ابن خطيب حبرين الشافعي. ولد في ربيع الأول سنة ٦٦٢ اثنتين وستين وستمائة، ومهر في الفنون حتى كان يُدرّس كلّ من قصده في أي كتاب أراد من أي علم أحضره، ولم ير الناس له في ذلك نظيراً إلا ما حُكي عن ابن يُونس، فكان يُقرئ في الحاوي وغيره من الفروع، وفي المحصول وغيره من أصول الفقه، وفي الشاطبية وغيرها من القراءات، وفي الفرائض وأنواع الحساب، وفي العربية والتصريف والحكمة والطب وغير ذلك. وناب في الحكم، وكان في خلال الدرس وخلال الحكم يلازم السبحة. ومن تصانيفه: شرح التفجير، وشرح الشامل الصغير، وشرح مختصر ابن الحاجب، وشرح الحاوي، وشرح مختصر مسلم للمنذري. ثم طلب إلى القاهرة فمثل بين يدي السلطان فبدر من السلطان كلام في حقّه أغلظ له فيه، فرجع

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤/٢١٠؛ شذرات الذهب: ٦/٩٣، النجوم الزاهرة: ٩/٣٢٠؛ الدرر الكامنة: ٢/٤٤٣.

مرعوباً فمرض، وكان معه ولده فمرض كذلك، وماتا جميعاً بعد جمعة في المحرم سنة ٧٣٨ ثمانٍ وثلاثين وسبعمائة، وأثنى عليه ابن حبيب فقال: حاكم قدره كبير وعالم ليس له نظير، قدوة في معرفة الأصول والفروع، مشار إليه بالتقديم في المحافل والجموع. ثم ذكر أنه باشر توقيع الحكم ونظر الأوقاف ووكالة بيت المال، ثم اشتغل بالقضاء بحلب مدةً.

(٢٩١)

(عُثْمَانُ بن قُطْلُوبَك التُّرْكَمان)

أمير التُّرْكَمان بديار بَكْر وصاحب آمد وماردين^(١)

وغيرهما. كان أبوه من جملة الأمراء بالدولة الأرتقية، ثم انتمى ابنه هذا إلى تَيْمُورلَنْك وصار من أعوانه، ودخل معه البلاد الشامية لما طرقها، ثم رجع إلى بلاده فاستولى على ما تقدم ذكره في أيام الناصر فَرج بن بَرْقُوق صاحب مصر والشام، وولاه الرَّها، وضخم أمره وما زال في عُلُوٍّ إلى أن تجرَّد المؤيد شيخ البلاد الشرقية وعاد إلى نحو بغداد، فأرسل قَصَّاده إلى المؤيد يعتذر عن نفسه في ذنب منه سابق، ويقول: إن لم يعف عني السلطان لا أجد لي بُدّاً من موافقة خصومه، فأجابه، وكان من الرجال قوةً وشجاعةً وإقداماً، قتل ملوكاً. ولما سُلِّطَ الأشرف بُرْسَباي المتقدم ذكره وطالت أيامه، تغيّر ما بينهما، فجهز لقتاله عسكرياً غير مرّة، وأخذ منه الرَّها وقبض على ابنه هابيل، وحبس بقلعة الجبل حتى مات، ثم تجرَّد الأشرف بنفسه إليه في سنة (٨٣٦) ووصل إلى آمد ونزل عليها وحاصرها زيادة على شهر، ثم رحل عنها بعد وقوع الصلح بينهما، وأرسل له بخلعة، وسرج فرس ذهب، واستمر على حاله إلى سنة (٨٣٩) فسار إلى إسكندر من تبريز وبلغ على صاحب الترجمة، فجهز علي بك ابنه في فرقة من العسكر، وهو على أثرهم فالتقى الفريقان، فاستظهر عسكر هذا فثبت إسكندر بمن معه ثم حملوا حملة رجل واحد على عسكر هذا فكسروه، وسار إسكندر خلفهم فتبعوا صاحب الترجمة، فرمى بنفسه إلى خندق القلعة ليفوز بمهجته وعليه آلة الحرب فوق على حجر فشدخ دماغه، ثم حُمِلَ وُعُلِقَ إلى القلعة بحبال، فدام بها أياماً قلائل، ثم (مات)، وذلك في العشر الأول من صفر سنة ٨٣٩ تسع وثلاثين وثمانمائة وقد بلغ التسعين أو زاد عليها، ودام سلطانه زيادة على خمسين سنة.

(١) ماردين: قلعة مشهورة على قُتَّة جبل الجزيرة، مشرفة على دُنَيْسَر، ودارا، ونصيبين، وكان أمامها رِضْ عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس. (معجم البلدان: ٣٩/٥).

٢٩٢

عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ
يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ أَبِي حَفْصٍ
عُمَرَ الْمَلَقَبِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ الْهَتَاتِي^(١)

بفتح الهاء ثم نون بعدها مثناة ثم مثلها بعد ألف، قبيلة من البربر، وجده أبو حفص عمر هو أحد العشرة من أصحاب محمد بن تومرت المعروف بالمهدي. ولد تقريباً بعد العشرين وثمانمائة بتونس وبها نشأ في كنف أبيه وجده، وقرأ القرآن وشيئاً من العلم، وصار إليه الملك وهو ابن ثماني عشرة سنة فخالف عليه عمه أبو الحسن فظفر به، وتمهدت له الأمور وطالت أيامه، فإنه ولي ملك تونس وهو في تلك السن في سنة (٨٣٩) ودام في الملك أربعاً وخمسين سنة ونصف سنة، ودانت له البلاد والرعية، واجتمع له من الأموال وغيرها ما يفوق الوصف، وأنشأ الأبنية الهائلة والخزائن الشرقية بجامع الزيتون، وجعل بها كتباً نفيسة للطلبة. وبعد صيته وطارت شهرته، وهادن ملوك تلك الأقطار، وكذا ملوك الإفرنج، وخطب له بالجزائر وتلمسان، وجاءته بيعة صاحب فاس. وأثنى عليه غير واحد ممن لقيه. ولم يزل بحالته حتى (مات) في صبيحة يوم السبت تاسع وعشرين شهر رمضان سنة ٨٩٣ ثلاث وتسعين وثمانمائة.

٢٩٣

(الإمام الهادي عز الدين بن الحسن بن المؤيد)^(٢)

ولد بأعلى قلله بفتح الفاء واللامين بعدها، بعشر بقين من شوال سنة ٨٤٥ خمس وأربعين وثمانمائة، وقرأ في وطنه، ثم رحل إلى صعدة، فقرأ على علي بن موسى الدواري فنوناً من العلم، وقرأ أيضاً على غيره. ثم رحل إلى تهامة، فسمع الحديث على شيخه يحيى بن أبي بكر العامري المشهور مؤلف البهجة وغيرها، سمع منه سنن أبي داود، وأجازه في سائر كتب الحديث، وبرع في جميع العلوم، وصنف وهو دون العشرين، فمن مصنفاته: شرح منهاج القرش، في مجلدين ضخمين، وشرح البحر للإمام المهدي، بلغ فيه إلى كتاب الحج، وهو شرح مفيد سلك فيه طريقة الإنصاف، وهو يدل على تبحره في عدة علوم. وله فتاوى مجموعة في مجلد

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢١٣/٤.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢٢٩/٤.

ضخم مفيدة. ومن جملة شيوخه الإمام مُحَمَّد بن عليّ الوشلي، فإنه لازمه في الحضر والسفر، ثم لما كمل في جميع العلوم دعا الناس إلى مبايعته فبايعوه في تاسع شوال سنة ٨٧٩ تسع وسبعين وثمانمائة، وكانت الدعوة بوطنه هجرة فلّكه، ودخل تحت طاعته بلاد السّودة وكحلان والشرفين والبلاد الشامية، وعلماء سائر محلات الزيدية قد بايعوه وإن لم يجبه جميع أهلها. وهو من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل والكرم وسائر الخصال الشريفة، وله شغف بالعلم عظيم، ولديه من التسليم للحق واتباع الدليل ما لم يكن لغيره، حتى رأيته قد حرّر بحثاً في مسألة انحصار الإمامة في بعض بطون قريش، وتكلم بالصواب مع كونه إذ ذاك إماماً. واستمرت إمامته إلى أن (مات) في شهر رجب سنة ٩٠٠ تسعمائة، ومدة خلافته إحدى وعشرون سنة.

(٢٩٤)

(السيد عليّ بن إبراهيم بن عليّ)

ابن إبراهيم بن أحمد بن عامر الشهيد

المتقدم ذكره. ولد بشهارة سنة ١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف، وقيل سنة (١١٣٩) وقرأ بها على أهل العلم هنالك. ثم ارتحل إلى كوكبان، وقرأ على من به من العلماء كالسيد عيسى بن مُحَمَّد بن الحسين، ثم ارتحل إلى صنعاء، وقرأ على السيد العلامة أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق وغيره، كالقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، واستقر بها وتزوج، وكان إماماً في جميع العلوم، مُحَقِّقاً لكل فنٍّ، ذا سَكينة ووقار قلَّ أن يوجد له نظير في ذلك، كان إذا اجتمع بأهل العلم وجرت المباحثة في فنٍّ من فنون العلم لا يتكلم قطُّ بل ينظر إليهم ساكتاً، فيرجعون إليه بعد ذلك فيتكلم بكلام يقبله الجميع، ويقنع به كل سامع، وكان هذا دأبه على مرور الأيام، لا يعتره الطيش والخفة في شيء كائناً ما كان، ولا يوجد له عدوٌّ قطُّ لحفظ لسانه والتفاتة إلى ما يعنيه وعدم اشتغاله بما لا يعنيه، مع كونه غير متعلق بالمناصب الدنيوية التي هي منشأ العداوة إما لحسدٍ أو لغيرةٍ، فلهذا كان الشناء عليه كلمة إجماع، والاعتراف بفضله ليس فيه نزاع. وكان يسلك هذا المسلك مع أهله وأولاده، فإنهم إذا وقع لهم السهو عن شيء مما يحتاج إليه من طعام أو شراب أو نحوهما لم يقع منه الطلب لذلك منهم فضلاً عن أن يتجرّد عليهم ويلومهم. ولقد أخبرني أنه خرج يوماً مع جنازة وقت الغداء، وما رجع إلّا قبل الظهر فظن أهله أنه قد تغدى، لأنه كان كثير الضيافات عند معارفه، فوصل إلى مكانه واستمر جالساً إلى وقت العشاء لم يطلب منهم شيئاً، ومثل هذا عجيب. وأخبرني أنه دخل ليلةً منزله ووقف في المكان الذي يأوي إليه، ولم يشعر أهله بذلك فبقي إلى مقدار نصف الليل في ظلمة بلا مصباح ولا قهوة ولا غير

ذلك مما يحتاج إليه في السَّمَر مع أنه كان محباً للسَّمَر. وإذا كانت هذه معاملته لأهله فما ظنك بمعاملته لغيرهم. ولا أعلم أنه غضب قطُّ أو خاصم في شيء منذ عرفته إلى أن مات. وليس له نظير في حفظ الأشعار لأهل الجاهلية والإسلام، وحفظ الأخبار التي لا يدري بشيء منها غالب أهل العصر، ومع هذا فإنه يحضر مواقف الاجتماع فيتحدث متحدث بخبر من الأخبار فيزيد وينقص ويغلط ويصحف ويحرف وهو مُصَنِّع إليه مُقْبِلٌ عليه كأنه لا يعرف من ذلك شيئاً، فإذا فرغ ذلك المتحدث من حديثه استحسنته صاحب الترجمة وسكت، ولا يستدرك عليه في شيء مع أنه يعلم بتفصيل ذلك الخبر وصحيحه وفاسده، اللهم إلا أن يسأله سائل عن تلك الحكاية أو يسترشد منه الحاكي فإنه حينئذ يملئها بعبارة عذبة ويصوغها بالفاظ فصيحة. وإذا كانت مشتملة على شيء من الشعر ذكره لا يغادر منه شيئاً حتى يخجل حاكي تلك القضية، ويندم على إقدامه. وهكذا إذا روى أحد من هو بحضرته شيئاً من الشعر أصغى إليه وقد لا يدري ذلك الراوي لمن الشعر، وقد يصحف في بعضه، وقد لا يحفظ إلا شيئاً يسيراً من القصيدة، وصاحب الترجمة ساكت لا يتكلم، فإذا سأله سائل عن ذلك، روى تلك القصيدة من أولها إلى آخرها، وذكر السبب الذي قيلت لأجله، وترجم لقائلها ترجمة لا يدع من أحواله شيئاً. وقلَّ أن يجري بحضرته شيء لا يعرفه، وهو قليل التكلف مائل إلى الخمول، ليس له رغبة في الظهور ولا يتكلم في مسألة إلا وهو على قدم راسخة، وإلا رجع إلى البحث، بل كثيراً ما يرجع إلى البحث وإن كان يعلم بالمسألة، فإني سمعت منه صحيح البخاري من أوله إلى آخره بلا فوت، فكانت تعرض مباحثات حال القراءة فيسمع السؤال ثم يصمت ويأخذ الشروح فينظر فيها فإن وجد ما يفيد أملاه وإن لم يجد تكلم من عند نفسه بكلام في غاية الحسن والإفادة. ومما كتبه إليه في أيام قراءتي عليه هذان البيتان وفيهما طرد عجيب: [من الطويل]

إمام البهاليل الأولى سَبَقُوا إلى سَمَاءِ المعالي أمراً بَعْدَ أمير^(١)

علي بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن أحمد بن عامر

وقد أخذ عنه الطلبة في فنون متعددة، وكانوا يقصدونه في الغالب إلى بيته. وكان للعصر به جمال، وللعلم وأهله به أنس، وله في الشعر يدٌ طويلة، وقصائده الطنانة موجودة بأيدي الناس، فمن شعره في وصف البنادق من جملة قصيدة: [من الطويل]

فَوَاغِرُ أَفَوَاهِ الثَّعَابِينَ كُلِّمَا نَفَخْنَ قَتَاماً تُسْتَطَارُ مَشَاعِلُ^(٢)

(١) البهاليل: جمع البهلول: السَّيِّد الجامع لصفات الخير.

(٢) فَوَاغِرُ: مَنْ فَعَرَ فَاهُ: فَتَحَهُ. القَتَام: الغبار.

حَكَى شَكْلَهَا الْحَيَّاتَ لَكِنْ صَفِيرُهَا رَزِيرٌ وَفِي الْأَحْشَاءِ مِنْهَا الْغَوَائِلُ^(١)
 كَرَّاسِيهَا أَذْنَابُهَا وَغَيُونُهَا وَرَاءَ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهَا الْمَقَاتِلُ
 ولو لم يكن له إلا هذه الأبيات لكفته، فإنها غاية لا تُدرَك، وهي تدل على ما
 أولاها من أدبه الغضّ. ومن قصائده الطنّانة هذه القصيدة: [من الرمل]

خَلَسَ اللَّحْظُ تُذِيبُ الْمُهَجَا فِيهَا الدَّمْعُ يُرَى مُمْتَزَجَا
 لَا تَسْمُ لِحْظُكَ فِي مَرْعَى الْهَوَى فَيَلْقَى الْقَلْبُ مِنْهُ حَرَجَا^(٢)
 رَاشِقَاتٌ وَتُسَمَّى نَظْرًا بِنِبَالٍ وَتُسَمَّى دُعَجَا^(٣)
 لَمْ تُؤَثِّرْ فِي سِوَى أَفئِدَةٍ وَهِيَ فِيهِنَّ تُبَيِّنُ الشَّنَجَا^(٤)
 كَانَ عَهْدِي قَبْلَهَا أَنْ النُّهَى لِلتَّصَابِي مَانِعٌ أَنْ يَلِجَا^(٥)
 يَا خَلِيلِي أَرَاهَا مِنْكُمْ ظِلَّةً بِالسَّفْحِ إِنْ لَمْ تَعُجَا^(٦)
 وَإِذَا ظَلَلْتُمَاهُ فَاَنْشُقَا مِنْ شَمِيمِ الدَّارِ عَرْفًا أَرْجَا^(٧)
 إِنَّمَا اعْتَدْتُ مِنْ عُمْرِي بِمَا كُنْتُ فِيهِ بِالصَّبَا مُبْتَهِجَا^(٨)
 يَمَلَأُ التَّهْوِيمُ عَيْنِي وَلَمْ يَكُ قَلْبِي بِالْهَوَى مُنْزَعَجَا^(٩)
 كَمْ سَرَقْنَا بِاللَّوَى فِي غَفْلَةٍ مِنْ عَوَادِي الدَّهْرِ غِيثًا سَجْسَجَا^(١٠)
 تَرْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهِ طَرَبًا وَعَلَيْهِ الطَّيْرُ تَشْدُو هَزَجَا^(١١)
 وَدَجَى قَدْ أَلْفَ الشَّمْلِ إِلَى أَنْ فَرَى الصُّبْحُ لِأَفْقٍ وَدَجَا^(١٢)

(١) الغوائل: الدواهي، والمصائب الشديدة.

(٢) سَامَ الإبل ونحوها في المرعى: خلّاها ترعى، استعاره لِعَيْنِهِ.

(٣) راشقات: راميات. عيون دعج: اشتدّ بياضها وسوادها، واتسعت.

(٤) الشَّنَجُ: التَّقْبُضُ.

(٥) النُّهَى: العقل. التصابي: الميل، أو الرجوع إلى الصَّبَا والفُتْوَة. يلج: يدخل.

(٦) تَعُجُ: تميل، أو تنزل، أو تُعْجُ.

(٧) نَشَقَ الشَّيْءُ: شَمَّهُ. العَرْفُ: الرائحة الطيبة. الأَرْجُ: الفَوَاحِ.

(٨) أَعْتَدْتُ: أَهْتَمْتُ، أو أَدَخَلْتُ فِي الْعَدِّ، أو أَحْسَبْتُ.

(٩) التهويم: الشعور بالحاجة إلى النوم.

(١٠) السَّجْسَجُ: الطَّيْبُ، اللطيف، ومنه يقال: يوم سَجْسَجَ: لا حَرَّ فِيهِ وَلَا بَرْدَ، وهواء سَجْسَجَ:

معتدل طيب.

(١١) تشدو: تغني. الهَزَجُ: غناء فيه تَرْتُّمٌ وتطريب.

(١٢) الدَّجَى: ظلمة الليل. أَلْفَ الشَّمْلِ: جمعه. فَرَى الشَّيْءِ: شَقَّه. الْوَدَجُ: عرق في العنق.

وَلَيَالٍ بِالتَّدَانِي لُولُؤُ
إِذِ لَفَّ الْحُبُّ مُشْتَاقِي هَوَى
لَمْ يَشْفُنِي ظِلُّ أَفْنَانِ الْحَمَى
حَرَكَاتُ الْحُسْنِ فِي أُعْطَافِهِ
أَهْ مِنْ عَيْنٍ بِهِ دَامِيَّةٌ
كُلَّمَا لَامَ عَلَيْهِ عَاذِلٌ
لَا سَمَتْ بِي عُقُودَةٌ مِنْ هَاشِمٍ
إِنْ أَخَافَتْنِي الْقَنَا مِنْ دُونِهِ
لَأَقِيمَنَّ عَلَى رُغْمِ النَّوَى
كَمْ لَطَرَفِي فِي الْكَرَى مِنْ رِقْبَةٍ
أَتَرَى آسَادَهُ فِي وَهْنٍ
أَهْ مِنْ عَسَجَدٍ شِعْرِ صُغْتُهُ
لَوْ رَأَى قَيْصَرَ مِنْهُ مَا رَأَوَا

قَدْ أُعِيدَتْ بِالتَّنَائِي سَبَجَا^(١)
وَعَفَافاً بِالْغَرَامِ امْتَزَجَا
إِنَّمَا أَشْتَاقُ بَدْرًا غَنَجَا^(٢)
يَسْتَمِيلُ اللَّبَّ عَنْ أَهْلِ الْحِجَى^(٣)
وَهِيَ فِي الدَّمْعِ تَخَوُّضُ اللَّجَجَا^(٤)
وَجَدَ الْمَسْمَعَ بَاباً مُرْتَجَا^(٥)
وَبِخَالٍ بِالْمَعَالِي وَشَجَا^(٦)
بِعَوَالِيهَا حَسِينَا سُرْجَا^(٧)
مَنْسَمِ الْحَبِّ وَأَعْلُو الثَّبَجَا^(٨)
لِيَرَى لِلطَّرْفِ فِيهِ مَنْهَجَا^(٩)
مِنْ سُهَادٍ ظِلٍّ فِيهِ مُدْلَجَا^(١٠)
وَأَرَاهُ فِي الْهَوَى قَدْ سَمُجَا^(١١)
صَاغَ مِنْهُ لِمُلُوكٍ دُمْلَجَا^(١٢)

ولم يشتغل رحمه الله بالتأليف مع أنه أهل له، ولو وجّه نفسه إليه لجاء بما يعجز عنه غيره. ولعلّ السبب في ذلك محبته للخمول حيّاً وميتاً. وكتب من نفائس الكتب بخطه شيئاً كثيراً. وكنت أعجب من سرعة ما يتحصل له من ذلك مع شغلته

(١) السَّبَجُ: خَرَزٌ أَسْوَدُ.

(٢) الأفنان: الأغصان، الواحد: فَنَنْ. الغنج: الذي يدلُّ على محبوبه يتكسر وملاحة.

(٣) الأعطاف: جمع العطف: جانب الجسد من الرأس إلى الورك. اللب، والحجى: العقل.

(٤) اللجج: جمع اللجة: معظم البحر، وتردّد أواجه.

(٥) المرتج: المقلّ.

(٦) العقوّة: الموضع المتسع أمام الدار، أو المحلة، أو حولهما. وشج الشيء وشجاً، ووشيجاً: تداخل وتشابك والتف.

(٧) العوالي: جمع العالية: النصف الذي يلي السنان من القناة. السرج: جمع السراج: المصباح.

(٨) النوى: البعد. النج: وسط الشيء إذا تجمع وبرز، ومنه: تَبَجُّ البحر، وشج الأكمة.

(٩) الكرى: النوم. المنهج: الطريق.

(١٠) الوهن: العجز والضعف. الشهاد: السهر وامتناع النوم. المدلج: من أدلج الرجل: سار في آخر الليل.

(١١) العسجد: الذهب. سمج الشيء: قَبَحَ.

(١٢) الدملج، والدملوج: سوارٍ يحيط بالعضد.

بالتدريس، فسألته بعض الأيام عن هذا فقال: إنه لا يترك النسخ يوماً واحداً، وإذا عرض ما يمنع فعل من النسخ شيئاً يسيراً ولو سطرراً أو سطرين، فلزمت قاعدته هذه فرأيت في ذلك منفعةً عظيمةً. وكان له رحمه الله ميل إلى السيد العلامة أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق، وخرج معه من صنعاء إلى وصاب أيام وقوع الحرب بينه وبين الإمام المهدي العباس بن الحسين، وانتفع بصحته. وكان يعينه على أمور دنياه. وكان له لطائف وظرائف وكلمات مستحسنة، منها أنه كان بعض أبناء الأكابر يتصل به ويقرأ عليه ويديم الجلوس معه وهو فائق الجمال بديع الأوصاف، فتزوج وانقطع عنه فقيل له في ذلك، فقال: انصرف ندمان لوجود ندمانة، فتمت له الإشارة إلى الواقع مع مراعاة التوجيه بالقاعدة النحوية على أحسن أسلوب. ولم يزل رحمه الله مستمراً على حاله الجميل حتى توفاه الله في اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان سنة ١٢٠٧ سبعمائتين وألف، ورثته بقصيدة مطلعها: [من الكامل]

هَبْ أَنْ بَدَرَ الأفق يوماً يَأْفُلُ أو أَنَّهُ يَهْوِي السَّمَاءُ الْأَعَزْلُ^(١)

٢٩٥

(السيد علي بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن صلاح الأمير)^(٢)

حفيد السيد مُحَمَّد صاحب التصانيف الآتي إن شاء الله. ولد شهر ذي القعدة سنة ١١٧١ إحدى وسبعين ومائة وألف، وقرأ في العربية والحديث، واستفاد في أسرع مدة، مع أنه لم يشتغل كثيراً، ولكنه مفرط الذكاء سريع الفهم قوي الإدراك جيد الفطنة، يتوقد ذكاءً، فصيح العبارة فائق النظم والنثر، وله مصنفات منها: (السُرُّ المصون في نكتة الإظهار والإضمار في أكثر الناس وأكثرهم لا يعلمون)، و(رسالة في تحريم تحلية السلاح بالذهب)، و(تأنيس أرباب الصفا في مولد المصطفى)، و(كتاب النفحات الربانية واللمحات الرحمانية في إحراز ذخائر الصلوات بإبراز ضمائر الصلوات)، و(الفتح الإلهي بتنبية اللاهي)، وكلها حسنة. وحجّ مرات، وتردّد ما بين صنعاء ومكة، ومال إلى الأدب، ونظم القصائد الطنانة والمقاطيع الحسنة، وأكثر من ذلك، واشتهرت أشعاره، وطار في الأقطار اليمنية، واشتغل بها الناس وكتبوها وحفظوها، وكان يكثر من مطارحة الأدباء ومجالستهم ومجاذبتهم للطوائف وفنون الأدب. ثم انجمع وترك الشعر، والتفت إلى العبادة والأذكار والوعظ والتعليم العامة

(١) يَأْفُلُ: يغيبُ. السَّمَاءُ الْأَعَزْلُ: نجم تَبَرُّ يطلع في الجنوب، يقابله السَّمَاءُ الرَّامِحُ في الشمال.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/٧؛ نيل الوطر: ١١٠/٢؛ هدية العارفين: ١/٧٧٤؛ إيضاح المكنون: ٢/٦٦٤؛ الأعلام: ٤/٢٥٢.

أُمور الدين، فعقد مجالس بجامع صنعاء وبغيره من مساجدها، وبجامع الروضة. وكان يجتمع عليه جمعٌ جمٌ. ورغب الناس إليه وأقبلوا على وعظه، وكان ينحدر عندما يتكلم عن الناس من أول المجلس إلى آخره، لا يتلثم في عبارة، ولا يتردد في لفظ، كأنه يملي من كتاب، ويستطرد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويسرد من ذلك شيئاً كثيراً بعبارة حسنة ومسالك مستحسنة. وجمع مجاميع حسنة منها: رسالة في تفسير ألفاظ الأذان، وأخرى في تحريم التحلي بالذهب، وله من ذلك أشياء نفيسة. وله فصاحة وبراعة وقوة نفس وعفة وإنكار للمنكر بما يستطيعه وتبلغ إليه قدرته، وكثيراً ما يصل إليّ إذا حدث شيء من ذلك، ولا يزال حتى أساعده على القيام في دفع ذلك الحادث. وأحواله كلها حسنة. وله في الذب عن الغيبة والنميمة غاية كاملة لا يدع أحداً يذكر أحداً بسوء في مجلسه. وله أذكار وصبر على تعليم العامة ما يهّمهم من أمر دينهم. وهو الآن مُستمرٌّ على هذه الأحوال الجميلة، وللناس به انتفاع كثير، ومع هذا فلم يسلم من المنافسة له والمبالغة في الحطّ عليه والتظهر بثّلّه، وهو صابر محتسب. وقد كتب إليّ أبياتاً بعد تركه لنظم الشعر وهي: [من الرمل]

طَبُلُ شَيْطَانِي وَمِزْمَارُ الْهَوَى ضَرَبَا وَالنَّفْسُ بَاتَتْ تَرْقُصُ
وَرِيَاضُ الْقَلْبِ قَدْ أَهْمَلَهَا عَدِمَ التَّقْوَى فَبَاتَتْ تَنْقُصُ
أَعْرَبُ الْلفْظِ بِقُرْآنِي وَكَمْ أَلْحَنُ الْمَعْنَى فَهَلْ لِي مَخْلَصُ
يَا لَقُومِي لِمَ أَجْدُ مُحْتَسِباً فاضلاً عَنْ مُنْكَرَاتِي يَفْحَصُ^(١)
فَعَسَى رَبِّي بِجَاهِ الْمُضْطَفَى يُذْهِبُ الدَّاءَ فَتَزُولُ الْغُصَصُ^(٢)

فأجبتُه عنه بقولي: [من الرمل]

قَدْ شَقَقْتُ الطَّبْلَ وَالْمِزْمَارَ مَا مِثْلُكَ الْيَوْمَ لِمَزْمَرٍ يَرْقُصُ
وَكَذَلِكَ النَّفْسَ قَدْ أَلْجَمْتُهَا بِلِجَامِ الزَّهْدِ وَهُوَ الْمَخْلَصُ^(٣)
أَنْتَ لَا تَفْحَصُ عَنْ عَيْبِ امْرِئٍ تَبَّ مَنْ ظَلَّ لِعَيْبٍ يَفْحَصُ^(٤)
فَرُضِ النَّفْسَ إِذَا زَادَ الْهَوَى فَهُوَ إِنْ مَا رُضْتُهَا يَنْتَقِصُ^(٥)
يَا لِحَالِ اللَّهِ أَنْسَأُ كُلَّمَا لَاحَ لِلْأَطْمَاعِ بَرْقُ بَصْبَصَا^(٦)

(١) يَفْحَصُ: يبحث ويُقْتَشُ.

(٢) الداء: الداء. الْغُصَصُ: جمع الْغُصَّة: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب.

(٣) لَجَمَ النفس: كفّها وزجرها.

(٤) تَبَّ فلان: هلك وخسر.

(٥) راض النفس: ذلّلها وكبح جماحها.

(٦) لَاح الشيء: بدا وظهر. بصبص الكلب: حرّك ذنبه طمعاً وملقاً، استعاره للإنسان.

وَإِذَا نَالَ الْفَتَى مَكْرُمَةً كَانَ مِنْ ذَاكَ لَدَيْهِمْ غَصَصٌ
وهو الآن ما بين الأربعين والخمسين من عمره، دامت فوائده. ثم (مات) رحمه
الله في شهر ذي الحجة سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف. (ووالد المترجم له)
هو من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء، جامع بين الشريعة والطريقة، عارف بفنون من
العلم لا سيما الحديث والتفسير. وله في التصوف والتسليك يدٌ طولى. قرأ على والده
وعلى غيره، وأقرأ في جامع صنعاء في صحيح البخاري وغيره، وله في الوعظ يد
طولى، وقد قعد لذلك في موطن، فانتفع به الناس. ثم رحل إلى مكة واستوطنها
بسبب أمور جرت له مشتملة على امتحانات. وهو الآن مقيم هنالك، وقد رغب عن
الرجوع إلى اليمن. وهو وافر الجاه عند أهلها عظيم الحرمة رفيع الدرجة. وصار
هنالك مأوى لمن دخل مكة للحج من أعيان أهل اليمن. وقد كتب إليّ كتاباً يتضمن
المعاهدة، ولم يكن قد عرفني قبل ارتحاله إلى هنالك، لأنني كنتُ إذ ذاك في أيام
الصغر، وأنا رأيته مرة واحدة يصلي بالناس في بعض المساجد بصنعاء فسمعت قراءة
فائقة بصوت مطرب مع هيئة جميلة وشيبة منورة. وله مصنفات في الوعظ والرقائق
والتصوف، وهي مشحونة بالفصاحة والبلاغة. وهو كان يستحق إفراجه بترجمة ولكن
اكتفيت بذكره ههنا. (ومات) ثاني عشر شوال سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف،
ومولده سنة ١١٤١ إحدى وأربعين ومائة وألف. ومن مصنفاته (الملك المشحون شرح
أسماء من يقول للشيء كن فيكون)، شرح للأربعين الجوهريّة. وله تفسير غريب
الأسلوب سمّاه (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن)، كتب منه مجلداً ضخماً.
وجمع مجموعاً في ترجمة والده ذكر فيه مؤلفاته وشيوخه وتلامذته وقد وقفت على
جميع ذلك، وولده (يوسف بن إبراهيم) ساكن عنده هنالك، وهو من المشتغلين
بالعلم والزهد وسلوك طريق الخير والعبادة والاشتغال بأمر الآخرة. وله في الأدب
مُسَرِّحٌ قويٌّ. وهو أصغر من أخيه عليّ المُتَرْجِم له. وقد خرج إلى صنعاء، وسمعت
تلاوته، وهي تلاوة فائقة بنغمات رائقة. ورأيتُه يقرأ على عمّه عبد الله بن مُحَمَّد
المتقدم ذكره في مدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء، في صحيح البخاري^(١).

٢٩٦

(عليّ بن أحمد بن راجح بن سعيد)

وزير الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم. كان من محاسن الدهر في الكرم

(١) توفي يوسف بن إبراهيم ليلة الثلاثاء، لستّ بقين من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م.
وكانت ولادته سادس عشر ذي الحجة سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م.

والرياسة والكياسة، وله ولأخيه مُحسن بن أحمد رَاجِح قصص في الكرم يتناقلها الناس إلى الآن، ويضربون بها الأمثال. ولشعراء عصرهما فيهما غُرر الممادح. وكانا مُستولين على المنصور بالله لا يعمل، إلّا بما قالاه، ولا سيما صاحب الترجمة، فهو الوزير الأعظم الذي لا يقع في المملكة شيء إلّا بإذنه ومفاوضته. واستمر كذلك مدة خلافة المنصور. وكان ملازماً له قبل الخلافة. ولما مات المنصور، وقام بعده الإمام المهدي نكب صاحب الترجمة وأخاه المذكورين، وأخذ من أموالهما شيئاً كثيراً. فأما صاحب الترجمة (فمات) بعد ذلك بأيام يسيرة في سنة ١١٦٣ ثلاث وستين ومائة وألف، فبقي لورثته دنيا واسعة، ووقف ثلث تركته على العلماء والمحاويج، وهو جمهور واسع، وصارت الآن صدقة جارية على المستحقين يحصل منها في كل عام شيء واسع. وأما أخوه فتأخر موته إلى سنة ١١٧٣ ثلاث وسبعين ومائة وألف.

(٢٩٧)

(علي بن أحمد بن سعيد بن مُحَمَّد) ابن سعيد بن الأثير الحلبي الأصل المِصْرِي

ولد في حدود الثمانين وستمائة، وتعانى الخدم الديوانية، وكان أبوه من الأعيان الموقّعين. وباشر الديوان وكتب الإنشاء، فلما توجه الناصر إلى الكرك توجه صحبته، ووعده بكتابة السرّ، فلما قدم الناصر القاهرة قدّم له علاء الدين خلوى بمائة وعشرين درهماً باع لأجل شرائها بعض متاعه، فلما وصلت الهدية إلى الناصر تذكره وقال لدويده: اكتب إلى مُحبي الدين بن فضل الله يكتب إلى أخيه شهاب الدين دستوراً إلى الشام، فإنني أستحي أن أواجهه بذلك، فكتب مُحبي الدين إلى أخيه فلم يلتفت إليه، فلما بلغ السلطان ذلك لم يجد بداً أن يفصح له بالأمر، فرسم له أن يستقيم في كتابة السرّ بدمشق عوضاً عن أخيه، فخرج من القاهرة إلى دمشق واستقرّ صاحب الترجمة مكانه، فعظمه السلطان وأكرمه ونوّه بقدره، وبلغ عنده ما لم يبلغه غيره حتى كان يأمره أن يكتب إلى نواب الشام بأشياء يأمرهم بها عن نفسه، فعظم قدره جداً، وباشر الوظيفة مباشرة جيدة، وكان يركب في ستة عشر مملوكاً من الأتراك كل واحد منهم قيمته أكثر من خمسمائة دينار. وكانوا يقومون بالديوان سباطين ولا يتكلم مع أحد منهم إلّا بالتركية، وهم يترجمون عنه للناس. وكان يكتب خطاً قوياً منسوباً، وله اقتدار على إصلاح اللفظة وإبرازها من صورة إلى صورة. وما كان يخرج من الديوان كتاب حتى يتأمله، ولا بد أن يزيد فيه شيئاً. وقد مدحه شعراء عصره كالشهاب مَحْمُود، وابن نباتة، وغيرهما. ولم يزل في سعاده إلى أن حصل له مبادئ فالج، ثم تزايد به وظهر ذلك للسلطان فصبر عليه إلى أن أراد يوماً أن يقوم من بين يديه فسقطت

الدواة من يده، فتألم له السلطان وقال للدويدار: اكتب إلى نائب الشام فليجهز لنا القاضي مُحبي الدين بن فَضْل الله، وأرسل علاء الدين أن ينزل إلى بيته فتغافل عن ذلك، ولزم الديوان مريضاً إلى أن وصل مُحبي الدين، فحضر إليه الدويدار وقال له: انزل بيتك فقد وصل صاحب الوظيفة، فنزل في أوائل المحرم وعالجه الأطباء فلم ينجع بل تزايد إلى أن صار لا يتحرك منه شيء أصلاً إلا جفونه، فكان إذا أراد شيئاً قرأ له خادمه حروف المعجم، فإذا مر بحرف هو أول الكلمة أطبق جفنه ثم يعود إلى أن يتحصل له كلمة بعد كلمة فيعرف منها مراده. ولم يطل ذلك بل (مات) في منتصف المحرم سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة. قال ابن حبيب: ماجدٌ ساد عصره بوجوده على الأعصار، وكان يتلطف لذوي الحاجات، ويفتح لهم أبواب الخير. ومن مدح ابن نباتة فيه: [من الخفيف]

لا عَدِمْنَا لِبْنِ الْأَثِيرِ رِاعاً جَارِياً لِلْعَبَادِ بِالْأَرْزَاقِ^(١)
كُلَّمَا مَاسَ فِي الْمَهَارِقِ كَالْغُصْرِ مِنْ رَأَيْتِ النَّدى عَلَى الْأَوْرَاقِ^(٢)

٢٩٨

(عَلِيّ بن أحمد هَاجِر الصَّنْعَانِي)

ولد تقريباً سنة ١١٨٠ ثمانين ومائة وألف، وقرأ في العلوم الآلية قراءة متقنة، وفهمها فهماً جيداً، وفاق كثيراً من الطلبة في فهم الدقائق والنكات اللطيفة. وله قراءة عليّ في علم المنطق في مدة سابقة، وهو يفهمه فهماً بديعاً، ويتقنه اتقاناً عجيباً. وله قراءة عليّ أيضاً في الكشاف والمطوّل، وفي شرحي على المُنْتَقَى، وفي كثير من كتب السنّة. وهو قويّ الفهم جيد الإدراك صحيح التصوّر، قلّ أن يُوجد نظيره مع صلابة في الدين، واشتغال بخاصة النفس، وصدق لهجة. وهو الآن من محاسن المشتغلين بالعلم في هذا العصر^(٣).

٢٩٩

(السيد عَلِيّ بن أحمد بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن المَهْدِي أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القَاسِم بن مُحَمَّد)^(٤)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف أو قبلها ببسبر، ونشأ بصنعاء، وقرأ على والده وغيره من أعيان علمائها، وبرع في علوم عدة لا سيّما علم الأدب فإنّ له

(١) اليراع: القلم. (٢) المهاريق: الصحائف.

(٣) توفي رابع شهر رجب سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م.

(٤) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٢٥؛ نيل الوتر: ٢/ ١٢٠.

فيه يداً طولى، ونظمه كثير جداً موجود بأيدي الناس، وكثير منه في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. ولما مات والده وكان المتولي لأمر آل إسحاق قام ولده هذا مقامه، وصار له جلال وسياسة ضخمة، وظهر من كرمه ما هو ظاهر مشهور. وكان موقفه محفوفاً بأعيان العلماء والأدباء، معموراً بالمسائل العلمية واللطائف الأدبية. واستمر على ذلك أياماً ثم قر من صنعاء في الليل مغاضباً لخليفة العصر مولانا المنصور بالله علي بن العباس حفظه الله، واستقر ببلاد أرحب، وقام بنصره أهل تلك الجهة فارتجت الديار اليمينية لذلك. ثم إن الخليفة حفظه الله بعث أميراً من أمرائه وهو الأمير سرور المنصور لمناصرة صاحب الترجمة، ف وقعت بينهما حروب، وآخر الأمر وقع صلح على أن يبقى هنالك بجيش، وينوب عنه في تولي أمور آل إسحاق آخر، ويصير إليه ما كان له، ثم انتقض ذلك، واتفق خروج بعض أهل البغي من برط على البلاد الإمامية، فخرج صاحب الترجمة معهم، وكان يتألم لما يصدر منهم من سفك الدماء وهتك الحرم. ووصلوا أولاً إلى حدة النزعة التي قريب صنعاء واستقروا أياماً، فخرج إليه الخليفة حفظه الله، وتقدمت طائفة من جنوده فيهم ولده مولانا صفي الإسلام أحمد ابن الإمام حمى الله، و وقعت حروب شديدة انجلت عن قتل الفقيه عبد الله بن أحمد النهمي، وكان أحد الوزراء، وعن قتل الأمير ناجي، وجماعة من الجند. وظهرت من مولانا الصفّي شجاعة وبراعة وكثر الثناء عليه. ثم عزم ذلك الجيش وفيهم صاحب الترجمة إلى اليمن الأسفل، وجرى الصلح ما بينه وبين الخليفة حفظه الله على يد الوزير الحسن بن عليّ حش المتقدم ذكره، فوصل صاحب الترجمة إلى صنعاء واستقر ببيته موسعاً عليه بجميع ما يحتاج إليه. وأما تولية أمور آل إسحاق فقد صارت إلى عمه العباس محمد بن إسحاق، واستمر على ذلك أياماً يفد إليه العلماء والفضلاء ويطارح الأدباء. واستأذن بأن يسكن في الروضة فأذن له. ثم بعد ذلك جرت أمور الله أعلم بصحتها، فأودعه الخليفة حفظه الله السجن، وهو إلى حالة تحرير هذه الأحرف شهر شوال سنة (١٢١٣) باقٍ كذلك فرج الله عنه. وله من حسن الخلق ولطف الطبع وكرم الشيم والمحبة لأهل العلم والفضل وفصاحة اللسان وقوة الحفظ وسرعة الإدراك ما لا يعبر عنه بوصف. ثم أطلق، وتوفي في سنة ١٢٢٠ عشرين ومائتين وألف.

(٣٠٠)

(السيد علي بن أحمد المعروف بابن معصوم)^(١)

قد تقدمت ترجمة والده. وولد هذا في المدينة، ودخل بلاد الهند، وله مؤلفات

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/٧٦٣؛ إيضاح المكنون: ١/١٤٤؛ معجم المؤلفين: ٧/٢٨؛
الأعلام: ٤/٢٥٨.

منها: (سلافة العصر) ترجم فيها لأدباء المائة الحادية عشرة ولم أقف عليه. وله البديعية الموسومة (بتقديم عليّ) عارض بهذه التسمية بديعية أبي بكر بن حجة لأنه سمّاها (تقديم أبي بكر)^(١)، وكلّ واحد تمّت له التورية في التسمية، وله نظم حسن منه: [من الكامل]

لَيْسَ احْمَرًا لِحَاضِهِ مِنْ عِلَّةٍ لَكِنْ دُمُ الْقَتْلَى عَلَى الْأَسْيَافِ
قَالُوا تَشَابَهَ طَرْفُهُ وَبَنَانُهُ وَمِنْ الْبَدِيعِ تَشَابُهُ الْأَطْرَافِ
وله: [من الوافر]

بَدَا بَذْرًا وَلَاخَ لَنَا هِلَالًا وَأَشْرَقَ كَوُكَبًا وَاهْتَزَّ غُضْنَا
وَتَنَّى قَدَّهُ الْحَسَنَ ارْتِيَا حَا فَهَامَ الْقَلْبُ بِالْحَسَنِ الْمُثَنَّى
وهو إمامي المذهب، ولم أقف على تاريخ وفاته^(٢).

٣٠١

(عليّ بن أحمد بن مُحَمَّد الملقب علاء الدين الحَنَفِي الرُّومِي)^(٣)

قرأ في صغره على حَمَزَة الْقَرْمَانِيّ، وحفظ مختصر القُدوريّ، ثم أتى قسطنطينية، وقرأ على الْمُلا خِشْرُو، وعلى مُصْلِح الدين بن حُسَام الدين العلوم العقلية والشرعية، ثم صار معيداً لدرسه، ثم تزوج بابنته، وحصل له منها أولاد. أعطاه السلطان مُحَمَّد خان ملك الروم المدرسة الحجرية، وعيّن له كلّ يوم ثلاثين درهماً، وأعطاه خمسة آلاف درهم. ولما صار مُحَمَّد باشا القرماني وزيراً للسلطان نقله من تلك المدرسة إلى مدرسة أخرى، ونقص من تقريره اليومي خمسة دراهم، فاشمأز صاحب الترجمة، وترك التدريس، واتصل بالشيخ العارف مُصْلِح الدين بن الوفاء، ثم مات السلطان مُحَمَّد خان، وقُتِل الوزير المذكور، وجلس السلطان بايزيد خان على سرير السلطنة، فأرسل إلى صاحب الترجمة الوزراء ودعاه إليه فلم يجب. ثم أرسل إليه مرسوماً بتفويضه في الفتوى في بلد أماسية، وعيّن له كلّ يوم ثلاثين درهماً، وأمره أن يدرّس بمدرسة السلطان مُراد الغازي بمدينة بروسا، فلم يقبل التدريس، وسار إلى أماسية لزيارة ابن عمّه. ثم أعطاه السلطان مدرسة، وعيّن له كلّ يوم خمسين درهماً،

(١) ويعرف هذا الكتاب بـ«خزانة الأدب وغاية الأرب».

(٢) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: وُلِدَ سنة ١٠٥٢هـ / ١٦٤٢م، وتوفي سنة ١١١٩هـ / ١٧٠٧م.

(٣) ترجمته في: الأعلام: ٢٥٨/٤؛ شذرات الذهب: ١٨٤/٨؛ كشف الظنون: ١٦٢٤؛ هدية العارفين: ٧٤٢/١؛ معجم المؤلفين: ٢٥/٧.

ثم أعطاه إحدى المدارس الثماني فدرّس هنالك مدة كثيرة. ثم توجه للحج فلم يتيسّر له تلك السنة، وبقي بمصر. واتفق أنه تُوفي مفتي قسطنطينية فعينه السلطان للإفتاء بها، وأمر من ينوب عنه حتى يعود. فلما عاد باشر الإفتاء، وعيّن له السلطان كل يوم مائة درهم، وعيّن له مدرسة، وجعل له خمسين درهماً في كل يوم. فصار مقرره كل يوم مائة وخمسين درهماً، فحسده على ذلك بعض العلماء، فجمع بعض فتاويه وقال: إنه أخطأ فيها وأرسلها إلى ديوان السلطان، فأرسلها الوزراء إلى صاحب الترجمة فأجاب عنها، ودعا على ذلك الحاسد فمات قبل أن يمرّ عليه أسبوع. كان كثير التلاوة والعبادة مديماً لصلاة الجماعات حسن الأخلاق كريم النفس. وكان يقعد في علو داره والزنبيل معلق فيلقى المستفتي الورقة فيه، ويحركه فيجذبه ويكتب جوابه ثم يديه إليه. وإنما فعل كذلك لئلا ينتظر الناس ببابه للفتوى. فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، واستمرّ على ذلك إلى زمان السلطان سليم خان، فاتفق أنه أمر بقتل مائة وخمسين رجلاً من حفاظ الخزائن، فبلغ صاحب الترجمة [ذلك]، فذهب إلى ديوان السلطان، ولم يكن من عادة المفتي أن يذهب إلى هنالك، إلّا لحادث عظيم، فتحيّر أهل الديوان، واستقبله الوزراء وأجلسوه في صدر المجلس، ثم سألوه عن سبب مجيئه فقال: أريد أن ألقى السلطان ولي معه كلام، فبلغوا ذلك فأذن له السلطان، فدخل وسلّم وجلس، ثم قال: وظيفة أرباب الفتوى أن يحفظوا آخرة السلطان، وقد سمعت أنك قد أمرت بقتل مائة وخمسين رجلاً لا يجوز قتلهم شرعاً، فغضب السلطان وقال: إنك تتعرّض لأمر السلطنة، وليس ذلك من وظيفتك، فقال: بل أتعرّض لأمر آخرتك، وإنه من وظيفتي، فإن عفوت فلك النجاة، وإلّا كانت عليك العقوبة العظيمة. فانكسرت عند ذلك سورة السلطان وعفا عن الكلّ، فقال: تكلمت في آخرتك وبقي لي كلام يتعلق بالمروءة، قال السلطان: ما هو؟ قال: إنّ هؤلاء من عبيد السلطان فهل يليق لهم أن يتكفّفوا الناس؟ قال: لا، قال: فقرّهم في منصبهم، ففعل السلطان ذلك. ثم اتفقت قضية أخرى وهي أنّ السلطان المذكور سافر إلى بعض مدنه وصاحب الترجمة معه، فاتفق أنه رأى أربعمئة رجل في الطريق مشدودين بالحبال فسأل عن حالهم فقالوا: إنهم خالفوا أمر السلطان فاشتروا التحرير، وقد كان منع السلطان ذلك، فذهب إلى السلطان وهو راكب فكلّمه وقال: لا يحلّ قتلهم لغضب السلطان. وقال: أيها المولى أما يحلّ لي قتل ثلث العالم لنظام الباقي، قال: نعم ولكن إذا أدى إلى خلل عظيم. قال السلطان: وأي خلل أعظم من مخالفة الأمر؟ قال: هؤلاء لم يخالفوا أمرك لأنك نصبت الأمناء على التحرير، وهذا إذن بطريق الدلالة. قال السلطان: ليس أمور السلطنة من وظيفتك. قال: إنه من أمور الآخرة،

وإنَّ التعرُّض من وظيفتي، ثم فارقه ولم يسلم عليه. فحصل للسلطان غضبٌ عظيم حتى وقف على فرسه زماناً كثيراً والناس واقفون قدَّامه وخلفه متحيرين من ذلك الأمر، ثم إنَّ السلطان عفا عن الكلّ. ثم لما وصل إلى مقصده أرسل لصاحب الترجمة أميراً وقال: قل له إني قد أعطيته قضاء العسكر إلى وظيفة الإفتاء والتدريس، وإني علمت أنه يتكلم بالحق، فأجاب عليه مع الأمير بما نصه: وصل إليّ كتابك سلّمك الله وأبقاك تأمرني فيه بالقضاء، وأني ممثّل أمرك إلا أنّ لي مع الله عهداً أن لا يصدر عني لفظ «حكمت»، فأحبه السلطان محبةً شديدةً وزاد في تعظيمه، وأرسل إليه خمسمائة دينار قبلها. ثم إن السلطان المتولي للسلطنة بعد سليم زاده في مُقرّره خمسين درهماً فصار مجموع تقريره اليومي مائتي درهم. وقد صنف كتاباً جمع فيه مختارات المسائل وسمّاه (المختار). ومات في سنة ٩٣٢ اثنتين وثلاثين وتسعمائة.

(٣٠٢)

(عليّ بن إسماعيل بن حسن بن هادي النهمي)

ثم الصنعاني. مولده سنة ١١٧٠ سبعين ومائة وألف، ونشأ بصنعاء، وقرأ على علمائها كشيخنا العلامة الحسن بن إسماعيل المغربي، والقاضي العلامة أحمد بن محمد قاطن، وغيرهما. وهو بارع الذكاء فائق الذهن جيد الإدراك حسن الأخلاق كريم الصحبة، وله شغلة كبيرة بالعلوم العقلية والنقلية، وقد استفاد بفاضل ذهنه الوقاد من غريب المسائل عجائب. وله ميل إلى الأدلة، وعمل بما يصحّ منها، وعدم التفات إلى محض الرأي وله قوة في المباحثة والتصرفات الذهنية والاستنباطات العجيبة، ولو دام على الاشتغال لفاق في كثير من أنواع المعارف، ولكنه لا يفارق المطالعة ويستفيد منها ويفيد. وله شعر يمدح به خليفة العصر مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله، وهو جيد في الغالب، ويضمنه معاني دقيقة نفيسة، وله قدرة على المشي مع كلّ جنس بما يليق به، وإقبال على معالي الأمور، ورغبة في الشرف. وهو الآن حيّ عافاه الله. ثم (مات) رحمه الله أظنه سنة ١٢٣٢ اثنتين وثلاثين ومائتين وألف.

(٣٠٣)

(السيد عليّ بن إسماعيل بن عليّ بن القاسم ابن أحمد ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن القاسم بن محمد)

ولد سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف بشهارة، ونشأ بها، وقرأ في العلوم

الأدبية والفقه، ومن جملة مشايخه شيخنا السيد العلامة علي بن إبراهيم المتقدم ذكره، والشيخ العلامة ناصر بن الحسين المحشي، والقاضي العلامة مُحسن بن أحمد الشامي ثم الشهاري. وبرع في الأدب، وصار يكتب القصيدة في الوقت الحقيق مع ما في شعره من الانسجام والسهولة والمعاني الفائقة. وقد جمعه في سفينة بعث بها إليّ، وطالعت بعض ما فيها ولم يتيسر لي النقل منها. ولما أرجعتها إليه كتبت إليه هذه الأبيات: [من السريع]

بَعَثْتَ نَحْوِي زَادَكَ اللَّهُ مِنْ تَيَّارَكَ الْعَذْبِ بِدُرِّ الْقَرِيضِ^(١)
 سَرَحْتُ طَرْفِي مِنْهُ فِي جَنَّةٍ لَمْ يَحْكِكْهَا فِي الْحُسْنِ رَوْضُ أَرِيضِ^(٢)
 نَظَّمْتُ مَا يَقْصُرُ عَنْ شَأْوِهِ مِنْ خَيْرَةِ الْقَوْلِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ
 قَدِمْتُ تُحِي لِلْعُلَى مَرَبَعًا فَمَرَبَعُ الْعُلَى كَسِيرٌ مَهِيضُ^(٣)

فأجاب بأبيات لم أحفظها. وهو من أكابر آل الإمام، وله رئاسة كبيرة في تلك الديار، ويفد إلى صنعاء في الأربعة الخمسة الأعوام مرة. واجتمعت به في وفوده في سنة (١٢٠٨)، وكان لنا في كل أسبوع يوم نجتمع فيه، وهو يوم الأربعاء من بعد الظهر إلى آخر الليل. وجرت بيني وبينه مطارحات أدبية في فنون. من ذلك أنه كتب أبياتاً مضمونها أنه لما عقد هذا الاجتماع في يوم الأربعاء زال عنه ما يوصف به من النحاسة، وأنه صار بذلك أسعد الأيام وأبركها، وله في ذلك نظم بديع. وكان إذا وقع التراخي من بعض من يضمه ذلك المجلس كتب إليه أنه إذا لم يصل وقع الرجوع عن تقرير سعادة يوم الأربعاء. وهو حسن المحاضرة لا يملّ جلسه لما يُورده من الأخبار والأشعار والظرائف واللطائف والمباحثات العلمية والاستفادة فيما لم يكن لديه منها، وتحرير الأسئلة الحسنة. وقد كتب إليّ من ذلك شيئاً كثيراً، وأجبت عليه برسائل هي في مجموع رسائله. وله حرص على الفوائد وهمة في تقييد الشوارد. وله من علوّ الهمة وشرف النفس حظّ وافر. ولما رحل من صنعاء إلى وطنه مدينة شهارة كتب إليّ من هناك: [من الطويل]

أَشَارْتُ إِلَى عَهْدِ اللَّقَا بِالْحَوَاجِبِ وَمَا كُنْتُ عَنْ ذِكْرِهِ مُهْمِلَ وَاجِبِ
 سَلِي إِنْ شَكَّكَ الْحَالُ قَلْبِكَ إِذْ عَدَا يُنَاجِيهِ قَلْبِي هَلْ رَأَى غَيْرَ وَاجِبِ
 وَعَنْ أَرْقِي لَا تَسْأَلِي غَيْرَ عَارِفٍ وَأَعْرِفُ شَيْءٍ فِيهِ زُهْرُ الْكَوَاقِبِ^(٤)
 أَبَيْتُ أُرَاعِيهَا فَمَا بَيْنَ طَالِعٍ أَدِيرُ لَهُ طَرْفِي وَمَا بَيْنَ غَارِبِ

(١) القريض: الشعْرُ.

(٢) رَوْضُ أَرِيض: كثير النبت.

(٣) مَهِيضُ: مكسور.

(٤) الزُّهْرُ: المتألّفة.

وَتَعْرَبُ جِيالاً بَعْدَ جِيلٍ فَلَا أَرَى
يُقِيمُ لِمَنْ لَا يَطْرُقُ النَّوْمُ جَفْنُهُ
أَعْلِيَاءَ لَوْلَا أَنَّ سُكْنَاكَ مُهْجَتِي
بَلَى إِنَّ نَارَ الْبُعْدِ أَذْهَبَتِ الْحَشَا
عَسَى أَنْ يَرِقَّ الْقَلْبُ مِنْهَا لِرَقَّتِي
فَتَبِعْتَ لِي حَتَّى مَعَ الرِّيحِ يَا لَهَا التَّحِ
كَمْ ثَلِي مَا هَبَّ النَّسِيمُ وَلَا حَدَثٌ
وَلَمْ أَمِلْ تَسْلِيمِي وَأَشْهَدُ أَدْمُعِي
سَلَاماً لِنَشْرِ الرُّوضِ يَنْفُحُ عَرْفُهُ

سِوَى الْقُطْبِ أَوْفَى مِنْ سَمِيرٍ لِصَاحِبِ^(١)
فَقَلْبِي مِغْنَاطِيْسُهُ فِي التَّجَاذِبِ
لَمَّا عَذَّبْتُ لِي بَعْدَ بُعْدِي مَشَارِبِي
فَهَلْ فِي الْقَتِيلِ الطَّالِبِي مِنْ مُطَالِبِ
وَيَرْفُقُ بِي فَالْرَفْقُ فَعَلُ الْأَطَايِبِ
يَةِ وَالْبُشْرَى بِنَيْلِ مَآرِبِي^(٢)
حُدَاةً إِلَى أَوْطَانِهَا بِالرَّكَابِ
عَلَى وَصْبٍ مَنِّي لِصَبْرِي مُغَالِبِ^(٣)
ذَكِيّاً بِمَسْكِ ثُبَّتِي مُصَاحِبِ^(٤)

سلام أرق من النسيم إذا هب، وأذكى من العبير والعنبر الأشهب، يختص من هو المراد وإن موه النظام، ويهdy إلى من هو المرام، وإن احتملت العبارة سواء فما سواء المرام، القاضي الفاضل الناسك، والسالك بلا نكير أحسن المسالك، العالم الرباني، البدر محمد بن علي الشوكاني، حفظه الله وأحلّه في رضاه أعلا المباني:

وَبَلَغَهُ الْمَأْمُولُ فِيمَا يَرُومُهُ
وَمَدَّ لَنَا فِي عُمُرِهِ فَهُوَ نِعْمَةٌ
وَسَاقٌ إِلَيْهِ مُتَحَفَاتِ الرِّغَايِبِ
تَعُمُّ وَأَوَّلَاهُ جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ

وإنها صدرت الأحرف الحفيرة للتحية وتجديد العهد، ومستمدة للدعاء كما هو مبذول معمول في وصوله على ربّ العباد:

وَتُنْبِيكَ عَنْ شَوْقٍ تَأَجَّجُ نَارُهُ
لِذِكْرِي لِيَالٍ كَانَ طَرْفِي بِوَصْلِكُمْ
فَلَلَّهُ فِينَا مَا يَشَاءُ وَمَا قَضَى
وَلَمْ يُطْفِئْهَا صَبُّ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ
قَرِيراً عَسَى لِلْوَصْلِ عَوْدَةُ غَايِبِ
مَضَى كَيْفَ شَاءَ وَاللَّهُ أَغْلَبُ غَالِبِ

وللتهنية لكم بما بلغ فبلغ الغاية عندي من المسرة، من الإعراس الحميد جعل الله لأعينكم فيه أعظم قرة، وبارك لك وعليك، وأصلح لك زوجك وشؤونك كلها، وساق ما شاء من برّه الهني إليك:

أَهْنِيكَ بِالْإِعْرَاسِ فَاحْمَدُ مُقَدَّرَا
لَكَ الْحَمْدُ مَا لَاحَتْ بَرُوقٌ وَمَا سَرَتْ
لِذَلِكَ وَاشْكُرْ يَا ابْنَ وَدِّي لَوَاهِبِ
نَجُومٌ وَمَا انْهَلَتْ دُمُوعُ السَّحَابِ

(١) السّمْيرُ: المُحَدَّثُ فِي اللَّيْلِ . (٢) المآرب: الحاجات .

(٣) الوصبُ: التعب .

(٤) العرفُ: الرائحة الطيبة . ثُبَّتِي: نسبة إلى بلاد التبت .

وَدُمْتَ عَلَى خَفْضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَافِعٍ
وَلَا زِلْتَ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ مُشْرِقاً
خِلَافَةُ مَوْلَانَا الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ
فَأَجِبْتُ بِقَوْلِي: [من الطويل]

أَيَا بَيْنُ كَمْ كَدَّرْتَ صَفْوَ الْمَشَارِبِ
وَيَا دَهْرُ كَمْ جَرَّعْتَنِي فَقَدْ صَاحِبِ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا جَنَّتُهُ يَدُ النَّوَى
أَحْنُ إِلَى وَضَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأُنْدَبُ دَهْرَ الْجَمْعِ بَعْدَ تَفَرُّقِ
فِيَا مَنْزِلَ اللَّقِيَاءِ صَافَحَكَ الْحَيَا
بِعَيْشِكَ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ بَعْدَ فُرْقَةٍ

وهي أبيات طويلة غير طائفة. وهو الآن عافاه الله حيي، ووالده كان شاعراً كثير الشعر رئيساً كبيراً، وشعره مجموع عند ولده المترجم له. ثم قدم صاحب الترجمة عافاه الله إلى صنعاء المحروسة في شهر رمضان سنة (١٢١٥)، وكان يحضر معنا في القراءة في ليالي رمضان بمنزلي، ويجري بيننا مطارحات أدبية ومذاكرات علمية، فمن ذلك أنه حضر في بعض الليالي أغصان زنبق قد تفتح نورها فقلت من يشبه هذه الأغصان بتشبيه غير ما قد شبهها به الأولون، ثم قلت عقب ذلك بيتاً وهو: [من مجزوء الكامل]

تَحْكِي رِمَاحَ زُمُرْدٍ قَدْ نَظَّمَتْ فِيهَا الْكَوَائِبُ
فَأَخَذَ هَذَا الْبَيْتَ وَكَتَبَ بَعْدَهُ وَقَبْلَهُ هَكَذَا: [من مجزوء الكامل]
غُضُنْ كَأَنَّ قَوَامَهُ قَدْ لَدَى التَّشْبِيهِ كَاعِبٌ^(٤)
تَحْكِي رِمَاحَ زُمُرْدٍ قَدْ نَظَّمَتْ فِيهَا الْكَوَائِبُ
أَوْ سَالِفَاتِ نَوَاعِمٍ جَالَتْ عَلَيْهِنَّ الذَّوَابُ^(٥)

(١) خَفْضُ الْعَيْشِ: رَغْدُهُ وَسَعْتُهُ. (٢) النَّوَى: الْبَعْدُ وَالْهَجْر. جَمُّ الْعَجَائِبِ: كَثِيرُهَا.
(٣) الْجَوْدُ: الْمَطَرُ الْغَزِيرُ لَا مَطَرٍ فَوْقَهُ. مُلِئْتُ: يَدُومُ أَيَّاماً لَا يَنْقُطِعُ. أَدَكُنْ: مَائِلٌ إِلَى السَّوَادِ مِنْ كَثَرَةِ الْغَيْومِ وَكَثَافَتِهَا. الرُّدُنُ: الْكُمُ: اسْتَعَارَهُ لِلْمَطَرِ.
(٤) كَاعِبٌ: مَنْ كَعَبَ ثَدْيَ الْفَتَاةِ: نَهَدَ: ارْتَفَعَ وَبَرَزَ.
(٥) جَالَتْ: طَافَتْ. الذَّوَابُ: الذَّوَابُ: جَمْعُ الذَّوَابَةِ: شَعْرٌ مُقَدَّمُ الرَّأْسِ.

بِقَرَامِلٍ مَصْفُوفَةٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ فِيهِنَّ لَازِبٌ^(١)
ولم يتوقف إلا مقدار الكتب بالقلم من دون روية ولا تدبر . ووفد أيضاً إلى صنعاء
سنة (١٢١٨)، وكثر اجتماعنا وسمع منِّي رسالتي المسماة (الدرُّ النضيد في إخلاص
التوحيد). وكذلك حضر معنا في قراءة مؤلفي المُسمَّى (إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر)
وحصّل كلا المؤلفين بخطه . وبالجملّة فقد دار بيني وبينه من المساجلات الأدبية
والمكاتبات الشعرية ما يكثر سرد بعضه . وقد رقت بعض ذلك في مجموع شعري^(٢) .

٣٠٤

(السيد عليّ ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد^(٣))

الرئيس الكبير المستقل بغالب اليمن الأسفل . كان له اطلاع على العلوم الأدبية، وتمهّر
في الصناعة الشعرية . ولشعراء عصره فيه غرر المدائح . وهو من مفاخر اليمن ومحاسن ذلك
الزمن ، وشعره مشهور عند الناس ، ومن جيده القصيدة التي مطلعها : [من المحدث]

أَكْذَا الْمُشْتَأَقُ يُؤرِّقُهُ تَغْرِيدُ الْوُزْقِ وَيُقْلِقُهُ^(٤)
ومن أحسن قوله فيها :

أَهْ يَا بَرْقُ أَمَا خَبِرُ عَنْ أَهْلِ الْعَوْرِ تُحَقِّقُهُ
فَنُزِيلُ جَوَى لِأَسِيرِ هَوَى مُضْنَى قَدْ طَالَ تَشْوُقُهُ

ومن أحسن شعره الأبيات هذه : [من الوافر]

أَيْكْتُمُ مَا بِهِ الصَّبُّ الْمَشُوقُ وَقَدْ لَاحَتْ لَهُ وَهْنًا بُرُوقُ^(٥)
وَهْلٌ يَخْفَى الْغَرَامُ عَلَى وَلُوعٍ يُؤرِّقُ جَفْنَهُ الْبَرْقُ الْخَفُوقُ^(٦)
وَيَسْلُو عَنْ أَهْيَلِ الْجَزَعِ صَبُّ جَرَى مِنْ جَفْنِ عَيْنِيهِ الْعَقِيقُ^(٧)

(١) القرامل : ضفائر من الشعر تصل بها المرأة شعرها . لازب : ثابت .

(٢) توفي سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م .

(٣) ترجمته في : معجم المؤلفين : ٣٧ / ٧ ؛ الأعلام : ٢٦٥ / ٤ .

(٤) يُورِّقُه : يُسهره . الْوُزْقُ : الحمايم .

(٥) الصَّبُّ : العاشق الشديد الشوق . لاحت : بدت وظهرت . الوهن ، والموهن : ما بعد منتصف
الليل ، أو بعد ساعة منه .

(٦) ولوعٌ : كثير الروع : كثير التعلّق بمن يُحبّ . الخفوق : المضطرب .

(٧) يسلو : ينسى المحبوب مع طيب نفسٍ بفراقه . الجزع : منعطف الوادي . وكنى الشاعر بالعقيق
عن امتزاج دمه بالدم .

إِلَيْكَ إِلَيْكَ عَنِّي يَا عَذُولِي فَلَسْتُ مِنَ الصَّبَابَةِ أَسْتَفِيْقُ^(١)
 فَلِي قَلْبٌ إِلَى بَانَاتٍ حَزَوَى طَرُوبٌ لَا يَمَلُّ وَلَا يُفِيْقُ^(٢)
 وقد كتب إلى والده قصيدة لما صُدَّ الركب اليماني عن الحج سنة (١٠٨٨)^(٣)
 يحثه على الجهاد ومطلعها: [من الوافر]
 لَعَمْرُكَ لَيْسَ يُدْرَكَ بِالتَّوَانِي وَلَا بِالْعَجَزِ غَايَاتُ الْأَمَانِي^(٤)

وهي غاية في بابها. وكانت بينه وبين المهدي مُحَمَّد بن أحمد صاحب المواهب منافسة على الملك والبلاد قبل أن يلي المهدي الخلافة، واتفقت بينهما حروبٌ وفِتْنٌ كبيرة، ومن سعادته أنه أدركه الأجل قبل أن يلي المهدي الخلافة، فمات في يوم الجمعة ثالث شهر رمضان سنة ١٠٩٦ ست وتسعين وألف، بمدينة أب، وقبره بها.

٣٠٥

(عَلِي بن إِسْمَاعِيل بن يُوسُف القنوي علاء الدين الشافعي)^(٥)

ولد بقونية من بلاد الروم سنة ٦٦٨ ثمان وستين وستمائة، وقدم دمشق سنة (٦٩٣) فدرّس بالإقبالية، ثم قدم القاهرة فسمع من جماعة كأبي الفضل بن عسّكر، وابن القيم، والدمياطي، وابن الصوّاف، وابن دَقِيق العيد. وقرأ في الأصول على تاج الدين الجيلاني، وتقدّم في معرفة التفسير والفقه والأصول، وأقام على قدم واحد ثلاثين سنة يُصلي الصبح جماعة، ثم يقرأ إلى الظهر، ثم يصليها ويأكل في بيته شيئاً ثم يتوجه إلى زيارة صاحب، أو عيادة مريض، أو شفاة أو تهنية أو تعزية، ثم يرجع ويشغل بالذكر إلى آخر النهار. وكان السلطان الناصر يعظمه ويثني عليه، ثم ولّاه قضاء دمشق، فتوجّه إليها في سنة (٧٢٧) فباشره أحسن مباشرة مع تصلّب زائد، وعقّة لم يكن له في الحكم نهمة، بل هو على عادته في الإقبال على العلم. وكان كثير

(١) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.

(٢) بانات: شجرات بان، وكنى بها عن نسوة يشبهن أغصانها في الاستواء واللين والثني. حزوى: موضع. طروب: كثير الطرب، وهو هزّة تأخذ الإنسان من حزنٍ أو فرح.

(٣) قيل: إن الرسالة كانت سنة ١٠٨٣هـ، لأن والد المترجم له كان قد توفي سنة ١٠٨٧هـ كما تقدم.

(٤) التواني: الفتور والكسل والإبطاء.

(٥) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣٧/٧؛ الدرر الكامنة: ٢٤/٣؛ البداية والنهاية: ١٥٣/١٤؛ شذرات الذهب: ٩٠/٦؛ بغية الوعاة: ٣٢٩؛ كشف الظنون: ٤١١، ٤٢٠؛ هدية العارفين: ٧١٧/١؛ الأعلام: ٢٦٤/٤.

الفنون كثير الإنصاف كثير الكتب . ولما استقر بدمشق أعطى الشافعية ألف دينار وقال : هذه حضرت معي من القاهرة . وله مصنفات ، منها : شرح الحاوي ، وشرح مختصر المنهاج للحليمي ، ثم طلب الإعفاء من القضاء فلم يجبه السلطان . وكان يعظم الشيخ تقي الدين بن تيمية ويذُبُّ عنه . ويقال إن الناصر قال له : إذا وصلت إلى دمشق قلّ للنائب يُفرج عن ابن تيمية ، قال : يا خوند لأيّ معنى سُجن ، قال : لأجل الفتاوى ، قال : فإن كان راجعاً عنها أفرجنا عنه ، فيقال : كان هذا الجواب سبباً لاستمرار ابن تيمية في السجن إلى أن مات ، لأنه كان لا يُذعن للرجوع . ولما خرج ابن القيم من القلعة وأتاه سرُّ به وأكرمه ووصله ، وكان يثني على أبحاثه ، قال الإسنوي في ترجمته : وكان أجمع من رأينا للعلوم مع الاتساع فيها ، خصوصاً العقلية واللغوية لا يشار بها إلّا إليه . وتخرّج به أكثر العلماء المصريين ، قال : وتحيل عليه جماعة من الكبار في أن يبعد عن الديار المصرية لأغراض ، فحسّن للسلطان توليته قضاء الشام ففعل ، فسأله السلطان في ذلك ، وتلطّف به ، فاعتذر . ومن جملة ما قال للسلطان : إن له أطفالاً يتأذون بالحركة ، فقال له السلطان : أنا أحملهم على كفي وبسط يده . ومن شعره : [من الخفيف]

عَمَرْتُني المكارمُ العُرمُ مِنْكُمْ وَتَوَالَتْ عَلَيَّ مِنْهَا فُنُونُ
شَرَطَ إِحْسَانُكُمْ تَحَقُّقَ عُنْدِي لَيْتَ شِعْرِي الْجَزَاءُ كَيْفَ يَكُونُ

وكان موته في رابع عشر ذي القعدة سنة ٧٢٩ تسع وعشرين وسبعمائة بدمشق ، وتأسّف الناس على فقده .

٣٠٦

(عَلِيّ بن أَبِي بَكْر بن سُلَيْمَان بن أَبِي بَكْر بن عَمَر بن صَالِح نُور الدين الهَيْثَمي الشَّافعي الحافظ)^(١)

ولد في رجب سنة ٧٣٥ خمس وثلاثين وسبعمائة بالقاهرة ، ونشأ بها فقراً القرآن ، ثم صحب الزين العراقي ، ولم يفارقه سفرأ وحضرأ حتى مات . ورافقه في جميع مسموعاته بمصر والقاهرة والحرمين وبيت المقدس ودمشق وبعلبك وحماة وحلب وحمص وطرابلس وغيرها ، ولم ينفرد أحدهما عن الآخر إلّا بمسموعات يسيرة ومشاخ قليلة . وصاحب الترجمة مكثراً سماعاً وشيوخاً ، ولم يكن الزين يعتمد في شيء من أموره ، إلّا عليه ، وزوّجه ابنته ورزق منها عدة أولاد . وكتب الكثير من

(١) ترجمته في : معجم المؤلفين : ٤٥/٧ ؛ شذرات الذهب : ٧٠/٧ ؛ كشف الظنون : ٩٥٧ ، ١٤٠٠ ؛ إيضاح المكنون : ١٨٦/١ ؛ هدية العارفين : ٧٢٧/١ ؛ الأعلام : ٢٦٦/٤ .

تصانيف الزين، وقرأ عليه أكثرها، وتخرّج به، وورى به في أفراد زوائد كتب كالمعاجم الثلاثة للطبراني، والمسانيد لأحمد والبزار وأبي يعلى على الكتب الستة. وابتدأ أولاً بزوائد أحمد فجاء في مجلدين، وكل واحد من الخمسة الباقية في تصنيف مستقل إلا الطبراني الأوسط والصغير، فهما في تصنيف. ثم جمع الجميع في كتاب واحد محذوف الأسانيد سمّاه (مجمع الزوائد)، وكذا أفرد زوائد صحيح ابن حبان على الصحيحين، ورتّب أحاديث الحلية لأبي نعيم على الأبواب. (ومات) عنه مسودة، فبيّضه وأكمله ابن حجر في مجلدين. وأحاديث الغيلانيات والخلعيات وفوائد تمام الأفراد للدارقطني أيضاً على الأبواب في مجلدين، ورتّب كلّاً من ثقات ابن حبان وثقات العجلي على الحروف، وأعانه بكتبه ثم بالمرور عليها وتحريرها وعمل خطها ونحو ذلك. وعادت بركة الزين عليه في ذلك وفي غيره. وكان عجباً في الدين والتقوى والزهد والإقبال على العلم والعبادة وخدمة الزين وعدم مخالطة الناس في شيء من الأمور، والمحبة للحديث وأهله، وحديث بالكثير رفيقاً للزين. وبعد موت الزين أخذ عنه الناس وأكثروا، ومع ذلك فلم يغيّر حاله، ولا تصدّر ولا تمسّخ، ولم يزل على طريقته حتى (ومات) في ليلة الثلاثاء تاسع وعشرين رمضان سنة ٨٠٧ سبعم وثمانمائة. قال ابن حجر: إنه تتبع أوهامه في مجمع الزوائد فبلغه فعاتبه فترك التتبع، قال: وكان كثير الاستحضار للمتون، يسرع الجواب بحضرة الزين فيعجب الزين بذلك، قال: وكان من لا يدري يظنّ لسرعة جوابه بحضرة الزين أنه أحفظ منه، وليس كذلك بل الحفظ المعرفة.

(٣٠٧)

(عليّ بن الحسين بن القاسم بن منصور بن عليّ الموصلّي زين الدين ابن شيخ العويّنة)^(١)

بالتصغير، اسم مكان كان جدّه الأعلى منقطعاً بمكان بالموصل، وكان الماء بعيداً عنه، فرأى رؤيا فحفر حفيرة في ذلك المكان فجرت منه عين لطيفة، ف قيل له: شيخ العويّنة. ولد صاحب الترجمة في رجب سنة ٦٨١ إحدى وثمانين وستمائة بالموصل، ونشأ بها وقرأ القرآن وأخذ الشاطبية وشرحها عن الشيخ شمس الدين بن الوراق، وأخذ سائر العلوم عن جماعة. وسمع الحديث عن زينب بنت الكمال، والمزّي، وغيرهما،

(١) ترجمته في: الأعلام: ٤/ ٢٨٠؛ النجوم الزاهرة: ١٠/ ٢٩٧؛ بغية الوعاة: ٣٣٥؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٧٨؛ كشف الظنون: ٢٣٦، ٦٢٧؛ هدية العارفين: ١/ ٧٢٠؛ معجم المؤلفين:

وشرع في التصانيف، فشرح مختصر ابن الحاجب، وفروع ابن الساعاتي، ونظم الحاوي الصغير، وشرح المنهاج، وشرع في شرح التسهيل لابن مالك، وغير ذلك. قال ابن رافع في ذيل تاريخ بغداد: كان حسن العبارة لطيف المحاضرة مليح البزة جميل الهيئة كثير التودد خيراً دينا، وهو الذي كتب إليه الصفدي السؤال المشهور في قوله تعالى: ﴿أَسْتَطْعَمًا أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧] وجعله نظماً فقال: [من الطويل]

ألا إنما القرآن أكبر مُعْجَزٍ لَا أَفْضَلَ مَنْ يُهْدَى بِهِ الثَّقَلَانِ^(١)
وَمِنْ جَمَلَةِ الإِعْجَازِ كَوْنُ اخْتِصَارِهِ بِإِيجَازِ الْفَاطِظِ وَبَسْطِ مَعَانِ
وَلَكِنِّي فِي الْكَهْفِ أَبْصَرْتُ آيَةً بِهَا الْفِكْرُ فِي طَوْلِ الزَّمَانِ عَنَانِي^(٢)
وَمَا ذَاكَ إِلَّا اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَقَدْ يَرَى اسْتَطْعَمَاهُمْ مِثْلَهُ بَيَانِ^(٣)
فَمَا الْحِكْمَةُ الْغَرَاءُ فِي وَضْعِ ظَاهِرٍ مَكَانَ ضَمِيرٍ إِنَّ ذَاكَ لِلسَّانِ
فَأَجَابَ صَاحِبَ التَّرْجَمَةِ: [من الطويل]

سَأَلْتُ لِمَاذَا اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا إني عَنِ اسْتَطْعَمَاهُمْ إِنَّ ذَاكَ لِلسَّانِ
وَفِيهِ اخْتِصَارٌ لَيْسَ ثُمَّ وَلَمْ تَقْفُ عَلَى سَبَبِ الرَّجْحَانِ مِنْذُ زَمَانِ^(٤)
فَهَاكَ جَوَاباً رَافِعاً لِنِقَابِهِ يَصِيرُ بِهِ الْمَعْنَى كَرَأْيِ عِيَانِ
إِذَا مَا اسْتَوَى الْحَالَانِ فِي الْحُكْمِ رَجَحَ الـ ضَمِيرٌ وَأَمَّا حِينَ يَلْتَقِيَانِ
فَإِنْ كَانَ فِي التَّصْرِيحِ أَظْهَرَ حُكْمَةً لِرَفْعَةِ شَأْنٍ أَوْ حَقَارَةِ جَانِ
كَمِثْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ ذَا وَمَا نَحْنُ فِيهِ صَرَحُوا بِأَمَانِ
وَهَذَا عَلَى الْإِيجَازِ وَاللَفْظِ جَاءَ فِي جَوَابِي مَنُثُوراً بِحُسْنِ بَيَانِ
فَلَا تَمْتَحِنُ بِالنِّظْمِ مِنْ بَعْدِ عَالِمَا فَلَيْسَ لِكُلِّ بِالْقَرِيضِ يَدَانِ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الشَّعْرَ يُزْرِي بِهِمْ فَلَا يَكَادُ تَرَى مِنْ سَابِقِ بَرِهَانِ
وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ بِمَا طَعَى بِهِ قَلَمِي أَوْ طَالَ فِيهِ لِسَانِي

قال ابن حجر: وشعره أكثر انسجاماً وأقل تكلفاً من شعر الصفدي. (ومات) بالموصل في رمضان سنة ٧٥٥ خمس وخمسين وسبع مائة.

(١) الثقلان: الإنس والجن.

(٢) في الكهف: أي في سورة الكهف.

(٣) استطعما أهلها: يريد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا جِدَاراً يَرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧].

(٤) رَجَحَ الشيء رجوحاً، ورجحاناً، ورجاحةً: ثَقُلَ، والإنسان: رَزَنَ.

(٣٠٨)

(عَلِيُّ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ)
ابن رسول الملك المجاهد ابن المؤيَّد بن المظفر
ابن المنصور صاحب اليمن^(١)

ولي السلطنة بعد أبيه في ذي الحجة سنة (٧٣١)، وثار عليه ابن عمه الظاهر بن المنصور، وجرت حروب بينهما، ثم استقر المجاهد بزبيد، فحاصره الظاهر فخرت من الحصار. ثم كاتب المجاهد الإمام صلاح الدين صاحب صنعاء، فأرسل إليه عسكرياً، فجرت لهم قصص طويلة إلى أن آل الأمر إلى المجاهد، واستولى على البلاد كلها، وحجَّ سنة (٧٤٢)، وأحضر كسوة الكعبة، وباباً لها على أن يركبه ويكسو الكعبة. وفرَّق على المكَّيين مالا كثيراً، فلم يمكنه من ذلك. فلما رجع وجد ولده قد غلب على المملكة، ولُقِّب المؤيَّد، فحاربه إلى أن قبض عليه وقتله. ثم حجَّ في سنة (٧٥١) فقدم محمله على محمل المصريين، فاختلفوا، ووقعت بينهم الحرب، وساعد أهل مكة المجاهد، ثم استمر القتال في أهل اليمن فانهزموا وأسر المجاهد، وأمسك، وحُمِل إلى القاهرة فأكرمه السلطان الناصر، وحلَّ قيده وقرَّر عليه مالا يحمله، وخلع عليه وجهزه إلى بلاده، وأرسل معه بعض أمرائه فلما وصل إلى الينبع، فرَّ منه فأمسكه وأعيد إلى مصر، فجهز إلى الكرك فحبس به إلى أن خلع الناصر حسن فأفرج عنه في شعبان سنة (٧٥٢) وأعيد إلى بلاده ومملكته. وكان ذلك بشفاعة بعض الأمراء. ووصل إلى اليمن فأقام في مملكته إلى أن مات. وكانت والدته لما حجَّ قد دبَّرت المملكة، ولما بلغها أسره أقامت ولده الصالح، وكتبت إلى التجار. ورُوي أنه ركب بعد أن أطلق حصاناً ومَرَّ على شاطئ النيل فعطش الحصان ونازعه إلى شربه الماء فسقاه، ثم بكى أحزَّ بكاء. فسأله بعض من كان عنده عن سبب بكائه فقال: إن بعض المنجمين ذكر له وهو باليمن أنه يملك الديار المصرية، ويسقي فرسه من النيل. وكان يظنّ وقوع ذلك، فلما رأى فرسه في ذلك الوقت يشرب من ماء النيل عرف أن ذلك القدر هو الذي أشير إليه. ومات في جمادى سنة ٧٦٤ أربع وستين وسبعائة.

(١) ترجمته في: الأعلام: ٢٨٦/٤؛ الدرر الكامنة: ٤٩/٣.

٣٠٩

(الشيخ مُلا علي قاري بن سلطان بن مُحَمَّد الهَرَوِيّ الحَنَفِيّ)^(١)

ولد بهرة، ورحل إلى مكة، واستقر بها، وأخذ عن جماعة من المحققين كابن حَجَر الهيتمي. وله مصنفات منها: (شرح المشكاة)، و(شرح الشمايل)، و(شرح الوترية)، و(شرح الجزرية)، و(شرح النخبة)، و(شرح الشفاء)، و(شرح الشاطبية)، ولخص القاموس وسمّاه (الناموس). وله (الثمار الجنية في أسماء الحنفية)، وله غير ذلك. قال العصامي في وصفه: الجامع للعلوم النقليّة والعقليّة والمتضلع من السُّنّة النبوية، أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والأفهام ثم قال: لكنه امتحن بالاعتراض على الأئمة لا سيما الشافعي وأصحابه، واعترض على الإمام مالك في إرسال يديه، ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم. ومن ثمة نَهَى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء. انتهى. وأقول هذا دليل على علو منزلته، فإنّ المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترضه سواء كان قائله عظيماً أو حقيراً، تلك شكاة ظاهر عنك عارُها. وكان وفاة صاحب الترجمة سنة ١٠١٤ أربع عشرة وألف.

٣١٠

(عَلِيّ بن سُلَيْمان بن أحمد)

ابن مُحَمَّد العَلَاء الدَّمَشَقِيّ الصَّالِحِيّ الحَنْبَلِيّ^(٢)

ويعرف بالمرادي، ولد قريباً من سنة ٨٢٠^(٣) عشرين وثمانمائة بمراد، ونشأ بها فحفظ القرآن، وقرأ في الفقه على أحمد بن يوسف. ثم تحوّل إلى دمشق، وقرأ على علمائها في الفنون. ثم قدم القاهرة، وأخذ عن علمائها، وتصدّى للإقراء بدمشق ومصر، وللإفتاء، وصنّف التصانيف منها: (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف) أربعة مجلدات كبار، واختصره في مجلد، و(تحرير المنقول في تمهيد علم الأصول) وشرحه وسمّاه (التحبير في شرح التحرير) في مجلدين، وله تصانيف غير ذلك. وهو

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٠٠/٧؛ هدية العارفين: ٧٥١/١؛ كشف الظنون: ٢٤، ٤٥٤، ١٠١٢، ١٣٥٠، ٢٠١٥؛ إيضاح المكنون: ١/٢١، ٩٠، ٢/٢١، ٨٧؛ الأعلام: ٥/١٢.

(٢) ترجمته في: الضوء اللامع: ٥/٢٢٥؛ شذرات الذهب: ٧/٣٤٠؛ كشف الظنون: ٣٥٧؛ إيضاح المكنون: ١/١٣٤؛ هدية العارفين: ١/٧٣٦؛ الأعلام: ٤/٢٩٢؛ معجم المؤلفين: ١٠٢/٧.

(٣) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: ولد سنة ٨١٧هـ / ١٤١٤م.

عالم مُتَقَن مُحَقِّق لكثير من الفنون، منصفٌ منقادٌ إلى الحقِّ، مُتَعَفِّفٌ وَرِع. (ومات) في جمادى الأولى سنة ٨٨٥ خمسٍ وثمانين وثمانمائة.

(٣١١)

(عَلِيّ بن صَالِح العِمَارِيِّ ثم الصَّنْعَانِي)

ولد تقريباً سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف، أو قبلها بيسير، أو بعدها بيسير، وقرأ على علماء عصره في كثير من الفنون، وبرع في علوم الأدب، وشارك في التفسير والحديث مشاركةً قويةً، وتفرّد بمعرفة فنونِ كعلم الهيئة والهندسة والنجوم، وكتبَ الخطَّ الفائق، ونظم الشعرَ الحسن، وهو متفرّد بكثير من المحاسن، قليل النظير في مجموعته، ذكيٌّ قويُّ الإدراك، بديع التصوُّر، ضخم الرياسة، جيد التدبير. اتصل أول أمره بمولانا الإمام المهدي العباس بن الحسين رحمه الله، وولاه أعمالاً، وصار بعد ذلك أحد وزرائه. وكان يميل إليه ويؤثره لما لديه من الفضائل. ثم انحرف عنه قليلاً، ثم عاد إلى ما كان عليه. وعزم قبل موته على تفويض الوزارة إليه فمات، وبُويع مولانا خليفة العصر المنصور بالله حفظه الله فولاه بندر المخا، وهو أكبر ولاية في القطر اليمني، وبقي هنالك نحو خمس سنين، وشكر الناس ولايته، وحسن تدبيره، وهو مع ذلك مورد لأهل العلم والفضائل، ويأخذ عن كل من رأى لديه علماً لا يعرفه ويستفيده في أسرع مدة. ثم عاد من المخا إلى صنعاء وقد جمع دنيا عريضة. وكان يتصل بالخليفة حفظه الله في كثير من الأوقات، فحسده جماعة من الوزراء فأبعده. ثم بعد أيام فوَّض إليه مولانا الإمام وساطة بعض مدائن اليمن والمشاركة على بعض أملاكه، فصار من جملة الوزراء، واجتمعت به في مقام مولانا الخليفة مرّات عديدة. وكان يذاكر هنالك بمسائل مفيدة، وآخر ما سألني عنه قبل موته عن كلام المفترين في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥] وأورد في السؤال اعتراضات على الزمخشري، والسعد، وأجبتُ عنه برسالة سمّيتها (جواب السائل عن تفسير تقدير القمر منازل). وبالجملة فهو متفرّد بمواد كتابة الإنشاء، وما يحتاج إليه من علوم الأدب وغيرها، مع جودة النظم والنثر إلى غاية، والاقتدار من ذلك على ما لم يقتدر عليه غيره. ولعمري إنه يفضل كثيراً من الأفاضل المتقدمين المتفردين بالبلاغة لما له من دقة الذهن وممارسة العلوم الدقيقة وحسن الخط على حد يقصر عنه الوصف والقدرة على إخراج كثير من الصنائع من القوة إلى الفعل. وله من ذلك ما ينبهر له من يعرف الحقيقة. وسأذكر من أدلة تفرّده وصدق ما شرحته في حقّه ما لا يستطيع المنكر إنكاره ليعلم المطلع على ذلك أنه فوق ما وصفته، بل هو ممن يفتخر به العصر على ما تقدمه من العصور، ويكفي في تصحيح هذه الدعوى ذكر النظم

والنثر الذي كتبه إلى الإمام المهدي يستعطفه به في سنة (١١٧٩) وقد اشتملت كل فقرة من فقر النثر على تاريخ هذه السنة، وكل بيت من بيوت النظم على تاريخين. كذلك في الصدر تاريخ وفي العجز تاريخ، مع سلاسة النظم والنثر، وعدم التكلف، وهذا شيء لا تبلغ إليه قرائح أهل العصر، بل لا يظن اقتدار أهل العصور المتقدمة عليه وإن قدر عليه فَرُدُّ من الأفراد جاء به في كلام مُعَقَّد متكلف، قد رُوِيت فيه الألفاظ وهُجِّرَت المعاني. وهذه الألفاظ التي أشرنا إليها: يقول أفقر عباد الإله عليّ العماري، عمته مكارم الحليم الباري: بحمد الله أستهل الإنشاء كما بدا وجه الهلال. وبجدي أشكره في البكر والأصال، جلّ جلاله عن مشاركة له في ملكه وعن ندّ. ينشئ السحاب الثقال بمذّ، ويمتدّ تعالى دائماً أبداً بلا عدّ. وصلاته وسلامه الأكملان أبداً على سيدنا مُحَمَّد، وآله ما غاب هلال وجدّد، ونادى المهدي مُهنّئ بلسانه واستشهد: [من الطويل]

مَلِيكَ الْوَرَى لَا زِلْتَ فِي قَائِمِ الْعُلَى هَلَالاً مُنِيرًا مُشْرِقًا قَائِمًا بَاهِي
لَا زِلْتَ فِي نِعَمِ تَوَالِي، وَبَهَا نَصْرٌ مِنَ الرَّبِّ تَعَالَى .
وَتُبْدِي لِلدُّنْيَا سُرُورًا وَأَنْعَمًا قَدُمْتَ لَنَا رَكْنَ الْهُدَى آمراً نَاهِي
فلا برحت في عيش جديد. نائلاً بجد ما تهوى وتريد. لك فوز الأجر في الشهر
السعيد. مبشراً بنيل رجواك به من العزيز الحميد.
تَقَدَّمَ شَهْرُ الصَّوْمِ بِالْفَوْزِ مُعْلَنًا وَطَيْبُ الثَّنَا وَافَاكَ مِنْ طَيْبِهِ الشَّاهِي
عَزَّ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. مَدَّ لَكَ الْأَجْرَ بِهَذَا الْعَامِ. وَبِهَذَا هُنْتُتْ، وَحُزْتُ بِهِ مَا
شِئْتُ .

وَفِي كُلِّ عَامٍ نِلْتَ أَجْرًا لِرَبِّهِ وَمَا بَتَّ عَنْ شُكْرِ بَجْدٍ لَهُ لَاهِي
زادك رب الخلق بحدود مما أوى. وبوأك بحدّ الشرف الرفيع الأعلى، وولأك
رقاب الخلق أبداً وأوى. فنعم ما أولاك تعالى وجهاً ونعم المولى .
وَدُونَكَ قَوْلًا لِلْمُحِبِّ مَوْرَخٍ عَلَى كُلِّ شَطْرِ لَيْسَ شَيْنٌ وَلَا لَاهِي
ولما أَرَّخَ بِهِ كُلَّ سَجْعَةٍ. زيد تمنعاً على من رام منعه. فلهذا جاءه محكم
الصنعة. وأعجز فيها من يروم تأليفه وجمعه.

يُنْبِيكَ لِمَا جَا بِحَالِي مُذْكَرًا وَمَا صِرْتَ عَنِّي بَعْدَ طُولِ الْجَفَا سَاهِي
عجب فهمك الشريف يفهم لمقالي. لست بالساهي عن أمري فأنبهك لحالي .
فكمال عافيتك من ربّي هو جلّ مالي. ولئن بقيت بها كملت آمالي:
وَدُمَّ صَاعِدًا فِي الْمَجْدِ أَشْرَفَ مَقْعَدٍ عَلَى حُسْنِ عَيْشٍ نَوْرُهُ مُنُورٌ رَاهِي

أَمَّا بِهِ سَالِماً مِنْ حَدُوثِ رَيْبِ الزَّمَنِ . مُحَجَّوِباً عَنْ بَوَادِي الْفِتَنِ ، وَشَوَائِبِ حَبْلِ
الْإِحْنِ . فَأَكْثَرَ حَمْداً لِلَّهِ تَصْلَحُ بِهِ كُلُّ نِيَّةٍ ، وَاشْكُرْ بِهِ دَائِماً فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

فَهَذَا هَلَالُ الصَّوْمِ وَافَى هِلَالُهُ بِمَبْدَأِ عُمْرِ دَهْرِهِ لَيْسَ مُتَنَاهِي
فَاسْتَأْنَفَ الْآنَ عِزّاً بَدَأَ وَعُمُراً جَدِيداً . وَعَشْ بِدَوَامِ نَعِيمٍ سَعَدَ عَيْشاً حَمِيداً .
وَأَخْلَقَ بِدَوَامِ أَيَّامِهِ وَلِيَالِيهِ عَيْداً فَعِيداً . فَتَهَنَّ أَجْراً بِهِ دَائِماً وَعُمُراً مَدِيداً .

تَهَنَّ بِمَا أُعْطِيتَ فِيهِ مُهِنَّاً هُوَ الْخَيْرُ بِالْإِقْبَالِ وَالْعِزِّ وَالْجَاهِ
وَأَنْجِزْ وَتَمَّ مَا كُتِبَ بِالْقَلَمِ . وَمَا أَبْدَعَهُ مَدَادُهُ وَنَظَمَ . وَانْقَضَى بِجِدِّ الْمَقَالِ . وَبَعْدَ
أَنْ بَشَرَ بِالنَّصْرِ وَالْإِقْبَالِ .

وَقَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ بِالْفَتْحِ قَابِلاً وَتَبَّتْ لَهَا الْأَعْدَاءُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
أَسْأَلُ مِنْ رَبِّنَا تَعَالَى بِأَنْ يَحْسِنَ إِلَيْكَ . بِإِتِمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ . وَيَخَوَّلَكَ بِكَرَمِهِ
وَيَجُودَ مُهِنَّاً بِمَا لَدَيْكَ . وَيَحُوطَكَ بِأَمْنِهِ مِنْ خَلْفِكَ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ .

وحساب هذه الفقرة ومصاريع الأبيات وافٍ ولا نقص في شيء منه إلا في موضع
واحد، فإنه نقص منه واحد فقط، فمن ظن أن ثمة نقصاً في غير ذلك فهو إما لتصحيح
من الظان أو تحريف. ومن تأمل هذه القطعة بعين الحقيقة علم مقدار مُنْشئها ومرتبته في
الفضل. وبعض الأبيات والفقر وإن كان يظن بعض من لم يمارس علوم الإعراب أن فيه
لحناً فما ذلك إلا من قصور بابه، فإن لكل من ذلك وجهاً وجيهاً في العربية. ثم لما أراد
الحجّ كتب إلى الإمام المهدي هذا النظم والنثر مودعاً له ومستعطفاً، ولفظه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ونحمده تعالى، وإن نطق القلم بالتشبيب. وعن عن
الغرض البعيد بالقرب. فقصدته مناسبة القصد لا النسيب. فلهذا صرخ بالاستهلال،
وصرّح بالخفي فقال: [من الوافر]

أَجْزَمُ مَا يُقَالُ لَهُ عِثَارٌ	وَذَنْبٌ لَا يَكُونُ لَهُ اغْتِفَارٌ ^(١)
وَهَلْ يَسْتَوْجِبُ التَّعْذِيبَ طَرْفٌ	جَرَى مِنْهُ انْهِمَالٌ وَانْهَمَارٌ ^(٢)
وَقَلْبٌ لَا يَفِيقُ عَنِ التَّصَابِي	وَلَا يَنْهَاهُ ضَعْفٌ وَانْكَسَارٌ
بِهِ ظَبْيٌ لَهُ الْجُوزَاءُ قِرْطٌ	مَلِيحٌ وَالْهَلَالُ لَهُ سِوَارٌ
لَهُ مَالِي بِلَا مَنْ وَرُوحِي	وَلِي مِنْهُ الْمَلَالَةُ وَالْتِفَارُ ^(٣)

(١) الْجَزْمُ: الجناية، الذنب. الْعِثَارُ: الزَّلُّ؛ وأقال الله عثرته: تجاوز عن زلله.

(٢) الانْهَمَالُ والانْهَمَارُ: الانصباب والسيلان الشديد.

(٣) الْمَلَالَةُ: السَّامُ وَالضُّجْرُ. النَّفَارُ: الصَّدُّ والإعراض.

جرح فؤادي بأسياف العيون . وضعف قلبي بسهام الجفون . ولما صح له عن القلب حديث الهوى . وروت له الجفون على الطرف مَراسيل النوى . وعلم الدهر أن قلبي موثق في يديه . وموصولٌ دمعي موقوفٌ عليه . علَّلَ بالجفاء ذلك الوصال . فقال عنه بلسان الحال :

سَقَى دَهْرًا نَعْمَنَا فِيهِ عَيْشًا وَأَيَّامًا لِيَا لِيَهَا قِصَارُ
وَمَرَّ كَأَنَّهُ أَضْغَاثُ نَوْمٍ فَمَا عِنْدِي لِمَاضِيهِ اذْكَارُ

أنساني معرفة تنكير الزمن . لما نَصَبْتُ صُروفهُ على الحال خيام المحن . ولما ولع بخفض عيش المرفوع . أهملت كلام العاذل الموضوع ، وصرفته عن الإغراء فهو الممنوع . وقلت مبيناً ما كفاه من اتباع العذل عن المتبوع . وأغناه عن المثنى من الملام والمجموع .

أَعَاذَلُ قَدْ كَفَاكَ الْعَذْلَ دَهْرُ وَقَامَ بِمَا جَنَاهُ الْاِغْتِرَارُ
تَلُومُ فَتَى أَصَابَتْهُ الرِّزَايَا وَفَارَقَهُ الشَّبَابُ الْمُسْتَعَارُ
أَبْعَدَ الْخَمْسِ وَالْعَشْرَيْنِ يَضْبُو لَعَمْرُ أَبِيكَ هَذَا الْاِغْتِرَارُ^(١)

ذهب عنه تصريف الهوى ومعناه . وانقلبت عينه غيناً فتغيَّرَ مبناه . جرد الوقار زيادته بتخفيفه . وأسقط الزمان تعديه بتضعيفه ، وغير أصوله بالتصغير من أصله . حتى أنساني بذكر صحيحه ولفيفه ومعتله .

وَلَمْ أَنَسَ الَّتِي قَامَتْ لِعَزْمِي تُودِعْنِي وَأَدْمَعُهَا غِزَارُ
تَخَوَّفَنِي نَوَى عَرَضَتْ وَطَالَتْ وَتَخَشَى أَنْ يَكُونَ فَلَا مَزَارُ
تَقُولُ وَقَدْ أَجَدَّ الْبَيْنُ مَهْلًا بِنَفْسِكَ لَا يَشَقُّ بِكَ الْبِدَارُ^(٢)
وَلَمْ تَكْسِبْ يَدَاكَ سِوَى ثَنَاءٍ فَلَيْسَ عَلَيْكَ مَهْمَا كُنْتَ عَارُ
وَمَا لَطَخْتَ عِرْضَكَ بِالدُّنَايَا وَلَا دَارَتْ عَلَى فَيْكَ الْعُقَارُ^(٣)
سَوَاءٌ وَالْإِقَامَةُ مِنْكَ عَزْمُ وَسَيَّانَ الْخَفَا وَالْاِشْتِهَارُ
وَمَنْ شَرُفَتْ لَهُ نَفْسٌ وَعِرْضُ فَأَنْتَى كَانَ، كَانَ لَهُ افْتِخَارُ

تكلمت بمنطق غير ممنوع . تساوى به المحمول والموضوع . ما أقربها إلى القياس بالمحال . وما أبعدها عن الوهم بالخيال . أیظن الفصل يغني عن العرض

(١) يصبو : يميل إلى الصِّبَا وَجَهْلِهِ وَطَيْشِهِ .

(٢) البينُ : البُعدُ : والفراق .

(٣) لَطَخَ الشَّيْءُ : سَخَّهْهُ أَوْ دَسَّهْهُ . الْعُقَارُ : الخمر الشديدة التي تعقر شاربها .

العام . أو يخال الجنس يعين الحد على التمام . فقلت لما قصدت الخلو بالجمع .
وساوت بين الشرط والمنع :

دَعَيْنِي لَا أَبَا لِكَ إِنَّ قَصْدِي إِلَى بَابِ الْكَرِيمِ هُوَ الْفَخَارُ
أَيْرِضَى بِالْهَوَانِ فَوَادُ حُرٍّ يَعِزُّ عَلَيْهِ لِلضَّيْمِ اضْطِبَارُ
وَمَا دَارُ الْأَحْبَةِ لِي بَدَارٍ إِذَا مَا نَالَنِي فِيهَا احْتِقَارُ
فَبِالْأَحْبَابِ أَحْبَابٌ وَدَارِي هِيَ الدُّنْيَا وَبِالْجِيرَانِ جَارُ
وَكُلِّ النَّاسِ إِخْوَانِي وَتَرْبِي لَهُمْ تَرْبٌ وَكُلُّ الْأَرْضِ دَارُ^(١)
إذا اتحدت معانيهم في الظاهر . وزالت الغرابة بخلوص التنافر . وكان الأب آدم
والأم حواء . فقد اقتضى الحال تطابق الأهواء . بعد عن جبلتهم من شرفه خالقه
بالمجاز إلى الحقيقة العقلية . وأنشأ اختراعه من أسلوب تعذر فيه الإخبار عنه بالصفات
البشرية . فلذا لذت به من نوائب الزمن . وقلت مصرحاً باستنكار ما جنته المحن :

مَعَاذَ الْمَجْدِ وَالْعَلِيَاءِ أَنِّي أَضَامُ وَلِي إِلَى الْمَهْدِي ائْتِمَارُ^(٢)
مَنْعِ الْجَارِ لَوْ يُشْكِي هَلَالٌ عَلَيْهِ النِّقْصُ فَارْقَهُ السَّرَارُ^(٣)
وَلَوْ وَاوَاه لَيْلٌ خَائِفًا مِنْ هُجُومِ الصَّبْحِ مَا طَلَعَ النَّهَارُ
مَلِيكَ هَذَّبَ الْأَيَّامَ حَتَّى خَشَتْ سَطَوَاتِهِ الضُّمُّ الْحِجَارُ
وَطَّيَّرَ فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ قَسْرًا عَدَاهُ فَكُلُّ قَلْبٍ مُسْتَطَارُ
وَلَوْ لَا سَطَوَةٌ لِلَّيْلِ تُخَشِّي لَزَاحِمُهُ عَلَى الْغَابِ الْجِمَارُ
كَرِيمٌ لَا يَشُوبُ عَطَاهُ مَنْ خَلِيمٌ لَا يَخْفُ لَهُ وَقَارُ^(٤)
إِذَا لَمَسَتْ يَدَاهُ لِقَاصِدِ جُودٍ يَبِيسَ الْعُودِ عَادَ لَهُ اخْضِرَارُ
وَأِنْ لَمَسَتْ يَدَاهُ بِيَوْمِ فَتْكِ نِصَالِ السَّيْفِ كَانَ لَهُ احْمِرَارُ
فَفِي يُمْنَاهُ لِلْعَافِينَ يُمْنٌ وَفِي يُسْرَاهُ لِلْسَّارِي يَسَارُ^(٥)
يَهُونُ عَلَيْهِ فِي كَسْبِ الْمَعَالِي وَفِي أَخَذِ الْعِدَى الذَّهَبُ النَّضَارُ^(٦)
بِهِ اغْتَفِرَتْ جِنَايَاتُ اللَّيَالِي وَجَادَ بِوَعْدِهِ الْفَلَكَ الْمَدَارُ

(١) التَّربُّ: المثل في السنِّ .

(٢) أَضَامُ: أَظْلَمُ .

(٣) السَّرَارُ: آخر ليلة من الشهر؛ يقال: استسر القمر: خفي ليلة السَّرَارِ .

(٤) يشوبُ: يمزج. المُنُّ: الإساءة والتكدير. الحليم: العاقل الرزين .

(٥) العافون: طالبو المعروف. الساري: السائر في الليل .

(٦) الذهب النضار: الخالص .

يُضْمَنُ صَدْرُهُ حِلْمًا وَعِلْمًا غَزِيرًا لَا تُقَاسُ بِهِ الْبَحَارُ
فَلَوْ كَشَفَ الْغَطَا مَا ازْدَدَتْ عِلْمًا عَلَى عِلْمٍ هُوَ الْعِلْمُ الْمَنَارُ
فِدَاؤُكَ عَالَمٌ لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ بِجَدَاؤِكَ أَحْتِيَاجٌ وَافْتِقَارُ^(١)

كرم بنانه المجموع مُغْنٍ عن البيان. وكمال جوده المفرد غني عن التشبيه بالإمكان. فكيف لا أقوم بشكر برّه وإنعامه. وإن أطلتُ الثناء فكيف لي أن أمدحه بعشر معشار إكرامه. فهو الذي ربّاني صغيراً. وغذاني بلبان إنعامه كبيراً (له أباد عليّ سابقة. أعد منها ولا أعددها) لذا مددتُ إليه كفّ الاعتذار. وقلت مُصَرِّحاً بما أشكو من الزمن الجوّار:

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِدَاكَ عَبْدٌ أَنَاخْتُ عَنْهُ الثُّوبُ الْكِبَارُ^(٢)
رَمَاهُ الدَّهْرُ مُحْتَالاً بِقُوسٍ مَنِ الْحَدَثَانِ أَسْهَمُهُ الْبَوَارُ^(٣)
أَيُنْسِفُنِي الزَّمَانُ وَلِي انْتِمَاءً إِلَيْكَ وَلِي بِخِدْمَتِكَ انْتِصَارُ^(٤)
إِذَا مَا كُنْتَ وَالْأَيَّامُ عَوْنًا عَلَيَّ وَجُورَهَا فَلَكَ الْخِيَارُ
فَلِمَا أَنْ أَقِيمَ بِضْنِكَ عَيْشٍ وَتُوبَايَ الْمَذْلَةَ وَالصَّغَارُ^(٥)
وَأَمَّا أَنْ أَقِيمَ بِثُوبٍ عَزْ خَلْتُ عَنْهُ الْمَضْرَّةَ وَالضَّرَارُ^(٦)

عبد رفعته على يقين الابتداء. وخفضته على توهم الاعتداء. رَقَّ له الحاسد ورثى له الشامت. وكادت أن تتحرك رحمة له النجوم الثوابت. نصبت بربعه خيام المصائب. وركضت في ميدانه خيول النوائب. وهل يفرغ الخائف إلى غير حضرتك. أو يعزُّ الذليل بغير سدّتك.

وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ يَرْعَى ذِمَامًا وَمَنْ تُحْمَى بِحَضْرَتِهِ الدِّمَارُ^(٧)
نَعَمْ مَنْ ذَا الَّذِي مَا حَارَ نَقْصًا وَمَنْ أَغْنَاهُ عَنْ قَدَرٍ جِدَارُ
أَلَيْسَ الْمَرْءُ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ وَقَدْ نَقَصَ الْهَالُ الْمُسْتَنَارُ
إِذَا مَا لَمْ تَخُنْكَ يَدٌ وَعَيْنٌ وَلَا قَلْبٌ فَقَدْ خَفَّ الْقِطَارُ

(١) الجدوى: العطية.

(٢) أناخت: بركت. الثوب: المصائب.

(٣) الحدّثان: الحوادث والمصائب. البوار: الهلاك، أو العطب والفساد.

(٤) نَسَفَهُ الزمان: اقتلعه من أصله.

(٥) الضَّنْكَ: الضيق والشدة. الصَّغَارُ؛ الدُّلُّ والهوان.

(٦) الضَّرَارُ: الضرر؛ الإساءة والأذى.

(٧) الدِّمَامُ: العهود. الدِّمَارُ: ما ينبغي حياطته والذود عنه كالأهل والعرض.

كيف تخونه يده أو قلبه . من مُلئ من قَرْنِه إلى قدمه من حَبِّه . تبت يدُ مُدَّت إلى ما لا يشتهيهِ . وعَمِيَتْ عَيْنٌ لحظَتْ ما لا يَرْتَضِيهِ . وَخَرِسَتْ لِسَانٌ فاهتٌ بغير المدح فيه :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَيُّ ذَنْبٍ أَتَيْتَ وَكَانَ لِي فِيهِ اخْتِيَارُ
لَقَدْ كَثُرَتْ حُسَادِي فَجَازُوا عَلَى حُسَادِ آدَمَ حِينَ جَارُوا
وَقَدْ أَلْبَسْتُ مِنْ عَلِيَاكَ فَخْرًا وَمَجْدًا لَا يُبَاعُ وَلَا يُعَارُ
وَلَمْ يُكْسِبْنِي الْإِقْلَالُ ذُلًّا وَأَتَى ذَا وَجُودِكَ لِي عَقَارُ^(١)
ما أكابني غير سخطك . ولا أهمني سوى عَتَبِكَ . وَإِنَّ العفو ثمرة الذنوب والخطا . وكمال الإحسان التجاوز عن الاعتدا .

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطْلَتْ سُخْطًا وَمِثْلِي مَنْ يُقَالُ لَهُ الْعِشَارُ^(٢)
لِسُخْطِكَ لَا أَقِيمُ بِأَرْضٍ عَزْ وَإِنْ عَزَتْ فَلِي عَنْهَا نِفَارُ^(٣)
وَإِنِّي إِنْ نَأَيْتُ فَعَيْرُ نَاءٍ بِوُدِّكَ وَهَوْلِي أَبْدَأُ شِعَارُ^(٤)
وَمَا سَافَرْتُ فِي الْآفَاقِ إِلَّا وَمِنْ جَدْوَاكَ عَيْشِي وَالذَّئَارُ^(٥)
مُقِيمُ الظَّنِّ عِنْدَكَ وَالْأَمَانِي وَإِنْ شَطَطَتْ بِي النُّوقُ الْعِشَارُ^(٦)
مَقَامُكَ كَعَبْتِي وَحِمَاكَ رُكْنِي وَلِي حَجٌّ بِبَابِكَ وَاعْتِمَارُ
أَطُوفُ بِهِ وَأَرْمِي كُلَّ يَوْمٍ جِمَارَ الْهَمِّ إِنْ رُمِيَ الْجِمَارُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ وَافْتُ تَهَادَى وَالْمَدِيحُ لَهَا شَنَارُ^(٧)
مُودَّةً وَمَا التَّوَدِيْعُ فِيهَا قِلَاءٌ أَوْ مَلَالٌ أَوْ نِفَارُ^(٨)
بِرُغْمِ الْمَجْدِ أَنْ يَرْضَى فِرَاقُ لِحَضْرَتِكَ الْعَلِيَّةِ أَوْ سِفَارُ^(٩)

(١) الْعَقَارُ: كُلُّ مَلِكٍ ثَابِتٍ لَهُ أَصْلٌ كَالْأَرْضِ وَالْدَارِ .

(٢) أَقَالَ عَثَرَهُ: تَجَاوَزَ عَنْ زَلَلِهِ وَذَنْبِهِ .

(٣) النَّفَارُ: الْهَجْرَةُ أَوْ الْجِرَانُ؛ وَيُقَالُ: نَفَرَ مِنَ الْمَكَانِ: تَرَكَهُ إِلَى غَيْرِهِ .

(٤) نَأَى فَلَانٌ: ابْتَعَدَ .

(٥) جَدْوَاكَ: عَطِيَّتُكَ . الذَّئَارُ: الثُّوبُ الَّذِي يَكُونُ فَوْقَ الشَّعَارِ، وَالذَّئَارُ: الْغَطَاءُ .

(٦) شَطَطَتْ: بَعَدَتْ . النُّوقُ الْعِشَارُ: الَّتِي مَضَى عَلَى حِمْلِ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، وَالْوَاحِدَةُ: عَشْرَاءُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] .

(٧) الشَّنَارُ: الْأَمْرُ الْمَشْهُورُ بِالشَّنْعَةِ وَالْقَبِيحِ .

(٨) الْقِلَاءُ: الْبُعْضُ .

(٩) السَّفَارُ: الْارْتِحَالُ، السَّفَرُ .

ودُونَ بَعَادِ يَوْمٍ مِنْكَ عِنْدِي يَهُونُ الصَّابُ أَكْلًا وَالْمَرَارُ^(١)
 وَهَذَا إِنْ تَعَذَّرَ مَدَّ كَفٌّ لِتَوْدِيعِي وَدَاعٌ وَاخْتِصَارُ
 وَدُمْ لِلْمَلِكِ مَا هَبَّتْ شِمَالٌ وَمَا غَنَى عَلَى الْغُصْنِ الْهَزَارُ

انظر ما اشتملت عليه هذه القطعة من الانسجام والسهولة والسلامة من الحشو والتكلف مع ما في ضمن النثر من التوجيه بالعلوم، فشرع بالتوجيه بعلم اصطلاح الحديث ثم النحو ثم الصرف ثم المنطق ثم المعاني والبيان، ومع هذا فسئله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، كما يفيد قوله:

أَبْعَدَ الْخَمْسِ وَالْعِشْرِينَ يَضْبُو لَعَمْرُ أَبِيكَ هَذَا الْأَعْتِرَارُ

والقطعة الأولى المشتملة على التواريخ هو أنشأها أيضاً قبل أن يستكمل ثلاثين من عمره. وله أشعار في آخر عمره أعلى من هذه القطعة المذكورة سابقاً. وقد أنشدني من ذلك كثيراً، وما أحسن قوله في بعض قصائده: [من الخفيف]

وَإِذَا رَامَتِ الذُّبَابَةُ لِلشَّمْسِ سِ غِطَاءٍ مَدَّتْ عَلَيْهَا جَنَاحًا

واستمر على اتصاله بالإمام المهدي، ثم بمولانا خليفة العصر، حتى توفاه الله تعالى في يوم الثلاثاء سابع شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف قبل تحرير هذه الترجمة بنحو نصف سنة، فرحمه الله وتجاوز عنه، فلقد كان من محاسن العصر ومفاخر الدهر، وله أولاد أكبرهم (أحمد) وهو الذي قام مقامه، وهو ماش على طريقته في الكمالات. له النظم الفائق والنثر الرائق والخط الحسن والعرفان التام. وتلوه في العمر (حسين) وقد تقدّمت ترجمته ثم (إسماعيل)، و(محمد) و(قاسم)، وهؤلاء كلّ واحدٍ منهم على حداثة أسنانهم له شغلة بالعلم والبلاغة والنظم والنثر والكمال في فنون الأدب.

٣١٢

(عليّ بن صالح بن محمد بن أبي الرجال الصنعاني)^(٢)

الشاعر المجيد. من شعره: [من الكامل]

وَلَقَدْ أَقُولُ وَقَدْ تَغَنَّتْ فِي الْحَمَى وَرَقَاءُ ذَاتِ صَبَابَةٍ وَوُلُوعِ^(٣)

(١) الصاب، والمرار: نبتان شديدا المرارة.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١١٠/٧.

(٣) الورقاء: الحمامة. الصبابة: رقة الشوق وحرارته. الولوج: شدة التعلق والكلف.

والعودُ في يَدها يَميلُ وإِلَفيها
والعينُ قد سَفَحَتْ وهَاجَ لها البُكا
أحمامةُ الأيِّك التي قد هَيَّجَتْ
مَهلاً فَتَفْضُكُ للسَّوالفِ في الفَضَا
فَدَعِيَ الهوى ثم اسْبَحِي فَتَخَيَّرِي
وله أشعار كثيرة. وقد ترجم له صاحب طوق الصادح، وصاحب نسمة السحر، ولم أقف على تاريخ وفاته^(٤).

٣١٣

(السيد عَلِي بن صَلَاح بن مُحَمَّد العبالي)

بالمهملة مضمومة بعدها موحدة، أصله من «الحرجة» بمهملتين مفتوحتين ثم جيم، قرية ما بين الحجاز وصعدة. وهو من أكابر العلماء، ومن جملة أنصار الإمام القاسم بن مُحَمَّد، كان يبعثه في مهماته، ويصفه بالأوصاف الجميلة حتى قال فيه: لا أخاف على أهل اليمن وفيهم هذا يعني صاحب الترجمة. وأرسله في أول دعوته إلى القاضي العلامة يوسف الحماطي ليأخذ منه البيعة، فقال القاضي: لا معرفة لي بمقدار الإمام في العلم، ولا بد أن أورد عليه مسائل، فقال: هات ما تريد إirاده عليه من المسائل، فذكر له مسائل مشككة، فأجابه في الحال بجوابات ارتضاها، فقال له: أمدد يدك أبايعك فأنت أهل للإمامة، فقال له: لا تفعل فليس علمي بالنسبة إلى علم الإمام شيئاً، فاطمأنت نفس القاضي وبايع. (ومات) في شهر رجب سنة ١٠١٩ تسع عشرة وألف بشهارة، وله أولاد أمجاد منهم: (الحُسَيْن) وهو من العلماء المبرزين، وهو الذي كَمَّل شرح الشيخ لُطْف الله الغياث على الكافية، وولده (الحَسَن بن عَلِي) من أكابر العلماء المُدرِّسين المفيدين، وولده (مُحَمَّد بن عَلِي) هو القائل: [من الرجز]

مَنْ خَالَفَتْ أَقْوَالُهُ أَفْعَالُهُ تَحَوَّلَتْ أَفْعَالُهُ أَفْعَى لَهُ
مَنْ أَظْهَرَ السِّرَّ الَّذِي فِي صَدْرِهِ لِعَايَرِهِ وَهَالَهُ وَهَى لَهُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ لِسَانُهُ طَوْعاً لَهُ فَتَرَكُهُ أَقْوَالُهُ أَقْوَى لَهُ

(١) إلفها: حبيبها. الخمائل: جمع الخميعة: الشجر المجتمع الكثير المتنف. الفروع: الأغصان.

(٢) السَّجُوع: تردد الصوت على طريقة واحدة.

(٣) الغضا: ضرب من الشجر، خشبه صلب، وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ.

(٤) في معجم المؤلفين: كان حياً سنة ١١١١هـ / ١٦٩٩م.

وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَرَامِ طَالِباً مِنْ رُشْدِهِ حَلَالَهُ حَلَالُهُ
وهي أبيات جيدة، وفي البيت الأول نظر لأن أفعاله فاعل تحوّلت، فهو مرفوع،
وأفعى له لامه مفتوح بخلاف بقية الأبيات فهي متوافقة الجنس بالحروف والحركات.
وجرى القلم عند كتب هذه الأبيات بشيء من جنسها مثل عددها وهو: [من الرجز]
لَا تَشْتَغِلْ بِمَلْبَسٍ فَكُلِّ ذِي فَضْلٍ تَرَى أَسْمَالَهُ أَسْمَى لَهُ^(١)
مَنْ يَطْلُبُ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ عَاجِزاً عَنْ حَمْلِهِ وَنَالَهُ وَنَى لَهُ
مَنْ لَمْ يَذُدْ رَقِيبَهُ عَنْ مَرْبَعٍ يَلْقَى بِهِ غَزَالَهُ غَزَى لَهُ
فِي رَاحَةِ الْمَرْءِ وَفِي تَرْوِيحِهِ فُؤَادَهُ وَبَالَهُ وَبَى لَهُ

٣١٤

(السيد عليّ ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين)

ولد في رجب سنة ٩٢٧ سبع وعشرين وتسعمائة، وأخذ عن والده وغيره، وفاق
في فنون كثيرة، واشتهر بالعلم، (ومات) في رجب سنة ٩٧٨ ثمان وسبعين وتسعمائة
بحصن حب مسموماً في سفرجلة أهداها له رجل. وولده إبراهيم من أكابر العلماء،
أخذ عن والده وغيره، وأخذ عنه جماعة من الأكابر، منهم الشيخ لطف الله بن محمد
الغياث، وقبره بشبام.

٣١٥

(مولانا الإمام خليفة العصر أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين عليّ ابن الإمام المهدي)^(٢)

العبّاس بن المنصور حسين بن المتوكل القاسم بن حسين بن المهدي أحمد بن
الحسن ابن الإمام المنصور القاسم بن محمد. قد تقدم تمام نسبه في ترجمة جده
الحسن بن القاسم. ولد حسبما سمعته منه حفظه الله في سنة ١١٥١ إحدى وخمسين
ومائة وألف بصنعاء، ونشأ بها. وفي سنة (١١٧٢) أو في التي قبلها فوُضَّ إليه والده
الإمام المهدي ولاية صنعاء، وجعله أمير الأجناد وأمره بسكون قصر صنعاء فقام بذلك
قياماً تاماً بحزم ومهابة وحرمة وافرة ومكارم واسعة وحسن أخلاق وصبر على الأمور
وسياسة لأحوال الجمهور، فاستمرَّ على ذلك ودام فيه مدة أيام والده. واتفق في سنة

(١) الأسمال: الثياب البالية.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٢٩٨/٤؛ نيل الوطر: ١٤٠/٢.

(١١٨٤) أَنَّ حَسَنَ الْعَنْسِيِّ السَّاكِنَ بِجَبَلِ بَرطِ الْمُتَرَسِّسِ عَلَى ذَوِي مُحَمَّدٍ، وَذَوِي حُسَيْنِ السَّاكِنِينَ فِي جَبَلِ بَرطِ وَهُمْ جَمْرَةٌ عَرَبِ الْيَمَنِ إِذْ ذَاكَ، وَأَهْلُ الشُّوَكَةِ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا يَقُومُ لَهُمْ غَيْرُهُمْ مِنْ سَائِرِ الْقَبَائِلِ، وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ خُطُوبٌ كَانَتْ سَبَباً لَخُرُوجِهِ عَلَيْهِ، فَخَرَجَ بِجَيْشٍ مِنَ الْمَذْكُورِينَ، وَمِنْ غَيْرِهِمْ لَمْ يَخْرُجْ بِمِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَاتِ، فَاسْتَعَدَّ لَهُ مَوْلَانَا الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ وَجَمَعَ الْعَسَاكِرَ وَأَرْسَلَ أَحَدَ أَمْرَاءِ أَجْنَادِهِ وَهُوَ الْأَمِيرُ سَنْدُرُوسُ بِمَعْظَمِ جِيوشِهِ مِنْ خَيْلٍ وَرَجُلٍ وَسَائِرِ الْعَسَاكِرِ الْمَطْلُوبَةِ مِنَ الْقَبَائِلِ حَتَّى اجْتَمَعَ لَهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ وَأَمَرَ أَمِيرَ الْأَجْنَادِ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْجِيُوشِ أَنْ يَلْتَقِيَ حَسَنَ الْعَنْسِيِّ إِلَى بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ حَسَنَ الْعَنْسِيِّ سَلَكَ طَرِيقاً أُخْرَى، فَلَمْ يَشْعُرْ أَهْلُ صَنْعَاءَ إِلَّا وَهُوَ فِي سَعْوَانٍ، وَهُوَ مَحَلٌّ شَرْقِيٌّ صَنْعَاءَ قَرِيبٌ مِنْهَا فَحَصَلَتْ بِذَلِكَ رَجَّةٌ فِي صَنْعَاءَ كَبِيرَةٌ. وَكَانَ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ سَاكِناً فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ صَنْعَاءَ وَمَوْلَانَا وَلَدَهُ صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ سَاكِناً فِي الْقَصْرِ، وَهُوَ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ فَخَرَجَ عِنْدَ أَنْ بَلَغَهُ ذَلِكَ الْخَبَرُ فِي طَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا يَبْلُغُونَ خَمْسَمِائَةَ رَجُلٍ وَطَائِفَةٍ يَسِيرَةٍ مِنَ الْخَيْلِ أَكْثَرَهُمْ لَا نَفْعَ فِيهِ لَكُونَ مَعْظَمُ الْخَيْلِ الْمُنْتَخَبَةِ قَدْ صَارَتْ صَحْبَةَ الْأَمِيرِ سَنْدُرُوسٍ، فَاصْطَفَى لَهُ حَسَنَ الْعَنْسِيِّ وَأَصْحَابَهُ وَهُمْ أَلُوفٌ مُؤَلَّفَةٌ وَفِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الشُّجَاعَةِ وَالتَّجَرِبَةِ لِلْحُرُوبِ وَالْإِعْتِيَادِ لِلشَّرِّ مَنْ هُوَ أَضْعَافٌ أَضْعَافٌ مِنْ مَعِ مَوْلَانَا، بَلْ مَا زَالَ ذَلِكَ الْمَقْدَارُ الْيَسِيرُ يَتَنَاقَصُ بِفِرَارٍ مِنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْعَسْكَرِ وَتَسْتَرَهُمْ بَيْنَ الْأَثَلِ وَنَحْوِهِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْمَعْرَكَةِ. فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ كَانَ مَنْ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَانَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجَمْعِ الْآخِرِ كَلَا شَيْءٍ، وَهُوَ يَقْدَمُ وَلَا يَنْثَنِي وَيَحِثُّ مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْمَصَابِرَةِ وَالْإِقْدَامِ وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْإِحْجَامِ حَتَّى وَصَلَ بِهِمْ إِلَى نَحْرِ الْعَدُوِّ وَضَاقِقُوهُمْ غَايَةَ الْمَضَاقِقَةِ وَقَتَلُوا مِنْهُمْ كَثِيراً وَلَكِنْهُمْ انْثَالُوا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ كَأَنَّهُمْ الْجَرَادُ، فَتَأَخَّرَ بِأَصْحَابِهِ قَلِيلاً قَلِيلاً وَهُوَ يَدَافِعُ عَنْهُمْ وَخَرَجَ وَالِدُهُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ مَغِيراً إِلَيْهِ وَمَغِثاً لَهُ فَالْتَقَاهُ وَهُوَ يَتَهَلَّهَلُّ لَمْ يَظْهَرِ عَلَيْهِ فَرْعٌ وَلَا جَزَعٌ وَلَا طَبِشٌ وَلَا خَفَةٌ وَلَا وَجَلٌ وَلَا خُطْلٌ بَلْ مِنْ رَأَاهُ ظَنَّ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ بَعْضِ الْمُنْتَزِعَاتِ، وَهُوَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَعْرَكَةٍ تَطِيرُ لَهَا الْعُقُولُ وَتَشِيبُ لَهَا الْوُلْدَانُ وَتَرْجَفُ مِنْهَا الْأَفْئِدَةُ وَتَخْرُسُ عِنْدَهَا الْأَلْسُنُ، وَهَكَذَا فَلْتَكُنِ الشُّجَاعَةُ. وَبَعْدَ هَذِهِ الْمَوْقِعَةِ اعْتَرَفَ لَهُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْجَلِيلُ وَالْحَقِيرُ حَتَّى خَصُومُهُ بِأَنَّهُ بِمَكَانٍ مِنْ ثَبَاتِ الْجَنَانِ يَقْصُرُ عَنْهُ أَبْنَاءُ الزَّمَانِ. ثُمَّ إِنَّهُ اسْتَمَرَ عَلَى إِمَارَةِ الْجَيْشِ وَوَلَايَةِ صَنْعَاءَ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا حَتَّى مَاتَ وَالِدُهُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ فِي شَهْرِ رَجَبِ سَنَةِ (١١٨٩) فَبَايَعَهُ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَّامُ وَآلُ الْإِمَامِ وَسَائِرُ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَتِهِمْ، وَلَمْ يَتَخَلَفْ عَنْهُ أَحَدٌ، وَفَرَحُوا بِهِ وَاعْتَبَطُوا بِخِلَافَتِهِ، وَأَحْبَبَهُمْ وَأَحْبَوهُ. وَتَوَلَّى وَزَارَتَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الشَّامِي إِلَى عِنْدِ مَوْتِهِ، ثُمَّ الْفَقِيهَ الْحَسَنَ بْنَ عُثْمَانَ الْقُرَشِيَّ، ثُمَّ وَلَدَهُ الْفَقِيهَ حَسَنَ بْنَ حَسَنٍ. وَمِنْ جَمَلَةِ وَزَرَاءِهِ

السيد أحمد بن إسماعيل فايع . وولي القضاء الأكبر عند مبايعته القاضي العلامة بَحْيَى بن صالح السَّحُولِي . وأما أمراء أجناده فهم في أول خلافته الأمراء الذين كانوا في أيام والده الأمير فيروز ، والنقيب ریحان ، وغيرهما . ثم ماتوا وصارت الإمارة إلى الأمير سرور المنصور أياماً ، وإلى النقيب جوهر . وأما ولاية صنعاء وإمارة الجيش الذي كان أميراً عليهم قبل خلافته فصارت أياماً يسيرة إلى أخيه القَاسِم بن المَهْدِي ، ثم بعد ذلك صارت إلى ولده الهُمام صفِيّ الإسلام أحمد ابن أمير المؤمنين ، وهو الآن القائم بتدبير الأجناد والمتولي لجميع الأمور بصنعاء وما يليها ، وله من كمال الرياسة وحسن مسلك السياسة والمهابة والصرامة والفطنة بدقائق الأمور والاطلاع على أحوال الجمهور وجودة التدبير والخبرة بالجلبي والخفي ما لا يمكن وصفه مع النقادة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة والمعرفة للأدب ومطالعة كتبه والإشراف على كتب التاريخ ومحبة أهل الفضائل وكراهة أرباب الرذائل والنزاهة والصيانة والميل إلى معالي الأمور . وهو أكبر أولاد الإمام . وقد تقدمت له ترجمة مستقلة . ويليه في السَّن أخوه (شرف الإسلام الحَسَن ابن أمير المؤمنين) وهو حسن الأخلاق عظيم الهمة كريم السجية شريف النفس مُطَّلِع على ما تمسُّ إليه الحاجة من أمور الدين والدنيا . ويليه أخوه (فخر الإسلام عبد الله ابن أمير المؤمنين) وهو أحد أمراء الأجناد ، وجعل إليه والده الإمام الإشراف على الديوان ، واستنابه في الحضور مع الحكام عند فصل الخصام في يومي الاجتماع من كل أسبوع ، وجعل إليه ولاية بعض البلاد كالحيمة ، وبلاد البستان . وفيه من حسن الخلق ومزيد التواضع وكرم السجيا ومعرفة حقائق القضايا ما هو غاية ونهاية . ولوالده إليه ميل عظيم ومحبة زائدة ، وفيه خبرة كاملة ومحبة لقضاء حوائج المحتاجين والتبليغ إلى والده بمطالب الطالبين والشفاعة لمن يلوذ به من القاصدين والدلالة على سبيل الخير بكل ممكن . ويليه أخوه (عز الإسلام مُحَمَّد ابن أمير المؤمنين) وهو أحد أمراء الأجناد ، وهو من فحول الرجال في جميع الأحوال ، وله من معرفة الحقائق ومحبة معالي الأمور ونزاهة النفس والعفة والصيانة ما هو متفرد به . وقد ولَّاه والده الإمام الجهات العمرانية ، فعزم بجنده إلى هنالك ، وهو الآن مقيم بها . وهؤلاء الأربعة هم البالغون مبالغ الرجال من أولاد مولانا الإمام . وأما الباقيون فهم صغار لم يبلغوا سن التكليف عند تحرير هذا التاريخ ، ولهم جميعاً في الفروسية طرائق يعجز عنها غيرهم ولا يدانيهم فيها سائر الناس ، فكل واحد منهم إذا لعب بفروسه بين الفرسان صار نزهة للناظرين ، ولا يفوقهم في هذا الشأن أحد إلا والدهم مولانا الإمام فإنه في ذلك لا يُبارَى ولا يساويه أحد من الناس ، فإنه إذا طارد الفرسان ، وحرَّك حصانه بجانب الميدان ، صار المتفرد بهذا الشأن الفائق فيه جميع نوع الإنسان ، بحيث لا يستطيع من رآه كذلك أن يميل نظره عنه لما يراه من حسن

الصناعة والفروسية البالغة إلى غاية البراعة. وله في التواضع ما لا يساويه فيه أحد ولا يصدق بذلك إلا من تآخمه وجالسه فإنه لا يعدّ نفسه إلا كأحد الناس، بل قد رأينا كثيراً ممن هو أصغر خدماً، بل ممن هو متعلق بأحقّ عمل من عند بعض خدّمه يترفع فوق ترفعه ويرى لنفسه من الحقّ فوق ما يرى لنفسه، وهذه خصيصة اختصه الله بها ومزية شرفه الله بالتخلي بها، فإنّ التواضع مع مزيد الشرف أحبّ من الشرف. ثم له من حسن الأخلاق أوفر حظّ وأكرم نصيب قلّ أن يجد الإنسان مثل حسن خلقه عند أصغر المتعلقين بخدمته مع ما جُبل عليه من حسن النية وكرم الطوية وتفويض الأمور إلى خالقه والوقوف تحت المشيئة. وبهذا السبب ظفّر الله بمن يناويه ونصره على جميع من يعاديه، فلم تقم لباغ عليه قائمة. وهو مجبول على الغريزتين اللتين يحبهما الله ورسوله الكرم والشجاعة، وإذا وقع في الظاهر شيء مما يظن من لم يطلع على الحقيقة أنه يخالف ذلك فهو لعذر لو اطلع عليه لوجده الصواب الذي لا ينبغي سواه، ولا يليق غيره. وقد يكون ذلك لسبب بعض المتّصلين بمقامه العالي، وهكذا إذا وقع في جانب الرعية ما لا يناسب الشرع فهو بسبب من غيره، وأما هو فلا يحب إلا الخير، ولا يريد إلا العدل. وإذا اتضح له ذلك أبطله ولم يرّض به. وكثيراً ما يخفى عليه ذلك بسبب مصانعة بعض من يتصل به للبعض الآخر، فمن هذه الحيثية قد يقع أمر لا يريده ولا يرضى به. وقد اشتهر هذا بين الناس حتى لا يقع التوجع منه في شيء أبداً، بل لجميع الرعية فيه غاية المحبة بحيث إنه مرض في بعض السنين فكانوا يجتمعون ويبكون ويدعون له بالبقاء. وقلّ أن يتفق مثل هذا لأحد من الأئمة والسلاطين في المتقدمين والمتأخرين. وهو آخذ من علم الشرع بنصيب، قرأ قبل مصير الخلافة إليه في الفقه والنحو على العلامة الحسن بن عليّ حنّس الذي صار وزيراً له كما تقدم. وله شغف شديد بالكتب النفيسة ومطالعتها بحيث لا يقف في مكان إلا وعنده منها عدة. ولما كان في شهر رجب سنة (١٢٠٩) مات قاضيه المتقدم ذكره، وكان صدرّاً من الصدور وعارفاً بقوانين الأمور، وقد تولى القضاء الأكبر في أيام جدّه المنصور بالله الحسين بن القاسم في أيام والده الإمام المهدي، وضمّ إليه الوزارة، ثم نكبه، وأعادّه مولانا الإمام عند أن بُويع بالخلافة، وولّاه القضاء الأكبر، فكان يقوم بأمور القضاء وينتفع الإمام ووزراؤه بسديد رأيه لمزيد اختباره وكمال ممارسته. وكان يقصده الوزراء إذا نابهم أمر إلى بيته ويطلبه الخليفة إذا عرض مهمّ، فكان أكثر الأمور تصدر عن رأيه. وله في الصدور مهابة عظيمة وحرمة وافرة وجلالة تامة، ولعلها تأتي له ترجمة مستقلة إن شاء الله تعالى. فلما مات في ذلك التاريخ، وكنت إذ ذاك مشغولاً بالتدريس في علوم الاجتهاد والإفتاء والتصنيف منجماً عن الناس لا سيّما أهل الأمر وأرباب الدولة، فإني لا أتصل بأحد منهم كائناً من كان، ولم

يكن لي رغبة في سوى العلوم، وكنت أدرّس الطلبة في اليوم الواحد نحو ثلاثة عشر درساً منها ما هو في التفسير كالكشف وحواشيه، ومنها ما هو في الأصول كالعضد وحواشيه، والغاية وحاشيتها، وجمع الجوامع وشرحه وحاشيته، ومنها ما هو في المعاني والبيان كالمطول والمختصر وحواشيهما، ومنها ما هو في النحو كشرح الرضي على الكافية، والمغني، ومنها ما هو في الفقه كالبحر وضوء النهار، ومنها ما هو في الحديث كالصحيحين وغيرهما مع ما يعرض من تحرير الفتاوى ويمكن من التصنيف، فلم أشعر إلا بطلاب لي من الخليفة بعد موت القاضي المذكور بنحو أسبوع، فعزمت إلى مقامه العالي فذكر لي أنه قد رجّح قيامي مقام القاضي المذكور، فاعتذرت له بما كنت فيه من الاشتغال بالعلم، فقال القيام بالأمرين ممكن، وليس المراد إلا القيام بفصل ما يصل من الخصومات إلى ديوانه العالي في يومي اجتماع الحكام فيه. فقلت سيقع مني الاستخارة لله والاستشارة لأهل الفضل، وما اختاره الله ففيه الخير. فلما فارقت ما زلت متردداً نحو أسبوع، ولكنه وفد إليّ غالب من ينتسب إلى العلم في مدينة صنعاء، وأجمعوا على أن الإجابة واجبة، وأنهم يخشون أن يدخل في هذا المنصب الذي إليه مرجع الأحكام الشرعية في جميع الأقطار اليمنية من لا يؤثق بدينه وعلمه، وأكثروا من هذا وأرسلوا إليّ بالرسائل المطولة، فقبلت مستعيناً بالله ومُتَّكلاً عليه، ولم يقع التوقف على مباشرة الخصومات في اليومين فقط، بل انثال الناس من كل محل فاستغرقت في ذلك جميع الأوقات إلا لحظات يسيرة قد أفرغتها للنظر في شيء من كتب العلم أو لشيء من التحصيل وتتميم ما قد كنت شرعت فيه. واشتغل الذهن شغلة كبيرة وتكدّر خاطر تكدراً زائداً ولا سيما وأنا لا أعرف الأمور الاصطلاحية في هذا الشأن، ولم أحضر عند قاضٍ في خصومة ولا في غيرها، بل كنت لا أحضر في مجالس الخصومة عند والدي رحمه الله من أيام الصغر فما بعدها. ولكن شرح الله الصدر وأعان على القيام بذلك الشأن، ومولانا الخليفة حفظه الله ما ترك شيئاً من التعظيم إلا وفعله، وكان يُجلّني إجلالاً عظيماً، وينفذ الشريعة على قرابته وأعوانه بل على نفسه، وأنا حال تحرير هذه الأحرف في سنة (١٢١٣) مستمرّ على مباشرة تلك الوظيفة، مؤثّر للتدريس للطلبة في بعض الأوقات في مصنفاتي وغيرها، وأسأل الله بحوله وطوله أن يرشدني إلى مرضيه، ويحول بيني وبين معاصيه، وييسّر لي الخير حيث كان ويدفع عني الشرّ ويقيمني في مقام العدل ويختار لي ما فيه الخير في الدين والدنيا. ولمولانا حفظه الله في خلافته الغراء من الأمور العظيمة ما لا يتسع له إلا سيرة مستقلة في مجلدات، سدّده الله في جميع أموره، وأعانه على ما فيه رضاه، وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة.

وفي آخر شهر رجب سنة ١٢٢٣ ثلاث وعشرين بعد المائتين والألف، اتفقت

حادثة عظيمة في صنعاء وهي أن وزير مولانا الإمام الفقيه حسن بن حسن بن عثمان العلفي تمكّن تمكناً كبيراً، وصارت الأمور مقرونة به، وجميع التدبيرات مقصورة عليه، وكان بينه وبين سيدي أحمد ابن الإمام مواحشة بسبب أمور تصدر في مقام الخليفة، وبسبب تقصيره في أرزاق الأجناد، ثم تزايدت الوحشة ولم يسمع الوزير المناصحة مني له إِدلالاً بما له من الحظّ عند الخليفة، وصدرت منه أمور مشعرة بالاستخفاف بكثير من أقارب الخليفة وأصحابه وتقصير في الجرايات التي لقبائل بكيل، حتى كانوا يقطعون الطرق حول صنعاء وينهبون الأموال ويسفكون الدماء، وطال ذلك وأضرّ بالناس وتقطّعت الطرق ووثب كثير من القبائل على الطرق التي بقرب منهم، فجمع سيدي أحمد ابن الإمام أصحابه في التاريخ المتقدم، وطلب الوزير المذكور فأبى، فأرسل إليه جماعة من الجند فوصلوا وقبضوا عليه وعلى جماعة من قرابته فعظم ذلك على الخليفة، وأراد استخلاصه، فأرسل سيدي أحمد جماعة من الجند وأحاطوا بدار الخلافة وقد كان فيها سيدي عبد الله ابن الإمام بجماعة من أصحابه فوقعت حرب، وأرسلت إلى الخليفة وأصلحت الأمر على أن سيدي أحمد يكون تدبير البلاد الإمامية إليه، ويكون لوالده بمنزلة الوزير ويبقى الوزير في اعتقاله. وفي أول ساعة من ليلة الأربعاء لعله خامس عشر شهر رمضان سنة ١٢٢٤ أربع وعشرين ومائتين وألف (توفي) مولانا الإمام رحمه الله بداره بصنعاء المسماة بدار الإسعاد، ثم ضلّي عليه في قبة والده المهدي في جمع جمّ، وكان الذي ضلّي عليه راقم هذه الأحرف، وقُبر في طرف بستان المتوكّل، ووقعت البيعة لولده مولانا الإمام المتوكّل على الله أحمد بن المنصور في الليلة التي مات فيها الإمام، وكنت أول من بايعه، ثم كنت المتولي لأخذ البيعة له من إخوته وأعمامه وسائر آل الإمام القاسم، وجميع أعيان العلماء والرؤساء. وكانت البيعة منهم في أوقات، والله المسؤول أن يجعل للمسلمين فيه صلاحاً وفلاحاً.

(٣١٦)

(علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى
ابن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم
السبكي تقي الدين، أبو الحسن الشافعي)^(١)

ولد أول يوم من صفر سنة ٦٨٣ ثلاث وثمانين وستمائة، وتفقه على والده،

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٢٧/٧؛ الدرر الكامنة: ٦٣/٣؛ النجوم الزاهرة: ٣١٨/١٠؛
شذرات الذهب: ١٨٠/٦؛ بغية الوعاة: ٣٤٢؛ كشف الظنون: ٢١؛ ١١٨، ٩٣٦، ١٤٨٩؛ =

ودخل القاهرة فاشتغل على ابن الرفعة، وأخذ الأصلين عن القاضي، والخلاف عن السيد البغدادي، والنحو عن أبي حيّان، والتفسير عن العَلَم العراقي، والقراءات عن التقيّ الصايغ، والحديث عن الدِّمياطي، والتصريف عن ابن عطاء، والفرائض عن الشيخ عبد الله العماري. وطلب الحديث بنفسه ورحل فيه إلى الشام والإسكندرية والحجاز، فأخذ عن الحُفّاظ، وولي بالقاهرة تدريس المنصورية وغيرها، وكان الأكابر من أركان الدولة يعظمونه. ولما تُوفي القاضي جلال الدين القزويني بدمشق طلبه الناصر في جماعة ليختار منهم من يقرّره مكانه، فوقع الاختيار على صاحب الترجمة فولّوها في جمادى الآخرة سنة (٧٣٩) فباشّر القضاء بحرمة وعقّة ونزاهة، وأضيفت إليه الخطابة، وولي التدريس بدار الحديث الأشرفية، وطُلب إلى القاهرة لتولية قضائها فبقي قليلاً ولم يتمّ فأعيد، وكان لا يقع له مسألة مشكلة أو مستغربة إلّا ويعمل فيها تصنيفاً. وقد جمع مسائله ولده تاج الدين في أربعة مجلدات. قال الصفدي: ما تعرّض له أحد من نواب الشام أو غيرهم إلّا أصيب إما بعزل أو موت، قال الإسنوي في الطبقات: كان أنظر مَنْ رأيناه من أهل العلم ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة وأجلدهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحقّ في المباحث ولو على لسان أحد الطلبة، مواظباً على وظائف العبادات، مراعيّاً لأرباب الفنون. و(توفي) رحمه الله في ثالث جمادى الآخرة سنة ٧٥٦ ستّ وخمسين وسبعمائة، وله شعر جيد، فمته: [من الكامل]

إِنَّ الْوَلَايَةَ لَيْسَ فِيهَا رَاحَةً إِلَّا ثَلَاثٌ يَبْتَغِيهَا الْعَاقِلُ
حُكْمٌ بِحَقٍّ أَوْ إِزَالَةُ بَاطِلٍ أَوْ نَفْعٌ مُّحْتَاجٌ سِوَاهَا بَاطِلُ
ومن شعره: [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إِنَّ لِي نَفْساً تَسَامَى إِلَى مَا لَمْ يَنْلُ دَاراً بَنُ دَاراً^(١)
فَمِنْ هَذَا أَرَى الدُّنْيَا هَبَاءً وَلَا أَرْضَى سِوَى الْفِرْدَوْسِ دَاراً^(٢)
وكان قد نزل عن منصب القضاء لولده تاج الدين بعد أن مرض، ثم عُوفي، ومات بعد أيام في تاريخه المتقدم.

= إيضاح المكنون: ٢٨٦/١، ٧٤/٢؛ هدية العارفين: ١/٧٢٠؛ الأعلام: ٣٠٢/٤.

(١) دارا بن دارا: أحد ملوك الفرس.

(٢) هَبَاءٌ: لا قيمة لها. الفردوس: الجَنَّة.

٣١٧

(السيد عَلِيّ بن عَبْدِ اللَّهِ بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَسِّن الجَلال)^(١)

الصَّنْعاني المولد والدار والنشأة، ولد في شَوَّال سنة (١١٦٩)، وقرأ على علماء صنعاء كالسيد العلامة إِسْمَاعِيل بن هادي المفتي، وشيخنا العلامة الحَسَن بن إِسْمَاعِيل المغربي، وشيخنا العلامة السيد عبد القادر بن أحمد. وله مشايخ في فنون عديدة، وبرع في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والحديث والتفسير، وشارك في الفروع مشاركة قوية، وتتبع الأدلة، فعمل بها، ولم يُقلّد أحداً، وانتفع به الطلبة في جميع الفنون، وأخذوا عنه في جميع علوم الاجتهاد، وفيهم من النبلاء جماعة كثيرة. وهو من محاسن العصر، وأفراد الدهر، مُكِبٌّ على العلوم في جميع الأوقات، قويّ الحفظ سريع الفهم صحيح الذهن مع مزيد التواضع والتودّد والبشاش وحسن الأخلاق والسكينة والوقار وورصانة العقل وصيانة الدين والتعفف. وفي عام تحرير هذه الأحرف جعله مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله من جملة قضاة صنعاء، وعظّمه بما يستحقه بعد أن عرّفته حفظه الله بجلالة مقدار صاحب الترجمة، وأشرت عليه بنصبه، فباشر القضاء مباشرة حسنة مشكورة، وابتهج الناس بقبوله لذلك، وأثنوا على الخليفة حفظه الله بانتخاب مثله، فإنه من أكابر علماء العصر، وأفاضل أبناء الدهر، والحمد لله ربّ العالمين. وهو مع اشتغاله بمنصب القضاء لم يدع الاشتغال بالعلم، بل هو مُستمرٌّ على التدريس للطلبة في الكتب الحافلة. وقد دار بيني وبينه مباحثات نافعة ومراجعات جيدة، وترافقنا في القراءة على شيخنا المغربي في الكشف، وفي شرح بلوغ المرام، وبينني وبينه مطارحات أدبية، فمن ذلك أنّي كتبت إليه قصيدة أيام الطلب مطلعها: [من الكامل]

بَرَقَ شَرَى فَأَثَارَ فِي أَحْشَائِي نَارَ الْهَوَى بَعْدَ انْدِرَاسِ هَوَائِي^(٢)

فأجاب صاحب الترجمة بقصيدة طويلة أولها: [من الكامل]

أَرِيَاضُ رَوْضٍ أَشْرَقَتْ أَزْهَارُهُ تَفَتَّرُ عَنْ بَشِيرٍ وَعَنْ سَرَاءِ^(٣)
أَمْ لَوْلَا الْأَصْدَافُ قَدْ صَادَفْتُهُ فِي رِقَةٍ وَمَلَا حَةٍ وَبَهَاءِ
أَمْ يَوْشَعُ فِي الْعَصْرِ قَدْ رَدَّتْ لَهُ شَمْسُ النَّهَارِ بِحَنْدِسِ الظُّلْمَاءِ^(٤)

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٣٠/٧؛ نيل الوطر: ١٤٥/٢؛ الأعلام: ٣٠٨/٤.

(٢) الاندراست: الانمحاء؛ يقال: درس المكان: انمحي وزالت معالمه.

(٣) تفتّر: تبسم.

(٤) الحنْدِسُ: الظلمة.

أم هذه عينُ البلاغة قُلِّدَتْ بِقَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ لِلْبُلْغَاءِ
وَدَلَّائِلِ الإعْجَازِ فِي تَبْيَانِهَا تَبْدُو بِإِيضَاحِ لَدَى الْفُصَحَاءِ
أَسْرَارُ لُطْفِ اللَّهِ حَلَّتْ لَفْظُهَا فَتَنَزَّهَتْ عَنْ وَضْمَةٍ وَخَطَأٍ^(١)
وَالسَّعْدُ لَمَّا لَاحَ فِي إِجْزَازِهَا صَارَ الشَّرِيفُ لَهَا مِنَ الْخُدَمَاءِ
وهي أبيات طويلة كالأصل، ونظمه الآن عافاه الله أعلى من هذه الطبقة، فهي من أوائل نظمته. وله رسائل يُحرِّرها إذا ورد إليه سؤال، أو وقعت المباحثة بينه وبين أحد العلماء. وقد كان شرع في جمع تاريخ، ولعله لم يكمل^(٢).

(٣١٨)

(السيد عَلِيُّ بن عبد الله بن أحمد بن عَلِيِّ بن عِيسَى الحُسَيْنِيِّ الملقب نور الدين المعروف بالسَّمُهودي)^(٣)

ولد سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة بسْمُهود، ونشأ بها فحفظ القرآن والمنهاج، ولازم والده، وقرأ عليه، وقدم القاهرة، وقرأ على جماعة منهم: الجوجري، والمناوي، وزين زكريا، والبلقيني، والمحلي، ثم حجَّ وجاور وسمع من السَّخَاوي، وتردَّد ما بين مكة والمدينة، وعمل للمدينة تاريخاً، وصنَّف حاشية على إيضاح التَّووي في المناسك، وعاد إلى القاهرة، ولقي السلطان، فأحسن إليه وجعل له جارية، ووقف على المدينة كتباً لأجله. ثم سافر لزيارة والدته، وزار بيت المقدس، وعاد إلى المدينة، ثم إلى مكة، فحجَّ ورجع إلى المدينة، وصار شيخها غير مدافع. وله فتاوى مجموعات ومؤلفات غير ما ذكر، وموته تقريباً سنة اثنتي عشرة وتسعمائة^(٤).

(٣١٩)

(عَلِيُّ بن عبد الله بن عَلِيِّ بن رَاوِعِ الْعَلَّامَةِ الرَّيْدِيِّ الْقَاضِي)^(٥)

أخذ عن الإمام شرف الدين وغيره، وبرع في فنون لا سيَّما علم الفقه. وتولَّى

(١) الوصمة: العيب.

(٢) كانت وفاته سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م (الأعلام: ٣٠٨/٤).

(٣) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٢٩/٧؛ الضوء اللامع: ٢٤٥/٥؛ شذرات الذهب: ٥٠/٨؛ كشف الظنون: ١٩٤، ٦١٤، ١٠٤٩؛ إيضاح المكنون: ١٢٧/١؛ هدية العارفين: ٧٤٠/١؛ الأعلام: ٣٠٧/٤.

(٤) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: توفي سنة ٩١١هـ / ١٥٠٦م.

(٥) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٣٨/٧.

القضاء بصنعاء للإمام شرف الدين، وله شرح على الأثمار، وقيل: إن له شرحاً على الأزهار. (ومات) سنة ٩٥٩ تسع وخمسين وتسعمائة، وقبر ببلد عاشر من بلاد خَوْلَان، وكان سبب موته أنه سقط من صَرْح داره بعاشر.

٣٢٠

(عَلِيّ بن قَاسِم حَنْش)^(١)

ولد في شهر محرم سنة ١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف، ونشأ بوطنه ذيبين، ثم ارتحل إلى كوكبان، وقرأ على علمائها، ثم وصل إلى صنعاء، وأخذ عن أهلها، وتردّد في الديار اليمنية حتى عرف أكثرها أو كلّها، واختبر بأهلها خاصتهم وعامتهم، وحجّ، وعاد، ووصل إلى صنعاء، فاتّصل بالإمام المهدي العبّاس بن الحُسين فقرّبه وأدناه وجالسه، وشرع في ترشيحه للوزارة لما رأى من تأهله لذلك، مع فصاحته ورجاحة عقله واختباره بالناس، ومعرفته بطبقاتهم، وحفظه لأخبارهم، وإمّناعه في جميع ذلك، وحسن محاضرتهم، وذلاقة لسانه، وفطر ذكائه، فحسده جماعة من الوزراء فأغروا به الإمام حتى أبعد عنه، وحُسّ دهرًا طويلاً، ثم أفرج عنه، وسكن صنعاء. وهو من نوادر الدهر في جميع أوصافه لا تخفى عليه من أحوال أبناء دهره خافية، ولا يسمع متكلم يتكلم في علم أو أدب أو تاريخ من تقدم أو تأخر إلّا ويجري معه ويحكى مثل حكايته. وله في العلم حظٌّ وافٍ، وفي الأدب سهم قامر. وفيه كرمٌ مفرطٌ، يجود بموجوده مع قلّة ذات يده. وقد يتصدق في بعض أوقاته بثيابه ولا يمسك شيئاً. وقد كان يصل إليه عند اتّصاله بالإمام المهدي شيء واسع فينفقه ولا يدّخر منه شيئاً. وهو من رجال الدهر قد حتّكته التجارب، وحلب الدهر أشطره، ومارس ما لم يمارسه غيره من محبوب ومكروه، وصديق وعدو، وشدة ورخاء. وهو أسرع الناس جواباً في كلّ ما يرد عليه، لا يعجم ولا يتلعثم ولا يعتريه خورٌ. وكثيراً ما يتفرّس في الحوادث قبيل وقوعها فيفتق وقوعها في الغالب كما يحدث. وله اتصال بأكابر الناس وأصاغرهم قد استوت لديه طبقاتهم كما استوت لديه الشدة والرخاء والإقبال والإدبار والمحبوب والمكروه، قد رأى نفسه أميراً كما رأى فقيراً، ورأها تارة في اليفاع، وتارة في أخفض البقاع. وهو الآن في الحياة قد جاوز السبعين، ولم يفتر نشاطه، ولا خفّ ضبطه، ولا تكدّرت أخلاقه. وبالجملة فهو قليل النظير في مجموعته. ومن محاسن كلامه الذي سمعته منه: (الناس على طبقات ثلاث، فالطبقة العالية العلماء الأكابر، وهم يعرفون الحق والباطل، وإن اختلفوا لم ينشأ عن اختلافهم

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٦٨/٧؛ الأعلام: ٣٢٠/٤؛ نيل الوتر: ١٥٠/٢.

الفتن لعلمهم بما عند بعضهم بعضاً. والطبقة السافلة عامة على الفطرة لا ينفرون عن الحق، وهم أتباع من يقتدون به إن كان محققاً كانوا مثله، وإن كان مُبطلاً كانوا كذلك. والطبقة المتوسطة هي منشأ الشرِّ وأصل الفتن الناشئة في الدين، وهم الذين لم يُمعنوا في العلم حتى يرتقوا إلى رتبة الطبقة الأولى، ولا تركوه حتى يكونوا من أهل الطبقة السافلة، فإنهم إذا رأوا أحداً من أهل الطبقة العليا يقول ما لا يعرفونه مما يخالف عقائدهم التي أوقعهم فيها القصور فوّقوا إليه سهام التقريع، ونسبوه إلى كل قولٍ شنيع، وغيرُوا فطر أهل الطبقة السفلى عن قبول الحق بتمويهات باطلة، فعند ذلك تقوم الفتن الدينية على ساق) هذا معنى كلامه الذي سمعناه منه، وقد صدق، فإن من تأمل ذلك وجده كذلك. ثم (مات) رحمه الله تعالى في شهر محرم سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف، وقد كان اشتغل بتاريخ دولة الإمام المهدي العباس بن المنصور، فأملَى حوادثها من حفظه بما يتعجب منه، ثم شرع في تاريخ ولده مولانا إمام العصر حفظه الله، فمات بعد الشروع في ذلك.

(٣٢١)

(عليُّ بن قاسم السَّنحاني)

بالمهملة والنون بعدها مهملة نسبة إلى بلاد سنحان اسم لقبيلة قريبة من مدينة صنعاء. كان صاحب الترجمة هو القائم بمذهب الزيدية أيام ولاية الأتراك على صنعاء، وكانوا يجتمعون إليه إلى مسجد داود، أحد مساجد صنعاء، ويأخذون عنه فقه الزيدية. ويقصده أهل الأموال منهم بالنذور الواسعة، فيصرف ذلك في تلامذته. وبالعالماء الأروام في اتصاله بهم فلم يفعل. واتفق في أيامه قضية هي أن بعض أولاد الأشراف من أهل صنعاء دخل يتوضأ في ذلك المسجد فلم يشعر إلا بِتُرْكِيٍّ قد دخل عليه وأراد به الفاحشة فطعنه بسكين فمات، وخرج من مطاهير الماء إلى المسجد وصاحب الترجمة يُقرئ الطلبة فَسَارَه بما وقع، ثم طلب الساني الذي يسني من البئر إلى المطاهير وأمره أن يكثر المسنى إلى المطاهير، وأمر بتغليق أبواب المطاهير، فانتصب الماء حتى ملأ ساحات المطاهير ثم أمر بتقطيع التركي قطعاً صغاراً وأخرج إلى محل بعيد. ومما يحكى عنه أنه بلغه أن رجلاً من أهل صنعاء له ولدان أمردان جميلان، وأن لهما دكانين يقعدان فيهما، ويصل إليهما أهل الفساد من الأتراك، فتقع المعاصي والمغاني ونحوها هنالك، فقال صاحب الترجمة لرجل من أهل الصلاح هل يمكنك أن تدّعي أن الدكانين لك وأحكم لك بذلك؟ فقال: ليس لي فيهما ملك، فقال: قد علمت ذلك ولكن هذا مما يسوغه الشرع، ففعل الرجل ذلك، وحكم له صاحب الترجمة. وكان له في إنكار المنكرات قضايا مستحسنة. وله تلامذة نبلاء،

منهم القاضي يُوسُف الحماطي . وكان اعتماد أهل صنعاء في الفتاوى عليه ، ولهم فيه اعتقاد عظيم . ولعل (موته) في حدود الألف من سني الهجرة .

(٣٢٢)

(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ الْعَنْسِيِّ الصَّنْعَانِيِّ)^(١)

الشاعر البليغ القاضي المشهور . أخذ العلم عن جماعة من أعيان عصره ، وقال الشعر الحسن ، فمن مقطعاته الفاتكة قوله : [من المنسرح]

لَا مَا عِذَارِ الْحَبِيبِ قَدْ أَسْرَا قَلْبِي الْمُعَنَّى وَأَرْقَا عَيْنِي^(٢)
مَلَكْتُهُ الْقَلْبَ إِذْ نَظَرْتُهِمَا فَالْقَلْبُ مُلْكٌ لَهُ بِلَا مَيْنِ
ومن قصائده القصيدة التي مطلعها : [من الطويل]

أَمَّا وَدُمُوعُ فَيْكَ تَكْتُبُ مَا أَمْلِي لَقَدْ صَدَّ حَتَّى شَحَّ بِالْكُتُبِ وَالرُّسُلِ^(٣)
وهي قصيدة جيدة . ومن بدائع قصائده القصيدة المشهورة وهي : [من الخفيف]
يَا سَمِيرِي وَلِلْفُتُوَّةِ قَوْمٌ خُلِقُوا مِنْ سُلَافَةِ الْأَنْسِجَامِ^(٤)
بِطَرَازِ الرَّفَا بِتَشْبِيبِ مَهْيَا رِبْلُطَفِ الْبَهَا بِطَبْعِ السَّلَامِي^(٥)
قُمْ فَعَرِّجْ بِنَا عَلَى مُرْقِصِ الشَّعْرِ رِ وَفَتِّشْ بِنَا طَرِيقَ الْعَرَامِ^(٦)
(نِ) (أَلَا فَاسْقِنِي) (أِدْرِ يَا غُلَامِي)^(٧) (كَعْيُونِ الْمَهَا) (يَا ظَبِيَّةَ الْبَا)
وَأَرْحِنِي مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي يُشْمِ خُ أَنْفَاءً بِالْبَاسِ وَالْإِقْدَامِ^(٨)
(كَلْبَسْنَا الْحَدِيدَ ثُمَّ اغْتَنَقْنَا) أَلْفًا مِنْ مُثَقَّفٍ فَوْقَ لَامٍ^(٩)

(١) ترجمته في : معجم المؤلفين : ١٨١ / ٧ ؛ هدية العارفين : ٧٦٦ / ١ ؛ إيضاح المكنون : ٥٨٧ / ١ ، ١٢٨ / ٢ ؛ الأعلام : ١٥ / ٥ .

(٢) العِذَارُ : الشعر النابت على جانبي الوجه . الْمُعَنَّى : المُتَعَب . أَرْقَا الْعَيْنَ : سَهَّادَهَا ، مَنَعَهَا النُّوْمَ .
(٣) شَحَّ بِالشَّيْءِ : بَخَلَ بِهِ .

(٤) السَّمِيرُ : الصَّاحِبُ الْمُؤَانِسُ بِحَدِيثِهِ فِي اللَّيْلِ . سُلَافَةُ الشَّيْءِ : خِيَارُهُ ، أَوْ مَا خَلَصَ مِنْهُ .
الْأَنْسِجَامُ : التَّوَافُقُ وَالتَّنَاسُبُ .

(٥) الرِّقَاءُ ، وَمَهْيَارُ ، وَالبَهَاءُ ، وَالسَّلَامِي : أَسْمَاءُ شُعْرَاءَ مَشْهُورِينَ .

(٦) عَرَّجَ بِهِ : مَالٌ ، أَوْ نَزَلَ .

(٧) «عَيُونُ الْمَهَا» : مَطْلَعُ قَصِيدَةِ لَعْلِي بْنِ الْجَهْمِ . «أَلَا فَاسْقِنِي» : مَطْلَعُ قَصِيدَةِ لَأْبِي نَوَاسٍ .

(٨) يَشْمَخُ : يَعْلُو وَيَرْتَفِعُ .

(٩) مُثَقَّفٌ : رُمُحٌ مُثَقَّفٌ : مُقَوِّمٌ . اللَّامُ : جَمْعُ اللَّامَةِ : أَدَاةُ الْحَرْبِ كُلُّهَا مِنْ رَمَحٍ وَبَيْضَةٍ وَمَغْفَرٍ وَسَيْفٍ وَدَرَعٍ .

وَمَنْ النَّاسِكِ الْمُشْمِرِ كَمَيْدٍ هِ كَنْظِمِ الْفَقِيهِ فِي الْأَحْكَامِ^(١)
 ثُمَّ دَغْنِي مِنَ الصُّعُودِ إِلَى (رَضُو ي) وَأَعْنِي بِذَا وُغُورِ الْكَلامِ^(٢)
 (كَقِفَا نَبِكَ) أَوْ (أَقِيمُوا بَنِي أُمِّ مِي) وَتِلْكَ الصَّخُورِ فَوْقَ الْأَكَامِ^(٣)
 مَالَنَا وَالْبُكَاءِ عَلَى رَسْمِ دَارِ خَلْ هَذَا الْعُرْوَةَ بِنِ حُزَامِ^(٤)
 مَا تَرَى رِقَّةَ النَّسِيمِ وَقَدْ هَبَّ بَ كَشَكْوَى مُتَيِّمٍ مُسْتَهَامِ^(٥)
 وَرِياضٍ بَرَزْنَ كَالْغَيْدِ حَتَّى إِنَّهَا مَا خَلَّتْ مِنَ النَّمَامِ^(٦)
 وَكَأَنَّ الْوَسْمِيَّ صَبُّ شَكَى الْبَيْدِ نَ إِلَيْهَا بِلَوَعَةٍ وَغَرَامِ^(٧)
 وَعَلَا بِالرُّعُودِ مِنْهُ نَحِيبٌ عَن حَشَا بِالْبُرُوقِ ذَاتِ اضْطِرَامِ^(٨)
 وَكَأَنَّ الزُّهُورَ حِينَ تَغَطَّتْ عِنْدَ ذَاكَ النَّحِيبِ بِالْأَكْمَامِ
 خَجَلَتْ وَالشَّقِيقُ فِيهَا خُدُودُ صُبِغَتْ بِالْحَيَاءِ فَهِيَ دَوَامِي^(٩)
 فَبِحُسْنِ الرِّيَاضِ بَلْ بِوُدَادِي لَكَ يَا مُنِيَّتِي عَلَى الْأَيَّامِ
 لَا تَقُلْ أَطْلَعْتُ سَمَاءَ الدِّيَاجِي شَفَقاً عِنْدَ رَوْضِنَا الْبَسَامِ^(١٠)
 غَيْرَ أَنَّ الْمَرِيخَ غَارَ مِنَ الْوَرْدِ دَفَاغَرَى بِهِ نُجُومُ الظَّلَامِ
 فَاسْتَعَارَ الذَّرَاعُ كَفَّ الثُّرَيَّا وَاجْتَنَاهُ مِنْ تَحْتِ كُمِّ الْعَمَامِ

انظر ما في هذه القصيدة من الانسجام والرقعة والمسلك العذب، والمعاني الجزلة. وغالب شعره على هذا الأسلوب، وهو مجموع في مجلد لطيف. وكان له تعلقٌ بالعلم، وتدريسٌ في فنون، فمن تلامذته السيد العلامة مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل الأمير، وذكر أنه قرأ عليه في النحو والمنطق. (ومات) فجأة في شهر جمادى الأولى أو الآخرة سنة ١١٣٩ تسع وثلاثين ومائة وألف.

(١) الناسك: المتعبّد. (٢) رضوى: اسم جبل.

(٣) قفا نبك: مطلع قصيدة لامرئ القيس (المعلقة). أقيموا بني أمي: مطلع قصيدة للشاعر الجاهلي المعروف بالشنفرى (اللامية).

(٤) رسم الدار: ما بقي شاخصاً من آثارها. عروة بن حزام: شاعر من متيمي العرب، من بني عذرة. توفي نحو ٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م.

(٥) المتيمم: الذي يَتِمُّهُ الحُبُّ: ذُلُّهُ واستعبده. المستهَام: المشغوفُ حباً.

(٦) الغيْدُ: جمع الغيداء: الفتاة الجميلة، الناعمة، المتشبهة، المتمايلة في مشيتها.

(٧) الوسْمِيُّ: مطر الربيع الأول.

(٨) النَّحِيبُ: أشدُّ البكاء. الاضطرام: الاشتعال الشديد.

(٩) الشقيق: شقائق النعمان: الشَّقَارَى: نبات أحمر الزهر مبعق بنقط سود.

(١٠) الدياجي: الظلمات.

(٣٢٣)

(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعْدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
عُثْمَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
هَبَةَ اللَّهِ بْنِ نَاجِيَةِ الْمَشْهُورِ بِابْنِ خَطِيبِ النَّاصِرِيَةِ الْحَلَبِيِّ
الشَّافِعِيِّ) (١)

ولد سنة ٧٧٤ أربع وسبعين وسبعمائة بحلب، ونشأ بها، وأخذ عن والده،
والسراج البلقيني. رحل إلى مصر والقدس، وأخذ على علماء ذلك الزمن. وكان إماماً
في الفقه والحديث، عالماً بالأصول والعربية، حافظاً للتاريخ. اشتهر ذكره في
الأقطار، وترجم أعيان حلب وجميع من دخل إليها، وجمع لها تاريخاً حافلاً جعله
ذيلًا على تاريخ الكمال بن العديم. وهو نظيف اللسان والقلم، وله تصانيف كالطبية
الرائحة في تفسير الفاتحة، وسيرة المؤيد، وشرح حديث أم زرع، وغير ذلك. وولي
قضاء بلده غير مرة، ثم ولي قضاء طرابلس، وحُمدت سيرته في جميع مباشراته.
وولي الخطابة ببلده، ودرّس وأفتى واستمرَّ على ذلك حتى (مات) بحلب يوم الخميس
نصف ذي القعدة سنة ٨٤٣ ثلاث وأربعين وثمانمائة، وخلف دنيا واسعة.

(٣٢٤)

(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ فَتُوحٍ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سَعْدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ
هِشَامِ بْنِ عُمَرَ الثَّعْلَبِيِّ) (٢)

الدَّمَشَقِيُّ الشَّافِعِيُّ الْمَوْصِلِيُّ تاج الدين المعروف بابن الدُّرَيْهِمِ، وبابن أبي
الخَيْرِ. ولد في شعبان سنة ٧١٢ اثنتي عشرة وسبعمائة، وقرأ على ابن شيخ العَوَيْنَةِ
المقدم ذكره، وعلاء الدين التركماني، وأبي حَيَّان. وارتحل إلى القاهرة، وكان يتجر
ويبيع من ملوك ذلك العصر، وله مال كثير. ثم درّس بدمشق، ثم دخل مصر، فبعثه
الناصر رسولاً إلى ملك الحبشة، وكان ماهراً في الأحاجي والألغاز والأوفاق والكلام
على الحروف وخواصها، وكانت له معرفة بالفقه والحديث والأصول والقراءات

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/٢٠٠؛ الضوء اللامع: ٥/٣٠٣؛ كشف الظنون: ٢٤٩،

٢٩٢؛ هدية العارفين: ١/٧٣١؛ إيضاح المكنون: ٢/٨٩؛ الأعلام: ٨/٥.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٥/٦؛ معجم المؤلفين: ٧/٢١٠، هدية العارفين: ١/٧٢٣؛ كشف

الظنون: ٢٠٩، ٤٨٥؛ الدرر الكامنة: ٣/١٠٦.

والتفسير والحساب، ويتكلم في جميع ذلك. وله تصانيف كثيرة منها: (النسمات الفاتحة لما في آيات الفاتحة)، و(إشراف النفس في الحمدلات الخمس)، و(الآثار الرائعة في أسرار الواقعة)، و(كنز الدرر في حروف أوائل السور)، و(غاية النعم في الاسم الأعظم)، و(نفع الجدوى في الجمع بين أحاديث العدوى)، و(المبهم في حل المترجم)، و(غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز)، و(سلم الحراسة في علم الفراسة)، و(بسط الفوائد في حساب القواعد)، وغير ذلك. (ومات) في سنة ٧٦٦ ست وستين وسبعمائة^(١).

٣٢٥

(علي بن محمد الشوكاني)

والد جامع هذا الكتاب غفر الله لهما، وسياق نسبه هكذا: علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن محمد بن صلاح بن إبراهيم بن محمد العفيف ابن محمد بن رزق، ينتهي إلى خيشنة بخاء معجمة مفتوحة فمشاة تحتية ساكنة فشين معجمة مفتوحة فنون فهاء، ابن زباد بالمعجمة ثم موحدة مشددة، وبعد الألف مهملة ابن قاسم بن مرهبة الأكبر ابن مالك بن ربيعة بن الدعام الذي كان يذكره الهادي عليه السلام في خطبته لكونه من أنصاره، وممن له العناية في خروجه من الرس إلى اليمن، ابن إبراهيم بن عبد الله بن ردي بن مالك. هكذا وقع سياق نسب خيشنة في بعض كتب الأنساب، ووقع سياق نسبه في كتاب الشريف أبي علامة المؤيدي المعروف «بروضة الألباب في معرفة الأنساب» هكذا: خيشنة بن زباد بن قيلم بن ربيعة بن مرهبة بن أجدع بن سعيد بن مسعود بن وائل بن الحارث الأصغر بن ربيعة بن الحارث الأكبر بن ربيعة بن مرهبة الأكبر بن الدعام بن مالك بن ربيعة. انتهى. وفي مشجر الأشرف الغساني أن الدعام بن إبراهيم هو ابن عبد الله بن ياسين بن حجيل بن عمارة بن زاهر بن ثمامة بن سعد بن عمارة بن عبد بن عليان بن الدعام بن رومان بن بكيل. انتهى. وفي كتاب أبي نصر النهلاوي أن الدعام بن إبراهيم هو ابن عبد الله بن إبراهيم بن الحسين بن عبد الله بن الأزهر بن ناشر بن حجل بن عميرة بن عبد بن عليان بن أرخب بن الدعام بن معاوية. انتهى. ثم اتفقوا فقالوا: ابن صعب بن رومان بن بكيل بن خيران بن نوف بن تبع بن زيد بن عمر بن همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة. وفي بعض الكتب المذكورة سابقاً: ابن الخيار مكان ربيعة، ثم اتفقوا فقالوا: ابن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح بن لَمَك بن

(١) في الأعلام، ومعجم المؤلفين: توفي سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م.

مَتَوْشَلَح بن أَخْنُوخ بن لُود بن مهلائيل بن قَيْثَان بن أنوش بن شِيث بن آدم وحواء سلام الله عليهما. وذكر المَسْعُودِي^(١) في المروج أن هِشَام بن الكلبي^(٢) حكى عن أبيه، وعن شَرْقِي القطامي أنهما كانا يذهبان إلى أن قَحْطَان هو ابن الهمَيْسَع بن نَبْت وهو نَابِت بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم خَلِيل الرَّحْمَن عليه السلام، ثم ذكر المَسْعُودِي بعد ذلك أن أنساب اليمن تنتهي إلى جَمِير وكَهْلَان ابني سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان، وأن قَحْطَان هو ابن عَابِر قال: هذا هو المتفق عليه عند أهل الخبرة، قال: وكان الهَيْثَم بن عَدِي ينكر أيضاً أن يكون قَحْطَان من ولد إِسْمَاعِيل، وقد أطلال البحث في ذلك، فَلْيُرْجَع إليه. ولا شكَّ أنَّ قول من زعم أن قَحْطَان ليس هو ابن هُود مخالف للصواب، ولما أطبق الناس عليه قديماً وحديثاً حتى ذكر ذلك في الأشعار، كما قال بعض القحطانية يفتخر على بعض العدنانية: [من الطويل]

أَبُونَا نَبِيُّ اللَّهِ هُودُ بن عَابِر فَهَذَا نَحْنُ أَبْنَاءُ النَّبِيِّ الْمُطَهَّرِ
مَلَكْنَا بِلَادَ اللَّهِ شَرْقاً وَمَغْرِباً وَمَفْخَرُنَا يَسْمُو عَلَى كُلِّ مَفْخَرِ

وإنما قُلْتُ إِنَّ رِزْقَ يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى خَيْشَنَةَ، ولم أقل رِزْقَ بن خَيْشَنَةَ لِقَصْدِ الاحتياط، لأنَّ الشكَّ معي حاصل في رِزْقَ، هل ابن خَيْشَنَةَ بلا فَضْل كما سمعت من بعض أكابر القرابة، وهو المشهور عند جميع من له فطنة من أولاد رِزْقَ المذكور، أو بينه وبينه واسطة، فالله أعلم.

هذا سياق نسب والدي المترجم له رحمه الله، ومولده تقريباً في سنة ١١٣٠ ثلاثين ومائة وألف، وعُرف في صنعاء بالشُّوكَانِي، نسبة إلى شُوكَانَ، وهي قرية من قُرَى السَّحَامِيَةِ إحدى قبائل حَوْلَانَ، بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم، وهو أحد المواضع التي يُطلق عليها شُوكَانَ. قال في القاموس: شُوكَانَ موضع بالبحرين، وحِصْن باليمن، وبلدة بين سَرْحَسَ وأيبورد، منه عَقِيق بن مُحَمَّد بن عُنَيْس، وأخوه أَبُو الْعَلَاء عُنَيْس بن مُحَمَّد الشُّوكَانِي. انتهى. وهو الحصن الذي ذكره فإن هذه القرية التي يُنسب إليها صاحب الترجمة من أعظم الحصون باليمن. وقال الخيضر في كتابه الذي سَمَّاهُ (الاكتساب في الأنساب) في حرف الشين المعجمة ما لفظه: الشُّوكَانِي بفتح أوله وسكون ثانيه وكاف بعدها أَلْف ونون نسبة إلى بلدة من ناحية جازان بين سَرْحَسَ وأيبورد، منها أَبُو الْعَلَاء عُنَيْس بن مُحَمَّد بن عُنَيْس الشُّوكَانِي. كان شيخاً

(١) هو أَبُو الْحَسَنِ، عَلِي بن الْحُسَيْن بن عَلِي المَسْعُودِي: مؤرخ، رَحَّالَة، بَحَّاثَة، من أهل بغداد. توفي بمصر سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م. (الأعلام: ٤/ ٢٧٧).

(٢) هو أَبُو الْمُنْذِر، هِشَام بن مُحَمَّد بن السائب بن بشر الكلبي: مؤرخ، عالم بأنساب العرب وأيامها وأخبارها. توفي سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م. (الأعلام: ٨/ ٨٧).

عالمًا دخل مرو، وتفقه بها على أبي المُظَفَّر السَّمعاني وسمع منه الحديث، ومن والد مُحَمَّد بن عُنَيْس. ثم ولي القضاء ببلاده مدّة سمع منه المصنف، ومات في حدود الثلاثين وخمسمائة.

(وَأُمُّ الْفَضْل، كريمة) بنت أبي الْحَسَن عَلِيّ بن إِسْحَاق بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الْمَالِكِي الشُّوْكَانِي: امرأة من بيت الحديث والدها أَبُو الْحَسَن، كان له رحلة إلى نيسابور، وسمع الكثير بقراءة أَبِي الْمُظَفَّر السَّمعاني، وحصل بها الإجازة عن جماعة من الشيوخ مثل أَبِي مُحَمَّد عبد الحميد بن عبد الرَّحْمَن الْبَحْرِيّ. وأبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عَلِيّ بن مُحَمَّد الشُّوْكَانِي الْمَالِكِي من أهل شَوْكَان: كان من أهل الخير والصلاح، ووالده أَبُو طاهر كان من مشاهير المحدثين بخراسان، سمع أباه، وأبا طاهر، وأبا الْفَضْل مُحَمَّد بن أحمد بن أبي الْحَسَن العارف المهيني، ولد في حدود ستين وأربعمائة، وتوفي في شعبان سنة (٥٣٢) بِشَوْكَان. انتهى ما في الاكتساب. وهو وإن كان خارجاً عن الترجمة غير أنه لا يخلو من فائدة. وثمة موضع باليمن آخر يقال له شَوْكَان بقرب مدينة ذمار. وسمعت من بعض الثقات أن ثمة موضعاً ثالثاً ببلاد وادعة يقال له شَوْكَان. فإن لم يكن أحد المحليين حصناً كان مراد صاحب القاموس هو الموضع الذي ينسب إليه صاحب الترجمة. وإن كانا حصنين، أو أحدهما لم يحسن الجزم بأن مراده أحدهما دون الآخر. وفي سيرة الإمام الهادي بِحَيّ بن الْحُسَيْن أنه نزل بمحلّ يقال له شَوْكَان من بلاد نَجْرَان. وهذا يفيد أن باليمن أربعة مواضع يُسمّى كلّ واحد منهما شَوْكَان، ونسبة صاحب الترجمة إلى شَوْكَان ليست حقيقية، لأن وطنه ووطن سلفه وقربته هو مكان عدني شوكان، بينه وبينها جبل كبير مستطيل يقال له الهجرة. وبعضهم يقول له هجرة شَوْكَان. فمن هذه الحيثية كان انتساب أهله إلى شَوْكَان. وهذه الهجرة معمورة بأهل الفضل والصلاح والدين من قديم الأزمان لا يخلو وجود عالم منهم في كل زمن، ولكنه يكون تارة في بعض البطون، وتارة في بطن أخرى. ولهم عند سلف الأئمة جلالة عظيمة، وفيهم رؤساء كبار ناصرُوا الأئمة، ولا سيما في حروب الأتراك، فإن لهم في ذلك اليد البيضاء. وكان فيهم إذ ذاك علماء وفضلاء يعرفون في سائر البلاد الخولانية بالقضاة، وكانوا يتفرقون في القبائل ويدعونهم إلى الجهاد ويحثّونهم على حرب الأتراك. وكان من بصنعاء من الأتراك يغزون إلى هذا المحل غزوة بعد غزوة، ويخربون فيه البيوت ويعودون إلى صنعاء. وغزوهم في بعض السنين في يوم العيد، تركوهم حتى اجتمعوا في المسجد لصلاة العيد، فلم يشعروا إلّا وجنود الأتراك قائمون على أبوابه فقاتلوهم فقتل منهم جماعة، وفرّ آخرون، وأسر الأتراك أكابرهم ودخلوا بهم صنعاء. وقد أخبرني عمّي الْحَسَن بن مُحَمَّد بن عبد الله أخو صاحب الترجمة بعجائب وغرائب مما

اتفق، وهو يروي ذلك عن جدّه عبد الله، وكان ممن قاتل الأتراك وعمره مائة وعشرون سنة؛ وعمّي الحسن المذكور عاش زيادة على تسعين سنة، فأنا أروي قتال الأتراك بواسطة واحدٍ بيني وبين من قاتلهم وبين تحرير هذه الأحرف وبين إخراج الأتراك من جميع الأقطار اليمنية زيادة عن مائة وسبعين سنة. وهذا علوّ في الرواية قلّ أن يتفق مثله، فإنّ بين كثير من أهل العصر وبين من حضر قتال الأتراك من سلفهم سبعة آباء وثمانية، وهذا عارض من القول ولكنه لا يخلو من فائدة. وقد اشتهر جماعة من أهل المحل المذكور أعني هجرة شوكان بالعلم، فمنهم العلامة الحسين بن عليّ الشوكاني، كان من أكابر العلماء المحققين لعلم الفروع، وقد ترجم له السيد العلامة إبراهيم بن القاسم بن المؤيد في كتاب (طبقات الزيدية) فقال ما لفظه: الحسين بن عليّ الشوكاني - بمعجمة - الفقيه العلامة، قرأ في الفقه على القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي، وأحمد بن سعيد الهبل. وقرأ عليه أبناء الزمان كالشيخ هادي الشاطبي، ومحمد بن أحمد الهبل، وكان فقيهاً إماماً في الفروع، ثمّ بيض لباقي الترجمة. انتهى. ومنهم القاضي العلامة الحسين بن صالح الشوكاني، كان من المتقنين لعلم الفقه وغيره، وهو أحد قضاة المتوكّل على الله إسماعيل فمن بعده من الأئمة. ورأيت له مكاتبات ومراجعات إلى الأئمة. وكان يقصد بالمشكلات من الفتاوى إلى تلك الهجرة. وكان مولد والدي رحمه الله في ذلك التاريخ بتلك الهجرة، ونشأ بها فحفظ القرآن، ثم ارتحل إلى صنعاء لطلب العلم، فقرأ على جماعة من علمائها منهم السيد العلامة محمد بن عبد الرحمن الكبسي، والسيد العلامة عليّ بن حسن الكبسي، والسيد العلامة الحسن بن محمد الأخفش، والقاضي العلامة محسن بن أحمد العابد، وجماعة كثيرة. وبرع في علم الفقه والفرائض، فحقق الأزهار وشرحه لابن مفتاح وحواشيه، وبيان ابن مظفر، والبحر الزخار ومختصر الفرائض للعصيفري، وشرحه للناظري، وشرح الخالدي، وعلم الضرب والمساحة. وقرأ في كتب الحديث الشفاء للأمير حسين، والشمائل للترمذي. ومن كتب التفسير الثمرات للفقهاء يوسف، وشرح الآيات للنجدي، وفي النحو الملحة وبعض شروحها، والحاجبية وشرحها للسيد المفتي، وفي الأصول الكافل لابن بهران، وشرحه لابن لقمان، وغير هذه المسموعات مما لا يحضرني الآن. وما زال يدأب في تحصيل العلم مفارقاً لأهله ووطنه مغترباً عنهما أياماً طويلة. ودرّس وأفتى في صنعاء في أواخر أيام طلبه. وولاه الإمام المهدي العباس بن الحسين القضاء بالجهات الخولانية حولان صنعاء، ثم اعتذر عنه، فولاه القضاء بصنعاء المحروسة، واستقرّ بها هو وأهله، وما ترك الطلب في أيام توليته للقضاء، ولا رغب عن التدريس للطلبة، بل كان يقرئ في مسجد صلاح الدين، وفي مسجد الأبرر في الفقه، وفي الجامع الكبير في الفرائض في شهر رمضان. وكان

رحمه الله محمود السيرة والسريرة متعففاً قانعاً باليسير طارحاً للتكلف منجماً عن الناس مشتغلاً بخاصة نفسه صابراً على نوائب الزمن وحوادث الدهر مع كثرة ما يطرقه من ذلك محافظاً على أمور دينه مواظباً على الطاعة مؤثراً للفقراء بما يفضل عن كفايته غير متصنع في كلامه ولا في ملبسه لا يبالي بأي ثوب برز للناس، ولا في أي هيئة لقيهم. وكان سليم الصدر لا يعتريه غلٌ ولا حقد ولا سخط ولا حسد، ولا يذكر أحداً بسوء كائناً من كان، مُحسناً إلى أهله قائماً بما يحتاجونه متعباً نفسه في ذلك صابراً محتسباً لما كان يجري عليه من بعض القضاة الذين لهم كلمة مقبولة وصولة، مع كونه مظلوماً في جميع ما يناله من المحن ونوائب الزمن. والحاصل أنه على نمط السلف الصالح في جميع أحواله. ولقد كان تغشاه الله تعالى برحمته ورضوانه من عجائب الزمن، ومن عرفه حق المعرفة تيقن أنه من أولياء الله. ولقد بلغ معي إلى حدٍّ من البرِّ والشفقة والإعانة على طلب العلم والقيام بما أحتاج إليه مبلغاً عظيماً بحيث لم يكن لي شغلة بغير الطلب، فجزاه الله خيراً، وكافاه بالحسنى. وهو زاهد من الدنيا ليس له نعمة في جمع ولا كسب بل غاية مقصوده منها ما يقوم بكفاية أرحامه، فإنه استمرَّ في القضاء أربعين سنة، وهو لا يملك بيتاً يسكنه فضلاً عن غير ذلك، بل باع بعض ما تلقاه ميراثاً من أبيه من أموالٍ يسيرة في وطنه، ولم يترك عند موته إلا أشياء لا مقدار لها. وقرأت عليه رحمه الله في أيام الصغر في شرح الأزهار، وشرح الناظري مع غيري من الطلبة. وهو في آخر أيامه قرأ عليّ في صحيح البخاري، ولم يزل مستمراً على حاله الجميل مُعرضاً عن القول والقيـل، ماشياً على أهدى سبيل، حتى (توفاه الله) تعالى بصنعاء ليلة الاثنين بعد أذان العشاء، وهي الليلة المسفرة عن رابع شهر ذي القعدة سنة ١٢١١ إحدى عشر ومائتين وألف، ولم يباشر شيئاً مما يتعلق بالقضاء قبل موته بنحو سنتين، بل تجرّد للاشتغال بالطاعة والمواظبة على الجمعة والجماعة، ولم يكن له التفات إلى غير أعمال الآخرة رحمه الله. وترك ولدين أكبرهما مُحَمَّد وهو جامع هذا الكتاب، ويَحْيَى، وهو الآن مشتغلٌ بقراءة علوم الاجتهاد قد انتفع في أنواع منها، مع كمال اشتغاله بعلم الفروع. وهو ذو فَهْم صادق وعقل رصين ودين متين، ولعلها تأتي له ولأخيه المذكور ترجمة مستقلة لكل واحدٍ منهما في حرفه إن شاء الله تعالى.

(٣٢٦)

(السيد عَلِيُّ بن مُحَمَّد بن أَبِي الْقَاسِمِ)^(١)

ابن مُحَمَّد بن جَعْفَر بن مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن أحمد بن يَحْيَى بن عَبْدِ اللَّهِ بن

(١) ترجمته في: الأعلام: ٨/٥؛ معجم المؤلفين: ٢٢٦/٧.

يَحْيَى بن الناصر بن الهادي يَحْيَى بن الحُسَيْن العلامة الكبير مؤلف «تجريد الكشف» التفسير المشهور. وَرُوي أَنَّ له تفسيراً حافلاً في ثمانية مجلدات. ومن جملة تلامذته السيد العلامة مُحَمَّد بن إبراهيم الوزير، ولكنه لما اجتهد السيد مُحَمَّد المذكور ورفض التقليد، وتبحر في المعارف قام عليه صاحب الترجمة في جملة القائمين عليه، وترسل عليه برسالة تدل على عدم إنصافه ومزيد تعصبه سامحه الله. وأجاب السيد مُحَمَّد عن هذه الرسالة «بالعواصم والقواصم» الكتاب المشهور الذي لم يؤلف في هذه الديار اليمنية مثله، وهو في ثلاثة مجلدات كبار. وكان صاحب الترجمة يقرئ الطلبة في جميع علوم الاجتهاد، وفي الأمهات، وسائر كتب التفسير، و(مات) سنة ٨٣٧ سبيع وثلاثين وثمانمائة^(١).

(٣٢٧)

(الإمام المهدي علي بن مُحَمَّد بن علي^(٢))

ابن مَنْصُور بن يَحْيَى بن مَنْصُور بن مُفضَّل بن الحجاج بن علي بن يَحْيَى بن القاسم بن يُوسُف الداعي ابن يَحْيَى بن الْمَنْصُور بن أحمد بن الناصر بن الهادي يَحْيَى بن الحُسَيْن. ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٧٠٥ خمس وسبعمئة في هجرة من جهات الهان. ونشأ على ما نشأ عليه سلفه الصالح من الاشتغال بالعلم والعمل. ثم دعا إلى نفسه فُبُوع بالخلافة في شهر جمادى الآخرة سنة (٧٥٠) في مدينة ثلا، واجتمع الناس عليه حتى قيل إن العلماء الذين حضروا بيعته يزيدون على خمسمائة، وعارضه الواثق بالله المطهر بن مُحَمَّد، وشمس الدين أحمد بن علي بن أبي الفتح، ثم أذعن له الواثق. وأما السيد شمس الدين فلم يزل على دعوته وافتتح صنعاء وملكها وملك صعدة وذمار وما بين هذه المدن، ودانت له البلاد، واستمر على ذلك حتى ابتدأه الفالج في سنة (٧٧٢) في ذمار وكان ولده مُحَمَّد قائماً بالأمر ناظماً للأحوال، ثم نهض القاضي العلامة عبد الله بن الحسن الدواري من صعدة في المحرم سنة (٧٧٣) فوصل إلى ذمار ومعه جماعة من السادة والعلماء، وأجمع رأي القاضي ومَنْ معه على أن لا يصلح للإمامة إلا ولده الإمام مُحَمَّد المذكور، فلما سمع ذلك تباعد عنه واعتذر، فلم يعذروه وألزموه الحجّة، فقام بالإمامة بعد أن بايعوه، وتكئى بالناصر، واشتُهر بِصَلاح الدين، وستأتي له إن شاء الله ترجمة مستقلة في حرفه.

(١) كان مولد صاحب الترجمة سنة ٧٦٩هـ / ١٣٦٨.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٢٣/٧؛ الأعلام: ٦/٥.

٣٢٨

(الإمام المنصور علي بن محمد الناصر صلاح الدين بن علي المهدي المذكور قبله)^(١)

ولد سنة ٧٧٥ خمس وسبعين وسبعمائة، ولما مات والده الإمام صلاح الدين محمد بن علي بن محمد في سنة (٧٩٣)، وكانت خلافته قد تمكنت في الديار اليمنية وعظمت سطوته وكثرت جيوشه وبعد صيته، أرسل أمراء ووزراء إلى القاضي العلامة عبد الله بن الحسن الدواري إلى صعدة، فوصل إلى صنعاء ثم أجمع رأيه ورأي أرباب الدولة على مبايعة صاحب الترجمة. ورأوا في ذلك صلاحاً لكونه ناهضاً بالملك، وإلاً فهو لم يكن قد نال من العلم في ذلك الوقت ما هو شرط الإمامة عند الزيدية، ولكن جعل الله في هذا الرأي الخير والبركة فإنه ولي الخلافة وحفظ بيضة الإسلام ودفع أهل الظلم وأحسن إلى العلماء وقمع رؤوس البغي، واشتغل بالمعارف العلمية في خلافته حتى فاق في كثير من المعارف. ولقد أثنى عليه السيد الإمام العلامة محمد بن إبراهيم الوزير ثناء طائلاً، وصنف في ذلك مُصنفاً سمّاه (الحسام المشهور في الذب عن دولة الإمام المنصور) وذكر أنه أخذ عن صاحب الترجمة وناهيك بهذا من مثل هذا المجمع على إمامته في جميع العلوم. وقد تعارض صاحب الترجمة هو والإمام المهدي أحمد بن يحيى المتقدم ذكره، ووقع ما تقدمت الإشارة إليه. وقد طالت أيامه وعظمت مملكته واتسعت بلاده وتكاثر أجناده حتى (مات) في سابع وعشرين شهر صفر سنة ٨٤٠ أربعين وثمانمائة.

٣٢٩

(السيد علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني)^(٢)

عالم الشرق، ويُعرف بالسيد الشريف، وهو من أولاد محمد بن زيد الداعي، بينه وبينه ثلاثة عشر أباً. ولد سنة ٧٤٠ أربعين وسبعمائة، واشتغل ببلاده وقرأ المفتاح على شارحه، وكذا أخذ شرح المفتاح للقطب عن ابن مؤلفه مخلص الدين بن أبي الخير علي، وقدم القاهرة وأخذ بها عن أكمل الدين وغيره، وأقام بسعيد السعداء أربع سنين، ثم خرج إلى بلاد الروم، ثم لحق ببلاد العجم، وصار إماماً في جميع العلوم

(١) ترجمته في: الأعلام: ٨/٥؛ الضوء اللامع: ٢٣٢/٥.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢١٦/٧؛ بغية الوعاة: ٣٥١؛ الضوء اللامع: ٣٢٨/٥؛ كشف الظنون: ١٢، ١٣٩، ٣١٧، ٣٦٧؛ إيضاح المكنون: ١/١٤٠؛ هدية العارفين: ١/٧٢٨؛ الأعلام: ٧/٥.

العقلية وغيرها متفرداً بها مُصنفاً في جميع أنواعها مُتَبَحِّراً في دقيقتها وجليلها. وطار صيته في الآفاق وانتفع الناس بمصنفاته في جميع البلاد، وهي مشهورة في كل فنّ يحتجُّ بها أكابر العلماء، وينقلون منها، ويُوردون ويصدرون عنها، فمن مصنفاته المشهورة شرح المفتاح، وشرح المواقف العضدية، وشرح تذكرة الطوس، وشرح الجغميني في علم الهيئة، وشرح فرائض الحنفية، وشرح الوقاية، وشرح الكافية بالعجمية. وله من الحواشي حاشية على أوائل الكشف، وعلى أوائل شرح مختصر المنتهى للعضد، وعلى أوائل البيضاوي، وعلى الخلاصة للطبي، وعلى العوارف، والهداية، وعلى التجريد لنصير الدين، وعلى المطالع، وعلى المطول، وعلى شرح الشمسية، وعلى الطوالع للأصبهاني، وعلى شرح هداية الحكمة، وعلى شرح حكمة العين، وحكمة الإشراق، وعلى الرضي في النحو، وعلى الخبيصي، وعلى العوامل الجرجانية، وعلى رسالة الوضع، وعلى شرح الإشارات للطوسي، وعلى التلويح والتوضيح، وعلى إشكال التأسيس، وعلى تحرير إقليدس. وله تفسير الزهراوين، وله مقدمة في الصرف بالعجمية، ورسالة في الوجود، وله كتاب التعريفات، وله مصنفات غير هذه. وتصدَّى للإقراء والإفتاء، وأخذ عنه الأكابر، وبالغوا في تعظيمه، لا سيما علماء العجم والروم، فإنهم جعلوه هو والسعد التفتازاني حجةً في علومهما. وقد جرى بينهما مباحثات في مجلس تيمورلنك، واختلف الناس في عصرهما وفيما بعده من العصور من المُحقِّقَ منهما؛ وما زال الاختلاف بين العلماء في ذلك دائراً في جميع الأزمنة، ولا سيما علماء الروم فإنهم يجعلون من جملة أوصاف أكابر علمائهم أنه كان يميل إلى ترجيح جانب الشريف أو إلى ترجيح جانب السعد لما لهم بهما وبما جرى بينهما من الشغلة. وقد كان أهل عصر صاحب الترجمة يفتخرون بالأخذ عنه، ثم صار مَنْ بعدهم يفتخرون بالأخذ من تلامذته. ومصنفاته نافعة كثيرة المعاني واضحة الألفاظ، قليلة التكلف والتعقيد الذي يوقع فيه عجمة اللسان كما يقع في مصنفات كثير من العجم. (وتوفي) يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر سنة ٨١٦^(١) ست عشرة وثمانمائة بشيراز، وقيل في أربع عشرة وثمانمائة. ويروى أنه رحل إلى القطب الشيرازي شارح الشمسية فطلب منه القراءة عليه في شرحه فاعتذر عنه بعلو السن وضعف البصر، ثم دلَّه على بعض تلامذته المحققين الذين أخذوا عنه ذلك الشرح وهو ببلاد أخرى، فرحل إليه فوصل وبعض أبناء الأكابر يقرأ على المذكور في ذلك الشرح، فطلب منه أن يقرأ عليه فأذن له في الحضور بشرط أن لا يتكلم، وليس له درس مستقل، بل شرط عليه أن يحضر فقط مع ذلك الذي يقرأ على الشيخ من أولاد

(١) كذا في بغية الوعاة، والأعلام، ومعجم المؤلفين؛ وفي الضوء اللامع: توفي سنة ٨٢٨هـ، ولم يبلغ الأربعين.

الأكابر، فكان الشريف يحضر ساكتاً، وفي الليل يأوي إلى خلوة في المسجد، وكان يُقرّر في أكثر الليل ما سمعه من شرح الشمسية، ويرفع صوته فيقول: قال المصنف كذا، يعني صاحب الشمسية، وقال الشارح كذا، يعني القطب، وقال الشيخ كذا، يعني الذي يقرأ عليه. وقلت أنا كذا، ثم يُقرّر كلاماً نفيساً، ويعترض اعتراضات فائقة، فصادف مرور ذلك الشيخ من باب خلوته فسمع صوته، فوقف فطرب لذلك حتى رقص، ثم أذن له أن يتكلم بما شاء، فيقال إن صاحب الترجمة حصل حاشية شرح الشمسية حال قراءته على ذلك الشيخ.

(٣٣٠)

(السيد علي بن مُحَمَّد بن علي بن أحمد بن النَّاصِر) الكُوكَباني المولد والدار والوفاة)

ولد في شهر شَوَّال سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف، وأخذ عن شيخنا العلامة السيد عبد القادر بن أحمد، وعن غيره من علماء كُوكَبان. وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول، وشارك في غير ذلك. وله نظم جيد، فمنه ما كتبه إليّ وقد اطلع على بعض رسائله: [من الخفيف]

أَيَّ بَحْثٍ قَدْ جَاءَنِي مِنْ فَرِيدِ الدِّ	عَصْرِ مُحْيِي مَعَالِمِ التَّبْيَانِ
الْهَمَامِ الَّذِي إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرُ	رُجَلَاهُ بِوَاضِحِ الْبُرْهَانِ ^(١)
عِنْدَهُ سُلَّمُ الْمَجَارِي إِذَا جَدَّ	لَى فَصَلَى مُسْلِمًا فِي الرَّهَانِ
فَأَجَبْتُ عَلَيْهِ بِقَوْلِي: [من الخفيف]	
قَلَّدَ الْجَيِّدَ وَهُوَ رَبُّ اجْتِهَادِ	وَانْتِقَادِ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ ^(٢)
نَظَّمُهُ الدُّرُّ دَلٌّ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ	أَنَّهُ الْبَحْرُ فِي عُلُومِ الْبَيَانِ
قَدْ تَيَقَّنْتُ أَنَّنِي السَّعْدُ لَمَّا	صَارَ هَذَا الشَّرِيفُ مِنْ خِلَانِي ^(٣)
يَا قَرِيعَ الْأَوَانِ يَا سَيِّدَ الْأَفْ	رَانِ يَا فَرْدَ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ ^(٤)
دُمْتَ تَحْيِي عُلُومَ أَبَائِكَ الْغُرِّ	رِ وَتَجَلَّى بِهَا صَدَا الْأَذْهَانِ ^(٥)

(١) الْهَمَامُ: السَّيِّدُ الشَّجَاعُ السَّخِيُّ. جَلَاهُ: كَشَفَهُ وَبَيَّنَّهُ.

(٢) قَلَّدَ الْجَيِّدَ: حَلَّاهُ بِقِلَادَةٍ.

(٣) الْخِلَانُ: الْأَصْحَابُ.

(٤) الْقَرِيعُ: السَّيِّدُ؛ يُقَالُ: فَلَانُ قَرِيعٌ دَهْرُهُ: سَيِّدُ دَهْرِهِ.

(٥) الْغُرُّ: السَّادَةُ الْأَشْرَافُ.

وَعَلَيْكَ السَّلَام يَا زِينَةَ الْأَعْدَاءِ - سَلَامٌ يَا ابْنَ الْكَرَامِ مِنْ عَدُنَانٍ
وله تلامذة أخذوا عنه هنالك في علوم الآلات. ولعلّ من جملة شيوخه السيد
العلامة عيسى بن مُحَمَّد بن الحُسَيْن أمير كَوْكَبَان، ومنهم السيد العلامة الحُسَيْن بن
عبد الله الكَبْسِي المتقدم ذكره. وله شعرٌ سائرٌ، وعندَ تحرير هذه الأحرف قد (تُوفي)
رحمه الله، وموته سنة ١٢١٢ اثنتي عشرة ومائتين وألف في شهر جمادى الأولى
منها.

٣٣١

(الشيخ علي بن مُحَمَّد بن علي المَقْدِسِي الخَزَرْجِي الحَنَفِي المعروف بأبي غَانِم) ^(١)

قال العِصَامِيُّ: هو شَمْسُ العلوم والمعارف، بدر الفُهوم واللطائف، قرّة عين
أصحاب أبي حنيفة الراقي من معارج التحقيق حقيقة. وقال الشيخ عبد الرزّاق
المناوي: هو شيخ الوقت حالاً وعلماً وتحقيقاً وفهماً، وإمام المحققين حقيقةً ورسماً،
وكانت (وفاته) سنة ١٠٠٤ أربع وألف.

٣٣٢

(علي بن مُحَمَّد بن عيسى بن يُوسُف بن مُحَمَّد الأشْمُونِي الأَصْل ثم القَاهِرِي الشَّافِعِي) ^(٢)

ولد في شعبان سنة ٨٣٨ ثمانٍ وثلاثين وثمانمائة، وأخذ على المَحَلِّي،
والبَلْقِينِي، والمَنَاوي، والكَافِيَا جِي، وبرع في جميع العلوم، وتصدّى للإقراء، وصنّف
شرحاً للألفية، وشرح بعض التسهيل، ونظم جمع الجوامع، وإيساغوجي، قال
السَّخَاوِي: وراج ورجح على الجلال السيوطي، مع اشتراكهما في الحُمو، غير أن
ذاك أرجح. انتهى. قلت: وهذا غير مقبول من السَّخَاوِي في كلا الرجلين، على أن
صاحب الترجمة ليس ممن ينبغي أن يجعل قريناً للجلال، فبينهما مفاوز. (وتُوفي)
صاحب الترجمة يوم السبت سابع عشر ذي الحِجَّة سنة ٩١٨ ثمانين عشرة
وتسعمائة ^(٣).

(١) ترجمته في: الأعلام: ١٢/٥.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٢٥/٧؛ كشف الظنون: ١٥٣، ١٩٥، ٢٠٨؛ الأعلام: ٥/٥؛ الضوء اللامع: ٥/٦.

(٣) في الأعلام: توفي نحو ٩٠٠هـ/ نحو ١٤٩٥م.

٣٣٣

(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْبَكْرِيِّ الزَّيْدِيِّ) (١)

أحد العلماء المحققين، له مصنفات منها: شرح مقدمة بيان ابن مُظَفَّر، وشرح منهاج القُرشي، وشرح مقدمة الأزهر. وكان بعض أهل العلم يفضلُه على عبد الله النجري المتقدم ذكره. وقد كتب إليه الإمام عَزَّ الدِّين بن الحَسَن كَلاماً في مسألة الإمامة وأجاب عنه بجواب هو موجود في فتاوى الإمام عَزَّ الدِّين. وكان مُتَّصِلاً بالإمام المُطَهَّر بن مُحَمَّد بن سُلَيْمان، وقائماً بكثيرٍ من أمور خلافته. قال صاحب «مطلع البدور»: وهو الذي حَكى صفة الكتاب الواصل إلى الإمام المُطَهَّر من الفقيه مُحَمَّد بن الأصمَّ أنها اتفقت في زمن الإمام المذكور قصة عجيبة ونكتة غريبة في بلدة شاميَّ الحرجة تسمى الحمرة، وذلك أنه كان فيها رجل من الزرعة، وكان ذا دينٍ وصدقة، فاتفق أنه بنى مسجداً يُصَلِّي فيه، وجعل يأتي ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه، فإن وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء، وإلا أكله وصَلَّى صلاته، واستمر على ذلك الحال. ثم إنَّها اتفقت شدة، ونضب ماء الآبار، وكانت له بئر فلما قلَّ ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده فخربت تلك البئر والرجل في أسفلها خراباً عظيماً حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها فأيس منه أولاده، ولم يحفروا له، وقالوا: قد صار هذا قبره، وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه، فأقام في ظلمة عظيمة، ثم إنه بعد ذلك جاء السراج الذي كان يحمله إلى المسجد، وذلك الطعام الذي كان يحمله كل ليلة، وكان به يفرق ما بين الليل والنهار. واستمر له ذلك مدة ست سنين، والرجل مقيمٌ في ذلك المكان على تلك الحال. ثم إنه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها، فحفروها حتى انتهوا إلى أسفلها فوجدوا أباهم حيّاً فسألوه عن حاله فقال لهم: ذلك السراج والطعام الذي كنتُ أحمل إلى المسجد يأتيني على ما كنت أحمله تلك المدة، فعجبوا من ذلك فصارت قضية موعظة يتوعَّظ بها الناس في أسواق تلك البلاد. وقال في مطلع البدور: ومن جملة من زار هذا الرجل مُحَمَّد بن الأصمَّ. انتهى. (وتوفي) صاحب الترجمة يوم الأحد ثامن وعشرين رمضان سنة ٨٨٢ اثنتين وثمانين وثمانمائة.

٣٣٤

(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ هُطَيْلِ النَّجْرِيِّ الْمَشْهُورِ الْيَمَانِيِّ) (٢)

صاحب التصانيف، كشرحه للمفصل. وله شرح على الظاهرية، صتفه للإمام

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ١٨٠/٧.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٧/٥؛ معجم المؤلفين: ٢٣٥/٧؛ هدية العارفين: ٧٢٩/١.

المنصور علي بن صلاح الدين المتقدم ذكره . وكان ساكناً بصنعاء . وقد طار صيته في الآفاق ، وكان مديماً لمطالعة شرح الرضي على كافية ابن الحاجب لا يفارقه في غالب أوقاته . ويحكى أنه لما حضرته الوفاة أمر من يدفع إليه شرح الرضي ، فدفعه إليه فوضعه على صدره ثم أنشد : [من الوافر]

تَمَتَّعُ مِنْ شَمِيمِ عَرَارٍ نَجْدٍ فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارٍ^(١)

ويحكى عنه أنه دخل مكة للحج فأخبر أن قاضي المحمل الشامي من أكابر العلماء فتلقاه إلى الطريق ووجده في محمل فناده وقال : مسألة أيها القاضي ، فكشف عن المحمل وقال : قل ، فسأله كذلك ، وأجاب بجواب حسن ، ثم سأله بمسألة ثانية كذلك ، وأجاب بجواب أحسن ، وقال له : لعلك من اليمن ، قال : نعم ، قال : أنت من صنعاء ، قال : نعم ، قال : أنت ابن هُطَيْل ، قال : نعم ، قال : قد ألفت كذا وكذا ، قال : نعم ، وما يدريك بهذا ، فإن جيران داري لعلهم لا يعرفون ذلك ، فقال له : أنتم يا علماء صنعاء وضعتم أنفسكم بالسكون فيها في مضیعة . (توفي) سنة ٨١٢ اثنتي عشرة وثمانمائة في يوم الأربعاء حادي عشر ذي الحجة منها بمدينة صنعاء وكان منشؤه وطلبه بمدينة حوث . ثم فارقتها لأمر جرى بينه وبين أهلها ، وقال قصيدة بدمها مطلعها : [من الكامل]

قَوَّضَ خِيَامَكَ راحلاً عَنْ حُوثٍ حُوثُ الْخَبِيثِ مَحَلٌّ كُلِّ خَبِيثٍ

ومن مشايخه إبراهيم بن عطية النجراني ، ومن تلامذته المرتضى بن الهادي بن إبراهيم^(٢) .

٣٣٥

(علي بن محمد القوشجي)^(٣)

بفتح القاف وسكون الواو وفتح الشين المعجمة بعدها جيم وياء النسبة ومعنى هذا اللفظ بالعربية حافظ البازي ، وكان أبوه من خدام ملك ما وراء النهر يحفظ البازي . قرأ على علماء سمرقند ، ثم رحل إلى الروم ، وقرأ على قاضي زاده الرومي . ثم رحل إلى بلاد كرمان فقرأ على علمائها ، وسود هنالك شرحه للتجريد . ثم عاد إلى ملك ما وراء النهر ، ولم يدر أين ذهب ، فلما وصل إليه عاتبه على الاغتراب فاعتذر بأنه اغترب لطلب العلم ، فقال له : بأي هدية جئت ، قال : رسالة حللت بها إشكال

(١) الشميم : ما يُشَمُّ . العرار : نبات طيب الرائحة .

(٢) من مصنفاته غير ما ذكر : «عمدة ذوي الهمم على الحسبة في علمي اللسان والقلم» .

(٣) ترجمته في : معجم المؤلفين : ٢٢٧/٧ : كشف الظنون : ٣٤٨ ، ٤٩٧ ، ٨٩٤ ؛ هدية العارفين :

٧٣٦/١ ؛ الأعلام : ٩/٥ .

القمر، وهو إشكال تحيّر في حلّه الأقدمون، فقال: هات أنظر فيها، فقرأها قائماً فأعجبته، وقد كان ذلك الملك بنى رَصْداً، وأمر جماعة من العلماء بعمله فماتوا، فأمر صاحب الترجمة فأكمّله وكتبوا عنه ما حصل، وهو المشهور بالزيج الجديد، وهو أحسن الزيجات. ثم لما توفي ذلك الملك وتولّى مكانه بعض أولاده لم يعرف قدر صاحب الترجمة فاستأذنه للحجّ، فلما وصل إلى تبريز أكرمه سلطانها إكراماً عظيماً وأرسله إلى سلطان الروم مُحمَّد خان، فلما وصل إليه أكرمه إكراماً زائداً على إكرام سلطان تبريز له، وسأله أن يسكن لديه، فأجابه إلى ذلك، ووعد الرجوع بعد أن يوصل جواب الرسالة، وأخذ عليه عهداً على ذلك. فلما أدى الرسالة أرسل السلطان مُحمَّد خان إليه من خدامه جماعة فخدموه وأكرمواه وصرفوا إليه في كل مرحلة ألف درهم بأمر السلطان مُحمَّد خان. فوصل إلى مدينة قسطنطينة في حشمة وافرة، وعند ملاقاته للسلطان أهدى إليه رسالة في علم الحساب سمّاها «المحمدية»، ثم صنّف رسالة أخرى في علم الهيئة باسم السلطان مُحمَّد خان، وسمّاها «الرسالة الفتحية» لمصادفتها لفتح عراق العجم، وجعله السلطان مُدرّساً في بعض المدارس، وعيّن له كلّ يوم مائتي درهم، وعيّن لكلّ من أولاده وأتباعه شيئاً خارجاً عن ذلك، وكانوا كثيرين يزيدون على مائتي نفس. ولما قدم قسطنطينة أول قدمة تلقاه علماؤها، فذكر لهم ما رآه من الجزر والمد في البحر، فتكلم أكبر علماء الروم في ذلك الزمن، وهو خواجه زاده الآني ذكره إن شاء الله في سبب ذلك، ثم ذكر صاحب الترجمة ما جرى بين السعد والشريف من المباحثة، ورجّح جانب السعد، فخالفه خواجه زاده، ورجّح جانب الشريف. وله تصانيف منها: «شرح التجريد» الذي تقدمت الإشارة إليه، وهو شرح عظيم سائر في الأقطار كثير الفوائد، وله حاشية على أوائل حاشية السعد على الكشف، وله كتاب «عنقود الزهور» في الصرف، وهو من مشاهير العلماء، ولم أفد على تاريخ وفاته، ولكنه كان موت السلطان مُحمَّد خان الذي قدم الروم في زمنه سنة ٨٨٦ ستّ وثمانين وثمانمائة.

(٣٣٦)

(عليّ بن مُحمَّد العقيني الأنصاري التّعزّي الشافعي) (١)

ولد سنة ١٠٣٣ ثلاث وثلاثين وألف، وقرأ بتعزّ على مُحمَّد بن عبد العزيز المفتي، وقرأ في غيرها على مُحمَّد بن عليّ مطير وجماعة آخرين. ورحل إلى مكة، فقرأ على ابن علّان وغيره. وبرع في فنون، وصنّف تصانيف منها: شرح ألفية ابن مالك، وشرح المدخل في المعاني والبيان، وشرح زيد بن رسلان، وشرح على

(١) ترجمته في: هدية العارفين: ١/٧٦٣؛ معجم المؤلفين: ٧/٢١٤؛ الأعلام: ١٤/٥.

المنظومة في شعب الإيمان، وشرح على النخبة، وحاشية على التيسير. (ومات) في ثالث ربيع الآخر سنة ١١٠١ إحدى ومائة وألف بتغز.

(٣٣٧)

(علي بن مجد الدين محمد بن مسعود بن محمود بن محمد بن محمد بن عمر المعروف بالمولى مصنفك)^(١)

لقب بذلك لاشتغاله بالتصنيف في حداثة سنّه، والكاف للتصغير في لغة العجم. وهو من أولاد الإمام فخر الدين الرازي، وفخر الدين هو عمر المذكور في النسب. وكان الإمام يصرّح في مصنفاته بأنه من أولاد عمر بن الخطاب. ولد صاحب الترجمة في سنة ٨٠٣ ثلاث وثمانمائة بخراسان، وسافر مع أخيه إلى هراة لطلب العلم في سنة (٨١٢)، وصنف «الإرشاد» في سنة (٨٢٣)، وشرح المصباح في النحو سنة (٨٢٥)، وشرح آداب البحث في سنة (٨٢٦)، وشرح اللباب في سنة (٨٢٨)، وحاشية المطول في سنة (٨٣٢)، وحاشية شرح المفتاح للتفتازاني سنة (٨٣٤)، وحاشية التلويح سنة (٨٣٥). ثم ارتحل في سنة (٨٣٩) رحلة أخرى إلى هراة، وصنّف هنالك الوقاية، وشرح الهداية في سنة (٨٣٩). وارتحل في سنة (٨٤٨) إلى ممالك الروم، وصنّف هنالك في سنة (٨٥٥) شرح المصباح للبغوي، وشرح تلك السنة أيضاً شرح المفتاح للشريف، وصنّف في هذه السنة حاشية شرح المطالع، وشرح أيضاً بعض أصول فخر الإسلام البزدوي. وصنف في سنة (٨٥٦) حاشية الكشف. وله مصنفات فارسية كأنوار الأحداق، وحدائق الإيمان، وتحفة السلاطين، وله غير ذلك من المصنفات كحاشية شرح العقائد. ومن مشايخه جلال الدين يوسف أحد تلامذة سعد الدين التفتازاني. ودرّس ببلاد الروم وغيرها. ثم وقع له صمم في آخر مدته، وعين له السلطان محمد خان كل يوم ثمانين درهماً. (ومات) بقسطنطينية سنة ٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة.

(٣٣٨)

(علي بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن يزيد الوداعي الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي)^(٢)

ولد سنة ٦٤٠ أربعين وستمائة تقريباً، وسمع من جماعة نحو مائتين، واشتغل

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٣١٩/٧؛ هدية العارفين: ٧٣٥/١؛ الأعلام: ٩/٥؛ معجم المؤلفين: ٢٤٠/٧؛ وفيه: «علي بن محمود بن محمد بن مسعود...»؛ إيضاح المكنون: ٣٧/١، ١٣٠/٢.
(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة: ١٣٠/٣؛ النجوم الزاهرة: ٢٣٥/٩؛ شذرات الذهب: ٣٩/٦؛ =

بالأدب فمهر في العربية، وقال الشعر فأجاد، ثم دخل ديوان الإنشاء في آخر عمره. وكان كثير الهجاء، فنفر الناس عنه. وكان يتشيع من غير سب ولا رفض، وجمع التذكرة في عدة مجلدات تقرب من الخمسين، وفيها فوائد كثيرة، ومن شعره: [من مجزوء الوافر]

فَتِنْتُ بِمَنْ مَحَاسِنُهُ إِلَى غُرْبِ النَّقَاتِنِي^(١)
عِذَازٌ مَنْ بَنِي لَامٍ وَطَرَفٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ
وَعِذَا لِي بَنُو دُهِلٍ وَحُسَّادِي بَنُو فَهْمٍ
وله في هذا الجنس: [من الكامل]

قَسَمًا بِمَرَاكِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ حُسْنٍ مِنْ بَنِي زَهْرَانٍ
لَا حُلْتُ عَنْكَ وَلَوْ رَأَيْتَكَ مِنْ بَنِي لَحْيَانٍ لَا بَلَّ مِنْ بَنِي شَيْبَانٍ^(٢)
ومن مقطعاته الرائقة: [من الخفيف]

قَالَ لِي عَاذَلِي الْمُفْتَدِ فِيهَا حِينَ وَافَتْ وَسَلَّمْتُ مُخْتَالَةً^(٣)
قُمْ بِنَا نَدَّعِي النُّبُوَّةَ فِي الْعِشْدِ قَدْ سَلَّمْتُ عَلَيْنَا الْعَزَالَةَ
ومنها: [من الرجز]

إِذَا رَأَيْتَ عَارِضًا مُسَلَّسَلًا فِي وَجْنَةٍ كَجَنَّةٍ يَا عَاذَلِي
فَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّنِي مِنْ أُمَّةٍ تُقَادُّ لِلْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ
ومنها: [من الرجز]

وَفِي أَسَانِيدِ الْأَرَاكِ حَافِظُ لِلْعَهْدِ يَرْوِي صَبْرُهُ عَنْ عُلْقَمَةٍ
فَكُلَّمَا نَاحَتْ بِهِ حَمَامَةٌ رَوَى حَدِيثَ دَمْعِهِ عَنْ عِكْرَمَةٍ

وفي هذا من اللطافة ما لا يخفى، لأن عكرمة من أسماء الحمامة. وهو شاعرٌ مجيدٌ مبدعٌ. وقد ذكر جماعة من متأخري الأدباء أن ابن نباتة كان يتطفل على معانيه الرائقة. وقد أورد ابن حجة في «كشف اللثام عن التورية والاستخدام» جملة مما وقع فيه ذلك. قال الذهبي: كان يخلّ بالصلاة، ويُرْمَى بعظائم، وكانت الحماسة من بعض

= فوات الوفيات: ٨٧/٢؛ البداية والنهاية: ٨٠/١٤؛ كشف الظنون: ٣٨٦، ٣٨٩؛ هدية العارفين: ٧١٧/١؛ معجم المؤلفين: ٢٤٤/٧؛ الأعلام: ٢٣/٥.

(١) تَنَمَّى: تَنَسَّبَ.

(٢) حُلْتُ: تَحَوَّلْتُ، تَغَيَّرْتُ.

(٣) الْمُفْتَدُ: الْمُزَوَّرُ، الْمُكَذَّبُ.

محفوظاته، حملني الشَّرةُ على السماع من مثله. وقال ابن رافع: سمع منه الحافظ المزي وغيره. وكان قد سمع الكثير، وقرأ بنفسه، وحصل الأصول، ومهر في الأدب، وكتب الخط المنسوب، وكان يكتب للوزير ابن وداعة ويلازمه، وإنما قيل له: الوداعي نسبة إليه، وكان يباشر مشيخة دار الحديث النفيسة إلى أن (مات) في شهر رجب سنة ٧١٦ ست عشرة وسبعمائة.

(٣٣٩)

(علي بن هادي عرهب)

الصنعاني المولد والدار والمنشأ، أحد علماء العصر المشاهير. ولد سنة ١١٦٤ أربع وستين ومائة وألف، وقرأ على جماعة من العلماء كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وعلى والده، وعلى السيد العلامة شرف الدين بن إسماعيل بن محمد بن إسحاق، وعلى جماعة آخرين. وبرع في النحو والصرف والمعاني والبيان والأصول والحديث والتفسير، وأخذ عنه أهل العلم، وقرأت عليه في أوائل أيام الطلب في شرح التلخيص الصغير للتفتازاني، وفي حواشيه، فاستمرت القراءة إلى بعض المقدمة، ثم انقطعت لكثرة عروض الأعدار من جهته، فأتممته على شيخنا العلامة القاسم بن يحيى الخولاني رحمه الله. ولصاحب الترجمة في قوة الفهم وسرعة الإدراك وتحقيق المباحث الدقيقة ما لا يوجد لغيره، ولكنه كثير العوارض الموجبة لانقطاع التدريس. ولولا ذلك لعكف الطلبة عليه، وفاق معاصريه، وصار متفرداً برياسة التدريس، ولكن العلم تكثر موانعه. وهو غير مُقلِّد، بل يجتهد رأيه في جميع ما يحتاج إليه من مسائل العبادة وغيرها؛ وما أحقه بذلك، فإن العلوم الاجتهادية حاصلة لديه وزيادة عليها، وهو الآن حيٌّ وأكثر سكونه بالروضة. وفي سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف استمدت له رأياً شريفاً من حضرة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله في توليته للقضاء بالروضة، وهو أكبر من مثل هذا وأجلّ فإن كثيراً من أكابر قضاة العصر المتولي للقضاء في الحضرة الإمامية وغيرها ليس علمهم بالنسبة إلى علم هذا شيئاً، ولم يبق لأحد من قضاة الروضة معه كلام. ثم في شهر رمضان سنة (١٢١٤) وصلت مكاتبة من أمير كوكبان السيد الأجل شرف الدين بن أحمد بن محمد يتضمن أن كوكبان وجهاته يحتاج إلى عالم من أكابر علماء صنعاء للإحياء بالتدريس، وللقيام بعهد القضاء هنالك فأرسلت بصاحب الترجمة، وهو إلى الآن هنالك^(١).

(١) قيل: توفي صاحب الترجمة سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢١م، وهو على قضاء كوكبان، عن نحو سبعين سنة.

٣٤٠

(عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رَاجِحِ بْنِ سَعِيدِ الْكِنَعِيِّ)

الصَّنْعَانِي المولد والمنشأ والدار. ولد سنة ١١٥١ إحدى وخمسين ومائة وألف، وقرأ على السيد العلامة الحَسَن بن زَيْد الشَّامِيِّ، وعلى شيخنا العلامة الحَسَن بن إِسْمَاعِيل المغربي، وحضر على جماعة من علماء صنعاء وحفظ المسائل المهمة المتعلقة بأمر الدين، ومال إلى العمل والزهد. وله يدٌ طويلة في علم التاريخ وحفظ غرائب الأخبار وطرائف الأشعار وحسن المحاضرة وجميل المذاكرة، مع شهامة نفس وعلو همة وخبرة تامة بأبناء عصره، لا يخفى عليه منهم خافية، مع انجماعه وميله إلى الخمول. وهو من الأجواد الذين ينفقون أموالهم في وجوه الخير، فإنه مع قلة ذات يده وجود بموجوده، ويؤثر على نفسه. وقد رأيت من مكارمه ما لا يقدر عليه غيره. وهو في هذا الشأن من محاسن الزمان، ولو اتسع نطاق ماله لطار له من الذكر، واشتهر له من الصيت ما يزاحم به البرامكة فضلاً عما هو دونهم، ولكنه يؤثر الخمول، ويميل إلى القنوع من الدنيا بالبلغة، ونعمت الخصلة، وما أحقه بما قلته من أبيات: [من الوافر]

تَرَاهُ وَهُوَ ذُو طُمُرَيْنِ يَمْشِي بِهَمَّتِهِ عَلَى هَامِ السَّمَاءِ^(١)
وهو حال تحرير هذه الأحرف حيٌّ، ومنزله نزهة أرباب الألباب، وحديثه روح أرواح بني الآداب.

٣٤١

(عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَضْمُونِ الْبُرْطِيِّ)^(٢)

ثم الصَّنْعَانِي العالم الكبير المشهور بالتحقيق في أنواع من العلوم. ولد سنة ١٠٦١ إحدى وستين وألف، وكان له بالعلم شغف شديد حتى قيل إنه كان يقطع الليل جميعاً في المطالعة بمسجد البستان من صنعاء، وإذا غلبه النوم اغتسل بالماء. ومن مشايخه القاضي العلامة أحمد بن عَلِيٍّ بن أَبِي الرَّجَال، والقاضي مُحَمَّد بن إبراهيم السَّحُولِي، والإمام الْمُتَوَكَّل على اللَّهِ إِسْمَاعِيل وغيرهم. وأخذ عنه جماعة منهم السيد العلامة زَيْد بن مُحَمَّد بن الحَسَن ابن الإمام الْقَاسِم، والقاضي العلامة الْحُسَيْن بن

(١) الطمر: الثوب الخلق البالي. السماك: أحد سماكين في السماء، وهما كوكبان نيران: السماك الرامح في الشمال، والسماك الأعزل في الجنوب.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٢٦٠/٧؛ الأعلام: ٣٢/٥.

مُحمَّد المغربي، وأخوه العلامة الحَسَن بن مُحمَّد، والسيد العلامة عبد الله بن عليّ الوزير، ولازمه ملازمةً طويلةً نحو اثنتي عشرة سنة، وغيرهم. وكان يكثر منه التخلف عن الدرس، ويتضجّر لذلك الطلبة. وسبب ذلك شدة عنايته بمطالعة ما يُدرّس فيه الطلبة. وكان له بتصحيح النسخ عناية عظيمة بحيث لا يُلحق في ذلك. ورأيت فتاويه مجموعة في مجلد. وجمع تلميذه السيد عبد الله بن عليّ الوزير ترجمته في مصنف سمّاه (نشر العبير). ومات في سنة ١١١٩ تسع عشرة ومائة وألف في ثاني وعشرين من شهر صفر منها، وقيل سنة ١١١٥ خمس عشرة ومائة وألف.

(٣٤٢)

(السيد عليّ بن يحيى أبو طالب)

ولد سنة ١١٥٩ تسع وخمسين ومائة وألف، أو في التي قبلها أو في التي بعدها، وقرأ على جماعة من المشايخ المتقدمين كالقاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والسيد العلامة إسماعيل المفتي، وغيرهما ممن هم مشايخ مشايخنا. واستفاد في العلوم الآلية والحديثية وسائر الفنون، ودرّس للطلبة في كتب الآلة وغيرها، وقرأ عليّ أخيراً في التفسير للزمخشري، وفي تفسيري، وفي الصحيحين، وسنن أبي داود. وهو الآن من محاسن الزمن، ومن بقية شيوخ العترة المطهرة، فسح الله له في مُدَّتِه^(١).

(٣٤٣)

(عليّ بن يعقوب بن جبريل البكري نور الدين المصريّ الشافعي)^(٢)

ولد سنة ٦٧٣ ثلاث وسبعين وستمائة، واشتغل بالفقه والأصول، وقرأ بنفسه على سيّد الوزراء، وجرت له محنة بسبب القبط، وهي أنه لما كان في النصف من محرم سنة (٧١٤) بلغه أن النصاري قد استعاروا من قناديل جامع عمرو بن العاص بمصر شيئاً وعلّقوه بكنيسة، فأخذ معه طائفة كثيرة من الناس وهجم الكنيسة ونكل النصاري، وبلغ منهم مبلغاً عظيماً، وعاد إلى الجامع، وأهان من فعل ذلك، وكثر من الوقعة في خطبه. فبلغ السلطان فأمر بإحضار القضاة وفيهم ابن الوكيل، وأحضر صاحب الترجمة فتكلم ووعظ وذكر آيات من القرآن وأحاديث. واتفق أنه أغلظ في

(١) قيل: توفي صاحب الترجمة سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٤١م.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٧/ ٢٦٢؛ شذرات الذهب: ٦/ ٦٦؛ البداية والنهاية: ١٤/

١١٨؛ كشف الظنون: ٤٥٥، ٦٧٥؛ الأعلام: ٣٢/ ٥؛ الدرر الكامنة: ٣/ ١٣٩.

عبارة السلطان، ثم قال: أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر، فاشتد غضب السلطان وقال له: أنا جائر، قال: نعم أنت سلّطت الأقباط على المسلمين، وقوّيت أمرهم، فلم يتمالك السلطان أن أخذ السيف وهمّ بالقيام ليضربه، فبادر بعض الأمراء وأمسك يده، فالتفت إلى قاضي المالكية وقال: يا قاضٍ تجرأ عليّ هذا، ما الذي يجب عليه؟ فقال القاضي: لم يقل شيئاً يوجب عقوبة، فصاح السلطان بصاحب الترجمة وقال: اخرج عني، فقام وخرج، فقال ابن جماعة: قد تجرأ وما بقي إلا أن يزاحم السلطان، فانزعج السلطان، وقال اقطعوا لسانه فبادر الأمراء ليفعلوا به ذلك، وأحضروا صاحب الترجمة فارتعد وصاح واستغاث بالأمراء، فرّقوا له وألحوا على السلطان في الشفاعة، ودخل ابن الوكيل وهو ينتحب ويبكي، فظنّ السلطان أنه أصابه شيء فقال له: خير خير، فقال: هذا رجل عالم صالح لكنه ناشف الدماغ، قال: صدقت وسكن غضبه. فانظر ما فعله ابن جماعة بكلمته الحمقاء، وما فعله صدر الدين بن الوكيل رحمه الله من التّوصل إلى سلامة هذا المسكين. وهكذا ينبغي لمن كان له قبول عند السلاطين أن يتحيّل عليهم في منافع المسلمين، وحقن دمائهم بما أمكنه. فإنّ صاحب الترجمة لم يكن ناشف الدماغ ولكنه كان في هذه الوسيلة سلامته من تلك البلية. (ومات) في شهر ربيع الآخر سنة ٧٢٤ أربع وعشرين وسبعمائة.

٣٤٤

(عليّ بن يوسُف بن شمس الدين الفناري الرومي)^(١)

ارتحل من الروم إلى بلاد العجم فقرأ على مشايخ هراة وسمرقند وبخارى، وبرع في جميع العلوم، ودرّس هنالك، ثم عاد إلى الروم في سلطنة مُحمّد خان، فأمره السلطان أن يُدرّس بمدرسة بروسة، وعيّن له كل يوم خمسين درهماً، ثم نقل إلى مدرسة أخرى، وعيّن له ستين درهماً، ثم جعله قاضياً بمدينة بروسة، ثم جعله قاضياً بالعسكر، ومكث فيه عشر سنين. وارتفعت بسبب ولايته منزلة العلماء والقضاة. ثم عزله السلطان مُحمّد خان، وعيّن له كل يوم خمسين درهماً، ولأولاده تسعين درهماً في كل يوم، وعيّن له في كل سنة عشرة آلاف درهماً. فلما مات السلطان مُحمّد، وقام ولده بايزيد مقامه أعاده على قضاء العسكر، ومكث فيه مقدار ثمانين سنين، ثم عُزل عنه، ثم عُيّن له كل يوم سبعين درهماً، وعشرة آلاف درهم في كل سنة. وصار مشتغلاً بالعلم في جميع أوقاته لشدة شغفه بالعلم لا ينام على فراش.

(١) ترجمته في: كشف الظنون: ١٧٦٧؛ هدية العارفين: ٧٣٩/١؛ شذرات الذهب: ١٨/٨؛ معجم المؤلفين: ٧/٢٦٤؛ الأعلام: ٣٤/٥.

وإذا غلب عليه النوم استند إلى الجدار والكتب بين يديه، فإذا استيقظ نظر فيها. وله شرح على الكافية نفيس. وكان فيه كرمٌ مُفرط، وربما ضاقت يده في بعض الأحوال فلا يجد ما يريد فقبل له: إنك قد توليت قضاء العسكر، وهو منصب عظيم فكيف لم تحفظ ما يحصل لك إذ ذاك؟ قال: كنت رجلاً سكران فلم أحفظ شيئاً، فقبل له: إذا عاد إليك المنصب فعليك بحفظ المال، فقال: إذا عاد المنصب عاد السكر معه. وكان يغلب عليه الصمت إلا إذا سألته أحد عن خدمته للسلاطين سرّ من ذلك حكايات عجيبة. ومن ذلك أنه سألته بعض الناس عن أعظم لذة وجدها في أيام اتصاله بالسلطان، فقال: سافر السلطان مُحمَّد خان في أيام الشتاء، وكان ينزل ويُبسط له بساطٌ صغيرٌ، يجلس عليه إلى أن تضرب الخيمة، وإذا أراد الجلوس على البساط يخرج واحد من غلمان الخفّ عن رجله، وعند ذلك يستند إلى شخص معين. وكانت تلك عادته، فاتفق في بعض الأيام أنه لم يحضر ذلك الرجل، فاستند إليّ، وهذه أعظم لذة وجدتها في صحبة السلّاطين. وحكى عنه بعض تلامذته أنه قرأ عليه في المُطوّل، فكانوا يقرأون عليه كلّ يوم مقدار سطر أو سطرين من ضحوة النهار إلى وقت العصر، ولما مضت على ذلك ستّة أشهر قال: إن الذي قرأتُموه عليّ إلى الآن يقال له قراءة كتاب، وبعد هذا اقرأوا قراءة الفن، فقرأنا بعد ذلك كل يوم ورقتين، وأتممنا بقية الكتاب في ستّة أشهر. واستمرّ يفيد الطلبة حتى (مات) في سنة ٩٠٣ ثلاث وتسعمائة.

(٣٤٥)

(عَمْرُ بن إِسْحَاق بن أَحْمَد الغَزْنَويّ العلّامة الحنفي سراج الدين الهندي صاحب التصانيف)^(١)

قدم القاهرة قبل الأربعين وسبعمائة، وسمع من بعض أصحاب النجيب. وكان علّامة في الأصول والمنطق والفروع، تخرّج في ذلك بالشمس الأصبهاني، وابن التركماني. ومن مصنفاته شرح المغني، وأصول الفقه، وشرح البديع لابن الساعاتي، وشرح الهداية، وهو مُطوّل لم يكمل. وكان دمث الأخلاق طلق العبارة، ولي قضاء العسكر، ثم ولي القضاء استقلالاً في شعبان سنة (٧٦٩). ومات رابع شهر رجب سنة ٧٧٣ ثلاث وسبعين وسبعمائة.

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/ ١٥٤؛ النجوم الزاهرة: ١١/ ١٢٠؛ كشف الظنون: ٢٣٦، ٤٤٨، ٩٦٢؛ هدية العارفين: ١/ ٧٩٠؛ إيضاح المكنون: ٢/ ٩٦؛ معجم المؤلفين: ٧/ ٢٧٦؛ الأعلام: ٥/ ٤٢.

٣٤٦

عُمَرُ بن رَسْلَان بن بَصِير بن صَالِح بن شَهَاب بن عبد الخَالِق بن عبد الحَقِّ السَّراج البلقيني^(١)

ثم القاهري. ولد في ليلة الجمعة سنة أربع وعشرين وسبعمائة ببلقينة، فحفظ بها القرآن وهو ابن سبع، والشاطبية والمحرر والكافية والشافية والمختصر الأصلي، ثم أقدمه أبوه القاهرة وهو ابن اثني عشرة سنة فعرض محافظته على جماعة، كالتقي السُّبكي، والجلال القزويني، وفاق بذكائه وكثرة محفوظاته وسرعة فهمه. ثم رجع به أبوه، ثم عاد معه وقد ناهز الاحتلام فاستوطن القاهرة وقرأ على أعيان العلماء في الفنون، كالشيخين المتقدمين، والعز بن جماعة وابن عدلان، وسمع من خلق، وأجاز له الأكابر. ومما يحكى من حفظه أنه أول ما دخل الكاملية طلب من ناظرها بيتاً فامتنع. واتفق مجيء شاعر الناصر بقصيدة وأنشده إياها بحضرة صاحب الترجمة، فقال للناظر قد حفظتها، فقال له الناظر: إن كان كذلك أعطيتك بيتاً، فأملأها له من حفظه جميعها، فأعطاه البيت. وما زال يطلب العلم على علماء القاهرة حتى برع في جميع العلوم، وفاق الأقران، وتفرد بكثير من المعارف. وقال له ابن كثير: أذكرتنا ابن تيمية، وكذلك قال له ابن شيخ الجبل، ما رأيت بعد ابن تيمية أحفظ منك. ودخل حلب في سنة (٧٩٣) صحبة الظاهر برقوق، وأخذ بها عن جماعة وعُيِّن لقضاء مصر غير مرة، ولم يتم مع كونه في ذلك يترفع عنه، ويجلس فوق كبار القضاة، بل ولي ابنه في حياته، وشاع ذكره في الممالك وعظَّمته الأكابر فَمَنَ دونهم. وأثنى عليه أكابر شيوخه، قال ابن حجر: كان أحفظ الناس لمذهب الشافعي واشتهر بذلك، وشيوخه موجودون. قدم علينا دمشق قاضياً وهو كهل، فَبَهَر الناس بحفظه وحسن عبارته وجودة معرفته، وخضع له الشيوخ في ذلك الوقت، واعترفوا بفضله. ثم بعد ذلك تصدَّر للفتيا والتدريس، فكثرت طلبته، وصاروا شيوخاً في حياته. وله تصانيف كثيرة لم تتم لأنه يبتدئ كتاباً فيصنف منه قطعة ثم يتركه. قال البرهان الحلبي: رأيت رجلاً فريد دهره لم ترَ عيناى أحفظ منه للفقه وأحاديث الأحكام، وقد حضرت دروسه مراراً وهو يقرئ في مختصر مسلم للقرطبي، يقرأه عليه شخص مالكي، ويحضر عنده فقهاء المذاهب الأربعة، فيتكلم على الحديث الواحد من بكرة إلى قريب الظهر. وربما أذن الظهر ولم يفرغ من الحديث. انتهى. وهذا تبخر عظيم وتوسُّع باهر، فإن استغرق

(١) ترجمته في: الضوء اللامع: ٨٥/٦؛ شذرات الذهب: ٥١/٧؛ إيضاح المكنون: ٢٧٩/١؛ كشف الظنون: ٣٨٢، ٣٩٧، ١٩١٥؛ هدية العارفين: ١/٧٩٢؛ معجم المؤلفين: ٧/٢٨٤؛ الأعلام: ٤٦/٥.

هذا الوقت الطويل في الكلام على حديث واحد يتحصل منه كراريس. وقد كان وقع الاتفاق على أنه أحفظ أهل عصره وأوسعهم معارف، وأكثرهم علوماً، ومع هذا فكان يتعانى نظم الشعر فيأتي بما يُستحي منه، بل قد لا يقيم وزنه والكمال لله. قال ابن حجر: وكانت آلات الاجتهاد فيه كاملة، قال: ولم يكمل من مصنفاته إلا القليل، لأنه كان يشرع في الشيء، فلسعة علمه يطول عليه الأمر؛ حتى إنه كتب من شرح البخاري على نحو عشرين حديثاً مجلدين، وعلى الروضة عدة مجلدات تعقبات، وعلى البدر للزركشي مجلداً ضخماً. قال البدر البشتكي: إن الشيطان وجد طُرْقَهُ عن البلقيني مسدودةً فحسّن له نظم الشعر. وله مصنفات كثيرة قد سردها ولده الجلال في ترجمته. ولم يزل متفرداً في جميع الأنواع العلمية حفظاً وسرداً لها كما هي حتى توفاه الله تعالى في يوم الجمعة حادي عشرين ذي القعدة سنة ٨٠٥ خمس وثمانمائة.

(٣٤٧)

(عُمَرُ بن عَلِي بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله السَّراج)^(١)

الأنصاري الأندلسي التكروري الأصل المِصْرِي الشافعي المعروف بابن المُلقّن. ولد في ربيع الأول سنة ٧٢٣ ثلاث وعشرين وسبعمائة بالقاهرة. وكان أصلُ أبيه من الأندلس فتحوّل منها إلى التكرور، ثم قدم القاهرة، ثم مات بعد أن ولد له صاحب الترجمة بسنة، فأوصى به إلى الشيخ عيسى المغربي. وكان يُلقّن القرآن، فنسب إليه، وكان يغضب من ذلك، ولم يكتبه بخطه، إنما كان يكتب ابن النحوي، وبها اشتهر في بعض البلاد كاليمن. ونشأ في كفالة زوج أمه ووصيه، وتفقّه بالتقيّ السُّبكي، والعزّ بن جماعة، وغيرهما. وأخذ في العربية عن أبي حيّان، والجمال بن هشام وغيرهما، وفي القراءات عن البرهان الرّشيدي. قال البرهان الحلبي إنه اشتغل في كلّ فنٍّ، حتى قرأ في كلّ مذهب كتاباً. وسمع على الحُفّاظ كابن سيّد الناس، والقُطب الحلبي، وغيرهما. وأجاز له جماعة كالمزّي. ورحل إلى الشام، وبيت المقدس. وله مصنفات كثيرة، منها تخريج أحاديث الرافعي سبعة مجلدات، ومختصر الخلاصة في مُجلّد، ومختصره للمنتقى في جزء، وتخرّيج أحاديث الوسيط للغزالي، المسمى بتذكرة الأخبار بما في الوسيط من الأخبار في مُجلّد، وتخرّيج أحاديث المذهب المُسمّى بالمحرر المذهب في تخريج أحاديث المذهب في مجلدين، وتخرّيج أحاديث المنهاج الأصلي في جزء، وتخرّيج أحاديث مختصر المنتهى لابن الحاجب في جزء، وشرح

(١) ترجمته في: الأعلام: ٥٧/٥؛ الضوء اللامع: ١٠٠/٦؛ معجم المؤلفين: ٢٩٧/٧؛ شذرات الذهب: ٤٤/٧؛ كشف الظنون: ٢٩، ٦٠، ١٠٠، ١١٩٢؛ هدية العارفين: ٧٩١/١؛ إيضاح المكنون: ١٥٣/١، ٥٨٧/٢.

العمدة المسمى بالإعلام في ثلاثة مجلدات، وأسماء رجالها في مجلد، وقطعة من شرح المنتقى في الأحكام للمجد ابن تيمية، ولكنه قال صاحب الترجمة في تخريج أحاديث الرافعي أنه إنما كتب شيئاً من ذلك على هوامش نسخته كالتخريج لأحاديث المنتقى. ثم رغب من يأتي بعده في شرح هذا الكتاب حسبما نقلته من كلامه في أوائل شرحي للمنتقى. ومن مصنفاته (طبقات الفقهاء الشافعية)، و(طبقات المحدثين) وفي الفقه (شرح المنهاج) ستة مجلدات، وآخر صغير في مجلدين ولغاته في مجلد، والتحفة في الحديث على أبوابه كذلك، والبلغة على أبوابه في جزء لطيف، والاعتراضات عليه في مجلد، وشرح التنبيه في أربعة مجلدات، وآخر لطيف سمّاه (هادي النبيه إلى تدريس التنبيه)، والخلاصة على أبوابه في الحديث في مجلد، و(أمنية النبيه فيما يرد على النووي في التصحيح والتنبيه) في مجلد، ولخصه في جزء، وشرح الحاوي الصغير في مجلدين ضخمين، وآخر في مجلد. وشرح التبريزي في مجلد، وشرع في كتاب جمع فيه بين كتب الفقه المعتمدة في عصره للشافعية، ونبه على ما أهملوه وسمّاه (جمع الجوامع). وله في علم الحديث (المقنع) في مجلد. قال ابن حجر: إن صاحب الترجمة شرح المنهاج عدة شروح أكبرها في ثمانية مجلدات، وأصغرها في مجلد، والتبيين كذلك، والبخاري في عشرين مجلداً. وشرح زوائد مسلم على البخاري في أربعة أجزاء، وزوائد أبي داود على الصحيحين في مجلدين، وزوائد الترمذي على الثلاثة كتبت منه قطعة، وزوائد النسائي على الأربعة كتبت منه جزءاً، وزوائد ابن ماجه على الخمسة في ثلاثة مجلدات، وإكمال تهذيب الكمال، قال ابن حجر إنه لم يقف عليه. وقال السخاوي إنه وقف منه على مجلد. وله مصنفات غير هذه كشرح ألفية ابن مالك، وشرح المنهاج الأصلي، وشرح مختصر المنتهى لابن الحاجب. وقد رزق الإكثار من التصنيف، وانتفع الناس بغالب ذلك، ولكنه قال الحافظ ابن حجر أنه كان يكتب في كل فنٍّ سواء أتقنه أو لم يتقنه، قال: ولم يكن في الحديث بالمتقن، ولا له ذوق أهل الفن، وقال: إن الذين قرأوا عليه قالوا: إنه لم يكن ماهراً في الفتوى، ولا التدريس، وإنما كانت تُقرأ عليه مصنفاته في الغالب فيقرّر ما فيها. وقال ابن حجر: كان لا يستحضر شيئاً ولا يُحقّق علماً، وغالب تصانيفه كالسرقة من كتب الناس. وفي هذا الكلام من التحامل ما لا يخفى على منصف؛ فكتبه شاهدة بخلاف ذلك، منادية بأنه من الأئمة في جميع العلوم. وقد اشتهر صيته وطار ذكره وسارت مؤلفاته في الدنيا. وحكى السخاوي أنه طلب الاستقلال بالقضاء وخدعه بعض الناس حتى كتب بخطه بمال على ذلك، فغضب برُفوق عليه لمزيد اختصاصه به، وكونه لم يعلمه بذلك، ولو أعلمه لكان يأخذه له بلا بذل. وأراد الإيقاع به فسَلَّمه الله من ذلك. ثم استقر في التدريس بأماكن. وقد ترجمه جماعة من أقرانه الذين ماتوا قبله كالعثماني قاضي صفد، فإنه قال في طبقات الفقهاء:

إنه أحد مشايخ الإسلام صاحب التصانيف التي ما فتح على غيره بمثلها في هذه الأوقات. وقال البرهان الحلبي: كان فريد وقته في كثرة التصنيف وعبارته فيها جليلة جيدة وغرائبه كثيرة. وقال ابن حَجَر في أنبائه: أنه كان موسعاً عليه في الدنيا مشهوراً بكثرة التصانيف حتى كان يقال: إنها بلغت ثلاثمائة مجلد ما بين كبير وصغير. وعنده من الكتب ما لا يدخل تحت الحصر منها ما هو ملكه ومنها ما هو من أوقاف المدارس، ثم إنها احترقت مع أكثر مُسَوِّداته في آخر عمره، ففقد أكثرها، وتغير حاله بعدها، فحجبه ولده إلى أن مات. قال راوياً عن بعض من حكى له أنه دخل على صاحب الترجمة يوماً وهو يكتب فدفع إليه الكتاب الذي يكتب منه وقال له: أُملي عليّ قال: فأملت عليه وهو يكتب إلى أن فرغ، فقلت له: يا سيدي أتنسخ هذا الكتاب؟ فقال: بل أختصره. قال ابن حَجَر: إنَّ العراقي والبلقيني وصاحب الترجمة كانوا أعجوبة ذلك العصر، الأول في معرفة الحديث وفنونه. والثاني في التوسع في معرفة مذهب الشافعي. والثالث في كثرة التصانيف. وكل واحدٍ من الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة، ومات قبله بسنة، فأولهم ابن المُلقِّن، ثم البلقيني، ثم العراقي. ومات في ليلة الجمعة سادس عشر ربيع الأول سنة ٨٠٤ أربع وثمانمائة.

(٣٤٨)

(عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عُمَرَ)

ابن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة العُقيلي الحنفي الحلبي نجم الدين بن جمال الدين بن صاحب، كمال الدين العديم. ولد سنة ٦٨٩ تسع وثمانين وستمائة. سمع الحديث وتفقه وولي عدة تداريس، ثم ولي القضاء. وكان حافظاً للسان لم يسمع منه سبٌ أحدٍ، وله نظم جيد فمنه: [من الرجز]

كَأَنَّ وَجْهَ النَّهْرِ إِذْ حَفَّتْ بِهِ أَشْجَارُهُ فَصَافَحَتْهُ الْأَغْصَانُ^(١)

مِرَاةً غِيدٍ قَدْ وَقَفْنَ حَوْلَهَا يَنْظُرْنَ فِيهَا أَيَّهِنَّ أَحْسَنُ^(٢)

وهذا غاية في بابه. وقد كنت نظمت قبل الوقوف عليه بأعوام بيتين في المعنى

هما: [من السريع]

كَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ إِذْ أَحْدَقْتُ بِالنَّهْرِ مِنْ بَعْدِ بُكَاءِ الْعَمَامِ^(٣)

(١) حَفَّتْ به: أحاطت. صافحته: سلَّمْتُ عليه يدًا بيد.

(٢) الغيد: جمع الغيداء: الفتاة الحسناء الناعمة المُشْتَبِهَة في مشيتها.

(٣) أحدقت بالنهر: أحاطت به من كلِّ جانب.

غَيْدٌ عَلَى مِرَاةٍ حُسْنٍ تَنَا فَسَنَ فَأَذْرَيْنَ دُمُوعَ الْخِصَامِ^(١)
 فلما وقفت على بيتي صاحب الترجمة هَمَمْتُ بأن أضرب على هذين، لكنني رأيتهما قد اشتملا على ما لم يشتمل عليه بيتا المترجم له وذلك زيادة بكاء الغمام في المشبه، ومقابلتهما بكاء الغواني في المشبه به، مع ذكر التنافس والخصام. ورأيت بعد نظم البيتين أن ما يقرب من معناهما في طيب السمر لِلْحَيْمِي، ولا أحفظه حال تحرير هذه الأحرف، ولا أحفظ قائله ولكنه لم يشتمل على ما اشتمل عليه البيتان المذكوران. ومات صاحب الترجمة في صفر سنة ٧٣٤ أربع وثلاثين وسبعمائة، ورثاه ابن الوردي بقوله: [من الكامل]

قَدْ كَانَ نَجْمُ الدِّينِ شَمْسًا أَشْرَقَتْ بِحِمَاةٍ لِلدَّانِي بِهَا وَالْقَاصِي
 عَدِمَتْ ضِيَاءَ بَنِ الْعَدِيمِ فَأَنْشَدْتُ مَاتَ الْمَطِيعُ فَيَا هَالَاكَ الْعَاصِي
 وما أحسن من التورية في قوله في هلاك العاصي، لأن بحماسة نهراً يُقال له العاصي.

٣٤٩

(عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي الْخَيْرِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَهْدٍ)^(٢)

النجم القرشي الهاشمي المكي الشافعي المعروف كسلفه بابن فهد. ولد ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة ٨١٢ اثنتي عشرة وثمانمائة، ونشأ بها، فحفظ القرآن وكتاباً في الحديث ألفه له والده. وشرع في قراءة فقه الإمام أحمد فحوّله أبوه شافعيًا، وحفظ النصف الأول من المنهاج وبعض الألفية لابن مالك، وبعض ألفية العراقي. وسمع في صغره بمكة على مشايخها والقادمين إليها كالمراغي، والجمال بن ظهيرة، والولي العراقي، وابن الجزري، والنجم بن حجي، والكاظمي. وأجاز له جماعة من جهات شتى، وأقبل على الطلب بنفسه، وتخرّج بوالده، ورحل إلى القاهرة فسمع من أهلها، ولازم الحافظ ابن حجر، ودخل الشام فسمع على علمائها، ولازم الحافظ ابن ناصر، وسافر إلى القدس والخليل، وسمع ممّن هنالك، وطاف البلدان، وطول الرحلة، وتردّد في جميع مدائن مصر والشام وغيرهما، وكتب الكثير بخطّه، وسمع

(١) أذْرَيْنَ: أَسْلَنَ.

(٢) ترجمته في: الأعلام: ٦٢/٥؛ الضوء اللامع: ١٢٦/٦؛ كشف الظنون: ٧؛ إيضاح المكنون:

٢١/١، ١٧٤، ١١/٢، ٤٨٥؛ هدية العارفين: ٧٩٤/١؛ معجم المؤلفين: ٣١٨/٧.

العالِي والنازل، ومهر في الحديث، وصنّف فيه مصنفات، وخرّج لنفسه معجماً، وعمل مسلسلاً، وذيل على تاريخ مكة للتقي الفاسي، وله كتاب المُدلسين، ثم المخضرمين، ثم المُغيّر اسمهم، ثم المواخاة بينهم، ثم اللباب في الألقاب، ثم بذل الجهد في من سُمّي بفهد وابن فهد، والمشارك المنيرة في ذكر بني ظهيرة. وله في كلّ بيت من بيوت مكة المشهورة بالعلم مصنف، وله غير ذلك من المصنفات. ومات يوم الجمعة سابع شهر رمضان سنة ٨٨٥ خمس وثمانين وثمانمائة.

٣٥٠

(عُمَرُ بن مُحَمَّد السَّراج أَبُو حَفْص اليماني الزَّبيدي الشَّافعي) (١)

ويُعرف بالفتى من الفتوة، وهو لقب أبيه. ولد سنة ٨٠١ واحدة وثمانمائة بزبيد، ونشأ بها وقرأ على الفقيه مُحَمَّد بن صَالِح، والشرف بن المُقرئ، ولازمه أتم ملازمة دهرًا طويلاً، ثم انتقل إلى بلاد أصاب، فمكث ببعض قراها، وارتحل إليه الطلبة، واشتغل بالتدريس والتصنيف وقصده الطلبة من الأماكن البعيدة، كل ذلك في حياة شيخه. ولما استولى عليّ بن طاهر على اليمن أكرم صاحب الترجمة ورتّب له من الوقف ما يكفيه، ثم قلّده أمر الأوقاف وصرفها لمستحقها والإذن في النيابة لمن لا يحسن المباشرة. وله تصانيف منها (مهمات المهمات) اختصر فيها مهمات الإسوي. (والإبريز في تصحيح الوجيز)، و(الإلهام لما في الروض من الأوهام) مصنف شيخه ابن المقرئ. وأفرد زوائد الأنوار على الروضة وسمّاه (أنوار الأنوار). وكذا فعل في جواهر القمولي، وشرح المنهاج لابن الملقن. وقد انتفع به في الفقه أهل اليمن طبقة بعد طبقة حتى صار غالبهم من تلامذته. (ومات) في صفر سنة ٨٨٧ سبع وثمانين وثمانمائة وارتجت النواحي لموته.

٣٥١

(عُمَرُ بن مُظَفَّر بن عُمَر بن مُحَمَّد بن أَبِي الفوارس زَيْن الدين بن الوَرْدِي الفقيه الشَّافعي الحلبّي) (٢)

نشأ بحلب، وتفقه بها ففاق الأقران، وأخذ من شرف الدين بن البارزي وغيره،

(١) ترجمته في: كشف الظنون: ٩١٩.

(٢) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/١٩٥؛ النجوم الزاهرة: ١/٢٤٠؛ شذرات الذهب: ٦/١٦١؛ بغية الوعاة: ٣٦٥؛ كشف الظنون: ١٥٣، ١٥٥، إيضاح المكنون: ١٣/١، ٥٥٣/٢؛ هدية العارفين: ٧٨٩/١؛ معجم المؤلفين: ٨/٤؛ الأعلام: ٥/٦٧؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/٧٦٦.

ونظم (البهجة الوردية) في خمسة آلاف بيت وثلاثة وستين بيتاً، أتى على (الحاوي الصغير) بغالب ألفاظه. قال ابن حَجَر، وأقسم بالله: ما نظم أحد بعده الفقه إلا وقصّر دونه. (وله ضوء الدرّة) على ألفية ابن مُعْطِي، وشرح الألفية لابن مالك. وله مقامات، ومنطق الطير نظم ونثر. وله في الكلام على مائة غلام مقطوع لطيفة، والدراري السارية في مائة جارية، مائة مقطوع كذلك. وضمن كثيراً من الملحّة للحريري في أرجوزة غزل. واختصر الألفية لابن مالك في مائة وخمسين بيتاً وشرحها. وكان ينوب في الحكم بحلب، وولي قضاء منبج، ثم أعرض عن ذلك. (ومات) في الطاعون آخر سنة ٧٤٩ تسع وأربعين وسبعمائة، وديوان شعره في مجلد لطيف. ذكر الصفدي في «أعيان النصر» أنه اختلس معاني شعره، وأنشده من ذلك شيئاً كثيراً، ولم يأت بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس، قال الحافظ ابن حَجَر: بل المتبادر العكس، واستشهد الصفدي على صحة دعواه بقول صاحب الترجمة: [من الوافر]

وَأَسْرَقُ مَا أَرَدْتُ مِنَ الْمَعَانِي	فَإِنْ فُقِئْتُ الْقَدِيمَ حَمَدْتُ سَيْرِي
وَأِنْ سَاوَيْتُهُ نَظْماً فَحَسْبِي	مُسَاوَاةُ الْقَدِيمِ وَذَا لِحَايِرِي
وَأِنْ كَانَ الْقَدِيمُ أَتَمَّ مَعْنَى	فَهَذَا مَبْلُغِي وَمَطَارُ طَيْرِي
وَأِنْ الدُّرْهَمَ الْمَضْرُوبَ عِنْدِي	أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ دِينَارٍ غَيْرِي

ومن جملة ما أورده الصفدي لصاحب الترجمة: [من المتقارب]

سَلِ اللَّهَ رَبَّكَ مِنْ فَضْلِهِ	إِذَا عَرَضَتْ حَاجَةٌ مُثْلِقَهُ
وَلَا تَقْصِدِ التُّرْكَ فِي حَاجَةٍ	فَأَعَيْنُهُمْ أَعَيْنَ ضَيْقَهُ

قال الصفدي وهما مأخوذان من قولي: [من السريع]

أَتْرَكَ هَوَى الْأَتْرَاكِ إِنْ رُمْتَ أَنْ	لَا تُبْتَلَى فِيهِمْ بِهِمْ وَضَيْرُ
وَلَا تُرَجَّ الْجُودُ مِنْ وَضْلِهِمْ	مَا ضَاقَتْ الْأَعْيُنُ فِيهِمْ لِخَيْرُ

ومن شعر صاحب الترجمة: [من المجتث]

قِيلَ لِي تَبْذُلُ الذَّهَبَ	بِتَوَلِّي قَضَا حَلَبَ
قُلْتُ هُمْ يَحْرِقُونَنِي	وَأَنَا أَشْتَرِي الْحَطَبَ

ومنه أخذ ابن عسائر: [من المجتث]

قِيلَ بَرِّطِلْ عَلَى الْقَضَا	تُرْغِمُ الْحَسَدَ الْعِدَى
قُلْتُ هُمْ يَذْبَحُونَنِي	وَأَنَا أَشْحَذُ الْمِدَى ^(١)

(١) المِدَى: جمع المِدْيَةِ: السَّكِين.

ومن شعر صاحب الترجمة: [من الكامل]

إني تركتُ عُقُودَهُمْ وفُسُوحَهُمْ وفُروضَهُمْ والحُكْمَ بينِ اثْنَيْنِ
ولزمتُ بيتي قانعاً ومُطالِعاً كُتِبَ العلومِ وذاك زينُ الدينِ

٣٥٢

(عيسى بن عثمان بن عيسى الغزي شرف الدين الشافعي)^(١)

ولد قبل الأربعين وسبعمئة، وقدم دمشق فأخذ عن علمائها، ولازم تاج الدين السبكي، ودرّس بالجامع الأموي، وأفتى، وصنّف. فمن مصنفاته: شرح المنهاج الشرح الكبير والمتوسط والصغير، واختصر الروضة مع زيادات، واختصر مهمات الإسنوي، وله كتاب في آداب القضاء، ولخصّ زيادات الكفاية على الرافعي في مجلدين. (مات) في شهر رمضان سنة ٧٩٩ تسع وتسعين وسبعمئة.

٣٥٣

(السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر ابن الإمام شرف الدين اليماني الكوكباني)^(٢)

الشاعر المنجم المؤرخ، له تاريخ سمّاه (روح الروح) صنّفه للأروام. واختصّ بالوزير محمد باشا، فصنّف هذا التاريخ بعنايته، وذكر فيه ما كان بعد المائة التاسعة من الفتوح. وصنّف له (النفحة اليمينية في الدولة المحمدية)، ومن نظمته: [من الخفيف]

لا تَلْمَني في حُبِّ أهيفَ كالغُصِّ من يُغيّرُ الشُّموسَ في الإِشراقِ^(٣)
لَدَغْتَنِي في حُبِّه حَيَّةُ الوَجْدِ هِ فَمَا غَيَّرُ وَصْلِهِ مِنْ رَاقِ
وكان يهوى غلاماً جميلاً فقتله الأتراك في بعض الحروب، فقال في ذلك قصيدة منها: [من البسيط]

قَدْ كُنْتُ أَهْوَى بَأَنْ تَأْوِي إِلَى نَظْرِي فَالآنَ مَنْ لِي بِجَعْلِ الْقَلْبِ تَابُوتَا

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٢٠٥/٣؛ شذرات الذهب: ٣٦٠/٦؛ كشف الظنون: ٦١٨؛ إيضاح المكنون: ٥٠/١؛ هدية العارفين: ٨٠٩/١؛ معجم المؤلفين: ٢٨/٨؛ الأعلام: ٥/١٠٥.

(٢) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣٠/٨؛ إيضاح المكنون: ٥٨٥/١؛ الأعلام: ١٠٦/٥.

(٣) الأهيف: الدقيق الخصر، الضامر البطن. يغير الشموس: يجعلها تغار.

عَذَّبْتَنِي بِالْجَفَا وَقَتَّ الْحَيَاةِ فِي مَمَاتِكَ الْيَوْمَ قَدْ أَحْرَمْتَنِي الْقُوتَا
 قُتِلْتُ مِنْكَ غَدَاةَ الْحَالَتَيْنِ مَعَا حَيًّا وَمَيِّتًا فَيَا طُولَ الْجَوَى هَيْتَا
 يَا زَهْرَةً قُطِفَتْ مِنْ بَعْدَمَا بَسَمْتُ وَزَهْرَةً غَرُبَتْ مُذْ وَافَتِ الْحُوتَا
 لَهْفِي عَلَى الْمَقْلَةِ الْكَحَلَا الَّتِي قَصُرْتُ عَنْ سِحْرِ نَفْثَتِهَا أَسْحَارُ هَارُوتَا

وله قصيدة كتبها إلى الإمام القاسم بن مُحَمَّدٍ يتنصّل فيها عما يُنسب إليه من تفضيله للدولة التركية على الدولة القاسمية ومطلعها: [من مجزوء الكامل]

مَا شَاقَنِي سَجْعُ الْحَمَامَةِ سَحَرًا وَلَا بَرْقُ الْعَمَامَةِ
 وَكَانَ مَوْتُهُ فِي دَوْلَةِ الْإِمَامِ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ فِي سَنَةِ ١٠٤٨ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَلْفَ، وَكَانَ يَفِدُّ إِلَيْهِ وَيَكْرُمُهُ.

٣٥٤

(السيد عيسى بن مُحَمَّد بن الحُسَيْن الكوكباني)^(١)

قد تقدم تمام نسبه. ومولده على التقريب بعد سنة (١١٣٠)، وله يد في علوم الاجتهاد قوية. وكان مُكَبَّأً طول عمره على المعارف العلمية وإفادة الطلبة حتى شاخ وعلت سنّه، فصار عند ذلك أميراً لِكُوكَبَانَ وبلادها من غير سعي منه في ذلك، بل قصده أقرابه بالإمارة، وذلك أنه اتفق أن السيد إبراهيم بن مُحَمَّدٍ أمير كُوكَبَانَ وهو أخو صاحب الترجمة مات فصارَت الإمارة بعده إلى ولده الأكبر العباس بن إبراهيم، فنافسه على ذلك أخوه يَحْيَى بن إبراهيم، وما زال يترقّب له الفرص حتى صادف منه غَرَّةً وهم في دارٍ واحدة فدخل عليه هو وجماعة معه وضربوه ضرباً مبرحاً ثم كتفوه وأخرجوه من داره على رؤوس الأشهاد بعد أن قيّدوه، فخرج مُقَيَّدًا مكتوفاً والناس ينظرونه، وسجنوه في دار هنالك معدة لمثل ذلك. ثم إن أخاه يَحْيَى المذكور علم أن أهل كُوكَبَانَ لَا يُفَوِّضُونَ الإمارة إليه وفيهم صاحب الترجمة لعلو سنّه فقصده وعرض عليه الإمارة فقبلها. وكانت الأمور في أيام إمارته منوطة بالسيد شَرَف الدين بن أحمد الذي صار بعد صاحب الترجمة أميراً. ثم إن السادات وسائر الأعيان أجمع أمرهم على اعتقال السيد يَحْيَى بن إبراهيم في اليوم الثاني من اعتقاله لأخيه فعدّوا مجلساً وأرسلوا للمذكور فجاء وبين يديه الجند وعليه أبهة الإمارة فكتفوه وقيّدوه وأخرجوه كما أخرجوا أخاه وأدخلوه الدار التي أدخل أخاه فيها. وكان ذلك من أعظم العبر. وفي أثناء هذه الأمور قُتِلَ السيد عبد الله بن إبراهيم، وكان عند اعتقال أخيه يَحْيَى

(١) ترجمته في: معجم المؤلفين: ٣١/٨؛ نيل الوطر: ١٦٩/٢؛ الأعلام: ١٠٩/٥.

لأخيه عَبَّاس بِشَبَام، فلما بلغه ذلك جمع جماعة من أهل شبام وطلع بهم إلى كَوَكْبَان قاصداً لنصر أخيه عَبَّاس فلقى في الطريق عَبَّاس بن مُحَمَّد بن يَحْيَى، وهو ممن أعان السيد يَحْيَى بن إبراهيم على اعتقال أخيه، بل لولاه ما تم ذلك، فلما رأى السيد عبد الله المذكور السيد عَبَّاس بن مُحَمَّد في عقبة كَوَكْبَان سَلَّ سيفه وحمل عليه على دهش وطيّش، فوصل إليه وضربه بالسيف ضربة غير طائلة، فأخذ السيد عَبَّاس بن مُحَمَّد الجنبية وطعنه بها طعنة كان بها موته. ولم ينفع السيد عبد الله من معه من الجيش. ثم إن السيد عَبَّاس بن مُحَمَّد سُجِنَ بقصر صنعاء نحو سبع سنين. وصحَّ عندي أنه مدافع فأطلقه مولانا الإمام حفظه الله. وأما صاحب الترجمة فاستمر على إمارته حتى (مات) يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر شَوَّال سنة ١٢٠٧ سبيع ومائتين وألف. ثم صارت الإمارة بعده إلى السيد شرف الدين المتقدم ذكره، وهو من أكابر العلماء المتوسعين في عدة فنون، وولده العلامة عبد الله قد سبقت ترجمته.

(٣٥٥)

(عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى بن يونس الزواوي المالكي)^(١)

ولد سنة ٦٦٤ أربع وستين وستمائة بزَوَاوَة، وتفقّه على أبي يُونُس الزَوَاوي، ثم قدم الإسكندرية فتفقّه بها، ثم رجع إلى قابس، وولي القضاء بها. ثم رجع إلى الإسكندرية، ثم دخل مصر فقرأ عليه الناس بالجامع الأزهر. وسمع من جماعة منهم الدمياطي. وكان يذكر أنه حفظ مختصر ابن الحاجب في ستة أشهر، وأنه حفظ الموطأ، ثم دخل أيضاً دمشق وناب عن حاكمها المالكي، ورجع إلى مصر، وناب أيضاً عن حاكمها المالكي، ثم أعرض عن ذلك وأقبل على التصنيف، فصنّف شرحاً لمسلم في اثني عشر مجلداً جمع فيه بين المعلم وإكمال، وشرح النووي عليه، وسمّاه (إكمال الإكمال)، وزاد فيه فوائد ومسائل من كلام الباجي، وابن عبد البر. وأبدى فيه سؤالات مفيدة، وأجاب عنها، وشرح مختصر ابن الحاجب الفرعي فوصل إلى الصيد في سبعة أسفار، وشرح مختصر ابن يُونُس في ستة أسفار. وله كتاب في المناسك، وردّ على ابن تيمية في مسألة الطلاق، وشرع في جمع تاريخ كتب منه عشرة أسفار، ومات في مستهل رجب سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة.

انتهى هنا الجزء الأول من كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ويليه الجزء الثاني من الكتاب.

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة: ٣/٢١٠؛ كشف الظنون: ٥٥٨، ١٦٤٤؛ إيضاح المكنون: ١/

٣٥١؛ هدية العارفين: ١/٨٠٩؛ معجم المؤلفين: ٨/٣٣؛ الأعلام: ٥/١٠٩.

فهرس المحتويات

٥	 مقدمة
١١	 ترجمة المؤلف
١٦	 تقديم
١٨	١ - إبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد الكينعي
٢٠	٢ - إبراهيم بن أحمد اليافعي الصنعاني المولد والدار والوفاة
٢١	٣ - إبراهيم بن أحمد خان سلطان الروم
٢١	٤ - إبراهيم بن أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج بن يحيى بن عبدالرحمن
٢٣	٥ - إبراهيم بن حسن بن أحمد بن محمد اليعمري زاهد العصر وناسك الدهر
٢٣	٦ - إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري الشهراني الكردي
٢٤	٧ - إبراهيم بن خالد بن أحمد بن قاسم العلفي ثم الصنعاني
٢٥	٨ - إبراهيم بن شيخ الأمير صارم الدين ابن السلطان شيخ
٢٦	٩ - الشيخ إبراهيم بن صالح الهندي ثم الصنعاني الشاعر المشهور
	١٠ - السيد إبراهيم بن عبدالقادر بن أحمد بن عبدالقادر بن الناصر بن عبدالرب بن
٢٧	علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين العلامة ابن شيخنا الإمام
٢٨	١١ - السيد إبراهيم بن عبدالله بن إسماعيل الحوثي ثم الصنعاني
٢٩	١٢ - إبراهيم بن عمر بن حسن بن الرباط
	١٣ - السيد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد بالله محمد ابن الإمام القاسم بن محمد
٣١	العلامة الحافظ المؤرخ
	١٤ - السيد إبراهيم بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام
٣١	القاسم بن محمد
	١٥ - إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان المقدسي ثم
٣٢	القاهري الشافعي أخو الكمال محمد الآتي ذكره
	١٦ - إبراهيم بن محمد بن خليل البرهان الطرابلسي الأصل الشامي المولد والدار
٣٤	الشافعي
	١٧ - إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى
٣٦	الوزير
٣٧	١٨ - السيد إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الأمير

- ١٩ - إبراهيم بن يحيى بن مُحَمَّد بن صلاح السحولي الشَّجَرِي ٣٧
- ذكر من اسمه أحمد ٣٨
- ٢٠ - أحمد بن إبراهيم بن الزُّبَيْر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عاصِم بن مُسْلِم بن كَعْب ٣٨
- ٢١ - أحمد بن أحمد بن عبدالواحد بن عبدالغني بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف بن خالد الشيخ شهاب الدين الأذرعي ٣٩
- ٢٢ - السيد أحمد بن أحمد الأنسي القهد اليماني المعروف بالزُمنة الشاعر المشهور ٤٠
- ٢٣ - أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عُمَر بن بريدة ٤١
- ٢٤ - أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن أحمد بن رَشِيد بن إبراهيم شَرَف الدين ٤٢
- ٢٥ - أحمد بن أُويس ابن الشيخ حَسَن بن الحُسين بن أَقْبغا بن ايلكان بن القان، غياث الدين ٤٤
- ٢٦ - الإمام المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ٤٥
- ٢٧ - السيد أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المُطَهَّر ابن الإمام شرف الدين ٤٦
- ٢٨ - أحمد بن الحسن المعروف بالجاربدي ٤٧
- ٢٩ - الفقيه أحمد بن حسن الزُّهيري ٤٨
- ٣٠ - أحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يُوُسُف بن علي بن أُرْسَلان ٤٩
- ٣١ - أحمد بن الحسين الرُّفَيْحي ٥١
- ٣٢ - أحمد بن حسين الوزَّان الصَّنْعاني المولد والمنشأ ٥٢
- ٣٣ - أحمد بن الحسين بن مُحَمَّد بن الحسين بن عيسى بن مُحَمَّد بن أحمد بن مُسْلِم الشَّهاب ٥٣
- ٣٤ - أحمد بن رَجَب بن طَبَّغا المجد بن الشهاب القاهري الشافعي ٥٥
- ٣٥ - أحمد بن سَعْد الدين بن الحسين بن مُحَمَّد بن علي بن غَانم بن يُوُسُف بن الهادي بن علي بن عبدالعزيز بن عبدالواحد بن عبدالحميد الأصغر ابن عبدالحميد الأكبر ٥٦
- ٣٦ - أحمد بن صالح بن أبي الرجال ٥٧
- ٣٧ - القاضي أحمد بن صالح بن مُحَمَّد بن أحمد بن صالح المذكور قبله المعروف بابن أبي الرجال ٥٨
- ٣٨ - السيد أحمد بن صلاح بن يحيى الخطيب الكوكباني ثم الصَّنْعاني ٥٩
- ٣٩ - أحمد بن عامر الحدائي ثم الصَّنْعاني ٥٩
- ٤٠ - أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن القاسم بن تَيْمِيَّة ٦٠

- ٤١ - أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم، الولي بن الزين العراقي ٦٥
- ٤٢ - أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرح بن بدر بن عثمان بن كامل بن ثعلب الشهاب العامري الغزي ثم الدمشقي الشافعي ٦٧
- ٤٣ - السيد أحمد بن عبد الرحمن بن الحسين بن عز الدين بن الحسن الشامي ٦٨
- ٤٤ - أحمد بن عبد الله الضمدي ٦٨
- ٤٥ - مولانا الإمام المتوكل على الله أحمد بن الإمام المنصور بالله علي ابن الإمام المهدي العباس ٦٩
- ٤٦ - أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم ٧٠
- ٤٧ - أحمد بن علي بن عبد الكافي بن يحيى بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن سليم السبكي ٧٢
- ٤٨ - السيد أحمد بن علي بن محسن بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم الصنعاني ٧٢
- ٤٩ - أحمد بن علي بن محمد بن أحمد طشي الصعدي ٧٤
- ٥٠ - أحمد بن لطف الباري بن أحمد بن عبد القادر الورد ٧٥
- ٥١ - أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب، أبو الفضل الكناني العسقلاني ٧٦
- ٥٢ - أحمد بن علي بن هادي النهدي ثم الصنعاني ٧٩
- ٥٣ - أحمد بن عماد بن يوسف بن عبد النبي الشهاب أبو العباس الأقفهي ثم القاهري ٧٩
- ٥٤ - أحمد بن أبي الفرج بركات الفارقاني، تاج الدين ٨٠
- ٥٥ - أحمد بن محمد بن أحمد بن جاد الله مشحم الصعدي ثم الصنعاني ٨١
- ٥٦ - أحمد بن محمد بن أحمد بن مطهر القابلي ٨١
- ٥٧ - السيد أحمد بن محمد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم ٨٢
- ٥٨ - أحمد بن محمد المشهور بابن معصوم الحسيني الجبازي المولد ٨٣
- ٥٩ - أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحيم بن يوسف بن سمير بن حازم، أبو حازم المصري ٨٤
- ٦٠ - أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزين أحمد بن الجمال محمد بن الصفي محمد بن المجد حسين بن التاج علي ٨٥
- ٦١ - أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي الكوكباني ٨٦

- ٦٢ - أحمد بن محمد الحجازي الينبي الأصل، الصنعاني المولد والوفاة ٨٧
- ٦٣ - السيد أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين ٨٨
- ٦٤ - أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب الحسن بن هبة بن محفوظ بن الحسن بن صصري ٨٨
- ٦٥ - أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله تاج الدين أبو الفضل الإسكندراني الشاذلي ٨٩
- ٦٦ - أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي العدوي، أبو العباس، ابن البناء ٩٠
- ٦٧ - أحمد بن محمد بن حجر الوائلي السعدي الهيثمي ٩١
- ٦٨ - أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي نصر محمد بن عرب شاه ٩١
- ٦٩ - أحمد بن محمد بن عبد الهادي بن صالح بن عبد الله بن أحمد قاطن ٩٤
- ٧٠ - أحمد بن محمد بن علي بن مريع بن حازم بن إبراهيم بن العباس المصري الشافعي الشيخ نجم الدين ابن الرفعة ٩٥
- ٧١ - أحمد بن محمد بن عماد بن علي الشهاب، أبو العباس القرافي المصري ثم المقدسي الشافعي المعروف بابن الهائم ٩٧
- ٧٢ - السيد أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يحيى ٩٨
- ٧٣ - السيد أحمد بن محمد الشرفي ٩٨
- ٧٤ - أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة التقي، أبو العباس الهيمي الداري ٩٩
- ٧٥ - أحمد بن مصطفى بن خليل الرومي الحنفي المعروف بطاشكبري ١٠٠
- ٧٦ - أحمد بن موسى الخيالي الرومي ١٠٠
- ٧٧ - الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن مفضل ١٠١
- ٧٨ - أحمد بن يحيى حابس الصعدي اليماني أحد مشاهير علماء الزيدية ١٠٣
- ٧٩ - أحمد المكر بفتح الميم والكاف وتشديد الراء المهمة ١٠٤
- ٨٠ - السيد أحمد بن يوسف بن الحسين بن الحسن ابن الإمام القاسم ١٠٤
- ٨١ - السيد أحمد بن يوسف بن الحسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد بن الحسين بن علي زباره ١٠٦
- ٨٢ - أحمد بن يوسف الرباعي ١٠٧
- ٨٣ - إسحاق بن محمد العبدى الصعدي اليماني ١٠٧

- ٨٤ - السيد إسحاق بن يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم بن
 مُحَمَّد ١٠٨
- ٨٥ - السيد إسماعيل بن إبراهيم ١١٠
- ٨٦ - إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد ١١٢
- ٨٧ - السيد إسماعيل بن أحمد الكبسي ١١٢
- ٨٨ - السيد إسماعيل بن أحمد الكبسي الملقب «مُغَلَّس» ١١٣
- ٨٩ - إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ١١٤
- ٩٠ - السيد إسماعيل بن الحسن بن أحمد بن الحسن ١١٦
- ٩١ - السيد إسماعيل بن الحسن الشامي ١١٦
- ٩٢ - الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ١١٧
- ٩٣ - السيد إسماعيل بن علي بن حسن بن أحمد بن حميد الدين بن مطهر ابن الإمام
 شرف الدين ١١٩
- ٩٤ - إسماعيل بن علي بن محمود بن مُحَمَّد بن عُمر بن شاهنشاه بن أيوب ١٢٠
- ٩٥ - عماد الدين إسماعيل بن عُمر بن كثير البُصروي الأصل الدمشقي الشافعي ١٢١
- ٩٦ - السيد إسماعيل بن مُحَمَّد بن إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام
 القاسم بن مُحَمَّد ١٢١
- ٩٧ - السيد إسماعيل بن مُحَمَّد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ١٢٢
- ٩٨ - السيد إسماعيل بن هادي المفتي الصنعاني ١٢٣
- ٩٩ - إسماعيل بن يحيى ابن حسن الصديق الصُعدي ثم الذماري ثم الصنعاني ١٢٣
- ١٠٠ - أمير كاتب بن أمير عُمر بن العميد بن الإثقاني الحنفي ١٢٥
- ١٠١ - السيد أمير الدين بن عبد الله بن نَهْشَل ١٢٦
- ١٠٢ - أيمن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد ١٢٦
- حرف الباء الموحدة ١٢٧
- ١٠٣ - بايزيد خان بن مُراد بن أرخان بن عثمان الغازي سلطان الروم وما إليها ١٢٧
- ١٠٤ - بايزيد خان بن مُحَمَّد بن مراد بن مُحَمَّد بن بايزيد ١٢٧
- ١٠٥ - بَرْسَباي الدقماقي الظاهري البرقوقي الملك الأشرف ١٢٨
- ١٠٦ - بَرْقُوق الملك الظاهر أبو سعيد الجَرْكسي ١٢٩
- ١٠٧ - أبو بكر بن أحمد بن مُحَمَّد بن عُمر بن ذوبين شَرَف المعروف بابن قاضي
 شبهة الدمشقي الشافعي ١٣٠
- ١٠٨ - أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي الأزراي المعروف بابن حجة .. ١٣٠
- ١٠٩ - أبو بكر بن علي الحداد الزبيدي الحنفي ١٣١

- ١١٠ - السيد أبو بكر بن مُحَمَّد بن عبد المؤمن بن حَرِيز ١٣١
- ١١١ - بَيْرَسُ العُثماني الجاشنكير الملك المُظفَّر ١٣٢
- حرف التاء المثناة الفوقية ١٣٤
- ١١٢ - تُنْكَرُ نائب الشام ١٣٤
- ١١٣ - تَيْمُورْلُوكُ بن طَرْغَاي السلطان الأعظم الطاغية الكُبرى ١٣٦
- حرف التاء المثناة ١٤١
- ١١٤ - ثَابِت بن مُحَمَّد بن ثَابِت الطرابلسي أمير طرابلس العَرَب ١٤١
- ١١٥ - ثُقبَة بن رُمَيْثَة بن مُحَمَّد بن أَبِي سَعْد بن عَلِي بن قَتَادَة الحسني الشريف أمير مكة ١٤١
- حرف الجيم ١٤٣
- ١١٦ - جَعْفَر بن تَغْلِب بن جَعْفَر بن كَمال الدين أبو الفضل الأذفُوي ١٤٣
- ١١٧ - السيد جَعْفَر بن مُطَهَّر بن مُحَمَّد الجُرْمُوزي ١٤٤
- ١١٨ - جَحْمَق الظاهر أبو سَعِيد الجَرْكسي ١٤٤
- ١١٩ - جَلال بن أحمد بن يُونُس التَّبريزي المعروف بالتَّبَّاني ١٤٦
- حرف الحاء المهملة ١٤٧
- ١٢٠ - حاجي بن الأشرف شَعْبَان بن حُسَيْن بن النَّاصر مُحَمَّد بن قَلاون ١٤٧
- ١٢١ - حَاجِي بن مُحَمَّد بن قَلاون الملك المُظفَّر سَيْف الدين بن الناصر بن المنصور ١٤٧
- ١٢٢ - حَامِد بن حَسَن شَاكِر الصَّنْعاني ١٤٨
- ١٢٣ - الحَسَن بن أحمد بن صلاح اليوسفي الجمالي اليماني المعروف بالحيمي ... ١٤٩
- ١٢٤ - السيد الحَسَن بن أحمد بن مُحَمَّد بن عَلِي بن صلاح بن أحمد بن الهادي بن الجَلال ١٥٠
- ١٢٥ - السيد الحَسَن بن إِسْحَاق بن المَهدي أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ١٥٢
- ١٢٦ - حَسَن بن أحمد بن يُونُس الرُّباعي الصَّنْعاني ١٥٣
- ١٢٧ - الحَسَن بن إِسْمَاعِيل بن الحُسَيْن بن مُحَمَّد المغربي ١٥٣
- ١٢٨ - السيد الحَسَن بن الحُسَيْن ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ١٥٥
- ١٢٩ - السيد الحَسَن بن زَيْد بن الحُسَيْن الشَّامي ١٥٥
- ١٣٠ - الحَسَن بن عَلِي بن جَابِر الهَبَل اليماني الشاعر المُفَلِق ١٥٦
- ١٣١ - الحَسَن بن عَلِي بن الحَسَن بن عَلِي بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن صالح بن مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد بن يَحْيَى بن مُحَمَّد بن أحمد بن يَحْيَى ابن أحمد بن حَنَش ١٥٧

- ١٣٢ - الإمام الحسن بن علي بن داود المؤيدي ١٥٩
- ١٣٣ - الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب بن عمر بن شريح بن عمر الملقب بذر الدين الدمشقي الحلبي ١٦٠
- ١٣٤ - السيد الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى ١٦٠
- ١٣٥ - حسن بن محمد بن قلاون الصالح الملقب بالناصر بن الناصر بن المنصور .. ١٦٢
- ١٣٦ - الحسن بن محمد شاه الفاري المعروف بالسليبي صاحب حاشية المطول ... ١٦٣
- ١٣٧ - الحسن بن قاسم المجاهد القاضي العلامة الذكي ١٦٣
- ١٣٨ - الحسن بن محمد بن الحسن بن سابق الدين بن علي بن أحمد بن أسعد بن أبي السعود بن يعيش المعروف بالتحوي ١٦٤
- ١٣٩ - السيد الحسن بن مطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ١٦٤
- ١٤٠ - السيد الحسن بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن القاسم الحمزي الكسبي ثم الصنعاني ١٦٥
- ١٤١ - الحسن بن يحيى سيلان السفيني ثم الصعدي ١٦٧
- ١٤٢ - الحسين بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن علي بن محمد بن سليمان بن صالح بن محمد السياغي الحيمي ثم الصنعاني ١٦٧
- ١٤٣ - السيد الحسين بن أحمد بن صلاح بن أحمد بن الحسين بن علي المعروف بزيارة ١٦٨
- ١٤٤ - السيد الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الحسيني العلوي الشافعي المعروف بالأهذل ١٦٩
- ١٤٥ - السيد الحسين بن عبد الله الكبسي ١٦٩
- ١٤٦ - السيد الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين الكوكباني ١٧٠
- ١٤٧ - السيد الحسين بن علي بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل ابن الإمام القاسم ١٧٢
- ١٤٨ - حسين بن علي بن صالح العمري الصنعاني ١٧٣
- ١٤٩ - الإمام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله القاسم بن حسين بن أحمد بن حسن ابن الإمام القاسم ١٧٤
- ١٥٠ - السيد الحسين ابن الإمام القاسم بن محمد ١٧٤
- ١٥١ - السيد الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن الحسن بن زيد بن الحسين الحسيني العلوي المعروف بابن قاضي العسكر ١٧٥
- ١٥٢ - الحسين بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني ١٧٦

- ١٥٣ - الحُسَيْنُ بن مُحَمَّد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة ١٧٦
- ١٥٤ - الحُسَيْنُ بن مُحَمَّد بن سَعِيد بن عيسى اللاعي المعروف بالمغربي ١٧٧
- ١٥٥ - الحُسَيْنُ بن نَاصِر بن عبد الحفيظ المعروف كسلفه بالمهلا ١٧٨
- ١٥٦ - السيد الحُسَيْنُ بن يَحْيَى بن إبراهيم الدَّيْلَمِي الذماري ١٧٩
- ١٥٧ - الحُسَيْنُ بن يَحْيَى السَّلَفِي الصَّنْعَانِي ١٨١
- ١٥٨ - السيد الحُسَيْنُ بن يُوسُف بن الحُسَيْن بن أحمد زبارة ١٨١
- ١٥٩ - حَمْزَةُ بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عليّ بن أبي بَكْر التقيّ الناشريّ الزبيديّ الشافعيّ ١٨٢
- ١٦٠ - حُمَيْصَةُ بن أبي نَمِي مُحَمَّد بن حَسَن بن عليّ بن قَتَادَة بن إدريس الحسني الشريف عزّ الدين أمير مكة ١٨٢
- ١٦١ - الشريف حَمُود بن مُحَمَّد الحسني صاحب أبي عَرِيش ١٨٣
- حرف الخاء المعجمة ١٨٥
- ١٦٢ - خَشَقْدَم الملك الظاهر أبو سَعِيد الرّومي النَّاصِرِي ١٨٥
- ١٦٣ - خِضْر بن عطاء المَوْصِلِيّ مصنف كتاب الإسعاف ١٨٥
- ١٦٤ - خَلِيل بن أَيْبَك بن عبد الله المعروف بصَلاح الدين الصّفدي الأديب المشهور ١٨٦
- ١٦٥ - خَلِيلُ بن أَمِيران شاه بن تَيْمُورلُوك ١٨٧
- ١٦٦ - خَلِيلُ بن كَيْكَلْدِي العَلَاثِي ١٨٧
- حرف الدال المهملة ١٨٩
- ١٦٧ - الشّيخ دَاوُد بن عُمر الأنطاكي الضّرير رئيس الأطباء ١٨٩
- ١٦٨ - السيد دَاوُد بن الهادي بن أحمد بن المَهْدِي ابن أمير المؤمنين عزّ الدين بن الحَسَن ١٨٩
- ١٦٩ - دَاوُد بن يُوسُف بن عُمر بن عليّ ابن رسول الملك المؤيد بن المظفر التركماني الأصل صاحب اليمن ١٩٠
- ١٧٠ - الشريفة دَهْمَاء بنت يَحْيَى بن المُرتَضِي أخت الإمام المَهْدِي أحمد بن يَحْيَى المُتَقَدِّم ذِكْرُهُ ١٩١
- حرف الذال المعجمة ١٩٢
- ١٧١ - ذِيان الماردي نَاصِر الدين والي القاهرة ١٩٢
- حرف الراء ١٩٣
- ١٧٢ - رضوان بن مُحَمَّد بن يُوسُف بن سَلَامَة بن البهاء بن سَعِيد الزين الشافعي الحافظ الكبير القاهريّ الصّحراويّ ١٩٣
- ١٧٣ - رُمَيْثَةُ بمثلثة مصغراً ابن أبي نُمَيّ ١٩٤

- حرف الزاي ١٩٥
- ١٧٤ - زَكْرِيَّا بن أحمد بن مُحَمَّد بن يَحْيَى بن عبد الواحد ابن الشيخ أبي حَفْص
- عُمر الشَّاوي ١٩٥
- ١٧٥ - زَكْرِيَّا بن مُحَمَّد بن أحمد بن زَكْرِيَّا الأنصاري القاهري الأزهرى القاضي
- الشافعي ١٩٦
- ١٧٦ - السيد زَيْد بن مُحَمَّد بن الحَسَن ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ١٩٧
- ١٧٧ - السيد العلامة مُحَمَّد بن يَحْيَى بن أحمد بن زَيْد بن مُحَمَّد ١٩٩
- ١٧٨ - السيد زَيْد بن يَحْيَى بن الحُسَيْن بن المؤيد ابن الإمام القاسم بن مُحَمَّد ١٩٩
- ١٧٩ - الشريفة زَيْنَب بنت مُحَمَّد بن أحمد ابن الإمام الحَسَن بن علي بن داود
- المؤيدي ٢٠٠
- ١٨٠ - زَيْنُ العابدين بن حُسَيْن الحكمي أحد العلماء المشهورين ٢٠٠
- حرف السين المهملة ٢٠٣
- ١٨١ - أبو السَّعُود أفندي الإمام الكبير عالم الروم ٢٠٣
- ١٨٢ - سَعُودُ بن عبد العزيز بن مُحَمَّد بن سَعُود ٢٠٣
- ١٨٣ - سَعِيدُ بن عليّ القرواني الشَّامي ثم الصنعاني ٢٠٤
- ١٨٤ - سَعِيدُ بن مُحَمَّد بن عبد الله بن سَعْد بن أبي بَكْر المَقْدِسِي الحنفي نزيل
- القاهرة المعروف بابن الديري ٢٠٥
- ١٨٥ - سُلَيْمَانُ بن إبراهيم بن عُمَر بن عليّ بن عُمَر بن نَفِيس الدين العكّي العدناني
- الزبيديّ التعزيّ الحنفي ٢٠٦
- ١٨٦ - سَلِيمُ بن بايزيد بن مُحَمَّد بن مُراد بن مُحَمَّد بن بايزيد بن مُراد بن أورخان بن
- عثمان الغازي ٢٠٦
- ١٨٧ - سُلَيْمَانُ بن حَمَزَة بن أحمد بن عُمَر بن مُحَمَّد بن أحمد بن قُدَامَة القاضي تقيّ
- الدين ٢٠٧
- ١٨٨ - السيد سُلَيْمَانُ بن يَحْيَى بن عُمَر الأهدل الزبيديّ الشافعي ٢٠٧
- ١٨٩ - سَلار التَّريّ المنصوري ٢٠٨
- ١٩٠ - سَيْفُ بن موسى بن جَعْفَر البَحْرانيّ المسكتي ٢٠٩
- حرف الشين المعجمة ٢١٠
- ١٩١ - شاه إسماعيل بن حَيْدَر بن جُنيد بن إبراهيم بن عليّ بن موسى بن إسحاق
- الأردبيلي سلطان العجم ٢١٠
- ١٩٢ - شاه رَخّ بن تَيَمُورلَنك ٢١١
- ١٩٣ - شاه شُجاع بن مُحَمَّد بن مُظَفَّر ملك شيراز وعِراق العجم ٢١٢

- ١٩٤ - السيد شرف الدين بن أحمد بن مُحَمَّد بن الحُسَيْن بن عَبْدِ الْقَادِر بن النَّاصِر بن عبد الرب بن عليّ ٢١٢
- ١٩٥ - السيد شرف الدين بن إِسْمَاعِيل بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن المهدي أحمد بن الحَسَن بن القاسم بن مُحَمَّد ٢١٤
- ١٩٦ - الإمام الْمُتَوَكَّل على اللَّهِ شَرَف الدين بن شَمْس الدين ابن الإمام المهدي أحمد بن يَحْيَى ٢١٥
- ١٩٧ - شُعْبَان بن سَلِيم بن عُثْمَان الرُّومِي الأصل الصَّنْعَانِي المولد والمنشأ والوفاة ٢١٧
- ١٩٨ - شُعْبَان بن مُحَمَّد بن قَلَاوُن الملك الكامل بن النَّاصِر بن المَنْصُور ٢١٧
- ١٩٩ - شَيْخ المَحْمُودِي ثم الظَّاهِرِي الجَرْكَسِي ٢١٨
- حرف الصاد المهملة ٢٢٠
- ٢٠٠ - صَالِح بن صِدِّيق النَّمَازِي بالنون والزاي الخَزَرْجِي الأنصاري الشَّافِعِي ٢٢٠
- ٢٠١ - السيد صَالِح بن عبد الله بن عَلِي بن دَاوُد بن الْقَاسِم بن إِبْرَاهِيم بن القاسم بن إِبْرَاهِيم ابن الأمير مُحَمَّد ذي الشرفين المعروف بابن مُغَل ٢٢٠
- ٢٠٢ - صَالِح بن عُمَر بن رَسْلَان بن نَصِير بن صَالِح عَلَم الدين العَسْقَلَانِي البلقيني الأصل ٢٢١
- ٢٠٣ - صَالِح بن مُحَمَّد بن عبد الله العَنَسِي ثم الصَّنْعَانِي ٢٢٢
- ٢٠٤ - صَالِح بن مُحَمَّد بن قَلَاوُن ٢٢٢
- ٢٠٥ - صَالِح بن مَهْدِي بن عَلِي بن عبد الله بن سُلَيْمَان بن مُحَمَّد بن عبد الله بن سُلَيْمَان بن أسعد بن مَنْصُور المَقْبَلِي ثم الصَّنْعَانِي ثم المَكِّي ٢٢٢
- ٢٠٦ - صِدِّيق بن رَسَام بن نَاصِر السَّوَادِي الصَّعْدِي ٢٢٥
- ٢٠٧ - صِدِّيق بن عَلِي المَوْجَجِي الزُّبَيْدِي الحَنَفِي ٢٢٥
- ٢٠٨ - السيد صَالِح بن أحمد بن مَهْدِي المُوَيْدِي ٢٢٦
- ٢٠٩ - السيد صَالِح بن حُسَيْن بن يَحْيَى بن عَلِي الأَخْفَش الصَّنْعَانِي ٢٢٨
- ٢١٠ - السيد صَالِح بن جَلَال بن صَالِح الدين بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن المهدي ابن الأمير عَلِي بن الْمُحْسِن بن يَحْيَى بن يَحْيَى ٢٢٩
- حرف الضاد المعجمة ٢٣١
- ٢١١ - ضِيَاء بن سَعْد بن مُحَمَّد بن عُمَر القومي ابن قاضي القوم العَقِيْقِي الْقَرْوِينِي الشَّافِعِي ٢٣١
- ٢١٢ - ضِيَاء العَجَمِي ٢٣١
- حرف الطاء المهملة ٢٣٣
- ٢١٣ - طَطَّر الملك الظَّاهِر ٢٣٣

- ٢١٤ - طَقْطَاي بن مَنكُوتمر بن سَابِرخان بن جَنْكِزخان المغلي ملك التتار ٢٣٤
- ٢١٥ - طهماسب ملك بلاد العجم ٢٣٤
- حرف الظاء المعجمة ٢٣٧
- ٢١٦ - ظَافِر بن مُحَمَّد بن صَالِح بن ثَابِت الأنصاريّ العدويّ ٢٣٧
- ٢١٧ - ظَاهر بن أحمد بن شَرَف الغُصينيّ الفيّومي ٢٣٧
- ٢١٨ - ظَهيرَةُ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حُسَيْن بن عَلِيّ بن أحمد بن عَطِيَّة بن
ظَهيرة الفُرشيّ المكيّ المالكيّ ٢٣٨
- حرف العين المهملة ٢٣٩
- ٢١٩ - عَامِرُ بن عبد الوهَّاب بن دَاود بن طَاهِر ٢٣٩
- ٢٢٠ - السيد عَامِر بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عَلِيّ عمّ الإمام القاسم بن مُحَمَّد بن
عَلِيّ ٢٣٩
- ٢٢١ - الإمامُ المهديّ لدين الله العباس بن الإمام المنصور بالله الحُسَيْن ابن الإمام
المُتوكل ٢٤٠
- ٢٢٢ - السيد العباس بن مُحَمَّد المَعريّ التُّونسيّ ٢٤٢
- ٢٢٣ - عبد البَاسِط بن خَليل بن إبراهيم الدَّمشقيّ ثم القَاهريّ ٢٤٣
- ٢٢٤ - عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله بن مُتَنَّى بن أحمد بن مُحَمَّد بن
عيسى بن يُوْسُف بن عبد المجيد اليمانيّ المخزوميّ تاج الدين ٢٤٥
- ٢٢٥ - عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن الحَسَن بن عَلِيّ البَهْكلِيّ الصَّمديّ ثم الصبيانيّ ... ٢٤٦
- أحمدُ بن الحَسَن قاضي صيبا ٢٥٠
- عبد الرَّحْمَن بن الحَسَن البهكلي ٢٥٠
- إسماعيل بن أحمد ٢٥٠
- الحَسَنُ بن أحمد ٢٥٠
- أحمدُ بن مُحَمَّد البهكلي ٢٥١
- عليّ بن حَسَن العَواجي عافاه الله ٢٥١
- مُحمَّد بن عليّ بن الحَسَن العَواجي ٢٥٢
- ٢٢٦ - عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن عبد الغَفَّار القاضي عَضد الدين الأيجي ٢٥٢
- ٢٢٧ - عبد الرَّحْمَن بن أحمد الجامي ٢٥٣
- ٢٢٨ - عبد الرَّحْمَن بن أحمد بن رَجَب البَغْداديّ ثم الدَّمشقيّ الحَبْليّ الحافظ ٢٥٤
- ٢٢٩ - عبد الرَّحْمَن بن أبي بَكْر بن مُحَمَّد بن أبي بَكْر بن عُمَر بن خَليل بن نَصْر بن
الخضر بن الهمام الجلال الأسيوطيّ الأصل الطولويّ الشافعيّ ٢٥٤
- ٢٣٠ - عبد الرَّحْمَن بن الحَسَن الأكوّع ٢٥٨

- ٢٣١ - عبد الرَّحْمَن بن عَلِيّ بن مُحَمَّد بن عُمر بن عَلِيّ بن يُوُسُف بن أحمد بن عُمر الشَّيباني الزَّيْدِي الشَّافِعِي المعروف بابن الديع ٢٥٩
- ٢٣٢ - السيد عبد الرَّحْمَن بن قَاسِم المداني ٢٦٠
- ٢٣٣ - عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الْحَسَن بن مُحَمَّد بن جَابِر بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن وَلِيّ الدين ٢٦٠
- ٢٣٤ - عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن نَهْشَل الحَيَمِي الحافظ الكبير العلامة الشهير ٢٦٢
- ٢٣٥ - عبد الرَّحْمَن بن يَحْيَى الآنَسِي ثم الصَّنْعَانِي ٢٦٣
- ٢٣٦ - عبد الرَّحِيم بن الْحَسَن بن عَلِيّ بن عُمر بن عَلِيّ بن إبراهيم الأَرْمَوِي الإِسْنَوِيّ نزيل القاهرة الشيخ جمال الدين أبو مُحَمَّد ٢٧٥
- ٢٣٧ - عبد الرَّحِيم بن الْحُسَيْن بن عبد الرَّحِيم بن أَبِي بَكْر بن إبراهيم بن الزَّيْن أبو الفضل الكردي الأصل الشافعي المعروف بالعراقي ٢٧٦
- ٢٣٨ - عبد الرزاق بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن عُمر بن أَبِي المعالي مُحَمَّد بن محمود بن أحمد بن مُحَمَّد ٢٧٨
- ٢٣٩ - عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير ٢٧٩
- ٢٤٠ - عبد العزيز بن أحمد التَّعْمَانِي الضمدي ٢٧٩
- ٢٤١ - عبد العزيز بن سَرايا بن عَلِيّ بن أَبِي القَاسِم بن أحمد بن نَصْر الطائِي الحلِّي، صَفِيّ الدين ٢٧٩
- ٢٤٢ - عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن سَعْد اللّٰه بن جُمَاعَة بن صَخْر الكِنَانِي الشافعي ٢٨٠
- ٢٤٣ - عبد القادر بن أحمد الفاكهي ثم المكي العالم المشهور ٢٨١
- ٢٤٤ - السيد عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن النَّاصِر بن عبد الرَّبِّ بن عَلِيّ بن شَمْس الدين ٢٨١
- ٢٤٥ - عَبْدُ الْقَادِر بن أحمد بن عَلِيّ بن عبد المؤمن التَّزِيلِيّ ٢٨٨
- ٢٤٦ - عَبْدُ الْقَادِر بن عَلِيّ البَدْرِي الثَّلَاثِي ٢٨٨
- ٢٤٧ - عَبْدُ الْقَادِر بن عَلِيّ الْمُحَيَّرْسِي الزَّيْدِي الحَيَمِي اليمانيّ صاحب الحاشية على شرح الأزهار ٢٨٩
- ٢٤٨ - عَبْدُ الْقَادِر بن مُحَمَّد الطَّبْرِي المَكِّي الشَّافِعِي ٢٩٠
- ٢٤٩ - السيد عبد الكريم بن أحمد بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن المهدي أحمد بن الْحَسَن ابن الإمام القَاسِم ٢٩١
- ٢٥٠ - عبد الكريم بن هَبَة اللّٰه بن السديد المصري الملقب كَرِيم الدين الكبير أبو الفضائل ٢٩١

- ٢٥١ - عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَمِينِ الدِّينِ ابْنِ فَرَشْتَا الْخَنْفِيِّ ٢٩٢
- ٢٥٢ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ابْنِ
الإمام الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ٢٩٣
- ٢٥٣ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ تَمَّامَ بْنِ حَسَّانَ الْحَبْلِيِّ ٢٩٣
- ٢٥٤ - مولانا الإمام المهدي عبد الله بن أحمد المتوكل ابن علي المنصور ٢٩٤
- ٢٥٥ - السيد عبد الله بن أحمد بن محمد بن حسين ٢٩٥
- ٢٥٦ - عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي الشافعي اليمني ثم
المكي عفيف الدين أبو السعادات ٢٩٥
- ٢٥٧ - عبد الله بن إسماعيل بن حسن بن هادي التهمي ٢٩٦
- ٢٥٨ - السيد عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي ابن الإمام المتوكل
علي الله إسماعيل بن القاسم بن محمد ٢٩٧
- ٢٥٩ - عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي الزيدي ٢٩٨
- ٢٦٠ - عبد الله بن شرف الدين المهمل ٢٩٨
- ٢٦١ - السيد عبد الله ابن الإمام شرف الدين بن شمس الدين ابن الإمام المهدي
أحمد بن يحيى ٢٩٩
- ٢٦٢ - السيد عبد الله بن صلاح العادل الصنعاني الشاعر المشهور ٣٠٠
- ٢٦٣ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَقِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ الْحَلَبِيِّ
نزِيل الْقَاهِرَةِ ٣٠١
- ٢٦٤ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَلَالِ ٣٠٢
- ٢٦٥ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
مؤلف الهداية ٣٠٢
- ٢٦٦ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عِيسَى بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكُوكَبَانِيِّ ٣٠٤
- ٢٦٧ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لُطْفِ الْبَارِي الْكَبْسِيِّ ثُمَّ الصَّنْعَانِيِّ ٣٠٥
- ٢٦٨ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مِفْتَاحَ شَارَحِ الْأَزْهَارِ ٣٠٦
- ٢٦٩ - عبد الله بن محسن الحيمي ثم الصنعاني ٣٠٦
- ٢٧٠ - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَارِ اللَّهِ مُشْحَمِ الصَّعْدِيِّ ثُمَّ الصَّنْعَانِيِّ ٣٠٧
- ٢٧١ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ صَلَاحِ الْأَمِيرِ الصَّنْعَانِيِّ ٣٠٧
- ٢٧٢ - عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن ثامر بن فضل بن محمد بن
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الزيدي العنسي العكي المعروف بالتجري ٣٠٨
- ٢٧٣ - عبد الله بن محمد بن عبد الله العنسي ثم الصنعاني ٣٠٩
- ٢٧٤ - السيد عَبْدُ اللَّهِ ابْنِ الإمام الْمُطَهَّرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ سُلَيْمَانَ الْحَمَزِيِّ ٣١٠

- ٢٧٥ - عبد الله بن المهلهل بن سعيد بن علي الشَّرَفِيّ اليمانيّ المعروف بالمهلهل ٣١٠
- ٢٧٦ - عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ... ٣١١
- ٢٧٧ - عَبْدُ اللَّهِ بن يوسف بن مُحَمَّد الزَّيْلَعِيّ الحَنَفِيّ جَمَالُ الدين ٣١٢
- ٢٧٨ - عَبْدُ الْمَلِك بن حُسَيْن بن عَبْد الْمَلِك العِصَامِيّ الشَّافِعِيّ المَكِّيّ صاحب التاريخ المشهور ٣١٢
- ٢٧٩ - عَبْدُ الْمَلِك بن جَمَال الدين بن إِسْمَاعِيل العِصَامِي ٣١٣
- ٢٨٠ - عَبْدُ الْمُؤْمِن بن خَلْف بن أَبِي الحَسَن بن شَرَف الدُّمِيَّاطِيّ شَرَف الدين ٣١٣
- ٢٨١ - عَبْدُ الْمُؤْمِن بن عبد الحق بن عبد الله بن علي بن مَسْعُود البَغْدَادِيّ الحَنْبَلِيّ ٣١٤
- أبو الفضائل صَفِيّ الدين ٣١٤
- ٢٨٢ - عَبْدُ الْهَادِي بن أحمد بن صلاح بن مُحَمَّد بن الحَسَن الثَّلَاثِيّ المعروف بالحسوسة ٣١٤
- ٢٨٣ - السيد عَبْدُ الْوَهَّاب بن حُسَيْن بن يَحْيَى الدِّيْلَمِيّ ٣١٥
- ٢٨٤ - السيد عَبْدُ الْوَهَّاب بن مُحَمَّد شَاكِر بن عبد الوهَّاب بن حُسَيْن بن العَبَّاس بن جَعْفَر ٣١٥
- ٢٨٥ - عَبْدُ الْهَادِي بن مُحَمَّد السُّودِيّ ثم الصَّنْعَانِيّ الصُّوفِيّ الشاعر المشهور ٣١٦
- ٢٨٦ - عَبْدُ الْوَاسِع بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد الْقُرَشِيّ الْأُمَوِيّ العَلْفِيّ ٣١٧
- ٢٨٧ - عبد الوهَّاب بن عَلِيّ بن عبد الكافي بن عَلِيّ بن تَمَام السُّبُكِيّ تاج الدين ٣١٨
- ٢٨٨ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّهِ بن مُحَمَّد بن عبد الله السيد نُور الدين أبو حَامِد ٣١٩
- ٢٨٩ - السيد عَبْدُ اللَّهِ بن مُحَمَّد الهاشميّ الحُسَيْنِيّ الملقب بالعبري ٣٢٠
- ٢٩٠ - عُثْمَان بن عليّ بن عُمر بن إِسْمَاعِيل بن إبراهيم بن يوسف بن يَعْقُوب بن عليّ بن عَبْدُ اللَّهِ الطَّائِيّ الحَلَبِيّ ٣٢٠
- ٢٩١ - عُثْمَانُ بن قَطْلُوك التُّرْكْمَان أمير التُّرْكْمَان بديار بَكْر وصاحب آمد وماردين ٣٢١
- ٢٩٢ - عُثْمَان بن مُحَمَّد بن عَبْد الْعَزِيز بن أحمد بن أَبِي بَكْر بن يَحْيَى بن إبراهيم بن يَحْيَى بن عَبْد الْوَاحِد بن أَبِي حَفْص عُمر الملقب الْمُتَوَكَّل على الله الهُتَاتِيّ ٣٢٢
- ٢٩٣ - الإمام الهادي عَزَّ الدين بن الحَسَن بن الْمُؤَيَّد ٣٢٢
- ٢٩٤ - السيد عليّ بن إبراهيم بن عليّ بن إبراهيم بن أحمد بن عَامِر الشهيد ٣٢٣
- ٢٩٥ - السيد عليّ بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيل بن صلاح الأمير ٣٢٧
- ٢٩٦ - عَلِيّ بن أحمد بن رَاجِح بن سَعِيد ٣٢٩
- ٢٩٧ - عَلِيّ بن أحمد بن سَعِيد بن مُحَمَّد بن سَعِيد بن الأثير الحَلَبِيّ الأَصْل المِصْرِيّ ٣٣٠
- ٢٩٨ - عَلِيّ بن أحمد هَاجِر الصَّنْعَانِي ٣٣١

- ٢٩٩ - السيد عَلِيُّ بن أحمد بن مُحَمَّد بن إِسْحَاق بن المَهْدِي أحمد بن الحَسَن ابن الإمام القَاسِم بن مُحَمَّد ٣٣١
- ٣٠٠ - السيد عَلِيُّ بن أحمد المعروف بابن مَعْصُوم ٣٣٢
- ٣٠١ - عَلِيُّ بن أحمد بن مُحَمَّد الملقب علاء الدين الحَنَفِي الرُّومِي ٣٣٣
- ٣٠٢ - عَلِيُّ بن إِسْمَاعِيل بن حَسَن بن هَادِي التَّهْمِي ٣٣٥
- ٣٠٣ - السيد عَلِيُّ بن إِسْمَاعِيل بن عَلِي بن القَاسِم بن أحمد ابن الإمام المُتَوَكَّل على الله إِسْمَاعِيل بن القَاسِم بن مُحَمَّد ٣٣٥
- ٣٠٤ - السيد عَلِيُّ ابن الإمام المُتَوَكَّل على الله إِسْمَاعِيل بن القَاسِم بن مُحَمَّد ٣٣٩
- ٣٠٥ - عَلِيُّ بن إِسْمَاعِيل بن يُوسُف القنوي علاء الدين الشَّافِعِي ٣٤٠
- ٣٠٦ - عَلِيُّ بن أَبِي بَكْر بن سُلَيْمَان بن أَبِي بَكْر بن عُمَر بن صَالِح نُور الدين الهَيْثَمِي الشَّافِعِي الحافظ ٣٤١
- ٣٠٧ - عَلِيُّ بن الحُسَيْن بن القَاسِم بن مَنصُور بن عَلِي المَوْصِلِي زَيْن الدين ابن شيخ العُوَيْنَةِ ٣٤٢
- ٣٠٨ - عَلِيُّ بن دَاوُد بن يُوسُف بن عُمَر بن عَلِي بن رسول الملك المجاهد ابن المؤيَّد بن المُظَفَّر بن المَنصُور صاحب اليمن ٣٤٤
- ٣٠٩ - الشيخ مُلَا علي قاري بن سُلْطَان بن مُحَمَّد الهَرَوِي الحَنَفِي ٣٤٥
- ٣١٠ - عَلِيُّ بن سُلَيْمَان بن أحمد بن مُحَمَّد العلاء الدَّمَشْقِي الصَّالِحِي الحَنْبَلِي ٣٤٥
- ٣١١ - عَلِيُّ بن صَالِح العماري ثم الصَّنْعَانِي ٣٤٦
- ٣١٢ - عَلِيُّ بن صَالِح بن مُحَمَّد بن أَبِي الرِّجَال الصَّنْعَانِي ٣٥٣
- ٣١٣ - السيد عَلِيُّ بن صَالِح بن مُحَمَّد العبالي ٣٥٤
- ٣١٤ - السيد عَلِيُّ ابن الإمام شَرَف الدين بن شَمْس الدين ٣٥٥
- ٣١٥ - مولانا الإمام خليفة العصر أمير المؤمنين المنصور بالله رب العالمين عَلِيُّ ابن الإمام المَهْدِي ٣٥٥
- ٣١٦ - عَلِيُّ بن عبد الكافي بن عَلِي بن تمام بن يُوسُف بن مُوسَى بن تمام بن حَامِد بن يَحْيَى بن عُمَر بن عُثْمَان بن عَلِي بن سِوَار بن سَلِيم السُّبُكِي تَقِي الدين، أبو الحَسَن الشافعي ٣٦٠
- ٣١٧ - السيد عَلِيُّ بن عَبْدِ اللَّهِ بن أحمد بن مُحَمَّد بن مُحَسِّن الجَلَال ٣٦٢
- ٣١٨ - السيد عَلِيُّ بن عبد الله بن أحمد بن عَلِي بن عيسى الحُسَيْنِي الملقب نور الدين المعروف بالسَّمهودي ٣٦٣
- ٣١٩ - عَلِيُّ بن عبد الله بن عَلِي بن رَاوِع العلَّامة الزَّيْدِي القاضي ٣٦٣
- ٣٢٠ - عَلِيُّ بن قَاسِم حَنَش ٣٦٤

- ٣٢١ - عَلِيُّ بْنُ قَاسِمِ السَّنْحَانِيِّ ٣٦٥
- ٣٢٢ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَنْسِيِّ الصَّنْعَانِيِّ ٣٦٦
- ٣٢٣ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَعْقُوبَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ نَاجِيَةِ الْمَشْهُورِ بَابِنَ خَطِيبِ النَّاصِرِيَةِ الْحَلَبِيِّ الشَّافِعِيِّ ٣٦٨
- ٣٢٤ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قُتُوحَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرَ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ هِشَامَ بْنِ عُمَرَ التَّعَلْبِيِّ ٣٦٨
- ٣٢٥ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الشُّوْكَانِيِّ ٣٦٩
- ٣٢٦ - السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ ٣٧٣
- ٣٢٧ - الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ٣٧٤
- ٣٢٨ - الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَهْدِيِّ الْمَذْكُورِ قَبْلَهُ ٣٧٥
- ٣٢٩ - السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيِّ الْجَرْجَانِيِّ ٣٧٥
- ٣٣٠ - السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ النَّاصِرِ الْكُوكَبَانِيِّ الْمَوْلِدِ وَالِدَارِ وَالْوَفَاةِ ٣٧٧
- ٣٣١ - الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْمُقَدِّسِيِّ الْخَزَرَجِيِّ الْحَنْفِيِّ الْمَعْرُوفِ بِأَبِي غَانِمٍ ٣٧٨
- ٣٣٢ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ بْنِ مُحَمَّدِ الْأَشْمُونِيِّ الْأَصْلِ ثُمَّ الْقَاهِرِيِّ الشَّافِعِيِّ ٣٧٨
- ٣٣٣ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى الْبَكْرِيِّ الزَّيْدِيِّ ٣٧٩
- ٣٣٤ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الْمَعْرُوفِ بَابِنَ هُطَيْلِ النَّجْرِيِّ الْمَشْهُورِ الْيَمَانِيِّ ٣٧٩
- ٣٣٥ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الْقَوْشَجِيِّ ٣٨٠
- ٣٣٦ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ الْعَقِينِيِّ الْأَنْصَارِيِّ التَّغْرِي الشَّافِعِيِّ ٣٨١
- ٣٣٧ - عَلِيُّ بْنُ مَجْدِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودَ بْنِ مَحْمُودَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْمَعْرُوفِ بِالْمَوْلَى مَصْنُفِكَ ٣٨٢
- ٣٣٨ - عَلِيُّ بْنُ الْمُظَفَّرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ بْنِ يَزِيدِ الْوَدَاعِيِّ الْكِنْدِيِّ الْإِسْكَندَرَانِيِّ ثُمَّ الدَّمَشْقِيِّ ٣٨٢
- ٣٣٩ - عَلِيُّ بْنُ هَادِي عَرْهَب ٣٨٤
- ٣٤٠ - عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رَاجِحَ بْنِ سَعِيدِ الْكِنَعِيِّ ٣٨٥
- ٣٤١ - عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَضْمُونِ الْبُرْطِيِّ ٣٨٥
- ٣٤٢ - السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى أَبُو طَالِب ٣٨٦

- ٣٤٣ - عَلِيُّ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ جَبْرِيلَ الْبَكْرِيِّ نُورُ الدِّينِ الْمَضَرِّي الشَّافِعِيُّ ٣٨٦
- ٣٤٤ - عَلِيُّ بْنُ يُونُسَ بْنِ شَمْسِ الدِّينِ الْفَنَارِيِّ الرُّومِيِّ ٣٨٧
- ٣٤٥ - عُمَرُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَحْمَدَ الْغَزْنَويِّ الْعَلَامَةِ الْحَنْفِيِّ سِرَاجِ الدِّينِ الْهِنْدِيِّ
صَاحِبِ التَّصَانِيفِ ٣٨٨
- ٣٤٦ - عُمَرُ بْنُ رَسْلَانَ بْنِ بَصِيرَ بْنِ صَالِحَ بْنِ شَهَابَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ بْنِ عَبْدِ
الْحَقِّ السَّرَاجِ الْبَلْقِينِيِّ ٣٨٩
- ٣٤٧ - عُمَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّرَاجِ ٣٩٠
- ٣٤٨ - عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ عُمَرَ ٣٩٢
- ٣٤٩ - عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْخَيْرِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
فَهْدٍ ٣٩٣
- ٣٥٠ - عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدَ السَّرَاجِ أَبُو حَفْصَ الْيَمَانِيِّ الزَّيْبِيدِيِّ الشَّافِعِيِّ ٣٩٤
- ٣٥١ - عُمَرُ بْنُ مُظَفَّرَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ زَيْنُ الدِّينِ بْنِ الْوَرْدِيِّ
الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ الْحَلَبِيِّ ٣٩٤
- ٣٥٢ - عِيسَى بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى الْغَزِّي شَرَفُ الدِّينِ الشَّافِعِيِّ ٣٩٦
- ٣٥٣ - السَّيِّدُ عِيسَى بْنُ لُطْفِ اللَّهِ بْنِ الْمُطَهَّرِ ابْنِ الْإِمَامِ شَرَفُ الدِّينِ الْيَمَانِيِّ
الْكُوكَبَانِيِّ ٣٩٦
- ٣٥٤ - السَّيِّدُ عِيسَى بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْكُوكَبَانِيِّ ٣٩٧
- ٣٥٥ - عِيسَى بْنُ مَسْعُودَ بْنِ مَنْصُورَ بْنِ يَحْيَى بْنِ يُونُسَ الزَّوَاوِيِّ الْمَالِكِيِّ ٣٩٨